Staatsbibliothek
zu Berlin
Preußischer Kulturbesitz

a l - M u b + n a l - m u ½ + n l i - f a h m a l - a r b a ½ + n

Vollständiger Titel: a l - M u b + n a l - m u ½ + n l i - f a h m a l - a r b a ½ + n

PPN: PPN785510966

PURL: http://resolver.staatsbibliothek-berlin.de/SBB000159F400000000

Signatur: Petermann II 385

Kategorie(n): Außereuropäische Handschriften, Islamische Handschriften

Projekt: Orientalische Handschriften digital

Strukturtyp: Handschrift

Seiten (gesamt): 567

Seiten (ausgewählt): 1-567

بسم الله الرحمن الرحيم

CCCLXXXV 260

كراس ٢٠٩

١٥٠ ب

شرح الاربعين
لعلي القاري

١٣

43

Ex
Biblioth. Regia
Berolinensi.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله الذي جعل للاعداد دوالا وفاق اعتبارا
للانام فخلق السموات والارض في ستة ايام
وخمر طينة ادم عليه السلام بيده اربعين
صباحا في مقام الاكرام وجعل اطوار خلقه
افراد بني ادم اربعين نطفة ثم اربعين
علقة ثم اربعين مضغة الى ان كسي اللحم
فوق العظام وواعد موسى عليه السلام
اربعين ليلة لميقات الكلام وبعث نبينا
صلى الله عليه وسلم بعد تكميل اربعين سنة
على سنن اكثر الانبيا الكرام والصلاة والسلام
الاتمان الاعمان الافضلان الامثلان على من
خلق اولا في عالم الارواح وجعل اخرا من بين
الانبيا في مراتب الاشباح ليكون مظهرا للمراتب
الاولية الباطنية ومظهرا للمناقب الاخرية
الظاهرية وعلى اله الكرام واصحابه الفخام

وسائر

وساير اتباعه الي يوم القيام اما بعد
فيقول المفتقر الي بر ربه الباري علي ابن
سلطان محمد القاري هذا شرح عزيز
لا بسيط ولا وجيز غير مخل في بيان مبانيه
ممزوج بفوايد لغوية ونحوية وفقهية
وعوايد صوفية من اسرار قدسية و
انوار انسية قصدت بتوفيق الملك المعين
سلوك خدمة هذه الاربعين المشتملة
علي احكم المباني وابلغ المعاني التي صدرت
من مشكاة صدر من نزل عليه السبع المثاني
جمعها الشيخ الامام العلامة والهمام الفهامة
محي الدين النووي قدس الله روحه العلي
ونور ضريحه الجلي وقد ولد سنة احدي
وثلاثين وستماية بنوي قرية من دمشق
الشام وقرا بها كلام الملك العلام سنة تسع
واربعين وقرا التنبيه في اربعة اشهر ونصف
وحفظ ربع المهذب في بقية السنة ثم مكث
قريبا من سنتين لا يضع جنبه علي الارض
يقرا اثنا عشر درسا من العلوم وكان اماما
نا هيا ساهرا في العلم والعمل صابرا علي خشونة
العيش وقصر الامل لا ياكل الا مرة مما يوتي

ولا مهمل في بيان معانيه خ

به من عند ابويه بعد العشا ولا يشرب
الاشربة عند السحر ولم يتناول فواكه دمشق
لشبهته فيها ولم يتزوج من زهده وحج مرتين
وتولي دار الحديث الاشرفية سنة خمس و
ستين ولم ياخذ من معلومها شيا يلبس ثوب
قطن وعمامة سجابية وعليه سكينه ووقار
في بحث العلوم الدينية ولم يزل علي ذلك الي ان
سافر الي القدس ثم عاد الي وطنه فمرض عند
ابويه وتوفي في سنة ست وسبعين وستماية
ودفن ببلده طيب الله مضجعه روي انه انشد
ابياتا عند الوفاة منها شعر • اسري اليهم
يسايرقلبي في قدومي عليهم وبالسير يسري يوم
وفي رحلتي يصفوا مقامي وحبذا مقام بحط الرحال لديهم
وسميته بالمبين المعين لفهم الاربعين
وهذا اول الشروع في المقصود بعون الملك
المعبود قال رحمه الله بسم الله اي بسم المعبود
بالحق الواجب الوجود المبدع للعالم من اثر
الكرم والجود والبا للاستعانة متعلق بمحذوف
مثل ابتدي او ابتدا ي لافادة الاختصاص وللاهتمام
في مرتبة الخاص ولان ما هو السابق في الوجود م
يستحق السبق في ظهور الجود ولذا قال بعض المحققين

من

3

من ارباب الشهود ما رايت شيا الا و رايت الله
قبله و زاد عليه من ترقي لديه بقوله سوى
الله والله ما في الوجود الرحمن العام الرحمة
لجميع البرية بافاضة اصول النعم وجلايلها الرحيم
الخاص الرحمة للمومنين بالهداية وما يتوقف
عليه سعاداتهم من دقايقها وحقايقها واصل
الرحمة انعطاف القلب والرقة وهي في حقه
سبحانه ارادة الخير لمن يستحقها وترك العقوبة
لمن يستوجبها والحاصل ان الرحمن هو المفيض
للجود والكمال علي الكل بحسب ما يقتضي الحكمة
علي وجه البداية والرحيم هو المفيض للكمال
المعنوي المخصوص بالنوع الانساني بحسب النها
وفايدة لفظ الاسم ان يسم به الحق علي قلوب
اهل معرفته من الخلق فلما قدم لفظ الله اضمحلت
العقول في ابتدا عظمته وذابت الارواح في
بحار الوهيته فاتبعه بالرحمن الرحيم ليسلي قلوب
الموحدين وليشفي صدور قوم مومنين كذا
قاله بعض المحققين وقيل الرحمن شراب
شوق اهراقه لارباب ذوق في قدح الرحيم
ليتناول العباد في مقام المراد حتي اذا شربوا
سكروا واطربوا فطلبوا فساروا فطاروا فوصلوا

بة

فانتصلوا فذابوا واضمحلوا في بيدا الكشف
واستغرقوا في بحار لطفه هذا والله هو
الاسم الاعظم لكن بشروط من جملتها ان تقول
الله وليس في قلبك سواه ونقل الاستاذ ابو
القاسم القشيري ان جميع اسمايه تعالي
للتخلق الا هذا الاسم فانه للتعلق ثم اعلم
ان المص افتتح كتابه بالتسمية والتحميد تاسيا
بالكتاب المجيد وعملا بالحديث الصحيح المفيد
كل امر ذي بال اي شان وحال لا يبدا فيه بلبسم
الله الرحمن الرحيم او بالحمد لله او بحمد الله و
بذكر الله فهو اجذم او اقطع او ابتر روايات
متعددة وعبارات مختلفة مودّاها ان متروك
البسملة قليل البركة او مقطوع الزيادة ورواية
بذكر الله اعم وفي المعني اتم لما يشير الي ان الابتدا
بذكر الله تعالي من الامور العظيمة والخصال الكريمة والمراد بالحمد في الحديث يعم سائر الاذكار وهو مع ذلك لا ينافي تقديم البسملة عليه لانه من جملة افراده ومحتمل لمعناه والحاصل ان الابتدا حقيقي واضافي والحقيقي ما تقدم امام المقصود ولم يسبقه شيء والاضافي ما تقدم امام المقصود وان سبقه شيء فحمل حديث البسملة علي الحقيقي وحديث الحمد علي الاضافي وقد يقال الابتدا عرفي وهو ما قبل الشروع في المقصود فيعم جميع ما يقع قبله فلا تعارض والله اعلم العلي
الشان يحصل باي ذكر كان سوا يكون في ضمن
البسملة والحمدلة الا ان الجمع بينهما افضل والاهتمام
باقترانهما مثل الترتيب ماخوذ من الكتاب
الجليل مع ما فيه من الاشارة الي ان توفيق الاتيان
بالبسملة انعام فينبغي ان يترتب عليه شكر جميل
جزيل فقال الحمد لله وهو الوصف بالجميل الاختياري
علي جهة التبجيل سوا تعلق بالفضايل الكسبية

ادبالعواضل الوهبية وال للاستغراق خلافا
للمعتزلة في هذه المسئلة وقيل للجنس فلام
للتخصيص فيؤول امره الى الاول فتامل هذا
وفي كلام الصوفية ان الحمد كما يكون بالمقال يكون
بالافعال ولسان الحال وهو ظهور الكمالات وحصول
الغايات من الكائنات اذهي اثنية فائحة
ومدح رائقة لمولاها عما يستحقه فيما اولاها
فالموجودات كلها مسبحة مترنمة حامدة
اظهارا لكمالاتها واشعارا من بدايا تفاوتها بانها
في مظهريتها للصفات الجلالية والنعوت الجمالية
كما قال وان من شيء الا يسبح بحمده اي بلسان فصيح
ملكوتي سديد يسمعه من كان له قلب اوالقي
السمع وهو شهيد وبهذا اللسان نطق الحصي
في يد المصطفى وتحدث الارض اخبارها
وتنطق الجوارح باوزارها وبه نطقت السموات
والارضين حيث قالتا اتينا طائعين ثم اختيار
اسم الذات المنبي عن صفات الكمال ووصفه
عما يتفرع عليها من الافعال ايماء الى استحقاقه
من جميع الجهات وساير الاحوال ولذا قال
رب العالمين بالجر على البدلية ويجوز
رفعه ونصبه في العربية وبالثلاثة قرئ

في الفاتحة اي مبديهم ومربيهم قال الواسطي
هو الخالق ابتدا والمربي غذا والغافر انتهاء
والعالم كل ما يعلم به الصانع العالم وجمع لتعدد
انواعه احتلافا واختلاف اصنافه فقد قال
وهب هي ثمانية عشر الف عالم وقيل اربعون
الفا وقيل ثلاثمائة وستون الفا وقيل ثمانون
الفا نصفه في البر ونصفه في البحر وقال كعب
الاحبار لا يحصي عدد العالمين غيره سبحانه
قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو واختير
هذا الجمع تغليبا لذوي العقول من الملايكة و
الثقلين لشرفهم واستتباع غيرهم فهو عبارة
عن المخلوقات باسرها من جواهرها واعراضها
لافتقارها الى موثر واجب لذاته لتدل على
وجوده وثبوت صفاته قيوم السموات
والارضين بفتح الرا وسكن وعلل بان قياسه
ارضات كثمرات فجا عوض منه الواو والنون
ابقوا فتح الرا ايما الى اصل البنا والقيوم فيعول
مبالغة القايم والمراد به ههنا القايم بذاته
القيوم لمصنوعاته فهو خالقهما والدايم المقوم
القيام بامرها وجمع السما لاختلافهما بالاثار
والحركات عند الحس وتباينهما في الجنس كما ورد
في

5

في كتاب المعراج للاستاذ القشيري ان الاولى
موج مكفوف والثانية من النحاس والثالثة
من الفضة والرابعة من الذهب والخامسة
من الياقوت والسادسة من زمرد والسابعة
من نور العرش والعرش من جوهرة خضرا
او باعتبار كبرها وسعة جرمها ففي الخبر
ان الارضين السبع بجنب السما الدنيا كحلقة
في فلاة وهكذا كل سما بالاضافة الى ما فوقها
وجميع الكاينات بالنسبة الى العرش وقدمها
لشرفها وعلو مكانها وافرد الارض في الكتاب
لاتحاد جنسها ولصغر جسمها ولتقلل جمعها
وانما جمعها المص كما ورد في بعض الاحاديث
اشعارا بانها مثلها في عددها قال تعالى
ومن الارض مثلهن وفي كل طبقة ما لا يعلمه
الا الله الذي خلقهن وايثارا لرعاية الفاصلة
فيما قبلها وما بعدها هذا وقال القشيري
فمن عرف انه القيوم بالامور والاحوال
استراح عن كد التفكير وتعب الاشتغال
وعاش براحة التفويض تكريمة ولم يحصل
في قلبه للدنيا كثير قيمة وقد قال الاكابر ان
جميع كرايم الدنيا والعقبى عند الله اقل

من نبينة عند سلطان الدنيا مدبر الخلايق
اجمعين اي العالم بعواقب امورهم ومفيض
ما يتوقف عليه وجودهم وثبوت ظهورهم
فان التدبير له من العالم العلوي والسفلي
فتدبيره لعالم الارواح كتدبيره لعالم الاشباح
وتدبيره للكبير كتدبيره للصغير لا يختلف
بالنسبة الي قدرته احوال شي من صفته
في الايجاد والاعدام والمنع والعطا وامثال
ذلك المرام باعث الرسل اي مرسلهم صلواته
اي انواع رحمته المقرونة بعظمته وسلامه
وتسليمه من اصناف معافيته المقرونة بعنايته
عليهم والجملة خبرية مبنا وانشائية معني
كالحمد لله والصحيح ان الرسول انسان اوحي
اليه وامر بتبليغه والنبي لم يومر وهو اعم
منه وفي مسند احمد ان عدد الانبيا مائة
الف واربعة وعشرون الفا والرسل منهم
ثلاثمائة وخمسة عشر قيل مساق الكلام
يقتضي ان يكون لهذه الاوصاف مدخل في
افتتاحنا الحمد على المرام لان ترتب الوصف
على الحكم مشعر بالعلية كما تقرر في الاصول
الدينية واجيب بان الامر كذلك اما ربوبية

للكل

للكل بالامداد الرزقية والحفظية فظاهر انها
من المنح الجليلة واما قيامه بامر السما والارض
فلانه لولاه لاختل العوالم العلوية والسفلية
فلا يمكن لهم اكتساب المعارف الدينية واللطايف
اليقينية اذ اصلاح المعاد بانتظام امر المعاش
والزاد واما تدبيره فهوا فاضة وجودهم وصفاتهم
وما يتوقف عليه ثبوت بقايهم ولا يخفى انه
ايضا من النعم العظيمة والمنن الوسيعة واما
بعثة الرسل فلان الخلق بسبب احتجابهم و
بعدهم عن الحق لا يمكنهم تلقي المعارف والعلوم من
الحضرة الصمدية بل لا بد في استفاضة المطالب
واستفادة المارب من واسطة تكون من وجه
تناسب الحضرة الاحدية ومن وجه تلايم الرتبة البشرية
فيستفيض بسره المشاهد للحق ويفيد بظاهره
المخالط للخلق وهم الرسل الكرام فكان بعثهم
من النعم الجسام الى المكلفين اي العقلا البالغين
من الانس وكذا من الجن بالنسبة الى نبينا صلى
الله عليه وسلم بل وكذا من الملايكة وحتى
من الحيوانات والجمادات كما يشير اليه خبر مسلم و
ارسلت الى الخلق كافة واما ما قيل من ان التكليف
الزام ما فيه كلفة فهو غالب بالنسبة الى العامة

لغين

بلغ مقابلة

والعقل الذي مناط التكليفات غريزة يلزمها
العلم بالضروريات عند سلامة الالات وفي
كلام بعض الصوفية انه جوهر فطري تتميز به
الصلاح من الفساد والخير من الشر فان
تعلق بالخالق فهو عقل المعاد والهداية وان
تعلق بالخلق فهو عقل المعاش والبداية لهذا منهم
اي دلالتهم الي ذات الله وصفاته وافعاله
في مصنوعاته وهداية الرسل الكرام بدلالة
العوام الي دار السلام وبارشاد الخواص طريق
السير الي الله ثم في الله ليمحوا عنهم ظلمات
احوالهم ويميط غواشي ابدانهم فيستضيئوا
بنور القدس ويروه في نوره في مجامع الانس
ثم اعلم ان الهداية علي ضربين بمعني الدلالة
وتفريق الحق من الضلالة وهو هداية
ارباب الرسالة وبمعني التوفيق والتاييد و
التحقيق وهو مخصوص به سبحانه بهذا المعني
يجمع بين قوله تعالي انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشا وبين قوله سبحانه
انك لتهدي الي صراط مستقيم او يقال اشار
فيهما الي مقام الجمع كما قرر في قوله تعالي وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمي وبيان شرايع

الدين

الدين الشريعة لغة نهج الطريق الواضح الي الما
واصطلاحا الطريق الالهية المثبتة للاحكام
الدينية المتضمنة لمصالح العباد وعمارة البلاد و
تجارة المعاد والدين لغة الطاعة والجزا وشرعا
وضع الهي سايق لذوي العقول باختيارهم
المحمود الي ما يصلح في معادهم ومعاشهم الدين
والملة يتحدان ذاتا ويختلفان اعتبارا فان الشريعة
من حيث انها يطاع بها يسمي دينا ومن
حيث انها يجتمع عليها تسمي ملة وقوله لتقدم
اشارة الي البعثة وهي دعوة الخلق الي الحق
وارشاد العباد الي مصالح المعاش ومنافع
المعاد واعلامهم بما يعجز عن عقولهم عن معرفته
من احوالهم كالحشر والنشر والجنة والنار وتبيين
وظايف الطاعات وتبيين اوقات العبادات
وبيان الحدود والاحكام في المعاملات وذلك لان
الانسان لما لم يكن مستقل الشان بامر معاشه
من غذايه ولباسه ومسكنه بل لا يتم له الا
بمشاركة من ابنا جنسه وكل يشتهي ما
يفتقر اليه فاحتيج الي عدل متفق عليه ينحصر
امركلهم لديه ولما كان من المتعذر رحص الامور
الجزيية مست الحاجة الي ضبط قوانين كلية

وهي شرايع دينية ولابد لها من شارع ممتاز
باستحقاق الطاعة لينقاد لسه المكلفون
في قبول الشريعة وذلك باختصاصه بايات
ظاهرة ومعجزات باهرة دالة على انه من عند
الحق الى الخلق كما اشار اليه المص فقال بالدلايل
اي حال كونهم متلبسين بالادلة القطعية
اي الموجبة للعلم لانها تنقطع معارضة الخصم و
واضحات البراهين اي الحجج الواضحة في المرام
ليمتازوا باستحقاق الطاعة للانام ويقبل منهم
الاحكام وتطاع شريعتهم مدى الايام فمن
اطاعهم بشروه بالجنة في دار القرار ومن عصاهم
انذروه بالعقوبة في دار البوار احمده عدل عن
الجملة الاسمية المفيدة للثبات والدوام لقدم
الصفات واستمرارها الى الجملة الفعلية المناسبة
لتجدد الانعام وتعاقبها وتكرارها وايضا عمم
اولا ثم خصصه باسناده الى نفسه وقال احمده
على جميع نعمه او اراد به هنا معنى الشكر الذي
هو من افراد الحمد بقرينة ذكر نعمه ثم النعمة هي
الحالة المستلذة او المنفعة الخالصة من المضرة
ولذا اختلف في ان الجاحد هل هو منعم عليه اولا
ونعم الله تعالى وان كانت لا تحصى ولا يمكن ان تستقصى

تعود

لقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا
تطيقوا عدها فضلا عن اداء شكرها الا انها اما
دنيوية او اخروية وظاهرية او باطنية والدنيوي
اما وهبي كخلق الاعضا وقوى الاجزا ونفخ الروح للاحيا
والابقا واشراقه بالعقل وما يتبعه من الصفا والضيا
واما كسبي كتخلية النفوس عن الرذايل وتحليتها
بالفضايل وتجليتها بتحسين الشمايل والاخروي
هو ان يعفو الله عن عبده ويرضى عنه في مقام
وده ويبوئه في اعلى عليين مع النبيين والصد
والشهدا والصالحين واسأله المزيد اي الزيادة
من فضله وكرمه اي من افضاله واحسانه
في تجليات جماله وذلك كالتأييد لما ذكرنا من انه
اراد بالحمد الشكر لقوله تعالى لئن شكرتم
لازيدنكم ولما ورد على ما رواه ابو داود عن ابي
هريرة مرفوعا كل خطبة ليس فيها تشهد
فهي كاليد المقطوعة الجذما قال المص واشهد
اي اعلم ان لا اله الا الله اي لا معبود بالحق
في الوجود ازلا وابدا الا الفرد الموجود المتصف
بالكرم والجود واحدا صمدا الجامع لصفات
الالوهية الحاوي لنعوت الربوبية وان هي
المخففة من المثقلة والجملة مفعول اشهد

الواحد اي المتعال عن الانقسام والتجزي
وقيل هو سبحانه من حيث انه منزه عن التركيب
واحد ومن حيث انه مقدس عن التشبيه
احد وفي جامع الاصول ان الاحد يبنى لنفي
ما يذكر معه من العدد وان الواحد وضع لمفتتح
العدد ولا يستعمل الا في الاثبات كقولك رايت
رجلا واحدا والاحد يستعمل في النفي تقول
ما رايت رجلا هذا هو الفرق مبنى واما معنى
الاحد هو المنفرد باعتبار الصفات والواحد
باعتبار الذات ولذا قال بعض الصوفية الواحد
المنزه عن الشريك المماثل مع جواز اعتبار الكثرة
الاعتبارية بحسب صفاته والاحد المنزه عن
اعتبار التعدد والكثرة فيه بحسب ذاته القهار
اي الذي لا موجود الا وهو مقهور تحت قدرته
مسخر لقضايه وقدره وعاجز في قبضته الكريم
المقدس عن العيوب ازلا المنزه عن النقايص
ابدا الغفار الذي يستر ذنوب عباده وغفر
مراده باسبال الستر في الدنيا وعدم المواخذة
في العقبي قال بعضهم ومن ايات الرجا قوله
تعالى ومن يعمل سوا او يظلم نفسه الاية كانه
قال من اسفى عمره في الزلات وافنى عمره

في

في المخالفات وابلي شبابه في البطالات ثم ندم
قبل الوفاة وجد من الله العفو عن السيئات
فقوله تعالى ومن يعمل سوءا اخبارا عن الفعل
وقوله ثم يستغفر الله اخبارا عن القول كانه
قال الذين زلتهم قالة وتوبتهم حالة يجد الله
غفورا رحيما طلبوا المغفرة فوجدوا الله بوصف
الغفران والرحمة فليس العجب من السيارة
حيث طلبوا الما ليشربوا فوجدوا يوسف
عليه السلام انما العجب من عاص طلب المغفرة
فوجد الملك العلام واشهد ان محمدا اي من
كثرت خصاله الحميدة وهو اشهرا سمائه
العديدة نقلت من الوصفية الي العلمية
عبده ورسوله قدم العبودية علي رسالة
النبوة دفعا لتوهم الالوهية وتعريضا للجماعة
العيسوية واما الي ان العبادة مما يورث
السيادة واشارة الي هضم نفسه وفضل
ربه وفي كلام الصوفية انه لا مقام اشرف
من العبودية اذ بها يتصرف من الخلق الي الحق
وينعزل عن التصرفات وبالرسالة من الحق
الي الخلق ويقبل علي التصرفات ولذا قال اسري
بعبده ولم يقل برسوله وكان من قال الولاية

افضل من النبوة اراد من هذه الحيثية وان
كانت الرسالة هي الحالة الجمعية وهذا توجيه
كلام ابن عبد السلام من تفضيل النبوة لتعلقها
بالحق على الرسالة لتعلقها بالخلق والتحقيق
ان نبوته جمعي ولايته وهي نسبة الاستفاضة
افضل من رسالته وهي نسبة الافاضة واما
اذا لوحظ الرتبة الجمعية فالرسالة لها كمال
المزية فانها مقام التكميل الذي هو نهاية مقام
الصوفية والعبد الحقيقي لربه من يكون
حرا عن هوا قلبه ولذا قيل
اتمنى على الزمان محالا ان ترى مقلتاي طلعة حر
هذا وقد جا في الحديث الصحيح ولكن قولوا
عبد الله ورسوله وحبيبه في مقام الخاص
وخليله في مرتبة الاختصاص قيل المحبة
ايثار المحبوب على جميع المصحوب وقيل موافقة
الحبيب في المشهد والمغيب وقيل محو المحب
بصفاته واثبات المحبوب بذاته وقيل مواطاة
القلب لمرادات الرب وقيل خوف ترك الحرمة
مع اقامة الخدمة وقال ابو يزيد البسطامي
المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار
القليل من حبيبك وقال سهل المحبة معانقة

الطاعة وسابقة المخالفة ثم كونه حبيبا لقوله
الا وانا حبيب الله ولا فخر وكونه خليلا لقوله
لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر
خليلا ينفي ان يكون له خليل غير ربه فتثبت
خلته له وعن الامام الصادق انه قال اظهر
الله اسم الخلة لابراهيم واخفى اسم المحبة لمحمد
لتمام حاله اذ لا يحب الحبيب اظهار حال حبيبه
لئلا يطلع عليه غيره وقال لنبيه فاتبعوني يحببكم
الله اشعارا بانه لا طريق الى محبته الا باتباع حبيبه
في شريعته ومن هنا قيل الحبيب من غلب عليه
المحبوبية والخليل من غلب عليه المحبة والحاصل
ان نسبة ابراهيم ومحمد عليهما السلام بخليل
الله اما بانقطاعهما اليه ووقف حوائجهما عليه
والاضراب عن الوسائط لديه وقدم حبيبه لاختصاصه صح
به واخر خليله لاشتراك غيره معه وللايماء الى انه
مقاما قدم وحال اخر لخبر البيهقي انه تعالى
قال ليلة الاسرا سل تعط فقال يا رب انك اتخذت
ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما
فقال الم اعطك خيرا من هذا الى ان قال واتخذتك
حبيبا ثم الخليل هو تخلل القلب بمحبة الرب كما قيل
قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا

ومحبة العبد

وسياتي الكلام علي تحقيق محبة الله للعبد لله
في حديث ازهد في الدنيا يحبك الله افضل المخلوقين
بدليل قوله عليه السلام انا سيد الناس يوم القيامة
رواه البخاري وفي رواية الترمذي انا سيد ولد
ادم ولا فخر وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من نبي ادم
فمن سواه الا تحت لواي يوم القيامة ومن المقرر
ان الانبيا افضل الخلق وهو افضلهم فهو اكملهم ولقوله
تعالي وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وفي رواية
البيهقي انا سيد العالمين وفي رواية للترمذي
انا اول من تنشق عنه الارض فاكسي حلة من
حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد
من الخلايق يقوم هذا المقام غيري ونقل الفاكهاني
ان الصحيح الذي عليه الجمهور هو ان الانبيا افضل
من الملايكة واما كون نبينا عليه السلام افضل الانبيا
والمرسلين جملة وتفصيلا فلا خلاف فيه انتهي
واما قوله صلي الله عليه وسلم في الاحاديث
الصحيحة لا تفضلوني وفي رواية لا تخيروني علي
الانبيا علي الانبيا محمول علي النهي عن تفضيل
في ذات النبوة والرسالة وعما يودي الي المنقصة
او محمول علي التواضع او علي انه قبل العلم بالافضلية
لان التفضيل الاجمالي مقطوع به لقوله تعالي

لكل

بلغ مقابلة

تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض المكرم علي
ساير رسل بني ادم بالقران اي الفرقان العزيز البديع
المنيع المحكم لرصانة مبانيه وفصاحتها وصحة
معانيه وبلاغتها واشتمالها علي علوم الاولين والاخرين
مما يحتاج اليه في امور الدنيا والدين وقد تكفل الله
بحفظه عن كيد الجاحدين وزيغ المعاندين فهو كريم
علي الرحمن وحزبه منيع من الشيطان وجنده بل
قال بعض ارباب الكمال ان الله تجلي لعباده في كلامه
ولكن لا يبصرون لعدم تحقق مرامه قال الامام الصادق
فيكون عزيز الوجود عزيز المكارم والجود وقد قال تعالي
وانه لكتاب عزيز لانه نزل من رب عزيز بواسطة ملك
عزيز علي رسول عزيز الي جمع عزيز علي رسول عزيز
قال عثمان بن عفان رضي الله عنه لو طهر باطن
قلوبنا ما شبعنا من كلام ربنا المعجزة صفة اخري
للقران وهي الامر الخارق للعادة والتنا المخالفة كما في
العلامة المستمرة اي الباقية الدايمة الحاكمة علي
تعاقب السنين الي يوم القيامة بخلاف معجزات
ساير الانبيا فانها انقضت بانقضايهم ومن ثم
قال صلي الله عليه وسلم ما من نبي من الانبيا الا
وقد اوتي ما مثله امن عليه البشر وانما كان
الذي اوتيت وحيا يوحي فارجوا ان اكون اكثرهم

تابعا يوم القيامة وان اردت معرفة المعجزة
المتعلقة بالقران مبنى ومعنى على جهة الاستيفا
فعليك بشرحنا لكتاب الشفا **وبالسنن** اي
والمكرم بالاحاديث **المستنيرة** اي ذات الانوار
الكثيرة بما اشتملت عليه من هداية الضالين
وايقاظ الغافلين **للمسترشدين** من طلاب
الرشد في الدين وخص بهم لكونهم المنتفعين
اذ لا محيص من ظلمات الردى الا بالاستضاءة
من انوار السنة والهدى وكان الاظهر ان يقول
المنيرة بدل المستنيرة او يجمع بينهما بان يقول
المستنيرة المنيرة لان سنته عليه السلام كما انها
مستفيضة من الملك العلام اما بالوحي او الالهام
مفيضة للعلما الكرام برفع ما اشكل عليهم كما يشير
اليه قوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم ولا يبعد
ان يقال التقدير لانارة المسترشدين **المخصوص**
بالرفع عطف على المكرم اي المختص من بين ساير
الانبيا **بجوامع الكلم** وبدايع الحكم في مقام الانبيا
وفيه تلميح الى قوله عليه السلام اوتيت جوامع
الكلم واختصر لي الكلام اختصارا اي اوتيت الكلمات
الجامعة بين قلته مبانيها وكثرة معانيها ولا يختص قلة
بالقران وان كان موصوفا بايجاز المباني واشباع

المعاني

12

المعاني كان في احاديثه ايضا وجد معاني كثيرة
في مباني يسيرة فقد تصدي لجمع بعضها الايمة
كابن السني والقضاعي وابن الصلاح واضرابهم من
اهل التبجيل وفي الشفا منه ما يشفي العليل
وقد جمعت بحمد الله اربعين حديثا كل حديث
علي كلمتين شاملتين لنسبة المرام وهو اقصي
ما يتصور منه الكلام التام هذا وبلسان العارفين
معناه بعثت بالسنة الصفات وكلمات المقامات
من بحر الحقايق في الذات تظهر الحق بلساني وبياني
بيان الحق الذي كلم به الخلق وهو اشارة الي عين
الجمع **وسماحة الدين** اي سهولته ويسره كما
قال تعالي ليس عليكم في الدين من حرج وقال
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال يريد
الله ان يخفف عنكم وقال ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم من تعيين قرض الجلد والثوب
اذا اصابه النجاسة وقتل النفس في التوبة والقود
في القتل عمدا وذا الدية وقطع الاعضا الخاطية
وكان من اذنب منهم اصبح ذنبه مكتوبا علي بابه
فينام عليه حدهُ وغفر كتابه ولما قرا الصحابة
ربنا ولا تحمل علينا اصرا الي اخر السورة اجاب الله
دعاءهم بقوله قد فعلت رواه مسلم وكما رواه الطبراني

وما جعل

في الكبير بعثت بالحنيفية السمحا وزاد احمد في
مسنده ولم ابعث بالرهبانية والبدعة وروينا ايضا
انه قيل يرسول الله اي الاديان احب قال الحنيفية
السمحا وروي احمد مرفوعا يايها الناس ان دين
الله يسر قالها ثلاثا وفي رواية قال خير دينكم ايسره
قاله ثلاثا وانه قال لما نظرت عايشة لعب الحبشة
لتعلم اليهود ان ديننا فسحة اني ارسلت لحنيفية
سمحة وروي عبد الرزاق احب الاديان الي الله
الحنيفية السمحة قيل وما الحنيفية السمحة قال
الاسلام الواسع وصح عن ابي رضي الله عنه اقرأني
النبي صلى الله عليه وسلم ان الدين عند الله الاسلام
الحنيفية السمحة لا اليهودية ولا النصرانية وهذا
مما نسخ مبناه وبقي معناه لحديث البخاري الدين
يسر قال الكافجي فان قلت فهل الفايدة من ذكر
صفاته هي المدح والثنا بما يليق بذاته والاستلذاذ
بذكره والابتهاج باسمه كما قيل
اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع
لا التعريف والتشهير بهذه الاخلاق فانه مستغن
عنها على الاطلاق قلت نعم وما احسن قول من
قال من ارباب الحال اسامينا لم نزده معرفة وانما
لذة ذكرناها وقد قال الاعشي شعر

في م

ابي هريرة
صح

ما

13

ما ان مدحت محمدا بمقالتي لكن مدحت مقالتي بمحمد
صلوات الله وسلامه عليه اي انواع رحمته واصناف
سلامته نازلة اليه وواصلة لديه خاصة وعلي
سائر النبيين اي جميعهم عامة فيحصل له دعوة
ثانية فيحصل وهو بالياء والهمز كما قرئ بهما في
القران فقيل النبي بالهمز فعيل بمعني الفاعل
من النبا وبالياء فعيل بمعني المفعول من النبوة بمعني
الرفعة وزاد ابن حجر في اصل شرحه والمرسلين
وقال مر مع حدها وما بينهما من العموم والخصوص
وفيه انه مخالف للاصول المعتمدة والنسخ المعتبرة
مع انه مستغني عنه لدخول الخاص تحت مدلول
العام وال كل اي اقارب كل من جهة النسب والحسب
او من اختص بهم من حيث العلم والادب ويلايم
الاول قوله وسائر الصالحين اي وباقي المومنين
من الصحابة والتابعين واتباعهم الي يوم الدين
كافة والصالح الكامل هو العالم العامل القائم بحقوق
الله وحقوق خلقه وما احسن من قال
من ارباب الحال شعر
احب الصالحين ولست منهم لعلي ان انال بهم شفاعة
واكره من بضاعته المعاصي وان كنا سواء في البضاعة
قال الكافيجي كان الاولي ان يقال وعلي الكل باعادة

كلمة علي لكمال العناية بتعلق الدعا بهم كما في
ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم انتهي ولا يخفي
ما فيه من الفرق ههنا فان الصلاة علي الانبيا
اصالة وعلي الهم تبعية فلا ينبغي التسوية
في القضية مع ما فيه من الايما الي التفنن في وجوه
العربية واما ما ذكره الشيخ من حديث من
فصل بيني وبين الي فعليه كذا وكذا فموضوع
باتفاق حفاظ السنة هذا ولعل المص استعمل السابر
في مقاميه باعتبار اختلاف مراميه كما اشرنا اليه
فلا اعتراض عليه في تكرار خطبه **اما بعد**
كلمة يوتي بها في اول الكتاب وتسمي فصل الخطاب
لانه يفصل به بين ما سبق من ذكره سبحانه وبين
ما اراد من الغرض اليه في الباب وقد اتي به صلي
الله عليه وسلم في خطبه كما صح عنه بل ثبت
ثبوتا قطعيا اذ رواه اثنان وثلاثون صحابيا
والمبتدي به بها داود عليه السلام وقيل غيره
من الكلام والمشهور ضم داله مبنيا واجاز الفرا
نصبه منونا واجاز ابن هشام فتحه وانكره
غيره ويكونا اما نائبا عن اسم شرط هو مهما
اجيبت بالفا لتقديره مهما يكن من شي من الكلام
بعد ما تقدم في هذا المقام من البسملة ومن

المسبوق

الحمد

الحمد لله والصلاة والسلام **فقد روينا** بفتح
اوليه مع تخفيف الواو وعند الاكثرين من روى
اذا نقل عن غيره وقال لجمع الاجود ضم الرا وكسر
الواو مشددة اي روانا مشايخنا اي نقلوا
لنا فسمعنا من فلان وعن فلان كذا قال بعض
المحققين وهو بعيد رواية ودراية واختاره
بصيغة المجهول مخففا على طريق الحذف والايصال
اي روي الينا او نقل لدينا سماعا او قراءة او
اجازة خاصة او عامة او مناولة او مكاتبة او
اعلاما او وجادة او بصيغة الجمع لمشاركة غيره
معه كما فرقوا بين حدثني وحدثنا فلا وجه لجعل
ابن حجر النون للعظمة ليحتاج الى تكلف وتعسف
في خروجه عن طريق الملامة **عن علي بن ابي طالب**
رضي الله عنه هو اول من اسلم وله سبع سنين
او ثمان شهد المشاهد كلها سوى تبوك حيث
قال له اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون
من موسى الا انه لا نبي بعدي احد العلما الربانيين
بل اوحدهم والشجعان المشهورين بل اشجعهم
استشهد غداة الجمعة سنة اربعين من ضربة
عبد الرحمن بن ملجم لسبع بقين من رمضان
ومات بعد ثلاث وكان له ثلاث وستون سنة

قوله بعض المحققين هو الامام
الداودي كما صرح به الشنواني في شرحه
على الاربعين

قوله ان مع صلتها
المعروف ليكون قوله ... ذكره المص
مفعولا له هذا روايا
بصيغة
صح

ودفن عند مسجد الجماعة في الرحبة مما يلي ابواب
كندة على ما قاله الصغاني او في قصر الامارة عند
المسجد الجامع وصلى عليه ابنه الحسن وغيب قبره
كما في تاريخ اليافعي ومدة خلافته خمس سنين الا ثلاثة
اشهر ونقش خاتمه الله الملك وكنيته ابو الحسن
وابو تراب كناه النبي صلى الله عليه وسلم لما وجده
نايما في المسجد وقد علق التراب بجسمه فايقظه بجسمه سا
وقال قم يا ابا تراب فكان احب الالقاب اليه لوروده
على لسانه صلى الله عليه وسلم ولقب ايضا بحيدر
وهو الاسد رغما لاهل الحسد ومرويانه خمس
مائة وستة وثمانون حديثا ابو عبد الله والمراد به
عند الاطلاق كما اصطلح عليه المحدثون ابن مسعود
الهذلي صاحب سواك رسول الله صلى الله عليه
وسلم وطهوره ونعليه قبل وسجادته وهو
وهو افقه الصحابة بعد الخلفا ومن اكابر القراتوفي
بالمدينة سنة اثنين وثلاثين ودفن بالبقيع
وهو ابن بضع وستين او ثمانين ومروياته
ثمان مائة وثمانية واربعون ومعاذ بن جبل بضم
الميم انصاري شهد بدرا وما بعدها وبعث
الى اليمن قاضيا ومعلما مات في طاعون عمواس
بالاردن سنة ثمانية عشر وهو ابن ثلاث

وثلاثين

وثلاثين ومروياته مائة وخمسون وابي الدردا
عويمر بن عامر الانصاري كان فقيها عالما عابدا
زاهدا شهد المشاهد العظام وسكن الشام
ثم عاد الي المدينة ومات بالربذة سنة اثنين وثلاثين
ومروياته مائة وتسعة وسبعون وابن عمر اي عبد
الله وهو المراد به عند الاطلاق اسلم مع ابيه وهو
صغير كان شديد المتابعة للسنة توفي بمكة سنة
ثلاث وسبعين ولم يعرف موضع قبره وقد ولد قبل
الوحي بسنة ومروياته الفان وستمائة وثلاثون
وابن عباس اي عبد الله كما يراد به حال الاطلاق
ايضا حبر الامة وعالمها راي جبريل مرتين مات
بالطايف سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين وقبره
بها هناك ويتبرك به واما ما علي السنة العامة جري
من انه صلي الله عليه وسلم قال من لم يقدر علي
زيارة قبري فعليه بزيارة ابن عمي فباطل لا اصل
له وهو احد العبادلة الاربعة وهم عبد الله بن عمر
وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص
وعبد الله بن الزبير علي ما قاله الامام احمد بن حنبل
وساير المحدثين واما قول الجوهري ان عبد الله بن
مسعود احد العبادلة فقد خطاه فيهم واخرج ابن

عمر منهم فغلط نعم اذا اطلق عبد الله فالمراد به ابن
مسعود في اصطلاح المحدثين فانه اجلهم وافضلهم
وانس بن مالك الانصاري خادم رسول الله صلى
الله عليه وسلم من عشر سنين ودعا له بكثرة المال
والولد وطول العمر والبركة فاثمرت غرسه كل سنة
مرتين ودفن من صلبه سوى اسباطه مائة
وخمس وعشرون ومات بالبصرة بعد ان عمر اكثر
من مائة سنة وهو اخر من مات من الصحابة
فيها ولد قبل الهجرة بعشر سنين ومات سنة
احدى او اثنين او ثلاث وتسعين وسوو يا نه
مائتا حديث وستة وثمانون حديثا **وابي هريرة**
دوسي واسمه عبد الرحمن بن صخر على الاصح من
ثلاثة وثلاثين قولا كان في صغره يلعب بهرة وفي
كبره يحسن اليها فكني بها فمنع صرفها لكونها علما
لها حال كبرها ولو صغر وقت صغرها ولانها كانت
صغيرة بالنسبة الى غيرها اسلم سنة ست وكان
عريف اهل الصفة ومات سنة تسع او سبع وخمسين
بالمدينة وله ثمان وسبعون سنة واحاديثه
المرفوعة خمسة الاف ثلاثمائة واربعة وتسعون
وابي سعيد الخدري بضم الخاء المعجمة وسكون

16

الدال المهملة نسبة الى حدره قبيلة من الانصار
كان من الحفاظ المكثرين والعلما المعتبرين مات سنه
اربع وسبعين وله اربع وتسعون سنة ودفن
بالبقيع مروياته الف ومائة وسبعون رضي الله
عنهم وقد نقل عن عبد الله بن عمرو بن العاص ايضا
كما قاله المنذري وغيره وعن جابر بن سمرة وسلمان
كما اخرجه ابن ماجه من طرق كثيرات اي اسانيد
كثيرة وطرق جمع طريق وهو جمع الكثرة فتاكيده
بالكثيرات مبالغة للكثرة وبروايات متنوعات
مختلفة المباني متفقة المعاني كما سياتي بيانها و
تفاوت شانها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو ابو القاسم محمد بن عبد الله سيد المرسلين
وخاتم النبيين حملت به امه في ايام التشريق
في شعب ابي طالب عند الجمرة الوسطى وولد
بمكة عام الفيل وقبله بثلاثين او اربعين يوما و
مات ابوه لما اتى عليه شهران او سبعة اشهر ولما
بلغ ستا او اربعا ماتت امه وكان في حجر عبد المطلب
ثمان سنين وشهرين وعشرة ايام ثم وليه ابو طالب
وذهب الى الشام بعد ما تم له اثنتا عشرة سنة
وشهران وعشرة ايام ورجع من بحري وخرج اليها

نتوفي ام

مرة اخري مع ميسرة غلام خديجة لتجارة لها وتزوجها
بعدما بلغ خمسا وعشرين سنة وبقيت عنده ثماني
عشرة سنة ولما بلغ خمسا وثلاثين شهد بنيان الكعبة
ولما تم له اربعين بعثه الله رحمة للعالمين بشيرا للمؤمنين
ونذيرا للكافرين ونزل عليه القران وفرض عليه التبليغ
والبيان ولما اتت عليه احدي وخمسون وتسعة اشهر
اسري به ليلة الاثنين وخص بالروية بالعين وفرض
عليه خمس صلوات ولما بلغ ثلاثا وخمسين هاجر الي
المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الاول ودخلها
يوم الاثنين واذن له في السنة الثانية في الجهاد لمن
ابتدا به في غير الاشهر الحرم والحرم ثم ابيح ابتدا وه فيها
ايضا وفرض فيها صوم رمضان واما الزكاة فقيل فرضت
قبله وقيل فرض الحج في السنة السادسة او الخامسة — وقيل بعده م
وفيها بيعة الرضوان وفي الثامنة فتح مكة وفي العاشرة
حجة الوداع وكانت وقفة عرفة فيها يوم الجمعة بالاجماع
ولم يحج بعد الهجرة الا اياها ولم يضبط ما حج قبلها و
اعتمر اربعا وكانت غزواته سبعا وعشرين وسراياه
ستا وخمسين وتزوج احدي وعشرين امراة طلق
ستا ومات عنده خمس وتوفي عن عشرة لم يدخل
بواحدة منها واولاده ثمانية ولما بلغ ثلاثا وستين

احتار

اختار الرفيق الاعلي يوم الاثنين وسط النهار لثنتي
عشرة خلت من اول ربيع سنة احدي عشرة
ودفن الثلاثا والاربعا عليه افضل التحية واكمل
الثنا **قال من حفظ علي امتي** اي لاجل تعليم امتي فعلي
للتعليل كقوله تعالي ولتكبروا الله علي ما هداكم وقيل
التقدير شفقة علي امتي واصل الحفظ ضبط الشي
ومنعه عن ضياعه وهو هنا قد يكون بحفظه مبني
او معني او جمعا بينهما وقد يكون بضبطه في الكتاب
وقد يكون بسبب نقله الي اولي الالباب قال المولف معني
الحفظ ان ينقل الاحاديث الي المسلمين وان لم يحفظ
مبناها ولم يعرف معناها وهذا حقيقة مودّاه اذ
به يحصل انتفاع المسلمين لا بحفظه ما لم ينقله
اليهم انتهي والامة جمع لهم جامع من دين او
زمان او مكان يطلق تارة علي كل من بعث اليهم
ويسمون امة الدعوة واخري علي المومنين منهم
وهم امة الاجابة وهم المراد هنا لانهم المنتفعون
اربعين حديثا المراد به هنا
باحاديث النبوة
قول الرسول صلي الله عليه وسلم وفعله وتقريره
ومعرفة شمايله **من امر دينها** اي من جملة امور
تتعلق بها ما هم مامورون بتعديتها سوا يكون
من الفروع او الاصول المترتبة عليها وكانه احترز

عن الامور العادية الدنيوية التي من لازم البشرية
مما ليس بضرورة في الاحوال الدينية والاخروية
بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقها بالفروع
الشرعية والعلما بالاصول الدينية وتاخير العلما
للترقي في الادا والتعبير بالبعث في زمرتهم للايما
الي انه لم يكن في زمرتهم فلا يشترط فقه المبني
ولا علم المعني كما اشار اليه المصنف فالمنازع في هذه
الدعوة في صنيع المصنف اشعار بان كل من نقل
حديثا من كتاب سوا بعينه او بتصرف فيه لحذف
اسناده او اختلاف ترتيبه في ابوابه يكون داخلا
في حفظ الاحاديث والاعم الحقيقة لم يتقل هذه
الاربعين الامن سياتي ذكرهم من المخرجين المتقدمين
في التدوين وفضل الله واسع شامل لحفاظ علوم
الدين وان كان يختلف ويتفاوت مراتب المجتهدين
كما يدل عليه خبر ثوابك علي قدر تعبك ثم لا فرق
بين حفظ الاربعين حديثا صحيحا وحسنة
وكذا ضعيفة في فضايل الاعمال لا في بيان الحرام
والحلال لاستتباع العمل بها فيهما في جميع الاحوال
هذا وقد اشرنا في صدر هذا الكتاب الي وجه
اختيار هذا العدد في الباب وقد روي من اخلص
لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه

بلغ مقابلة

مرتبتهم

علي

علي لسانه واذا مات المومن بكي عليه مصلاه
اربعين يوما ويبقي بركة دعا الوالدين للولد البار
اربعين سنة ولما كمل بايمان عمر عدد الاربعين
من المومنين نزل قوله تعالي يا ايها النبي حسبك
الله ومن اتبعك من المومنين وقد افاد بشر الحافي
رضي الله عنه بقوله يا اهل الحديث اعملوا من كل
اربعين حديثا كما قال صلي الله عليه وسلم ادوا
عشر اموالكم من كل اربعين درهما يعني بشرط
بلوغ دراهمه مايتي درهم فعد الاربعين اقل
من ماله عشر صحيح فكما دل حديث الزكاة علي
تطهير ربع العشر للباقي كذا العمل بربع عشر
الاربعين يخرج باقيها عن ان يكون غير معمول بها
وفي الحديث الحسن انكم في زمان من ترك منكم عشر
ما امر به هلك ثم ياتي زمان من عمل منهم بعشر
ما امر به نجا ثم الظاهر ان هذا العدد ادني الكمال
في الاحوال والا فمن خرج من بيته في تحصيل حديث
بصدق نية او تعلم حديثا واحدا واراد تكميل غيره
في طويته فيبعث مع العلما والفقها وفي رواية بعثه
الله فقيها عالما اي ولو لم يكن في الدنيا فقيها عالما بل
يكون ناقلا مجردا وفي الاحيا من حمل من امتي اربعين

بحديث
درهما

حديثا لقي الله يوم القيامة فقيها عالما قال العراقي
رواه ابن عبد البر من حديث انس وضعفه وفي الجامع
الصغير لشيخ مشايخنا السيوطي من حفظ من امتي
اربعين حديثا بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما رواه
ابن عدي عن انس بسند ضعيف وفي هاتين الروايتين
دلالة على اعتبار مجرد الحفظ من غير احتياج الي النقل وبه
يندفع قول المص لا يحفظه مالم ينقله الي غيرهم اعتمادا
علي ظاهر ما اختاره من الفاظ الروايات وهو قوله
علي امتي ولكن يمكن ان يكون علي بمعني من كقوله تعالي
الذين اذا اكتالوا علي الناس اي منهم علي ما صرحوا به
وحينئذ يجمع مودي الفاظ النبوة وكون الحديث شاملا
لمن حفظ سواحفظا اوعلما وعملا ونقلا ولا وهذا التعميم
في باب الترغيب اولي كما لا يخفي ثم ما نفاه المص ماخوذ
من مفهوم حديثه فلا يعارض منطوق حديث غيره
مع ان اعتبار المفهوم يختلف بين اهل العلوم وفي رواية
ابي الدرداء وكنت وفي نسخة كنت له يوم القيامة
شافعا وشهيدا اي شاهدا علي كمال ايمانه وجمال
احسانه وفي رواية بعثه الله فقيها وكنت له
يوم القيامة شافعا وشهيدا كذا ذكره بعض الشراح
من المحققين وهذا يويد ثبوت واو العاطفة وفي
الاحيا من حفظ علي امتي اربعين حديثا من السنة

حتي

حتى يوديها كانت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة
قال العراقي رواه ابن عبد البر من حديث ابن
عمر وضعفه وهذا يوبد نسخة كنت بلا عاطف
وذكره السيوطي في جامعه الصغير بهذا اللفظ
وقال رواه ابن عدي عن ابن عباس ثم قال وروي
البخاري عن ابي سعيد بلفظ من حفظ على امتي
اربعين حديثا من سنتي ادخلته يوم القيامة
في شفاعتي وفي رواية ابن مسعود قيل له ادخل
من اي ابواب الجنة شيت اي تعظيما للمقام و
تكريما للمرام وفي رواية ابن عمر كتب في زمرة العلما
وحشر في زمرة الشهدا واختلاف الروايات
وان كان موادها واحدا الان فيها اشارة الى اختلاف
مراتب الحفاظ باعتبار الاقتصار على حفظ مبانيها
او بانضمام فهم معانيها والعمل بما فيها وتصحيح
النية في روايتها ودرايتها وكتابتها واتفق الحفاظ
اي حفاظ الحديث على انه اي الحديث المذكور حديث
ضعيف وان كثرت طرقه اي اسانيده عند مخرجيه
عن الصحابة مرفوعا وموقوفا اذ ليس في جميع
طرقه ما يقوي وتقوم به الحجة اذ لا يخلو طريق
منها ان يكون فيها مجهولا او معروفا ومشهور
بالضعف قال ابن السبكي ليس يروى من وجه

يثبت وقال الدارقطني في علله كل طرقه ضعاف
والبيهقي اسانيده كلها ضعيفة والكلام يحتاج الي
تقدير ليتم المرام بان يقال هو عطف علي مقدر
اي ان لم تكثر وان كثرت كذا حرره الكازروني وفيه
ان المقصود ثبوت الكثرة وهو لا يتحقق من تقدير
العبارة وقد قال خُسْرو ان مثل هذا التركيب
واقع في عبارات المصنفين وظاهره غير مستقيم
وغاية ما يمكن ان يقال فيه ان الواو زايدة انتهي
وفيه بعد لا يخفي والاظهر ان يقال وان كثرت طرقه
فهو ضعيف فكيف اذا لم يكثر طرقه فهو بالاولي ضعيف
هذا وقد اغرب الكازروني حيث فسر الطرق بطرق
السبعة في تحمل الحديث من السماع والقراة و
الاجازة والمناولة والكتابة والاعلام والوجادة
والصواب ما قدمناه بان المراد بالطريق الاسناد
ثم اعلم ان لاهل الحديث مراتب اولها الطالب
وهو المبتدي الراغب ثم المحدث وهو الاستاذ
الكامل الفاضل ثم الحافظ وهو الذي احاط علمه عليه
بماية الف حديث ثم الحجة وهو الذي احاط بثلاثماية
الف حديث ثم الحاكم وهو الذي احاط علمه بالجميع
متنا واسنادا وجرحا وتعديلا وتاريخا كذا في
شرح الفوايد الشنبسية ثم الضعيف في اصطلاح

المحدثين

المحدثين هو الحديث الذي لم يجتمع فيه شروط
الصحيح ولا شروط الحسن متوقفة معرفته علي معرفتهما
فالصحيح هو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط
وسلم عن شذوذ وعلة والحسن ما قصر ضبط راويه
عن راوي الصحيح مع بقا ساير الشروط المتقدمة
في حد الصحيح كذا افاده السيد جمال الدين وتحقيقه
في شرح النخبة علي ما اوضحته الشرح بالشرح
وقال بعضهم في تعريف الضعيف ما يكون بعض
رواته مردودا بواسطة العدالة ممن لم تر ه
او سوا الحفظ او تهمة في العقيدة او عدم المعرفة
بما يحدث عنه او الاسناد الي من لا يعرف او بعلل
اخر هذا وقد قال الحافظ ابو طاهر السلفي في
اربعينه روي من طرق وثقوا بها وركنوا اليها
وعرفوا صحتها فعولوا عليها انتهي وكانه اراد
بصحتها ثبوتها وهو ان يكون حسنا لغيره قال
المنذري يمكن انه سلك في ذلك سلوك من راي
ان الاحاديث الضعيفة اذا انضم بعضها الي بعض
احدث قوة انتهي وكان هذه المسالة مختلف فيها
ولعل المص اختار خلاف ما اختاره السلفي والظاهر
ان اختيار السلفي اولي لان ما اختاره المص انما يكون
فيما اذا لم يخلو طريق من طرقه عن كذاب او وضاع

سلا موقوف م

او الرواية م

عدم م

هنالك وهذا ليس كذلك كما دل عليه كلام الائمة
واما ما ذكر ابن الجوزي له في الموضوعات فتساهل
منه او محمول علي سند خاص عنده واما خبر من
حفظ علي امتي حديثا واحدا كان له اجر احد وسبعين
نبيا صديقا فهو موضوع واثار الكذب لائحة عليه
وواضحة لديه وقد صنف العلماء رضي الله عنهم
في هذا الباب اي باب الاربعينيات او في جمع الاربعين
حديثا ما لا يحصي من المصنفات بيان لما وهذه
العبارة مبالغة في الكثرة لانها محمولة علي الحقيقة
والمقصود انه له بهم في ذلك الاسوة الحسنة
لانهم قدوة الامة فاول من علمته صنف فيه اي
في هذا الباب او في جمع الاربعين وهو مفعول
الفعل الاول وفاعل الثاني ضمير راجع الي من والخبر
المبتدا وهو اول قوله عبد الله بن المبارك اي المروزي
وهو الامام المجمع علي جلالته وامانته وفقاهته
فانه من اصحاب ابي حنيفة وارباب الوجوه في
مذهبه وترجي المغفرة بحبه وتستنزل الرحمة
بذكره وهو من اتباع التابعين زبدة العباد وقدوة
الزهاد توفي منصرفا من الجهاد سنة احدي وثمانين
ومائة وله ثلاث وستون كان ابوه مملوكا لرجل
من همدان عليه الرحمة والرضوان قيل له كيف لا

تستوحش

21

تستوحش في مقامك فقال كيف يستوحش
من جالس النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة
والتابعين رضي الله عنهم اجمعين يعني الكتب لان
فيها الاخبار والسير والاثار رواه الحاكم في تاريخه
عن نعيم ابن حماد ثم وفي نسخة ومحمد بن اسلم
بالواو الطوسي بضم الطا نسبة الي بلد من
خراسان العالم الرباني بزيادة الالف والنون للمبالغة
في تحقيق نسبه والدلالة علي كمال الصفة كما
يقال الشعراني واللحياني اي الراسخ في علم الدين
الثابت في مقام اليقين وقيل هو الذي يربي الناس
بصغار العلم قبل كباره وقيل هو العامل بعلمه المعلم
لغيره وقيل هو الطالب بعلمه مرضات ربه وقال الصوفية
ان الرباني هو الكامل من كل الوجوه في جميع المعاني توفي
سنة اثنين واربعين ومايتين ثم الحسن بن سفين
النسوي بالواو في اصلنا المعتمد عليه وهو بفتح
النون والسين منسوب الي نسا بلد بخراسان
وفي نسخة النسايي بالهمز بدل الواو وهو منصور
وقد يمد والهمز في استعمال المحدثين اكثر واشهر
فتدبر وهو محدث خراسان وقد رحل البلدان
وسمع من محدثي الزمان فيما وصل اليه من المكان
وكان له كراسات توفي سنة ثلاث وثلثماية وابو بكر

بالواو العاطفة الي اخر الاسما الاتية وكانه اورد
بلفظ ثم في الاولين لعلمه بالتاخر الزماني فيهما بخلاف
من بعدهما **الاجري** بهمزة ممدودة وضم جيم و
تشديد يا راء فيا نسبه وهو محمد بن الحسين البغدادي
كان دينا ثقة وله تصانيف كثيرة منها كتاب
الشريعة حدث ببغداد ثم انتقل الي مكة خير
البلاد واستطابها في المراد فقال اللهم احيني في
هذه البلدة ولو سنة فسمع هاتفا يقول بل ثلاثين
فلما كملت قيل له قد وفينا بالعهد فمات بمكة سنة
ستين وثلاث مائت **وابو بكر محمد بن ابراهيم**
اي العطار مستملي ابن نعيم كان ثقة عالما حافظا
توفي باصفهان سنة ست وستين واربعمائة وقوله
الاصفهاني بالبا والفا مع كسر الهمزة وفتحها
والفتح افصح كذا قاله الامام في كتاب الاسما و
الالقاب وفي نسخة بالبا العجمي واما قول ابن حجر
بالفا لا البا فمحمول علي ما عنده من الابنا وفي القاموس
اصل اصبهان اصتبهان اي سمنت المليحة سميت
لحسن هوايها وعذوبة مايها وكثرة فواكهها
مخففت والصواب انها عجمية وقد يكسر همزها
وقد تبدل باوها فاوا صلها اسباهان انتهي وذكر
في المغني فرق بين الفا والبا فقال الاصفهاني في

بكسر همزها وفتحها وبنا ممنوحة في اهل الشرق ق
وبا موحدة في الغرب والاطلاق يويد المشهور بالاتفا
والدارقطني بفتح الراو بسكون نسبة الي دار قطن
محلة كبيرة ببغداد وهو الحافظ ابو الحسن علي ابن عمر
مات سنة خمس وثمانين واربعمايه والحاكم ابن محمد بن
عبد الله النيسابوري صاحب المستدرك مات
سنة خمس واربعمايه وابو نعيم اي الاصفهاني كما
في نسخة وهو احمد بن عبد الله مصنف حلية الاوليا
مات سنة ثلاثين واربعمايه وهذان الاسمان ساقطان
من شرح ابن حجر موجودان في الاصول المصححة والمتون
المشروحة وابو عبد الرحمن اي محمد بن حسين
السلمي بضم سين وفتح لام مخفف منسوبة
الي سليم قبيلة مشهورة من قبايل العرب وهو صاحب
الحقايق وطبقات الاوليا كان عدلا ثقة استاذ ابي القاسم
القشيري وشيخ ابي سعيد بن ابي الخير واثني
عليه الشيخ عبد الله الانصاري صاحب المنازل
كثيرا وقد طعن فيه ابن الجوزي كما دابه في شان
الايمة توفي سنة اثنتي عشرة واربعمايه وابو سعيد
بالياو في نسخة ابو سعد وهو الموافق لما قاله
السمعاني وهو المشهور علي السنة اهل خراسان
وهو احمد بن محمد الماليني بكسر اللام فتحتية محل

معروف من اعمال هراة وقبره هناك يزار ويتبرك
به ويقال له الملالي وهو من رواة ابن عدي الحافظ
وكان ثقة متقنا وقال شارح رحل الي مصر ثمات بها
سنة اثنتي عشرة واربعاية وابو عثمان الصابوني
نسبة الي عمله وعبد الله بن محمد الانصاري وفي نسخة
زيادة الهروي وهو صاحب منازل السايرين ومن
المشايخ المعتبرين من اجلا الحنابلة كان جامعا بين
العلم والعمل والمعرفة فتحا وبالنسبة منسوب الي انصار
النبي صلي الله عليه وسلم وهم الاوس والخزرج ولد
سنة خمس وتسعين وثلاثمائة كان كثير السهر
وقد حدث وصنف وكان قويا في نصرة الدين توفي بهراة
يوم الجمعة وقت الغروب سنة احدي وثمانين واربعاية
وفي نسخة بدله ومحمد بن عبد الله الانصاري والظاهر
انه انقلاب من بعض الكتاب وقد صرح الكازروني
بان النسخة الاولي هي الصواب وابو بكر البيهقي
مولف شعب الايمان ومات سنة ثمان وخمسين
واربعماية ولما خصص المشاهير بالذكر عمم الباقين
فقال وخلايق لا يحصون بصيغة المجهول اي لا
يعدون لكثرتهم من المتقدمين والمتاخرين اي
بعد الصحابة والتابعين والاسمان المتقدمان ايضا
الي هنا ساقط من شرح ابن حجر فتدبر وقد استخرت
الله اي طلبت الخيرة منه كما دل عليه قابد العقل
وكما قيد النقل فقد ورد ما خاب من استخار ولا ندم

من

من استشار رواه الطبراني في الاوسط عن انس
وروي من سعادة ابن ادم استخارته الله ومن شقاوته
تركه استخارته **في جمع اربعين حديثا** اي من
كلام سيد الانام **اقتدا بهولا الائمة الاعلام** اي
المشهورين فيما بين الانام **وحفاظ الاسلام** لكان
مثلهم لا يفعلون الا ما يثبت من المرام **وقد اتفق العلما**
علي جواز العمل بالحديث الضعيف في فضايل
الاعمال اي لا في الفرض والوجوب والحرمة والحلال
لانه ان كان صحيحا في نفس الامر فقد اعطي حقه
من العمل به والا لم يترتب علي العمل به مفسدة في
دينه وقال شارح يعني اذا ثبت مندوب بحديث
صحيح او حسن يجوز لنا رواية حديث ضعيف
في فضله والترغيب فيه ليكون كالتابع له لا انه
يحتج به في اثبات امر مندوب اذ تقرر في الاصول
انه لا يستدل في اثبات الاحكام الخمسة الا بالصحيح
او الحسن انتهي والاظهر ان المراد بالاعمال انما هي
المباحة وانه اذا ورد حديث ضعيف في شانه
يترقي الي مقام استحسانه ففي حديث ضعيف
من بلغه عني ثواب عمل فعمله حصل له اجره وان لم
اكن قلته **ومع هذا** الجواز المذكور **فليس اعتمادي**
من جمع الاربعين **علي هذا الحديث** اي المشهور

فقط بل علي قوله صلي الله عليه وسلم في الاحاديث
الصحيحة اي في قوله الداخل فيها ليبلغ الشاهد
منكم الغايب بكسر اللام الاولي للامر وتشديد
الثانية ويجوز تخفيفها ومنها قوله تعالي ابلغكم
رسالات ربي اي ليوصل الي الغايب من المجالس
او عن عالم الوجود والخطاب للصحابة ثم لمن بعدهم
وهلم جرا فانه من فروض الكفاية وهذا تحريض
علي التعلم والتعليم فانه لولاه لانقطع العلم وانقطع
العمل بكثرة الجهل والحديث اخرجه الشيخان في
صحيحيهما في خطبة حجة الوداع واخرجه ابن منده
في مستخرجه عن ثمانية عشر صحابيا وقوله اي
وعلي قوله صلي الله عليه وسلم نضر الله امرا
روي بالتشديد والتخفيف والاول هو الاكثر اي حسنه
وجمله قاله المص وروي عن سفيان بن عيينة انه قال
ما من احد يطلب الحديث الا وفي وجهه نضرة
فكانه اراد انها دعوة اجيبت او اخبار فصدقت
ولا يبعد ان يراد به النضارة يوم القيامة قال تعالي
تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال ولقاهم نضرة
وسرورا فاهل الحديث يكون لهم زيادة نضرة ولغيرهم
مزيد حسرة وحكي ابن العربي عن ابن بشكوال انه
بالصاد المهملة وهو شاذ بل تصحيف لمبناه وتحريف

لمعناه

24

لمعناه **سمع مقالتي** اي مني او من اصحابي واتباعي
فوعاها اي حفظها بقلبه وداوم على تفقده **فاداها**
اي بلغها **كما سمعها** من غير تغيير مبناها ومعناها
رواه الترمذي عن ابن مسعود وقال حسن صحيح
وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن جبير
ابن مطعم وقال صحيح على شرط الشيخين وابو داود
وابن ماجه والترمذي عن زيد ابن ثابت وقال حسن
صحيح وفي حديث صحيح نضر الله امرا سمع مني
حديثا فاداه عنا فرب مبلغ اوعى من سامع رواه
احمد والترمذي وابن حبان عن ابن مسعود والمبلغ
بفتح اللام وفي رواية نضر الله امرا سمع منا حديثا
فحفظه فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه
الى من هو افقه منه **ثم من العلما** وفي نسخة ثم انه
وفي اخرى ثم اعلم ان من العلما **من جمع الاربعين**
في اصول الدين اي الالهيات والنبويات والحشر
والنشر **وبعضهم في الفروع** اي في الاحكام الفرعية
المتعلقة بالافعال العملية **وبعضهم في الجهاد**
اي في فضائل القتال مع الكفار **وبعضهم في الزهد**
اي قلة الرغبة في دار الاكدار يقال زهد فيه
رغب عنه وزهد عنه رغب فيه والمراد ترك فضول
الدنيا والاعراض عما يشغله عن الاخرى **وبعضهم**

بلغ مقابلة

في الاداب وفي نسخة في الادب وهو حسن الاخلاق
والاحوال واحتمال الحميدة من الخصال وبعضهم
في الخطب جمع خطبة وهي الموعظة وهو كلام يلين
القلوب القاسية ويرغب الطبايع النابية ماخوذ
من الخطب لانهم اذا الم بهم خطب وشان خطبوا
له ليجتمعوا في امره ويحتالوا في دفعه وكلها
مقاصد صالحة اي اغراض حسنة رضي الله عن
قاصديها بالنيات المستحسنة وقد جمعت بحمد
الله وحسن توفيقه اربعين في الاحاديث
القدسية واربعين في الصلوات وارجو من الله
ان يكون لي حتى اكمل اربعين اربعينا وقد رايت معيناً
من الراي اي حصل لي راي صحيح للنصح في الهدى
والاعانة على البر والتقوى جمع اربعين اي حديثا
كما في نسخة اهم من هذا كله اي مما ذكر وزاد في
جميعه من وهي اربعون حديثا مشتملة اي نفعها انها
محتوية على جميع ذلك اي في الجملة وفي نسخة
زيادة كله للتاكيد وفي نسخة بنصب مشتملة
على الحالية ولا يرد عليه زيادة حديثين لان العدد
لا مفهوم له وقد قيل شعر
من زاد زاد الله في حسناته اولانه كان المهم عزمه
هنا الاقتصار على الاربعين فعند فراغها عن له

زيادة

زيادة الحديثين لحكمة لعلها هي ان احدهما من
باب الوعظ بمخالفة الهوى وموافقة الهدى
ففيه حث على العمل بجميع الاحاديث السالفة
وثانيهما من باب الرجا والدعا ففيه تانيس النفس
من التشديدات الواقعة في خلال الاحاديث
السابقة ففي التعقيب بهما تمام المناسبة وكل
حديث منها اي من هذه الاربعين قاعدة
عظيمة من قواعد الدين يبنى عليها كثير من
مسايل المجتهدين ويرجع اليها في تحقيق مقام
اليقين قد وصفه العلما بان مدار الاسلام
اي غالب احكامه عليه لاستنباطها منه ابتدا
او بواسطة مقدمات منضمة اليه كحديث ان
الحلال بين والدين النصيحة ونحوهما او هو نصف
الاسلام عطف على محل الجملة التي بعد ان وفيه
ان هذا جايز في ان المكسورة لفظا وحكما كما اذا
وقعت بعد العلم وتكلف بعضهم وجوز ان يكون
الجملة خبر ان المقدرة مع الاسم اي بانه هو نصف
الاسلام او ثلثه بضم اللام وتسكن كحديث انما
الاعمال بالنيات وازهد في الدنيا وامثالها ومن
نظم الشافعي رحمه الله شعر
عمدة الدين عندنا كلمات   اربع قالهن خير البرية

اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك واعمل بنية
او نحو ذلك بالرفع او للتنويع فيه وفيما بعده وفي
نسخة ونحو ذلك وهو بالرفع ايضا للعطف علي
نصف الاسلام وذكر الشارح الكازروني انه بالجر
عطفا علي ان ولا يخفي بعده مبني ومعني والمعني
نحو ما ذكر وهو ربع الاسلام وخمسه كساير الاحاديث
المعتبرة فكل واحد من هذه الاربعين وصف
باحد هذه الاوصاف الاربعة كما ذكره ابن الصلاح
في اكثرها فانه ذكر اقوال الايمة في تعيينها واختلافهم
في اعيانها فبلغ ما قيل فيه ذلك سبعة وعشرين
كلها مندرجة في هذه الاربعين منها عشرون
صحيحة وسبعة حسنة وبلغها المص في اذكاره
الي ثلاثين واد عليها هنا اثني عشر وذكر في السابع
والعشرين حديثين لاجتماعها علي معني واحد
وقال الفاكهاني صح عن جماعة من العلماء ان مدار
الاسلام علي اربعة احاديث حديث انما الاعمال
بالنيات وحديث الحلال بين والحرام بين وحديث
ازهد في الدنيا يحبك الله وحديث من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقد نظمها الشيخ
الوطاهر ابن المفور وذكر ما نسب الي الشافعي
فيما سبق وقال الامام احمد بن حنبل الاسلام

او قال اصول الاسلام يدور على ثلاثة احاديث
الاعمال بالنية والحلال بين والحرام بين ومن احدث
في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وقال ابو داود
الفقه يدور على خمسة احاديث الاعمال بالنيات
والحلال بين والحرام بين وما نهيتكم عنه فانتهوا
وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم ولا ضرر ولا
وروي ضرار وعن ابي داود السجستاني قال كتبت عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مائة الف
حديث الثابت منها اربعة الاف حديث وهو
يرجع الى اربعة احاديث انما الاعمال بالنيات
ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ولا يكون
المومن مومنا حتى يرضى لاخيه ما يرضى لنفسه
والحلال بين والحرام بين ثم لو استوفي شرح هذه
الاحاديث لاستدعى الى استنباطات لا تتسع
الا في مجلدات اذ من جملتها حديث جبريل فانه
يحتاج الى حكم الايمان وهو علم الاصول والى حكم الاسلام
وهو علم الفروع والى حكم الاحسان وهو علم التصوف
ثم قال ابن حجر ثم بعد هذه الاربعين ولا وجه ٢ج
له عند ارباب اليقين فالصواب ان يقال اي
بعد التراضي ما تقدم من كلامي التزم في هذه
الاربعين اي في تاليفها وتصنيفها ان يكون

اي اسانيد احاديثها باسرها صحيحة اي
ثابتة غير ضعيفة فيتناول الحسن بعبارة لطيفة
او اراد ان ما ذكره من الحسن في هذا الكتاب
يكون صحيحا لغيره في هذا الباب قيل خاصية هذه
الاربعين كونها مشتملة على قواعد الدين اما
الصحة فقد شاركها فيها غيره من المصنفين
قلت وليس فيه محظور اذ صيغه نور على نور
معظمها اي اكثرها حاصل في صحيحي البخاري
ومسلم اي جمعا او فردا الا ان المتفق عليه فيها اثنا
عشر وفرد البخاري اربعة عشر وفرد مسلم ثلاثة
عشر والباقي لغيرهما ثم الجملة حال من اسم يكون الراجع
الي الاربعين واذكرها بالرفع عطفا على الترم و
بالنصب على تكون محذوفة الاسانيد اذ لا فائدة
في ذكرها بالنسبة الي عامة مطالعيها لا سيما اذ علمت
ثبوتها باسنادها الي مخرجيها والاسناد هو رفع
الحديث الي قايله من النبي صلي الله عليه وسلم بين م
وغيره بذكر رواته فيها قايلا وناقله ليسهل
حفظها بسبب قلة لفظها ويعم الانتفاع بها اذ
الاكثرون عاجزون عن حفظها باسانيدها ان شا
الله تعالي ذكره امتثالا لامره سبحانه ولان الانتفاع
بها مما يخفي على المصر شانه فلا وجه لقول ابن حجر

اي

27

وبالعين والقاف ٢

اي للتبرك بها ثم اتبعها بالرفع وهو من الاتباع وفي
نسخة بضم الهمزة والبا والموفي اعقب هذه الاربعين
بباب في ضبط خفي الفاظها اي الفاظها الخفية باعتبار
غرابة مبانيها ومعانيها وقد التزمت ان اذكرها في
محالها كما نص عليها وينبغي اي يتعين لكل راغب في
الاخرة اي ثوابا وما بها لا رغب فيه اي مال اليه
ورغب عنه اي اعرض ان يعرف هذه الاحاديث اي
يعلم مبناها ويبحث عن معناها مما دلت عليه واشارت
اليه ويتقلها ويعمل بما فيها وفي نسخة ان يعرف
مقدار هذه الاحاديث اي مراتبها بالنسبة الي
غيرها لما اشتملت عليه من المهمات وهي بيانات
العقايد الدينية التي هي القواعد الملية واصول
الشرايع الالهية واحتوت اي ولما انطوت عليه من
التنبيه علي جميع الطاعات اي القلبية والقالبية
مما يصلح امر معاش العباد ودخال المعاد وذلك
اي ما ذكر من الاشتمال والاحتوا ظاهر لمن تدبره
اي تفكره وتذكره واصل التدبر النظر في دبر الامر
وعلي الله اي لا علي ما سواه اعتمادي اي في جميع اموري
واليه لا الي غيره تفويضي اي انقيادي واستسلامي
واستنادي اي التجاي واعتصامي وله الحمد اي خاصة
او خالصة والنعمة بالكسر العطية فلا نعمة من غيره

الا صورة قال تعالي وما بكم من نعمة فمن الله **وبه** اي
بسبب عونه **التوفيق** وهو لغة جعل الشي موافقا
للاخر واصطلاحا خلق القدرة علي الطاعة **والعصمة**
اي المحافظة عن الوقوع في المخالفة قال الراغب
هي فيض الهي يقوي به العبد علي تحري الخير وتجنب
الشر **الحديث الاول** ابتدا به اقتدا بالسلف
بالسلف الكرام وتنبيها علي مزيد الاهتمام بتحسين
النية وتزيين الطوية في مقام المرام قال ابن مهدي
وينبغي لمن صنف كتابا ان يبتدا فيه بهذا الحديث
تنبيها للطالب علي تصحيح النية قلت ذلك
الا   بتصفية الطوية وقال

كذا بخط المؤلف ضايع بعض كلمة لانه انقطع ورقة انتهى

الخطابي كان المتقدمون من شيوخنا يستحبون
تقديم هذه الاعمال بالنيات امام كل شي ينشيون
ويبتدون من امر الدين وقد روي هذا الحديث
من الايمة فوق ثلاثماية وقيل سبعماية عن سعد
ابن يحيي بن سعيد الانصاري وهو تابعي صغير
سمع انسا وغيره عن محمد بن ابراهيم التيمي ولم يروه النسا
غير الانصاري عن علقمة ولم يروه عن الانصاري بغير
التيمي فهو بهذا المعني غريب في الابتدا ومشهور
في الانتها وليس متواترا كما توهمه بعض الفضلا
اللهم الا ان يقال بالتواتر المعنوي وقد روي عن

عمر

عمر جماعة من الصحابة كعثمان وعلي وطلحة وسعد
وابن عوف وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وابن
الزبير وانس بن مالك وابو هريرة وخلق سواهم
وابنته حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وطائفة
من التابعين وقد روي الحديث من طريق ابي سعيد
الخدري وابي هريرة وابن عباس وابن عمرو ومعاوية
قالوا ولا يصح مسندا الا من حديث عمر رضي الله
عنه فلو كان اسنادهم صحيحا كاد ان يكون الحديث
متواترا قال الشافعي يدخل هذا الحديث في سبعين
بابا من الفقه يعني سبعين قاعدة كلية من الضوابط
الفقهية والا فيزيد عليها المسايل الجزئية فاندفع به
قول من قال ويراد به المبالغة وقال ايضا يدخل في
هذا الحديث ثلث العلم قال البيهقي لان كسب
العبد بقلبه ولسانه وجوارحه فالنية احد الاقسام
الثلاثة وهي ارجحها لانها تكون عبادة بانفرادها
بخلاف غيرها ولذا كانت نية المومن خير من عمله ولان
القول والعمل يدخل فيهما الفساد بالسمعة بخلاف
النية قال ابو داود هذا الحديث نصف العلم نحو ما ذكروه
وهو لخبر نية المومن خير من عمله عن امير المومنين
قال المص هو اول من سمي بذلك اعني من الخلفا اذ
ورد في منتظم ابن الجوزي ان رسول الله صلى الله

بل اعظم التصنيفين
لخبر

عليه وسلم بعث جيشا في السنة الثانية من
الهجرة وامر عليهم عبد الله بن جحش وسماه امير
المومنين كذا ذكره شارح وقال احسن قال له اصحابه
ما ندعوك فقال انتم المومنون وانا اميركم قالوا
اذا انت امير المومنين ابي حفص عمر بن الخطاب
كناه عليه السلام به وهو لغة الاسد ولقبه
بالفاروق لفرقانه بين الخطا والصواب كان شديدا
في امر الله ودينه مجتهدا محتسبا في مقام بقينه
جعل الحق على لسانه واعز الدين في زمانه واستبشر
اهل السما باسلامه كان وفاته بعد ما عاش ثلاثا
وستين هلال محرم سنة اربع وعشرين وخلافته
عشر سنين وستة اشهر واربع ليال ونقش
خاتمه كفى بالموت واعظا يا عمر احاديثه المرفوعة
خمسماية وسبعة وثلاثون رضي الله عنه وهو
قرشي عدوي يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم
في لوي ابن كعب اوصى له ابو بكر رضي الله عنه
بالخلافة فتولاها يوم مات الصديق وهو يوم الثلاث
لثلاث بقين من جادي الاخر سنة ثلاثة عشر
اسلم سنة ست من البعثة وهاجر الى المدينة
قبل قدومه صلى الله عليه وسلم بها وشهد المشاهد
كلها وفتح البلاد من العراق والسواد والجبال واذربيجان

والجزيرة

والجزيرة والموصل والشام ومصر والاسكندرية فبلغ
في خلافته خراج السواد ان والجبال والعراق في العام
الاول مائة الف الف وعشرين الف الف ومصر الكوفة
والبصرة واستقضى القضاة في الامصار ودون الدواوين
وفرض العطيات وهو اول من حمل الطعام من مصر
الى الحجاز زمنا فيه اشهر من ان تذكر ومآثره اكثر من
ان تحصر وافرد لترجمته ابو الفرج بن الجوزي كتابا مات
شهيدا قتله ابو لولوة النصراني غلام المغيرة بن شعبة
طعنه وهو يصلي بالناس صلاة الصبح فعاش ثلاثة
ايام ثم توفي وصلى عليه صهيب بن سنان الرومي
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول انما الاعمال بالنيات قال المص معناه لا تحسب
الاعمال الشرعية الا بالنية قيل هذا على مذهب
الشافعية واما على مذهب الحنفية فمعناه لا تثاب
الاعمال الا بالنية لاختلافهم في ان النية هل هي معتبرة
في صحة الاعمال ام لا وهذا الخلاف انما هو في الاعمال الوسيلة
دون الاعمال المقصودة فان النية معتبرة فيها بالاخلاف
بين الفريقين اقول وبالله التوفيق ان هذا الكلام
لم يصدر عن طريق التحقيق فان الشافعية وكذا
المالكية والحنبلية لم يعتبروا صحة شيء من اعمال الوسيلة
بالنية الا الطهارة والمسيلة هذه حجة عليهم في

او سبعة ايام

الفضية اذلا ريبة ولا شبهة ان الطهارة من
جملة شرايط الصلاة وكذا البقية كستر العورة
واستقبال القبلة والوقت والنية فلا فرق بين
الطهارة من الحدث والطهارة من الخبث وستر العورة
اذ الكل من اعمال الوسيلة فيحتاج الي فرق صحيح
وبيان مرجح في تخصيص هذا الشرط بالنية من
بين ساير الشروط الشرعية ثم قوله لا يثاب الاعمال
ليس في محله لان الاعمال المستقلة في العبادة
عند الحنفية واما الثواب فهو مترتب بعد صحتها
علي القبول المتوقف علي الاخلاص وتحسين الطوية
بان لا يكون مقرونة بنحو الريا والسمعة فالاحسن
ما قرره المص بقوله لا تحسب ليشمل الصحة والمثوبة
الا ان قوله الاعمال الشرعية يخرج ساير الاعمال مع
انه يثاب عليها ايضا بالنية فالاولي ان يقال لا يعتبر
مطلق الاعمال الا بالنية فتحمل الاعمال الشرعية اعتبارها
بالصحة وفي غيرها بمجرد المثوبة وهذا امر متفق
عليه فينبغي حمل الحديث عليه اما توقف صحة
الاعمال الشرعية علي النية فاجمعوا عليه كما هو
مبين في الكتب الفقهية واما توقف ثبوت
المثوبة علي غيرها من الاعمال كالوضوء والغسل
وستر العورة وطهارة الثوب ونحوها وكذا البيع

لا تصح ايضا الا بالنية صح

والشرا

والشرا والنكاح والطلاق وامثالها فانها تنفقوا عليه
كما هو مقرر في كتب الصوفية وبهذا التحقيق
اندفع ما حرره بعض الشراح من ارباب التدقيق
ان المراد نفي الاحكام المتعلقة بوجودها كالصحة
والكمال اي لا صحة او لا كمال الا بها فالشافعية يحملونها
على الاول والحنفية يحملونها على الثاني والاول اولى
لانه لما امتنع الحمل على الحقيقة فالحمل على مجاز اقرب
اليها وهو الصحة اولى كما تقرر في الاصول انتهى
وقد عرفت ان الحنفية يقولون بالصحة في الاعمال
المستقلة وبالكمال في غيرها وفيما يكون كالوسيلة
فيعطون كل ذي حق حقه هذا مجمل الكلام واما
تفصيل المرام فيتوقف على تحقيقات شريفة
وتدقيقات لطيفة منها ان قوله انما هي لتقوية
الحكم الذي هو في حيزها اتفاقا ولافادة الحصر
وضعا عند اكثر الاصوليين خلافا لجمهور النحويين
فانها عرفا تفيد التاكيد لاثبات لا غير عندهم
ثم الحصر اثبات الحكم لما بعدها ونفيه عما عداه
وهو مبني على ان انما غير بسيطة بل مركبة من ان
الاثباتية وما النافية وان ما ان لتنفي الحكم عما بعدها
وتثبته لغيره وهو باطل اجماعا واما عكسه
فهو المطلوب اتفاقا واما اذا قلنا ببساطتها

تعين الاول فتامل ونوزع بانها لوكانت مركبة
فقد تنقل ما فيها كافة ثم كذا الحصر اما حقيقي واما
اضافي وقد اجتمعا في قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم
يوحي الي انما الهكم اله واحد ومن الاضافي حديث
اسامة انما الربا في النسيئة خلافا لابن عباس حيث
ذهب الي انه من الحقيقي ولم ينازع في فهم الحصر
بل عورض بانه اضافي او وقع بدليل آخر فيفي ذلك
اتفاقا علي انها للحصر قال ابن حجر فان قلت
حذف انما في رواية صحيحة يدل علي عدم اعتبار
الحصر قلت ممنوع لان رواية ذكرها فيها زيادة وزيادة
الثقة مقبولة انتهي وهو وهم منه لان انما هنا للحصر
الاضافي دون الحقيقي لان الاعمال لا تتم ولا تصح بمجرد
النية بل لا بد لها من مزاولتها ومعالجتها باتيان
باقي شروطها واركانها واذا كان الحصر اضافيا فلا ينافي
تبين وجود ها وتبين عدمها وبهذا يندفع كلام
الطاكهاني حيث دل السياق علي الحصر الاضافي
عمل به والا فالاصل الاطلاق ومنه هذا الحديث
ثم اعلم ان هذا الحديث ذكره البخاري في سبعة
مواضع من صحيحه كما صرح به في محله وروي في
الصحيح بالالفاظ وهي انما الاعمال بالنيات انما الاعمال الرابعة م
بالنية الاعمال بالنيات العمل بالنية كذا قاله بعض
الشراح

بلغ مقابلة

السراج وقال النووي لفظ الاعمال بالنيات لا يصح
ورده بعضهم بانه رواه كذلك ابن حبان والحاكم وابو
حنيفة في مسنده ومنها انما الاعمال ثلاثة بدنية
وقلبية ومركبة منهما فالاول كرد المغصوبات
والعواري والودايع والنفقات وازالة النجاسات
فلا يشترط فيه النية لصحتها بل لاثابتها والثاني
كالاعتقادات والتوبة والحب والبغض في الله واما
ذلك فلا يشترط فيه النية وقد اغرب بعض العلما
حيث اوقع الطلاق بمجرد النية واعتمادا على هذا
الحديث ثم الثواب والعقاب يترتب على عزم الطاعة
والمعصية وان لم يعمل بما نواه على ما ذهب اليه
المحققون من اصحابنا وصرح به النووي والقرطبي
ايضا ويؤيده ما روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لاصحابه في منصرفه من غزوة تبوك
ان بالمدينة قوما ما صعدتم جبلا ولا هبطتم واديا
الا وهم معكم بنيه قالوا كيف وهم بالمدينة قال وهم
بالمدينة حبسهم العذر وقال الطرطوشي شرف
النية اعتبارها في الاخرة بنا على تحقق خلود الطايفتين
في المنزلتين لما في نية كل منهما الاستمرار على ما تدين
بها ففي خبر ابن ماجه انما يبعث الناس على
نياتهم ورواه مسلم بمعناه والثالث كالصلاة

والصوم والزكاة والحج فيشترط حصول النية في
صحتها بقي الكلام في الاقوال فلا يشترط النية
لصحتها بل لثبوته عليها واغرب الفاكهاني في قوله المثوبة
وبعض خصص العمل بما لا يكون قولا واستبعد
لانه لا فرق في ذلك بين عمل بجارحة وبين عمل
بآخر انتهى وقد عرفت الفرق بينهما ثم من
العجيب قوله اما الاعمال فقد استعملت مقابلة
الاقوال ولا شك ان الحديث يتناول الاقوال والله
اعلم بالاحوال ثم ان الاعمال عادية وعبادية والنية
شرعت لتمييز الثاني عن الاول ليترتب عليه الصحة
او المثوبة واما قول شارح من الشافعية وهي
واما ما تعبدنا الله بتركه كالقتل والشرك فلا نشترط
فيه النية اتفاقا ففيه انه لا يشترط الصحة
واما لثبوت المثوبة فلا بد من النية اتفاقا واما
قوله وما تعبدنا بفعله كالوضوء والصلاة فيجب
فيه النية ركنا او شرطا فتقدم انه ينتقض بستر
العورة مع انه شرط اتفاقا ثم العمل اخص من
الفعل وهو كلما صدر من الحيوان بقصده قلبيا
او قالبيا ذكره الراغب ومنها ان قوله بالنيات
متعلق بمحذوف هو الخبر فقيل تقديره انما الاعمال
بالنيات وانما اعتبار الاعمال بالنيات على حذف معتبرة

المضاف

32

المضاف واقامة المضاف معتبرة اليه مقامه وقال
شارح الباللاستعانة او المصاحبة ليعلم منه وجوب
المقارنة او المقاربة لكنها يشعر وجوب استصحابها
الى اخر العمل لانه الظاهر من المعية كالاولى اولى
انتهى ولا يخفى انه حينئذ لا يستفاد المقارنة
او المقاربة فالحمل عليه اعلى غايته ان معية النية
في الاعمال الشرعية مختلفة الكيفية بناء على التوسعة
العرفية الشاملة للحالة القبلية والبعدية
ومنها ان رواية الاعمال بالنيات لمقابلة الجمع بالجمع
واما وجه افراد النية مع جمع الاعمال على رواية
كونها مصدرا وانما جمعت في رواية لاختلاف انواعها
والاولى حمل النية على ارادة الجنسية ومنها ان المراد
بالنية قصد المكلف للشيء المامور به ومحلها القلب
اجماعا وانما استحب بعض العلماء انضمام اللسان
بالجنان للتقوية والا فاجمع المحدثون على عدم ثبوت
النية باللسان عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن
الصحابة والتابعين ثم قيل ان جميع النيات المعتبرة
لا بد لها من المقارنة للفعل الا الصوم والكفارات
فانه يجوز تقديمها على الفعل والشروع انتهى وتفصيل
محل النية في العبادات الشرعية محلها الكتب
الفقهية واما اعتبار الشافعي رحمه الله نصوص

في العبادات صح

اركان الصلاة فحال النية مقرونة بالتحريمة بوصف
المعية فلا يظهر وجه تخصيصه بالصلوات دون
ساير العبادات مع انه خروج ظاهر بالنسبة الي الخواص
فضلا عن العوام والله اعلم بما استدل به في هذا
المقام وقال البيضاوي النية لغة القصد وشرعا
توجه القلب نحو الفعل ابتغا لوجه الله تعالي وامتثالا
لامره وهي في الحديث محمولة علي المعني لتحسن
تطبيقه علي ما بعده وتقسيمه لقوله فمن كانت هجرته الي اخره انتهي ولا ريب فيه شارح مما لا طايل — اللغوي صح
تحته وتوضيحه ان مجرد قصد القلب في تصحيح
العمل كاف واما سوي الشرعي فيحتاج اليه من زيادة
قصد الامتثال وتحصيل الاخلاص لاجل ثواب العمل
وقبوله وهذا معني قوله تعالي وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين وفي كلام حجة الاسلام ان النية
هي الارادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن معرفة
كال الشي لان الافعال الاختيارية لا تصدر الا بعلم
موجب لارادة باعثة لقدرة خادمة لها بتحريك
العمل وهي يعني النية روح العمل تؤثر بنفسه بخلاف
العمل فان المقصود منه تاثيره في القلب ليميل الي
الخير وينفر عن الشر الموصلين الي الانس والمعرفة
اللذين هما سبب سعادته في الدارين والنية
عبارة عن نفس الميل فعلم سر قوله عليه الصلاة و
السلام نية المومن خير من عمله انتهي وقد جعلت

رسالة

33

رسالة في حل هذا المبنى وما فيه من المعنى وانما لكل
امرء ما نوى والمعنى لكل شخص من الرجل والمراة جزا
ما نواه ما في عمله من خيرا وشر وهو من باب
حذف المضاف او تقديره لكل احد جزا بنيته والاول
اولى لرواية انه ليس للمرا من عمله الا ما نواه وفي
نسخة صحيحة وانما لامرء ما نوى كالمراد بالمرء جنسه
وقد يكون النكرة فيها معنى العموم كقوله تعالى
علمت نفس ما احضرت ولو لم يكن في سياق النفي
هذا المقام بحسب لانه في الجملة وقع في سياقه
لان انما بمعنى ما والا والحصر هنا حقيقي مع زيادة
الكل المفيد للاحاطة وافادة الاختصاص من
اللام فتبين بهذا التقرير وافادة هذه الجملة
المختصة بالعبادات المستقلة وتوضيحه ان
مفاد الاولى اي صلاح العمل بحسب النية الموجودة
له ومفاد الثانية ان جزا العمل العامل بحسب نيته
من خيرا وشر وهاتان كلمتان جامعتان وقاعدتان
كليتان ثم قيل تفيد هذه الجملة ما لا تفيده الاولى
وهي اشتراطه تعيين المنوي كمن عليه صلاة وقتية
او فائتة حيث لا يكفيه ان ينوي الصلاة فقط حتى
بعينها ظهرا او عصرا مثلا وايضا اذا عمل عملا او جهة
من وجوه الثواب كالتصدق على الاقارب الفقرا

زيادة ص

ولم يبق الا وجها واحدا فليس له الا ذلك وبهذا
يندفع ما قيل من ان الجملة الثانية تاكيد للجملة الاولى اذ
من المعلوم ان الافادة خير من الاعادة وقد قال
بعض المحققين ان هذه الجملة من جوامع الكلام
الصادرة عن منبع الحكمة الالهية ومنبع الانوار
القدسية اللاهوتية يستغني طايفة بعباراتها
وطايفة باشاراتها وكل حزب بما لديهم فرحون ومن
اشاراتها ان مدار الاعمال القالبية على الاحوال
القلبية فما كان منها ملكة فاضلة وتوجها نحو الحضرة
الربانية كان وسيلة الى المقصد الاعلى وذريعة
الى السعادة العظمى وما وقع منها خلافا لذلك ردئا
وبعيدا عن تلك الحضرة كان موجبا للشقاوة و
منتجا للندامة وبحسب ذلك يتفاوت الاعمال
جودة ورداءة فكل عمل اوجب زلفاك من مولاك
كان خيرا لك وما كان خلافه كان شرا لك ثم ان
للنفس تمويهات مزخرفة وتلبيسات مموهة
فربما صورت لك السراب عذبا فراتا وارتك
الماء الزلال ملحا اجاجا واشكل المميز بين ما يدنيك
من اللذة الكبرى وما يرديك من موجبات
الردى في الدنيا والاخرى فما احوجك الى التمسك
بالعروة الوثقى والاعتلاء الى ذروة التقوى بمتابعة

34

شرح المويدة من السما فذلك فضل الله يؤتيه
من يشاو قال الطيبي في هذه الجملة اشارة الي
ما تثمره النية من القبول والرد والثواب والعقاب
فهم من الكلام الاول ان الاعمال لا تكون محسوبة
الا بالنية ومن الثاني انها انما تكون مقبولة بالاخلا ص
وتبعد عن الريا والسمعة وتوضيحه انه اشار
في الجملة الاولي الي ان الاعمال الشرعية يتوقف
صحتها علي النية اللغوية واشار في الثانية اي
اعتبار علي النية الشرعية ان حاصل المركل
ما نواه سوا كان محمودا او مذموما فيعلم
منه انه يمكن ان يجعل العادات عبادات كالماكل
والمشارب والمناكح والملابس والطيب ونحوها
من المباحات اذا نوي بها القوة علي الطاعة
او قصد اقامة السنة او دفع الرايحة الموذية
عن الخلق لا سيما اللذات وقد تنعكس القضية
بان تصير العبادات عادات فلا يتفرع عليه
مثوبات بل عقوبات كمن قعد في المسجد للتلذذ
بالمحادثة والتلذذ بالمجالسة للمناظرات علي سبيل
المباهات ونحوها من المباحات والممنوعات
ففي الخبر من تطيب في الله جا يوم القيامة
وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير

الله جا يوم القيامة ورجه انتن من الجيفة وكذا ورد
وعيد من تعلم القران لغير الله ونحو ذلك ففي الجملة كل عمل صدر
من العبد لداعي الحق فهو العمل الذي ينفعه وما لا فلا
يفيده بل قد يضره فقد روي ان رجلا في بني اسرايل مر
بكثبان رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل
طعاما لقسمته بين الناس فاوحي الله الي نبيهم قل
ان الله صدقك وشكر حسن صنيعك واعطاك ثواب
ما لو كان طعاما فتصدقت به وهذا احد معاني
حديث نية المومن خير من عمله لان نيته قد
تنفع من غير عمله واما عمله فلا ينفعه بدون نيته
ففي خبر البيهقي لا عمل لمن لا نية له **فمن كانت**
هجرته اي اذا عرفت ان الاعمال الشرعية لا تصح
بدون النية الصوية وان ساير العبادات البدنية
لا تثاب ما لم تقترن بالنية الشرعية فمن كانت هجرته
الي الله ورسوله وهي في الشريعة مفارقة دار الكفر
الي دار الاسلام خوف الفتنة وفي معناه الهجرة من
دار البدعة الي دار السنة وفي الحقيقة مفارقة
ما يكره الله عز وجل الي ما يحبه كما ورد المهاجر من هجر
ما نهي الله عنه وهي اعم من انواع الهجرة واعمها
والمعني فمن قصد بهجرته وجه الله وابتغا رضاه
فهو كناية عن تخليص النية وتحسين الطوية

ذكر

وذكر الله توطية لذكر الرسول صلى الله عليه وسلم
وتعظيما للهجرة اليه فهجرته الى الله ورسوله كناية
عن شرف الهجرة وانها مترتبة عليها او كونها مقبولة
مرضية فلا يرد اتحاد الشرط والجزا في العبارة الصورية
وتكرير الاسمين لتعظيم الهجرة لديه وتكريم المهاجر
والمهاجر اليه ويحتمل التصبية ممن كانت هجرته الى الله
ورسوله قصدا او نية فهجرته الى الله ورسوله ثمرة
ومنفعة وقال المص قوله فهجرته الى الله ورسوله معناه
مقبولة انتهى ولا يخفى ان الجار والمجرور على هذا خبر لقوله
فهجرته والاظهر ان التقدير فهجرته الى الله ورسوله مقبولة
على حذف الخبر فالجار حينئذ يتعلق بقوله فهجرته وان
في الكلام وضع الظاهر موضع المضمر لان من احب شيا
اكثر من ذكره كما قيل شعر
اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع — نخ يتفوح
ولا يبعد ان يكون التقدير فتكميله هجرته اليهما ثم
اعلم ان هذا الكلام تفصيل لما سبق من المرام في قوله
وانما لكل امرئ ما نوى وانما خص هذه القضية في الهجرة
لانها السبب الباعث على هذا الحديث وذلك ان
رجلا من اهل مكة كان يهوى امراة يقال لها ام قيس
فهاجرت الى المدينة فهاجر الرجل لاجلها لا تدينا فعرض
النبي صلى الله عليه وسلم به في حديثه تنفيرا له عن

مثل قصده وكان الرجل بعده يدعي عمها جرام فيس
لمان قلت اذا كان القصد مشتركا بين العبارة
وامور العادة فما حكمه قلت الحكم بغالب الامر فقد صرح
علماونا كما في الذخيرة والتجنيس وغيرها ان الرستاقي
اذا سعى يوم الجمعة الى المصر يريد اقامة الجمعة واقامة
الحاجة فان كان معظم مقصوده اقامة الجمعة ينال
ثواب السعي الى الجمعة وان كان قصده اقامة الحاجة
لا غير او كان معظم مقصوده اقامة الحاجة ثم اعلم
ان العمل الرياء محض بان يراد به عرض دنيوي فقط
ولو مباحا فهو حرام لا ثواب فيه واما مشوب
بريا ولا ثواب فيه ايضا للخبر الصحيح من عمل عملا
اشرك فيه غيري كالا منه بري هو للذي اشرك
وحمل الغزالي الاشراك فيه على المساواة والظاهر
ان محل كلام الامام فيما لم يشترط فيه النية اللغوية
لقوله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا بل محله العبادة التي
يعتبر فيه النية الشرعية وهي الاخلاص في خلوص
الطوية كما هو من اخلاق الصوفية لقوله تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين واما
من قصد بجهاده اعلاء كلمة الله ونيل نحو غنيمة
نقص اجره ولم يبطل لخبر مسلم ان الغزاة اذا غنموا

فتجعلوا ثلثي اجرهم والاثم لهما اجرهم وقد قيل من
حج بنية التجارة كان له ثواب بقصد الحج ومن عقد عملا
لله ثم طرا له خاطر ريا فان دفعه لم يضر اجماعا وان
استرسل معه فقيه خلاف والذي رجحه الامام احمد
وجماعة من السلف ثوابه بنيته الاول قيل ومحله في
عمل يرتبط اجره باوله كالصلاة والحج دون نحو القراءة فتفيها
لا اجر بعد حدوث الريا ولو تم عمله خالصا كما في عليه
ففرح لم يضر لخبر مسلم تلك عاجل بشرى المسلم ومن
كانت هجرته لدنيا اللام للتعليل اي لاجل غرضها
او متاعها او حصول غرضها او نتاعها او بمعنى
الي كما في نسخة صحيحة وهو اولى لانه قابله بقوله
الي ما هاجر اليه حيث لم يقل لما هاجر اليه كذا قيل
والاظهر ان يقال في ههنا بمعنى اللام كقوله تعالى والامر
اليك وحينئذ لفظ الجلالة في موضعها والهجرة
غير مختصة بصوب المدينة لكونه صلى الله عليه
وسلم فيها بل المعنى فمن كانت هجرته لاجل رضى الله
ورسوله فهجرته منتهية اليهما والى رضاهما و
بمعنى طاعته ومن كانت هجرته لغرض الدنيا وما
فيها فهجرته منتهية اليها والى هواها والمعنى هو
نهاية شهوته لا يتجاوزها وبهذا التقدير يستغني
عما قالوه من التقدير بهذا وقد قال المالكي في استعمال

دنيا منكرا اشكال لانها تانيث الادني وهو افعل
التفضيل فكان ظاهره الدنيا كالكبري الا انها وردت
علي خلاف القياس لانسلاخها عن معني الوصفية
واجراها مجري الاسمية وقيل النكتة فيه الايما الي
تجريد الدنيا وترك زوايدها وهو ماخوذ من الدنو
والدناة وقد يكسر داله ولا يبعد انها نكرت اشارة
الي ما يسمي دنيا من انواع ما في الدنيا وترك تنوينه
تخفيفا لكثرة استعمالها وبويده انه روي منونا
يصيبها حال مقدرة اي يقصد اصابتها وتحصيلها
فتشبيه قصد الدنيا وتحصيلها باصابة الغرض
بالسهم بجامع حصول المقصود او امراة ينكحها بفتح
اليا وكسر الكاف اي يتزوجها كما في نسخة ثم او للتنويع
لا للشك فهو من باب عطف الخاص علي العام اشعارا
بان النسا اعظم ضررا في الدنيا وايا بانه لما كان
قصد النكاح الذي هو سنة عظيمة من سنن اهل
الفلاح اذا كان يبطل ثواب الهجرة فكيف غيره من
الامور المباحة او المكروهة ولا يبعد ان مهاجر ام
قيس كان يحبها لما لها وجمالها فجمعهما في التعريض
به ويحتمل انه كان لطلب نكاحها وغيره من الناس
هاجر لتحصيل دنيا من جهة ما عرض بهما فهجرته
الي ما هاجر اليه اي من اصابة الدنيا وتزوج المراة

ولم

ولم يذكرهما صريحا للاعراض عنهما وعدم الاحتفال
بامرهما وللزجر عن قصدهما بخلاف ما تقدم والله
اعلم والمعنى من كانت هجرته لدنيا وانتهت هجرته
اليها وكانت نهاية هجرته اليها لا يحصل له ثواب الهجرة
سواء حصل غرضه من الدنيا وما فيها ام لا فعلم ان
الطاعة في اصل صحتها وتضاعف مرتبتها مرتبطة
بالنيات وبها يرتفع الى خالق البريات فلابد للساعي
من تصحيح النية موجب للعقوبة اما مثال الثاني
فقد ورد من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه
الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة
يوم القيامة واما مثال الاول فقد ورد في مسند
ابي يعلى الموصلي مرفوعا ان الله يقول للحفظة
يوم القيامة اكتبوا لعبدي كذا وكذا من الاجر فيقولون
ربنا لم نحفظ عنه ذلك ولا هو في صحيفتنا فيقول
الله انه نواه وحكاه ونقل الاستاذ ابو القاسم ان زبيدة
رويت في المنام فقيل لها ما فعل الله بك في ذلك المقام
فقالت غفر لي جميع الاثام فقيل لها بكثرة عمارتك
الابار والبرك والمصانع في طريق مكة وانفاقك فيها
من الذهب والفضة فقالت هيهات هيهات ذهب
ذلك كله الى اربابه واصحابه وانما نفعنا منه النيات
فقرلي بها السيات هذا ولسان العارفين معناه

وللباني من اهم احكام اساس البنية فانها بدون العمل يصح والعمل بدون تصحيح النية ...

ان اعمال الظاهر متعلق بما وقع في القلوب من انوار
الغيوب وانكشوف اسرار الطريقة وانوار الحقيقة
في الباطن بما بدا من جمال الفهم والالهام اذا انفدح
سنا برق صفة العقل من زنود صفات الجلال والاكرام
والتبتهج الهمم في تنفيذ العمل المعمول له وان الاسبح
في السر ذكر غيره وللناس فيما يعشقون مذاهب
ثم نية العوام في طلب الاغراض في العمل مع نسيان
الفضل ونية الجاهل التحصن عن سوء القضاء ونزول
البلاء ونية اهل النفاق التزين عند الخلق وعند الخلاق
ونية العلماء اقامة الطاعة وادامة العبادة لحرمة
ناصبها لا لحرمة جابيها ونية الصوفية ترك الاعتماد
على ما يظهر منهم من الطاعات الصورية والحالات
المعنوية ونية اهل الحقيقة ربوبية تولت عبودية
وانما لكل امرء ما نوى من مطالب السعداء ومناقب
الاصفياء وهي الاخلاص عن الدركات السفلية من الكفر
والشرك والجهل والمعاصي والاخلاق الذميمة والحجب
النفسية والفوز بالدرجات العلية وهي المعرفة
والتوحيد والعلم والطاعة والاخلاق المحمودة و
الجذبات الالهية والفناء عن الانانية والبقاء بهويته
او من مقاصد الاشقياء وهي ما يبعد عن الحق
في مقام الاصفياء فمن كانت هجرته بخروجه من

مقام

مقامه الذي هو غاية مرامه سوا كان منزلا من
منازل النفس او مقاما من مقامات القلب الي الله
وتحصيل رضاه ورسوله باتباع اعماله والتوجه
الي طلب الاستقامة في استدامة احواله فهجرته
الي الله ورسوله فتخرجه العناية الالهية من ظلمات
الحدوث والفنا الي نور الشهود والبقا وتجذبه من
حضيض العبدية الي ذروة العندية ويذهل
عن عالم الناسوت ويفني في عالم اللاهوت ويبقي بالحي
الذي لا يموت ورجع اليه الانس وترك محلة القدس
واشرقت عليه سبحات الوجه الكريم وحل بقلبه
روح الرضي العميم فَوَجدَ فيه الروح المحمدي واجبا
وعرف ان له مثوي وما با هذا حال اخص الخواص
واما العوام فهجرتهم بسبب الاقامة بشرطها هدرا
فبنا من الكفر الي المعرفة ومن الشرك الي التوحيد
ومن الجهل الي العلم ومن المعصية الي الطاعة ومن
مقابح الاخلاق الي محاسنها واما الخواص فهجرتهم
بجذبات لتهذيبهم سبلنا من حجب اوصاف الخلق
الي درجات تجليات صفات الحق ومن كانت هجرته
لدنيا من تحصيل شهوة الحرص علي الجاه والمال ونيل
المنال فيبقي مهجورا عن الحق في اوطان الغربة
وديار الظلمة له نار الفرقة والقطيعة نار الله

الموقدة التي تطلع علي الافيدة لا نار الجحيم التي
لا تحرق الا الجلود ولا تخلص الي القلوب فانها بالنسبة
الي نار فرقة القلوب وحرقة القطيعة عن غيب الغيوب
كنسيم الحياة الي سموم الممات ولذا قالوا الحجاب اشد
العذاب وانشدوا شعر
ففي فوّاد المحب نار هوي   احر نار الجحيم ابردها
وما احسن من قال من ارباب الحال
يا غافل القلب عن ذكر المنيات   عما قليل ستثوي بين اموات
ان الحمام له وقت الي اجل   فاذكر مصايب ايام وساعات
لا تطمين الي الدنيا وزينتها   قد حان للموت يا ذا اللب ان يات
وكن حريصا علي الاخلاص في العمل لكان العمل الزاكي ينبغي
هذا وفي معني الهجرة طلب العلم وصحبة الصوفية
بل كل حركة وسكون يحتاج الي تصحيح النية وفي الخبر
ان الله لا ينظر الي صوركم واعمالكم ولكن ينظر الي قلوبكم
ونياتكم رواه امام المحدثين الي المصنفين في علم
الحديث من المتاخرين احدهما ومنهما ابو عبد الله
محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بضم فكسر
ابن بَرْدِزْبَه بموحدة مفتوحة فراي ساكنة
فدال مهملة مكسورة فزاي ساكنة فموحدة فها
ساكنة ومعناه بلسان اهل بخاري الحارث يعني
الزراع كان مجوسيا ومات عليه البخاري منسوب
الي

الى بخاري بلد معروف من اعظم بلد ان ما ورا النهر
وفي بعض النسخ زيد الجُعْفي بضم الجيم وسكون
العين المهملة والفا نسبة الى اليمان بن اخنس
الجعفي لان المغيرة اسلم على يده هذا وقد ولد
سنة اربع وتسعين ومائة وتوفي بخرتنك قرية
على فرسخين من سمرقند سنة ست وخمسين ومائتين
فعمره اثنتان وستون سنة قال خرجت كتابي
الصحيح من زهاء ستمائة الف حديث لست عشرة
سنة وما وضعت فيه حديثا الا اغتسلت وصليت
فيه ركعتين فقابله اكثر من ان تحصى واوفر من ان
تستقصى وقد افردت بالتاليف روي انه عمي في صباه
فراى الخليل عليه السلام في المنام فدعا له وتفل في
عينيه وبرك عليه فابصر باذن الملك العلام ثم لم
يقرا كتابه في كرب الا فرج وقد روي هذا الحديث في
سبعة مواضع من صحيحه وعدد احاديث صحيحه
سبعة الاف ومائتان وخمس وسبعون وباسقاط
المكرر اربعة الاف وقد كتب عن احمد بن حنبل ويحيى
ابن معين وخلايق يزيدون على الف وروى عن مسلم
خارج صحيحه والترمذي وابن خزيمة قيل والنسائي
وابو الحسين مسلم بن الحجاج بفتح الحا وتشديد
الجيم الاولى ابن مسلم القشيري بضم القاف وفتح

الجعفي بضم الجيم وسكون العين قبل الفاء نسبة الى جعفي بن سعد العشيرة من مذحج ومذحج بميم مفتوحة وذال معجمة ساكنة قبل حاء مهملة مكسورة ثم جيم قبيلة من اليمن اهـ

الشين المعجمة منسوب الي قشير بن كعب بن ربيعة
بطن من العرب النيسابوري بفتح النون والسين
المهملة معرب المعجمة مدينة بخراسان وهو الامام
النبيل والبحر الحبر الجليل ولد سنة اربع وما يتين وتوفي
سنة احدي وستين وما يتين واحاديث كتابه
بعد اسقاط المكرر اربعة الاف ايضا احد عن احمد
وحرملة وخلايق وروي عنه الترمذي بحديث واحد
رضي الله عنهما كذا في النسخ جميعها وفيه توسعة
والا فالانسب ان يقال رحمهما الله لان الترضية تختص
عرفا بالاصحاب المصطفوية في صحيحيهما انما خص
جمالا لانهما كتابا غيرها ليست في رتبتهما وهو متعلق
برواه لا الحال من الضمير الراجع الي الحديث كما ذكره الكازروني
اللذين بفتح الذال وكسر النون هما اصح الكتب المصنفة
اي المولفة احترازا من الصحف المنزلة واما قول
الشافعي ما اعلم كتابا بعد كتاب الله اصح من موطا
مالك فذاك قبل وجود هاتين الاول اصح منهما علي
الاصح من الاقوال فيهما وقد رواه غيرهما كالامام
احمد وابو داود والترمذي والنسايي وابن ماجه
وغيرهم حتي صار نسبته بالتواتر عندهم وقد
روي البخاري انه صلي الله عليه وسلم خطب
به فقال يا ايها الناس انما الاعمال بالنيات وخطب به

عمر

عمر رضي الله عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما اخرجه البخاري ايضا الحديث الثاني عن
عمر رضي الله عنه ايضا اي عادت عنه الرواية عود ام
ايضا فيقال احق كذا اي اهله اي رجع قال بينما نحن
عند رسول صلى الله عليه وسلم المستفاد من
كلام الرضي ان ما في بينما كافة لانها تكف المقتضي
وتمنعه عن اقتضا المضاف اليه وقد روي فبينا
وفي بعض الروايات بينا على اتباع المنح لتكون
الالف الحاصلة دليلا على عدم اقتضايه للمضاف
اليه لانه كانه وقف عليه فان الالف قد يوتى بها للوقف
عليها كما في انا والظنونا ثم بين في اصله مستعمل في
الزمان والمكان واما اذا كف بما او الالف واضيف الى
الجملة فلا يكون الا للزمان لانه لا يضاف الى الجمل الا
حيث من ظروف المكان والمعنى في اثنا اوقات
شريفة وازمنة لطيفة نحن حاضرون لديه وواقفون
بين يديه ذات يوم اي ساعة نهار وفايدة زيادة
ذات في البيان عدم تجوز التوهم في اطلاق اليوم
على مطلق الزمان وهو ظرف عند لما فيه من معنى
الاستقرار في الخبر اذ طلع علينا رجل اي ظهر لنا
شخص بصورة رجل من جنسنا والتنوين فيه
للتفخيم او للتنكير والمعنى فاجانا وقت طلوعه

حين كنا عند رسول الله صلي الله عليه وسلم في
مجلس حضوره وحال ظهور نوره رجل عالي الجناب
شديد بياض الثياب باضافة الشديد الي
البياض وفي نسخة تنوين شديد ورفع ما بعده
وكذا الكلام في قوله شديد سواد الشعر بفتح العين
ويسكن وفيه ايما الي استحباب البياض والنظافة
في الثياب وان زمان طلب العلم اوان الشباب
وفي حديث الترمذي ان الله نظيف يحب
النظافة وصح ان من خير ثيابكم البياض فالبسوه
وكفنوا فيها موتاكم وقدم البياض علي السواد
لفضله وجمع الثياب دون الشعر اشعارا بان
جميعها كذلك او للتفنن في العبارة باستعمال
الجمع تارة واعتبار الجنس اخري وهذا بالتحقيق
احري وفي رواية النسائي عن ابي هريرة وابي
ذر اذا قبل رجل احسن الناس وجها واطيب
الناس ريحا كان ثيابه لا يمسها دنس واعرب
ابن حجر في عبارته عن ابي هريرة وذلا ينتهي و
عرابته لا تخفي لا يري بضم اليا من يري كاله المهم
وروي بالنون المفتوحة كذا في شرح مسلم
عليه اثر السفر برفع الاثر ونصبه كما يقتضيه
اختلاف الاثر والعلامة من نحو الشعث والغبرة

والسوء

بلغ مقابلة

والسفر ماخوذ من السفر وهو الكشف لانه يكشف
احوال الرجال واخلاقهم في احوال الانتقال ولا يعرفه
منا اي معشر الصحابة احد فقدم منا للاهتمام
ومؤداه وحاصل معناه انه حينيذ اما ان يكون ملكا
او جنيا اذ لو كان بشرا من المدينة لعرفناه او غريبا
كان اثر السفر في سيماه وفي هذا الحديث تصريح
بانهم راوه وسمعوا كلامه واما حديث الامام
احمد عن غير عمر نسمع رجع النبي صلى الله عليه
وسلم ولا نري الذي يكلمه ولا نسمع كلامه فاما يحمول
علي تلون حال جبريل اذ كانت القضية واحدة واما
علي تعدد القصة لتاكيد تعليم الامة وهذا اولي
من قول ابن حجر رد حديث عمر الاصح منه واما
قول الفاكهاني ورواه ابو العباس العذري لا نري ولا
نعرفه بالنون وانما يصح مع عدم قوله منا احد حتى
جلس متعلق بمحذوف دل عليه طلع اي سلم واستاذن
واتي ودني حتى جلس مايلا الي النبي صلى الله عليه
وسلم والمعني بين يديه فقي الحديث كنا نجلس بين يدي
النبي وكانما علي روسنا الطير او متصلا اليه فيكون
كالتفسير له قوله فاسند ركبتيه الي ركبتيه
اي اوصل ركبتيه الي ركبتي النبي صلى الله عليه
وسلم لان الجلوس علي الركب الي التواضع اقرب

وانسب الي كمال الادب واتصالهما ابلغ في الاصغا
وحضور القلب والصفاء والاستيناس بالتوحش
عند الناس وكذا حكمة وضع الكف في قوله ووضع
كفيه علي فخذيه بفتح الفاء وكسر الخاء ويجوز في اللغة
كسر اوله وسكون ثانيه اي فخذي النبي كما في رواية
النسائي هذا وقد ابعد ابن حجر عن التحقيق حيث
قال في جلس الي هنا بمعنى عند اوضح هذا وفي
رواية لابي ذر والنسائي عن ابي هريرة انه عليه السلام
كان يجلس مع اصحابه فلا يعرفه الغريب فبنيت له
المصطبة من طين فجاءه جبريل وهو عليها فقال
السلام عليكم يا محمد فرد عليه صلي الله عليه وسلم
قال ادنوا يا محمد قال ادنه فما زال يقول فيقول ادنوا
مرارا ويقول ادنه حتي وضع يديه علي ركبتي النبي صلي
الله عليه وسلم انتهي وصيغة عليكم بلفظ الجمع للتعظيم
او لمن معه علي وجه التعميم كما قال الفقهاء انه يندب
السلام بصيغة الجمع علي الواحد نظرا لمن معه من الملائكة
ولا ينافي تخصيصه بالندا بعد تعميم الثنا وقال يا محمد
لعل نداه بذلك قبل التحريم او لانه لم يكن داخلا في التعميم.
او التحريم محمول علي ما اذا اراد به مجرد العلمية عن غير
التعظيم المستفاد من الدلالة الوصفية الموجبة للتفخيم
واما ما ورد في الصحاح من ندا بعض الصحابة باسمه

فذاك

عند الاما قبل التحريم واما علي قصد ما ذكرنا من
التعظيم وقال الشارح ناداه باسماء الحرمة تختص
بالامة في زمانه وهو ملك معلم انتهي وفيه انه في هذا
المقام نتنزل الي مرتبة التعليم او الي حالة تعليم غيره في
السوال والجواب مقتضاه انه كان يتادب في الخطاب
الا سيما في اول الباب والله اعلم بالصواب وقال القلهاني
نداوه هذا كان تعبيد بحاله اقول وهذا ابعد عن مقام
جلاله وحسن سواله اخبرني عن الاسلام وهو
لغة الانقياد للاحكام ولذا اجاب عنه عليه السلام
بالاركان الخمسة من ظواهر احكام الشرعية وانما قدم
السوال عنه وان كان التصديق مقدما بحسب الرتبة
لانه جا التعليم مراتب الشريعة عندا بالادني ثم
ترقي الي الاعلي ثم الي مشاهدة المولي فتكون هذه الرواية
هي الاولي من رواية الترمذي تقديم الايمان كما في رواية
الصحيحين عن ابي هريرة فلعلها رواية بالمعني هذا وقد
ذكر ابو عبد الله بن ابي حفص الكبير عن ابيه عن محمد
ابن الحسن عن ابي حنيفة عن علقمة عن يحيي بن يعمر
عن ابن عمر ان جبريل سال عن شرايع الاسلام فقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم الاسلام ان تشهد
اي شهادتك واقرارعبادتك ان لا اله الا الله ان مخففة
من الثقيلة وضمير الشان محذوف ويدل عليه عطف

قوله الا في وان محمدا الخ والمقصود من هذه الكلمة اثبات التوحيد
في الجملة بحسب ظاهر الشريعة والا فتفصيله علي وجه الحقيقة
اثبات ذات الله بوحدانيته منعوتا بالتنزه عن ما يشابهه
اعتقادا وقولا وعملا بتنفيا وعرفانا بمشاهدة وعيونا
فثبوتا ودوا ما كما سنتكلم عليه مفصلا وتماما وقال الغزالي
للتوحيد لباب وقشران كاللوز فالقشرة العليا هي القول
باللسان الجحد والثانية الاعتقاد بالقلب جزما واللب
ان ينكشف بنور الله سر التوحيد بان يري الاشيا الكثيرة
صادرة عن فعل واحد ويعرف سلسلة الاسباب مرتبة
بمسببها ولب اللب ان لا يري في الوجود الا واحدا ويستغرق
في الواحد الحق غير ملتفت الي غيره ابدا واعترض ابن حجر
بقوله ولو قال اعلم بدل اشهد واسقطها فقال لا اله الا الله
محمد رسول الله لم يكن مسلما وايده بحديث امرت ان اقاتل
الناس حتي يشهدوا ومع انه جا في رواية صحيحة حتي
يقولوا وقد كثرت الروايات الثابتة عنه صلي الله عليه
وسلم مثل من قال لا اله الا الله دخل الجنة علي ان المراد
بهذه الكلمة هو الاحري من الاقرار بالنبوة لتلازمهما
في اعتبار الشريعة فكان الاقتصار علي هذه الكلمة من
باب الاكتفا والبناء علي ان هذه علم للاقرار بالتوحيد
والنبوة فكيف اذ تكلمت الكلمة بشطر محمد رسول الله
فقوله وان محمدا رسول الله ايما الي الاقرار بصحة

النبوة

النبوة وهما اصلان متلازمان في اقامة الدين ضرورة
توقف الاسلام علي الشهادتين وقد يقال الشهادة تجي
في اللغة علي ثلاثة معان الاول بمعني العلم لقوله تعالي يا اهل
الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون اي تعلمون
والثاني بمعني الحضور والابصار كما قال تعالي وليشهد
عذابهما طايفة من المومنين والثالث بمعني الاخبار
عن العلم والحضور كقوله تعالي وما شهدنا الا بما علمنا
وهذا المعني هو المناسب لمقام الاسلام واما العلم
والمشاهدة فهما من مراتب العلما الكرام ومناقب الاوليا
العظام ومنه قوله تعالي فاعلم انه لا اله الا الله وشهد الله
انه لا اله الا هو قال المحققون مجرد التوحيد هو الاحتجاب
بالجمع عن التفصيل وهو محض الجبر المودي الي الاباحة
واسناد القول والفعل الي الرسول وساير الخلق احتجاب
بالتفصيل عن الجمع الذي هو صرف القدرة المودي الي التعطيل
او التثنوية والجمع بينهما هو الحق المحض قال في العوارف الجمع
اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق فمن شاهد غيره فما ثم
ثمه جمع والتفرقة شهود لمن شاهد بالمباينة فقوله امنا
بالله جمع وما انزل الينا تفرقة اقول فنقول لا اله الا الله
جمع ونقول محمد رسول الله تفرقة كما قيل اياك نعبد تفرقة
كما في اياك نعبد تفرقة واياك نستعين جمع وفي جمع القايلين
ايما بجواز تقديم التفرقة علي الجمع كما السالك المجذوب

المسمي بالمريد وتقديم الجمع علي التفرقة كالمجذوب السالك
المسمي بالمراد وهو اكمل من المريد في مقام المريد كما اشار
اليه قوله سبحانه الله يجتبي اليه من يشا ويهدي اليه
من ينيب وقال الجنيد القرب بالوجد جمع وغيبته في البشرية
تفرقة وكل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل
وتقيم الصلاة اي تديمها بحفظه شرايطها ورعاية
اركانها والصلاة لغة الدعا نقل الي افعال مخصوصة واقوال
معلومة لان الدعا جز الصلاة **وتوتي الزكاة** اي تعطيها
مصارفها من زكي نمي او طهر وهي اسم للقدر المخرج من النصاب
لانه يزيد بركة المخرج عنه ويطهره او يطهر قلب صاحبها
من خساسة البخل ونجاسة حب الدنيا طلبا لحب المولي
ورسمها بالواو علي خلاف القياس بنا علي اصلها ثم اعلم
ان الرواية بنصب تقيم وتوتي وما بعدها ويوبده حديث
بني الاسلام علي خمس واما من جعل الواو استينافية
علي زعم ان اتيان الشهادتين يكفي في اجرا احكام الاسلام
كما جيب بان الانقياد بهما اقل وبقوا بعمها من المذكورات
ونحوها الكمل علي انه قد يقال المراد ببقية الاعمال الخمسة
هو الانقياد بقبول فرضيتها واعتقاد ركنيتها وانكار وجوبها
كفرا جماعا لانه نقص المعلوم بالدين ضرورة **وتصوم رمضان**
فيه جواز اطلاق رمضان من غير ذكر شهر وهو علم للشهر
المشهور من رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر

ويسمي بدلا تماحهم من حر الجوع او الاحتراق ذنوبهم
بالصبر علي حرارة الجوع وسرارة العطش والصوم لغة
الامساك وشرعا امساك مخصوص بوصف مخصوص
وحج البيت الحج بفتح الحا وكسرها لغة القصد او قصد
المعظم وشرعا قصد بيت الله في وقت معين بشرايط
معلومة والبيت اسم جنس غلب علي الكعبة علما ان
استطعت اليه اي الي البيت او الحج المفهوم من حج يعني
ان امكن لك الوصول اليه سبيلا تمييز عن نسبة الاستطا عة
اي ان استطعت سبيل البيت او الحج فاخر ليكون اوقع
في النفس وهي الطريق الذي فيه سهولة ويستعمل في كل
ما يتوصل به الي شي وهو المراد هنا ولذا فسرت في الحديث
بالزاد والراحلة رواه الحاكم وصححه لكن ضعفه اخرون و
الحاصل ان الاستطاعة عند ابي حنيفة بمجموع البدن والمال
وعند مالك بالبدن وعند الشافعي بالمال وفي كتب الفقه
تفصيل الاحوال من جملة تفاريعه انه هل يجب علي العود
او التراخي ففيه خلاف مشهور بين اصحابنا وكذا فيما بين
اصحاب مالك والشافعي ثم الاستطاعة سلامة الاسباب
وصحة الالات وهي قد تتقدم علي الفعل وتطلق علي عرض
في الحيوان يفعل به الافعال الاختيارية ولا يكون الا مع الفعل
وهي علي ما فسرنا استطاعة خاصة بالمعني الاول
فلا يرد ما قيل من ان الاستطاعة التي بها يتمكن المكلف

من فعل العبادة مشروطة في الكل فكيف خص الحج بها
وتنكيره للعموم وتقديم اليه عليه للاختصاص اي سبيلا
ما الي البيت او الحج علي اي وجه كان قريبا او بعيدا بشرط
اختصاص انتهايه اليه لا الي غيره وايراد الافعال علي صيغة
المضارع لافادة الاستمرار التجدد دي المناسب لكل منهما
ففي التوحيد الاستمرار الدايم مدة الحياة الي الممات
وفي الصلاة دونه ثم في الصوم والزكاة دونها وقدم
الاهم واخر ما وجب مرة وهو الاشق الاتم ولذا قيد
بالاستطاعة والله اعلم وقد نزل عليه صلي الله عليه وسلم
يوم عرفة وهو علي ناقته في حجة الوداع اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا قال اي
الرجل صدقت فعجبنا له اي قال عمر فتعجبنا لاجل السايل
او من كلامه المتقابل حال كونه يساله ويصدقه اذ سواله
يقتضي عدم علمه وتصديقه يوجب خلافه ثم زال التعجب
الناشي عن الجهل بسبب النبي بعلمهم انه جبريل اتاهم في صورة
متعلم لتعليمهم امر دينهم قال فاخبرني عن الايمان وهو
في اللغة التصديق الذي معه امن وطمانينة وتحقيق وحقه
ان يتعدي بنفسه الا انه لما كان متضمنا لمعني الاعتراف عدي
بالباء في قوله قال ان تومن بالله كذا اقره بعض الشراح وفيه
ان الاقرار شرط لاجرا الاحكام وشطر لمفهوم الايمان كما هو
عند بعض العلماء لا الاكتفا به لا يكون علي وجه النظام فالاولي

45

ما قاله بعضهم من ان المراد بالمحدود الايمان الشرعي ومن الحد
الايمان اللغوي كانه متفق بالباكا في القاموس امن به
ايمانا صدقه فالمعني ان الايمان هو التصديق وجوب
وجود ذات الله المستجمع لصفات الكمال من نعوت الجمال
والجلال وحسن الافعال وبكل ما جاء من عنده علي طريق
التفصيل وسبيل الاجمال قال ابن الصلاح وهذا الحديث
بيان اصل الايمان وهو التصديق والاسلام وهو انقياد
الاحكام وحكم الاسلام يثبت بالشهادتين وانما اضاف اليهما
الاعمال المذكورة لانها اظهر شعايره ثم الايمان قد يطلق علي
الاسلام كما في حديث وفد عبد القيس هل تدرون ما الايمان
شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة
وايتا الزكاة الحديث وقد يطلق الايمان علي الاسلام كحديث
الايمان بضع وسبعون شعبة ادناها اماطة الاذي
عن الطريق واعلاها شهادة ان لا اله الا الله وقد يطلق
الاسلام ويراد به المعني الاعم لقوله تعالي ان الدين عند
الله الاسلام وكخبر ابن ماجه ما الاسلام قال تشهد ان لا
اله الا الله وتشهد اني رسول الله وتومن بالاقدار كلها
خيرها وشرها حلوها ومرها ومنه الايمان اعتقاد بالجنان
واقرار باللسان وعمل بالاركان واسم الاسلام يتناول
اصل الايمان وهو التصديق والطاعات فان كلا للا
استسلام فعلم انهما يجتمعان ويفترقان وان كل مومن مسلم

ماروي

من غير عكس كما يدل عليه قوله تعالى قالت الاعراب
امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا وخبر احمد الاسلام
علانية والايمان في القلب وفي حديث سعد تركت فلانا
لم يطعه وهو مومن فقال او مسلم فاعاد عليه فاعاد وهذا
التحقيق موافق لما ذهب جمهور العلما من الاشاعرة والماتريدية
حيث جعلوا الايمان مجرد التصديق والاقرار شرط لاجرا
الاحكام وهذا مذهب الامام وبه اخذ علم الهدي والاشعري
في اصح الروايتين عنه على ما ذكره الكردري وقيل الاقرار
ركن والتصديق شرط وهو قول ساقط لعلامة للتحقيق
واما ما ذهب اليه بعض المحققين من ان الاعتراف شرط
للايمان لكنه يسقط بالتعذر في بعض الاحيان فكل مومن
مسلم وكل مسلم مومن على ما هو المتعارف في الزمان واما
عند الشافعي وهو المنقول عن علي كرم الله وجهه مرفوعا
ان الايمان هو المعرفة بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان
والظاهر ان المراد به الايمان الكامل وعليه جميع اهل السنة
خلافا للمعتزلة حيث قالوا كما ذكر في الكشاف ان الايمان
الصحيح هو ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه
بعمله كذا عند الخوارج الا ان المعتزلي يقول مرتكب الكبيرة
يخرج عن الايمان ولا يدخل في الكفر والخارجي يحكم بكفره فاذا كان
الامر كذلك فلا وجه لاسناد ما قال على ابي انه كذا عند
الشافعي واتباعه على ما ذكره بعض الشراح من اشياعه

والا

قالا فيلزم منه انه خالف اهل السنة وتابع اهل البدعة
وليس كذلك لانه لم يقل بالتفريع الذي ذكره الخوارج و
المعتزلة وبطلان ما ذكروه ظاهر اذ حيث جا في الكتب
والسنة عطف العمل على الايمان فيدل على مغايرته
للعمل بالاركان ومما يدل على بطلان ما ذهبوا اليه
انه لو اسلم شخص ولم يلحق تكليف عمل ومات
فهو مؤمن عند الله اجماعا وان ابا حنيفة واتباعه
انكروا قبول الايمان للزيادة والنقصان ووافقه
امام الحرمين من الاشاعرة وجوزهما اخرون قال
المص وهذا مذهب السلف والمحدثين قال الفخر
الرازي وغيره الخلاف مبني على ان الطاعة اذا اخذت
في مفهومه قبلهما والا فلا لان الايمان اسم للتصديق
قال المصنف — الجازم مع الاذعان وهذا لا يتغير بضم طاعة
ولا معصية اليه ثم قال المحققون من اصحابنا
المتكلمين ان نفس التصديق لا يقبلهما والايمان
الشرعي يقبلهما بزيادة ثمراته وهي الاعمال و
نقصها قالوا وفي هذا توفيق بين ظواهر
النصوص التي جاءت بالزيادة وبين المعنى المفهوم
من اللغة قال وهذا الذي قاله هولاء وان كان
ظاهرا حسنا فالاظهر والله اعلم ان نفس التصديق
يزيد لقوة النظر ولظاهر الادلة ولهذا يكون

ايمان التصديقيين اقوي من ايمان غيرهم
بحيث لا يعتبر بهم الشبه ولا يتزلزل ايمانهم
بعارض ولا يشك عاقل في ان تصديق ابي
بكر لا يساويه تصديق احاد الناس اقول
ثم اعلم ان المراد بالاركان الاتيان بالاوامر المفروضة
والانتهاء عن الزواجر المحرمة ولغرب شارح في
تفسير الاركان بالاعضا السبعة وهي العين و
اللسان والاذن واليد والبطن والفرج والرجل
واذا كان الايمان التصديق علي وجه التحقيق
فلا يقبل الزيادة والنقصان الا باعتبار ثمراته من
الاعمال او مراتب ظهوره وانكشاف نوره في صدور
ارباب الاحوال اذ التصديق عند اهل التحقيق
اذعان النفس وقبولها ما يجب قبوله عليها
وهو تقليدي وتحقيقي والتحقيقي اما استدلالي
او ذوقي والذوقي اما كشفي واقف علي حد
العلم او عيني غير واقف عليه والعيني اما
مشاهدة او شهود والاول هو اعتقاد الجازم
المطابق الممتنع الزوال وهو اول ما لا بد منه
في صحة العمل بالاركان والثاني الاعتقاد الجازم المطابق
الزوال الثابت بالبرهان والثالث الممتنع الزوال
الثابت بالوجدان والثلاثة مراتب الايمان و

الاجزان

47

والاخير ان علم اليقين والرابع هو المشاهدة الروحانية
مع بقا الاثنينية ويسمى عين اليقين والخامس
هو الشهود الحقاني عند تجلي الوحدة الذاتية
وزوال الاثنينية ويسمى حق اليقين ومحل الكلام
في مقام المرام ان الايمان العوام هو التصديق بالجنان
والاقرار باللسان وايمان الخواص عزوف النفس
عن الدنيا وسلوك طريق العقبى وشهود القلب
مع المولى وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر
والباطن في طاعة الله وابانة الخلق الى الفنا في الله
واخلا السر للبقا في الله واما قول المص في شرحه لمسلم
اتفق اهل السنة من المحدثين والفقها والمتكلمين
على ان من امن بقلبه ولم ينطق بلسانه مع قدرته
كان مخلدا في النار معترض على ما قاله ابن حجر بانه
لا اجماع على ذلك وبان لكل من الايمة الاربعة قولا
انه مومن عاص بترك التلفظ بل الذي عليه جمهور
الاشاعرة وبعض محققي الحنفية كما ذكره المحقق
الكمال ابن الهمام وغيره من علما الانام ان الاقرار
باللسان انما هو شرط لاجرا احكام الدنيا فحسب
اقول واذا كان الامر كذلك فينبغي ان يحمل كلام
النووي على امتناع اقرار مع قدرته وفقد
مطالبته ولذا اجمعوا على كفر ابي طالب حيث

طالبه صلي الله عليه وسلم بالاقرار ولم يعترف خوفا
من الملامة والعار مع انه كان عارفا بحقيقة نبوته عليه
السلام لما راي من اثار الانوار وثبوت دار القرار باستدلاله
العقلي حيث قال لا بد من دار اخري لجزا الخلق
والتمييز بين الفجار والابرار اذ الامر منعكس
في هذه الدار حيث اكثر الابرار في المحنة وجمهور
الكفار في النعمة والحاصل ان امتناعه عند مطالبته
مع وجود قدرته مبطل لمعرفته كما لو سجد لصنم
باختياره او استخف بنبي او بالكعبة او بري
القران في القاذورات ونحو ذلك من المكفرات فانه
يحكم بارتداده وبطلان اعتقاده لذلك ولا يفيده
تصديقه القلبي هنالك اذا انقلب ايمانه كفرا ولا
يبعد ان يقال الاقرار حينئذ صار شرطا فيكون
ذا وجهين كما قال اصحابنا في الاحرام انه من وجه
شرط ومن وجه ركن وبه يجمع بين الاقوال المختلفة
والله اعلم وايضا لو لم يعتبر ما قاله المص لزم ان
يكون بعض اليهود والنصارى مومنا عند الله وهو
خلاف الاجماع قال تعالى فلما جاهم ما عرفوا كفروا به
اي ما اقروا بنبوته فلم ينفعهم الايمان بالله وحده
هذا وقد اتفق اهل الحق وهم الاشاعرة والحنفية
علي انه لا عبرة بايمان بلا اسلام وعكسه اذ لا ينفك

احدهما

احد هما عن الاخر في الشريعة وان كانا متغايرين
في اصل اللغة فعلم انه باختلال احد من الامرين ينتفي
لازم الايمان في الدارين لكن الحنفية اشد مبالغة
في رعاية الملة الحنفية ومن ثم كفروا باقوال وافعال
كثيرة نظرا منهم الى انها تدل على الاستخفاف بالشريعة
كتعمد صلاة بلا وضوئها ودوام ترك سنة استخفافا
بها واستقباح سنة كتحنيك العمامة وهو جعل
طرفها تحت حلقه وامثالها حتى روي ان ابا يوسف
رحمه الله ذكر في مجلس انه صلى الله عليه وسلم كان
يحب الدبا فعارضه بعض الجهلا بقوله انا ما احب الدبا
فسل له السيف وقال جدد ايمانك والا قتلتك **وملا** يكنه
جمع ملك على غير قياس والتا لتانيث الجماعة وهم اجسام
لطيفة نورانية مبراة من كدورات نفسانية وظلمات
حيوانية مقتدرة على تشكلات مختلفة معصومون
من المخالفة منهم وسايط بين الله وبين انبيايه
المبعوثين الى الخليقة ولكل مقام معلوم ومرام
مقسوم وفي حديث مسلم عن عايشة رضي الله
عنها مرفوعا خلقت الملايكة من نور وخلقت
الجن من مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم **وكتبه**
اي ما انزل على ساير انبيايه اما مكتوبا في الالواح
او مسموعا من وراء حجاب او من ملك مشاهدا و

هانف وذلك بان يعلم ان كلها وحي من الله مشتمل
علي احكامه واخباره واعلامه ويعتقد ان القران
كلام الله غير مخلوق بل ازلي قديم قايم بذاته منزه
عن حرف وصوت وحدوث شي في صفاته وهو
المكتوب في مصاحفنا المحفوظ في صدورنا المقروء
بالسنتنا قال الزمخشري وغيره وهي مايه كتاب
واربعة منها خمسون علي شيث وثلاثون علي ادريس
وعشرة علي ادم وعشرة علي ابراهيم والتوراه والانجيل
والزبور والفرقان ورسله بان يعرف انهم بلغوا ما
انزل اليهم وقاموا بما اوجب عليهم وانهم معصومون
عن الكباير والصغاير عمدا الا سهوا وخطا بشرط التذكر
في الحال او التنبيه عليه بحسن المقال وهذا الترتيب
في التعريف مما تقتضيه حكمة عالم الوسايط والتكليف
والاختصاص لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب
ولا نبي موسل معلوم لنبينا صلي الله عليه وسلم اذ فيه
اشارة الي تمكينه في وقت كشوف المشاهدة و
استغراقه في لجة بحر الوحدة حيث لا يبقي فيه
اثر البشرية ولا تصور الاثنينية الا انه سبحانه
كان يرده في بعض الاوقات من هذه النسبة الي النظر
في تربية اصحابه العلية وترتيب مراتب احوال
امته المرضية ليجري عليه احكام التلوين في مقام

جبر

بعد تحققه في مقام التمكين وليلا يذوب في نيران
كبريا الازل او يغرق في بحر الفنا ومقام حق اليقين
ومن هنا كان يقول لعايشة احيانا كلميني يا حميرا بلغ مقابلة
واليوم الاخر اي يوم القيامة لانه اخر ايام الدنيا
ولانه لا ليل بعده ولا نهار اي ويومن بوجود الابد
الدايم الذي لا ينقطع وبما فيه من حشر الاشباح
مع الارواح والمحاسبة والمجازاة ومواقفه من الصراط
والميزان ودخول الجنة ودرجاتها والنار ودركاتها
وفي رواية والبعث الاخر فكان البعث الاول هو الخلق
بعد العدم وتومن بالقدر بفتحتين مصدر قدر
وقد يسكن داله وهو ما اقتضاه الله وحكم به من
الامور كذا في شرح جامع الاصول واعاد العامل
اما لبعد العهد كقول الشاعر
اذا علم اليحيى اليماني انني اذا قلت اما بعد اني خطيبها
او لشرف قدره وتفاقم امره لانه مجار الافهام ومنزل
الاقدام فلهذا اهتم بشانه ثم عزز بالابدال بقوله
خيره وشره اي حلوه ومره وفي رواية لمسلم و
بالقدر كله وليس تومن في اصل ابن حجر من شرحه
فهو ساقط من الكتاب او من صاحب الكتاب ويويده
التاني تكلمه في هذا الباب والله اعلم بالصواب عدم م
قال المولف سعناه تعتقد ان الله تعالى

قدر الخير والشر قبل خلق الخلق وان جميع الكائنات
بقضا الله تعالى وقدرته قال تعالى ولا يرضى لعباده
الكفر والارادة لا تستلزم الرضا وقد قال سبحانه انا
كل شي خلقناه بقدر وروي في الخبر كل شي بقدر حتى العجز
والكيس واجمع السلف والخلف على صحة قول ما شا الله
كان وما لم يشا لم يكن لانه سبحانه اعظم من ان يقع
في ملكه ما لا يشا ويشا ما لا يكون من الاشيا وقد
قيل قدر الخير والشر والمخالفات وهي اكثر وقوعا
من الطاعات لكان اكثر ما يجري في الوجود على
خلاف مراد المعبود وذلك امر لا يرضاه امير
بلدة ولا زعيم قرية وقال الغزالي كيف يكون الحيوان
مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت
والنحل ونحوها من لطايف الصناعات ما يتحير
فيه عقول ذوي الالباب فكيف هي انفردت هي
باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل
ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات
دلت المخلوقات على خالق المصنوعات انتهى والايمان
بالقدر هو التصديق بان ما قدر الله في ازله لابد
من وقوعه وما لم يقدره مستحيل وقوعه فكل
حادث في العالم فعله وخلقه واختراعه لا خالق
سواه ولا محدث الا اياه خلق الخلق وصنعهم واوجد

فقدرهم

50

قدرتهم وحركتهم قال تعالي خالق كل شي والله
خلقكم وما تعملون وما تشاون الا ان يشا الله وفي
صحيح مسلم عن عمران بن حصين مرفوعا قال
كان الله ولم يكن قبلت في الذكر كل شي ثم خلق الله
السموات والارض ثم ان الله خلق الخلق علي ما علم
منهم وعلي ما قدره عليهم قال تعالي انا كل شي
خلقناه بقدر اي بحسب ما قدرنا قبل ان نخلقه
وعن انس مرفوعا من لم يرض بقضاي فليطلب
ربا سواي ثم القضا هو الحكم بنظام جميع الموجودات
علي ترتيب خاص في ام الكتاب اولا ثم في اللوح المحفوظ
ثانيا علي سبيل الاجمال واما القدر فهو تعلق الارادة
بالاشيا في اوقاتها وهو تفصيل قضايه السابق
بايجادها في المواد الجزيية المسماة بلوح المحو و
الاثبات كما يسمي الكتاب بلوح القضا واللوح المحفوظ
بلوح القدر في وجه هذا تحقيق كلام القاضي البيضاوي
وذكر القدر دون القضا من باب الاكتفا
او لكون الايمان بالقدر مستلزما للايمان بالقضا
ولعل الاوجه ان يقال انما اختار لفظ القدر لقوله
تعالي انا كل شي خلقناه بقدر وقوله وكان امر
الله قدرا مقدورا وذكر الراغب ان القدر هو
التقدير والقضا هو التفصيل فهو اخص وقد

قال ابو عبيدة لعمر رضي الله عنهما حين اراد ان لا يدخل
في الشام وقت الطاعون انفر من القضا فقال افر
من قضا الله تعالى الى قدره اي القدر رما لم يكن قضا
مرجوا ان يدفعه الله كاذا قضي فلا وقيل القدر
التقدير والقضا الخلق قال الجزري في النهاية القضا
والقدر امران متلازمان لا ينفك احدهما عن الاخر
لان احدهما بمنزلة الاساس والاخر بمنزلة البنا و
قال بعضهم مثل هذا بان القدر ما اعد للبس والقضا
بمنزلة اللبس ويويده ما ذكره الحكيم الترمذي انه كان
في الابد وعلم ثم ذكر ثم مشية ثم تدبير ثم اثبات في اللوح
ثم ارادة ثم قضا فاذا قال كن فكان على المصيبة التي علم
ثم فذكر ثم شا فدبر ثم قدر ثم اثبت ثم قضا فعلمنا
انه ما من شي حيث استقام في العلم الازلي الى ان استقر
في اللوح ثم استثبات في عالم الوجود الا ينفلق به امر
من الله قال بعض العارفين ان القدر كتقدير النقاش
الصورة في ذهنه والقضا كرسمه تلك الصورة للتلميذ
بالاسرب ووضع التلميذ الصبغ عليها متبعا لرسم الاستاد
هو الكسب والاختيار الجزئي وهو في اختياره لا يخرج
عن رسم الاستاد كذلك العبد في اختياره لا يمكنه الخروج
عن القضا والقدر لكنه متردد بينهما فتدبر لتعلم
ان كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل لا يسال عما

بيهن التهويم

تقدير ثم

يفعل

51

يفعل وهم يسألون وهو اعلم باحوال خلقه منهم قال
تعالى هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة
في بطون امهاتكم وقال عز وجل هو الذي خلقكم
فمنكم كافر ومنكم مومن اذ لا يكفر احد بخلقه
لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله كالمعنى فمنكم من هو مؤمن في
علمه كما في حديث خلقت هولا للجنة ولا ابالي وخلقت
هولا للنار ولا ابالي ومن ثم قال بعض العلما يجب
السكوت عن كيف في صفاته وعن لم في افعاله ثم
اعلم ان الايمان بالقدر على قسمين احدهما الايمان
بانه استولى علمه بفعل عبيده من خير وشر
وما يجازون عليه وانه كتب ذلك عنده وامضاه
وان اعمال العباد يجري على ما سبق في علمه وكتابه
وثانيهما انه تعالى خلق افعال عباده كلها من
خير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية
وهذا القسم ينكره القدرية والاول لا ينكره منهم
الا قليلون وكفرتهم بانكاره كثيرون ومحل الخلاف
حيث لم ينكروا العلم القديم والا كفروا كما نص
عليه الشافعي واحمد وغيرهما ثم الخير ما يصلح
به حال الرجل او ما يرغب فيه الكل والشر خلافه
وكل منهما اما مطلق لم يزل مرغوبا فيه كالعلم

كافر في علمه ومنكم من هو مومن

اوعنه كالجهل اومفيد يكون بالنسبة الي احد خير
والي اخر شر اكالمال وكما ان الخير ض بان اخروية
وهي النجاة عن العقوبة ودخول الجنة ثم مشاهدة
الجمال الاحدية ومطالعة الجلال الصمدية ودنيوية
وهي اربعة نفسانية وهي الايمان والعرفان
وحسن الخلق والحكمة والعفة والشجاعة والعدالة
وجسمانية وهي الصحة وحسن الصورة وطول
العمر والعبادة وخارجية وهي المال والجاه والاهل
والنسب كذلك الشر علي هذه الرتب ثم اعلم
بان الايمان بالقدر يستلزم العلم بتوحيد ذات
الحق لان اتيان المقدورات واحكامها المختلفة
علي ما هو في ازمنة وامكنة مخصوصة يدل
علي توحد الحكم بتقديرها المنتهي لتوحيد
المقدر لها ويستلزم ايضا العلم بصفاته كسعة
علمه ورحمته علي العالمين واثار قدرته وانوار
حكمته للمخلوقين ونفوذ قضايه فيهم مطيعين
او مكرهين والعلم بكمال صنعه وافعاله العلية
وان الحوادث مسندة الي الاسباب الالهية فيعلم
ان الحذر لا يقطع القدر وقال بعض العارفين
ان الله قدر وجود الكاينات بمظاهر تجلي
الاسما والصفات فلكل ذرة من الذرات لساني

ملكوتي

ملكوتي ناطق بالتسبيح والتحميد والتهليل و
التمجيد تنزيها لله وحمدا لمعلي ما اولاه من
مظهريتها للصفات الجمالية والنعوت الجلالية
فالاشيا كلها مظاهر لاسما الله وصفاته دون
ذاته فانه لا يسعها الا قلب المومن المنور بتجلياته
ففي الكلام الانسي والحديث القدسي لا يسعني
ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي
المومن ولذا قيل القلب عرش الرب وقال ابو
يزيد قدس الله سره لو وقع العالم الف الف مرة
في زاوية من زوايا قلب العارف ما احس ولعل
من هنا قيل ان الانسان هو العالم الاكبر فتدبر
ولا ينظر بعين الحقارة الي الاكبر والاصغر وقد
كتب الحسن البصري الي الحسن بن علي من لم وقد ره
يومن بقضا الله وخيره وشره فقد كفر فنسال
الله العافية ومن حمل ذنبه علي ربه فقد فجر
وان الله تعالي لا يطاع استكراها ولا يعصي
بغلبة لانه تعالي مالك لما ملكهم والقادر علي ما اقدرهم
عليه فان عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا
وان عملوا بالمعصية لم يحل بينهم وبين ما عملوا وان
عملوا بمعصية فلو شا لحال بينهم وبين ما عملوا
فانه لم يفعل فليس هو الذي جبرهم علي ذلك ولو

جبر الله تعالى الخلق على الطاعة لا سقط عنهم
الثواب ولو اجبرهم على المعصية لاسقط عنهم
العقاب ولو اهملهم كان ذلك عجزا في القدرة ولكن
له فيهم المشية التي غيبها عنهم فان عملوا بالطاعة
فله المنة عليهم وان عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم
والسلام قال صدقت قيل يوخذ من هذا الحديث
تكفير القدرية بانكار القدر لانه جعل الايمان
به من جملة اركان الدين التي يكفر منكر واحد منها
ويشهد له تبريه ابن عمر منهم وخبر القدرية مجوس
هذه الامة والاشبه عدم كفرهم لتعارض شبه
عندهم فلهم نوع عذر ما شي والمختار الذي عليه
جمهور المتكلمين والفقها من اتباع المجتهدين
انه لا يكفر احد من المخالفين الا بارتكاب ما كان
من ضروريات الدين كنفي العالم وحشر الاجساد
في المعاد وعلمه تعالى بالجزئيات والكليات بخلاف
ما اذا لم يكن من ضرورياته كقول المعتزلة ان الشر
غير مراد له سبحانه وان القران مخلوق وامثاله
الا اذا اريد بالمخلوق المختلق فان قايله حينيذ
يكفر بلا خلاف وذلك التفصيل لان الجهل به تعالى
من بعض الوجوه ليس بكفر هذا واعلم ان
الايمان لا يشترط فيه الاستدلال والبرهان

53

بل يكفي اعتقاد جازم في ذلك العرفان اذ المختار
الذي عليه السلف والايمة الاربعة واتباعهم من الخلف
صحة ايمان المقلد واما نقل المنع الصحة عن الاشعري
امام السنة فكذب عليه كما قاله الاستاذ ابو القاسم
القشيري وايضا فتح الصحابة رضي الله عنهم
اكثر العجم قبلوا الايمان عوامهم كاجلاف العرب في اقوامهم
وان كان بعضهم تحت السيف او اسلم تبعا لغيره
ولم يامروا احدا اسلم بترديد نظره ولم يسالوه
عن دليل تصديقه واما خلاف الباقلاني والاسفرايني
وابي المعالي فمبني على المنافقة لما ابتدعه المعتزلة
ومن الهذيان انه يشترط لصحة الايمان ما لم يعرفه
هولاء الاعيان وهم اعلم من فهموا عن الله واخذوا
عن رسوله واتبعوا سنته وطريقته وبلغوا شريعته
واما البراهين التي حررها المتكلمون ورتبها الجدليون
فانما احدثها المتاخرون ولم يخوضوا في شيء منها السلف
الصالحون ومن ثم اختار الغزالي وغيره ان الذين لا اهلية
فيهم لفهمها منهم لا يخوضون فيها اي يحرم ذلك
عليهم مخافة ان يقعوا في شبهة لا يمكن ازالتها عنهم
ولذا قال الشافعي لان يلقى الله بجميع المعاصي ما
عدا الكفر اهون علي من ان يلقاه بشيء من علم الكلام
وهذا امر انه يقال ان يري مقلد في الايمان بالله سبحانه

لانا نجد كلام العوام محشوا بالاستدلال في مقام
المرام واما ما نقل بعضهم من ان الاجماع علي تاثيم
المقلد بترك الاستدلال محمول علي الاستدلال
بالايات المنصوبة في الافاق والانفس واختلاف
الاحوال التي هي ظاهرة عند ارباب الكمال بل واضحة
عند الكفار والجهال اما تري قوله تعالي ولين سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله وقالت
رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض ثم اعلم
ان جمعا من الحنفية ذهبوا الي ان الايمان غير مخلوق
وبالغ جمع منهم فكفر من قال بخلقه ولعله مبني علي
ان التصديق لم يحصل الا بالتوفيق او بما اثبت
الله في مقام التحقيق كما قال تعالي اوليك كتب في
قلوبهم الايمان وانما ينسب الي العبد انتسابا
مجازيا حيث دخل تحت كسبه مما يسمي اختيارا
جزييا فيكون نظير قوله تعالي وما رميت اذ
رميت ولكن الله رمي فالايمان من حيث انه فعل
الله غير مخلوق بل هو فضل وهبي ومن حيث
انه دخل تحت اكتساب قلب العبد فهو امر
كسبي وهذا قريب من اصطلاحات الصوفية
في مقام الجمع والتفرقة وهذا القول ما انفرد به هذا
ابو حنيفة من السلف الصالحين بل نقله

الاشعري عن احمد وجماعة من المحدثين ومال
اليه لكن وجهه بان المراد حينئذ ما دل عليه وصفه
تعالى بالمومن فان ايمانه هو تصديقه في الازل
بكلامه القديم بوجود وحدانيته وليس تصديقه
هذا محدثا ولا مخلوقا تعالى ان يتقوم به حادث
بخلاف تصديقه لرسله باظهار المعجزه فانه من
صفات الافعال وهي حادثة عند الاشاعرة قديمة
عند الماتريدية انتهى ولا يخفى بعده عن قصد
هذا المعنى لان ما دل عليه وصفه تعالى بالمومن
فهو غير مخلوق قطعا ثم الايمان باق حكما شرعيا
مع النوم والغفلة والاغما والجنون وغلبة الحال
ونظير ذلك بقا حكم النكاح ونحوه من العقود في
هذه الاحوال هذا وقد منع جماعة من العلما
الاعلام ومنهم ابو حنيفة واصحابه الكرام ان لا يقول
احد انا مومن ان شا الله واجازه كثيرون قال السبكي
وهم اكثر السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم
من الشافعية والمالكية والحنابلة ومن المتكلمين
الاشاعرة وهو قول سفيان الثوري وقال المص في
شرح مسلم عن اكثر المتكلمين ان لا يقول انا مومن اصحابنا
مقتصرا عليه بل يضم اليه ان شا الله وعن الاوزاعي
وغيره التخيير وهو حسن اذ من اطلق نظر

اي انه جازم في الحال ومن قال ان شا الله اما للتبرك
او للجهل بخاتمة الاعمال قال ابن حجر ووجه جوازه
انه ليس القصد بالاستثنا فيه الا التبرك اتباعا
لقوله تعالي ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا
الا ان يشا الله فانه يعم طلب الاستثنا حتي في
قطع الوصول وقد صرح به فيه في لتدخلن المسجد
الحرام ان شا الله امنين مع ان خبره تعالي قطعي
التصديق تعليما لعباده في صرف الامور كلها الي
مشيته انتهي ولا يخفي انه خلط بين الاستثنا
بالتعلق المستفاد من الاية الاولي عن قصد فعله
او وعده بقوله في زمن الاستقبال وهو مما لا يخالف
فيه احد من ارباب الكمال وبين الاستثنا للتبرك الذي
يقال في قطع الحصول كما في الاية الثانية ايمانا بانه لا يجب
عليه شي من الافعال وانما الكلام فيما يكون ذا وجهين
محقق في الحال ومحتمل للزوال في الاستقبال وان الاولي
ماذا من الافعال والظاهر انه لا يستثني ليكون
الجواب علي طبق السوال اذ للسايل ما قصد بسواله
الا اتصافه بالايمان في زمان الحال اذ من المعلوم ان
احدا لم يطلع علي المال وكذا لا يحسن الاستثنا عرفا
في قطع الوقوع اصلا لانه اذا سيل انت مكي او مدني
او جايع او عاطش او شاب او طويل لا يقال ان شا

الله

الله وكذا اذا سيل ان الرب واحد او محمد نبي فلا يقال
نعم ان شاء الله لانه يحصل التردد في تصديقه والشك
في تحقيقه ولذا قيل في توجيه منعه انه تركه ابعد عن
التهمة بعد الجزم في الحال وبتقدير انه قصد غير التعليق
فربما اعتادت نفسه التردد في الايمان لكثرة اشعار
النفس بواسطة الاستثنا بتردده في ثبوت
الايمان واستمراره انتهى واجاب عنه ابن حجر بما لا طايل
تحته فتدبر ولعل ما صدر من الاستثنا عن بعض السلف
مبني علي كثرة خوفه ان لا يكون داخلا في المنافقين
حيث قال تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم
الاخر وما هم بمومنين ومن ثم قال البخاري عن ابن ابي
مليكة ادركت ثلاثين صحابيا كلهم يخاف النفاق على
نفسه ما منهم من احد يقول ان ايمانه علي ايمان جبريل
وميكاييل لان ايمانهما مقطوع بهما لعصمتهما واما
غير المعصوم فهو غير جازم الا بحسب الظاهر لان
تحقق السابقة واللاحقة غير الاعند المطلع على
السراير ولذا لما سيل ابو يزيد انت احسن ام
ذنب الكلب فقال ان مت علي الايمان فهي احسن
منه والا فذنب الحيوان خير منها وعند الشافعية
خلاف غريب في الكافر فقال بعضهم يقال هو كافر
ولا يقال ان شاء الله ومنهم من يقول هو كافر ان شا

معلوم صح

٨

الله ولعلهم ممن يتبول هو كافر كان شكا لله **قال فاخبرني**
عن الاحسان اي في الاتيان باعمال الاركان او المراد به
اتيان الاسلام والايمان او الاخلاص لكانه غاية الاستحسان
حيث قيل الاخلاص تصفية العمل من طلب عوض وكسب
عرض وتخليصه من ريا وسمعة ولوط وعرض وابعد
ابن حجر حيث قال ان فيه للعهد الذهني المذكور في الايات
الكثيرة الا الاحسان انتهي ولا يخفي ان المراد بالحديث
المعني الخص من افراد الاحسان كما لا يخفي علي ارباب
العرفان وكما سياتي في جواب جبريل مايكون شاهداً به
كما فيا في ميدان البيان وذا لعلي انه اراد به مقام المشاهدة
والمراقبة علي التنزل في الامكان **قال ان تعبد الله**
كانك تراه يعني في غاية الخضوع ونهاية الخشوع
كما يقتضيه مقام الادب عند شهود الرب والمعني
حال كونك متشبها بمن ينظر الي الله ولم يلتفت الي ما
سواه فيكون كانيا عن نفسه باقيا ببقا مولاه وهذا
من جوامع الكلم لكان العبد اذا قام بين يدي سيده
معاينا له وهو حاضر ثم لم يترك شيا من تحسين عمله
في حد منه ما قدر عليه في حالته وهذا المعني موجود
في عبادة العبد مع عدم روية الله فينبغي ان يعمل
بمقتضاه **فان لم تكن تراه** اي مثل الروية المنعوتة
فانه يراك اي فكن بحيث انه يراك او فلا تغفل في

العمل

من القران نحو للذين احسنوا الحسنى وهل جزا الاحسان الا

56

العمل فانه يراك فنبه لحث علي الاخلاص في الاعمال
ومراقبة العبد ربه في جميع الاحوال قال الفتشيري
ولم لم تتم المراقبة الا بعد تحقق المحاسبة وقال بعض
العارفين الاول اشارة الي مقام المكاشفة ومعناه
اخلاص العبودية عن روية الغير المعبر عنها بالاشبنة
بعث ادراك القلب عيان جمال ذات الرب والثاني
الي مقام المراقبة في الجلال وحصول الحياس العلم
باطلاع ذي الجلال وهاتان الحالتان من ثمرة معرفة
الله وخشيته ولذا جا في خبر ان تخشي الله كانك تراه
فعبر بالخشية عن العمل مجازا عن المسبب باسم السبب
اذ حالة الخشية اعم من حالة العبادة فينبغي ان
يكون السالك دايما علي ذلك المنوال فانه مقام الكمال
ولا يبعد ان يقال معني تعبد الله تكون عبد الله في
جميع الاحوال بوصف الخشية في الحال والمال لتنال
احسن المنال وقد سيل ابن عطا ما افضل الطاعات
فقال مراقبة الله علي دوام الاوقات والحاصل
ان الخلق يراقبون ظاهرك والله رقيب باطنك هذا وليس
معناه فان لم تكن تعبد الله كانك تراه فاعبده كانه يراك
فانه خطا بين لايخفي علي ذوي الادراك واما ماتوهمه
بعض الصوفية من المعني فان لم تكن بان تكون فانيا
تراه باقيا فلا يساعده اثبات الالف في تراه مع عدم

ملاحظته بما بعده من قوله فانه يراك واما لم يقل
ههنا صدقت لان الاحسان هو الاخلاص وهو
سر من اسرار الله تعالى لا يطلع عليه ملك مقرب
ولا نبي مرسل كما جا في الحديث المتسلسل الرباني
الاخلاص سر من اسراري استودعته قلب من
احببت من عبادي كذا قيل وفيه بحث ظاهر
فالاولى ان يقال لانه سقط من بعض الرواة نسيانا
او اختصارا لانه في بعض الروايات صحيح مسلم
وشرح السنة مسطور واما ما وقع في شرح
ابن حجر هنا من قوله قال صدقت فلا يوجد في
اصل من الاصول المعتمدة ولا نسخة من الشروح
المعتبرة نعم رواه الترمذي في جامعه وفيه صدقت
في المواضع الثلاثة وقيل النكتة في تركه على الاصح
من الرواية انه لما صدقه في البعض علم وانصدقه
له في الباقي واما ما قيل من ان الحديث دلالة على
ان رويته تعالى في الدنيا ممكنة مردود عليه
كان كاف التشبيه في المبني يمنع عن ارادة هذا
المعنى واما تقرير ابن حجر قوله وتقييده بقوله
وامكانها في الدنيا عقلا هو الحق ففيه انه ليس
الكلام في الامكان العقلي والحديث الذي هو
المعتمد في الدليل النقلي يشير الى انه لا يمكن
في

في الدنيا بل انه مختص بحصته بالمومنين ثم جزا
هذا الاحسان الذي هو المشاهدة والمراقبة
ليس الا الاحسان في الجنة بالروية والزلفة
كما يشير اليه قوله تعالى هل جزا الاحسان الا الاحسان
قال فاخبرني عن الساعة اي عن قيام الساعة
كما صرح به في رواية مسلم اي وقت وقوع القيامة
وهي جزء من اجزا الازمنة عبر بها عنها وان طال زمنها
اعتبارا باول حالها لانها تقع بغتة او لسرعة حسابها
او على العكس لطولها وهذا باختلاف احوال
اهلها او لانها عند الحق كساعة عند الخلق وليس
المراد بها الساعة المتعارفة عند اهل الهيئة وهي جزء
من اربعة وعشرين جزءا من اجزا الليل والنهار ثم انها
كما تطلق على القيامة وهي الساعة الكبرى تطلق على
موت اهل القرن الواحد من المدن والقرى وتسمى الساعة
الوسطى كما في قوله صلى الله عليه وسلم حين سالوه
عن الساعة فاشار الى اصغرهم ان يعش هذا لا يدركه
الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم اذ المراد به انقراضهم
ولذا اضاف اليهم وعلى موت كل واحد وهي الساعة
الصغرى ومنه حديث من مات فقد قامت قيامته
ثم الساعة الكبرى قد يراد بها القيامة كما هنا وهي

بالنفخة الثانية وقد يراد بها النفخة الاولي كانها
ايضا تفتح بغتة في ساعة واحدة حتي من تناول
لقمة لا يقدر علي بلعها وهو المراد بقوله تعالي فهل
ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جاء اشراطها
قال ما المسيول عنها اي عن وقتها والعايد الي
اللام هو المستتر فيه اذ يقال سالت المسيلة عن
زيد وسالت عنها زيد اي ليس الذي سيل عن
الساعة باعلم من السايل اي يعنيها نفي ان يكون
صالحا لان يسال عنه في امر الساعة لانها من مفاتيح
الغيب لا يعلمها الا هو علي سبيل الكناية لما عرف
ان المسيول عنه يجب ان يكون اعلم من السايل فلا
يقال لا يلزم من نفي الاعلمية نفي اصل العلم عنها
مع انهما متساويان في عدم العلم بها ومساق الكلام
يقتضي ان يقول لست اعلم بعلم الساعة منك لكنه
عدل عنه ليفيد العموم لان المعني كل سايل ومسيول
متساويان في هذا الامر المجهول هذا خلاصة ما
حققه الطيبي فان قلت فلم سال جبريل عنها
مع علمه بان غيره تعالي لا يعلمها فالجواب انه لتنبيههم
بذلك علي انه ليس له الجواب عما لا علم له به في هذا
الباب وعلي عدم الاستنكاف من قوله لا ادري الذي

هو

58

هو وصف العلم فتم العلم علي الوجه الاحكم والله اعلم
وقد روي عن علي كرم الله وجهه وابردها علي كبدي
اذا سيلت عن مالا اعلم ان اقول لا اعلم وقال بعض
السلف اذا اخطا العالم فقال لا ادري فقد اصابت
مقالته وسيل النبي صلي الله عليه وسلم اي بقاع
الارض افضل فقال لا ادري حتي اسال جبريل
فقال ان الله عز وجل يخبرك ان خير بقاع الارض
المساجد وشر بقاعها الاسواق رواه البزار
وسال النبي صلي الله عليه وسلم جبريل عليه
السلام عن معني قوله تعالي خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال لا ادري
ثم ذهب فجاءه فقال ان الله يامرك ان تصل من
قطعك وتعطي من حرمك وتعفوا عن من
ظلمك وسيل مالك عن اربعين مسيلة فاجاب
في اربعة وقال في ست وثلاثين لا ادري قال
فاخبرني عن امارتها بفتح الهمزة اي علاماتها
ويقال امار بلا هاء لغتان لكن الرواية بالهاء قاله
المصنف وفي نسخة عن اماراتها فامردها واراد جنسها
اي علاماتها الدالة علي اقترابها قال ان تلد
الامة ربتها اي سيدتها او سيدها والتانيث
باعتبار النفس فيشمل بنتها وابنها وفي رواية

فمساله فقال لا ادري حتي اسيل الله ثم ذهب فاتاه جبريل عم

ربها اي سيدها وفي اخري بعلها بمعني ربها ومنه
قوله تعالي اتدعون بعلا والتذكير باعتبار الشخص
فيشمل جنس ولدها ولذا قيل والمعني مالكها ومولاها
لاجل انها سبب عتقها او مولاها بعد سيدها وعدم
تانيثها لاجل الادب مع الله سبحانه وهذا اشارة
الي قوة الاسلام والمسلمين واستيلايهم علي الكفرة
والمشركين فتكثر السراري حتي تلد السرية بنت
سيدها وهي في حكم سيدها وهي من علامات
القيامة لان بلوغ الغاية منذر بالانحطاط المؤذن
بقيام الساعة وقيل اشارة الي كثرة بيع السراري
لفساد الزمان وفسق اهلها حتي يستعبد المرء
امه جاهلا بها وقيل عبارة عن كثرة العقوق
واضاعة الحقوق فيعامل الولد امه معاملة السيد
امته من الاهانة والمهانة ويلايمه رواية ان تلد المراة
وخبر لا تقوم الساعة حتي يكون الولد غيظا والمال
فيضا او كناية عن كثرة بيع السراري حتي يتزوج الانسان
امه وهو لا يدري ويناسبه رواية بعلها بمعني زوجها
والتحقيق ماذكره الطيبي من انه اشارة الي ان
الاعزة تصير اذلة لان الام مربية للولد ومدبرة
لامره فاذا صار الولد ربا سيما اذا كان بنتا ينقلب
الامر كما ان القرينة الاتية تدل علي عكس هذه

الخضية

59

القصبة وهي ان الاذلة ينقلبون اعزة فيتلا بهم
المعطوفات انتهى ويويده ماورد من انه اذا ضيعت
الامانة ووسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة
قال المولف قوله ربتها اي سيدتها ومعناه ان يكثر
السراري حتى تلد الامة السرية بنتها لسيدها
وبنت السيد في معنى السيد وقيل يكثر بيع السراري
حتى تشتري المراة امها وتستعبد جاهلة
بانها امها وقيل غير ذلك وقد اوضحته في شرح
مسلم بدلايله وجميع طرقه وان ترى اي تبصر والخطاب
خطاب عام ليدل على بلوغ الخطب مبلغا لا يختص
به روية راد ون غيره الحفاة بضم الحاء جمع حاف وهو
من لا نعل في رجله العراة بضم اوله جمع عار وهو
من لا شيء على جسده كذا ذكره ابن حجر والظاهر
ان المراد بهم العراة العرفية وهم الذين ليس لهم ما
عدا ستر العورة العالة بتخفيف اللام اي الفقرا
واصله عولة بفتحتين جمع عايل من عال اي افتقر ومنه
قوله تعالى ووجدك عايلا فاغنى قال المظهر العالة
اي الفقرا ومعناه ان اسافل الناس يصيرون اهل
ثروة ظاهرة رعاء الشاء بكسر الرا بالالف الممدودة
جمع راع والشاء اسم جنس للشاة والمعنى حفاظ
الغنم وفي رواية لمسلم رعاء البهم بضم الموحدة جمع

قوله

بهمة بفتحها صغار الضان والمعز وفيه غاية التحقير
بحالهم وفي اخرى للبخاري رعاة الابل البهم بضم اوله
جمع بهيم بمعنى الاسود الصرف على انه نعت للمضاف
او المضاف اليه فان قيل القضية متحدة لا متعددة
فكيف الجمع بين الروايات المختلفة فالجواب انه صلى الله عليه
وسلم جمع بينها فنقل كل راو ما ثبت عنده حفظها او
حدث الاختلاف بسبب نقل المعنى عند نسيان المبنى
او بتداخل الروايات في المسندات **يتطاولون**
في البنيان يتفاضلون في رفعه ويتفاخرون في حسنه
وهو مفعول ثان ان جعلت الرؤية فعل البصيرة او حال
ان جعلتها فعل الباصرة والمعنى ان اهل البادية واشباههم
من اهل الفاقة تنبسط لهم الدنيا فيستوطنون البلاد
ويبنون القصور المرتفعة ويباهون العباد فهو اشارة
الى تغلب الارذال وتذلل ارباب الكمال وتولي الرياسة
من لا يستحقها ويتعاطى السياسة من لا يحسنها
وسنذكر صح من اشراط الساعة ان توضع الاخيار وترفع
الاشرار وصح ايضا في الاخبار لا تقوم حتى يكون اسعد
الناس بالدنيا لكع بن لكع اي لئيم بن لئيم وبالغ في روايته الساعة صح
في تحقيرهم بوصفهم بانهم صم بكم اي جهلة لا يسمعون
كلام الحق ولا يتكلمون بالصدق ولعل تخصيص الامارتين
من بين الامارات مع كثرة العلامات على ما ورد في الروايات

بخلاف

60

بعلا لتخطبها وبنا هذ شانهما وقرب وقوعهما ثم انطلق اي ذهب الرجل فلبثت اي مكثت وتوقفت لا ادري من الرجل مليا بفتح فكسر فتشديد تحتية اي وقتا طويلا وهو ثلاثة ايام كما في رواية ابي داود والترمذي وغيرهما انتهي وهذا مخالف لرواية ابي هريرة من انه صلي الله عليه وسلم ذكره في المجلس اللهم الا ان يقال ان عمر لم يحضر في الحال بل قام فاخبر الصحابة ثم اخبر عمر بعد ثلاثة ذكره في شرح مسلم علي ما نقله بعض الشراح وخبر ابي هريرة هو قوله فادبر الرجل فقال صلي الله عليه وسلم ردوه فاخذوا يردوه فلم يروا شيا فقال هذا جبريل الحديث وقال ابن حجر في رواية ابي داود والترمذي وغيرهما فلبث ثلاثا وظاهره انها ثلاث ليال انتهي وهو مخالف لما نقل عن شرح مسلم ثم انه جعل لبث في حديث الاربعين اصلا ثم قال وفي رواية فلبثت احبارا عن نفسه وهو مخالف لما عليه النسخ المصححة اذ كلها بلفظ المتكلم ثم رايت في شرح الفاكهاني قال الشيخ محيي الدين هكذا ضبطناه لبث اخره تاء من غيرنا وفي كثير من الاصول المحققة لبثت بزيادة تا المتكلم وكلاهما صحيح انتهي ولا يخفي انه يشير الي ان ضبطه مخالف لسائر الاصول في متن مسلم ولعله اعتمد

قال المولف قوله مليا هو بتشديد الياء اي زمانا كثيرا وكان ذلك ثلاثا هكذا جا مبينا في رواية ابي داو والترمذي هر

عليه
في اربعينه هذا ما اتفقوا عليه لانه اصح مبني
واوضح معني واما لبث بصيغة الماضي الغايب
فيحتاج الي تكلف بان يقال عنه الثقات او ضميره
الي جبريل او النبي صلي الله عليه وسلم والكل
بعيد فالاول هو النقل المسند بدثم قال اي النبي
صلي الله عليه وسلم يا عمر اتدروي من السايل
قلت الله ورسوله اعلم لان الامارات السابقة
والتعجب في الحالة اللاحقة اوقعه في التردد هو
بشرا ام ملك وهذا التقدير يكفي في الشركة علي ان
اسم التفضيل كثيرا يراد به اصل الفعل مع ما يقتضيه
مقام الادب من التفويض الي علم الله تعالي الي علم رسوله
ليتوصل به الي حقيقة سوله وحقيقة ماموله
فان ادب التلميذ اذا ساله استاذه عن شي
يعلم ان يقول في جوابه انتا اعلم فان سماع الحكم
من لسان لقمان احلي واحكم قال فانه جبريل
جزاء شرط مقدر اي اذا وكلتم العلم وفوضتم الامر
الي الله ورسوله ورعيتم الادب في جواب سوله
فان ذلك الرجل جبريل علي تاويل علي تاويل الاخبار
اي تفويضكم ذلك سبب الاخبار بانه جبريل
هنالك وقرينة المحذوف قوله الله ورسوله اعلم
فالفا فصيحة لانها تفصح عن شرط مقدر فتدبر

بلغ مقابلة

ووقف

ووقع في اصل ابن حجر قال هذا جبريل وهو مخالف
للاصول المعتمدة ومتون الشروح المعتبرة ومع كونه
ليس من الرواية لا وجه له من جهة الدراية ثم اعلم
ان جبريل بكسر الجيم والرا اشهر الروايات واكثر القرات
ومنها الفتح فتح الجيم وكسر الرا وسنها فتحهما مع زيادة
همزة بعدها وبدونها اتاكم جاكم فيكان ذلك قبل
موته عليه السلام بشهر يعلمكم دينكم وفي رواية
ابن حبان يعلمكم امر دينكم اي بتورا مرد بينكم بطريق
السوال والجواب ليتمكن في النفوس اشد التمكن
في مقام الصواب لان المحصول بعد الطلب اعز
من المنساق من غير التعب واشار الي ان الاسلام
والايمان والاحسان هو الدين الكامل من بين
الاديان هذا وجبريل ملك متوسط بين الله
ورسله ومن خواص الملك ان يتمثل البشر فيراه
جسما قاله البيضاوي وقال بعض المحققين والسر
في التوسط ان الحكمة تقتضي المناسبة بين
المتخاطبين كما اقتضت الحكمة توسط جبريل
ليتلقي الوحي بوجهه الذي في عالم القدرة
من الله سبحانه تلقيا روحانيا ومن اللوح
ويلقيه بوجهه الذي في عالم الحكمة الي صاحب
النبوة فربما ينزل الملك الي الصورة البشرية وربما

الي

يرتقي النبي صلي الله عليه وسلم الرتبة الملكية
ويتعري عن الكسوة البشرية فيرد وحي الربعلي القلب
في لبسة الجلال وابهة الكبريا وياخذ بمجامعه
فاذا سري عنه وجد المنزل يلقي في الروع كاني
المسموع وهذا معني قوله ياتيني مثل صلصلة
الجرس وهوا شد علي فيفصم عني وقد وعيت ماقال
واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول
رواه مسلم ورواه البخاري ايضا في كتاب الزكاة
لكن مع تغيير يسير لان ظاهر رواية البخاري انه
لم يعرفه الا في اخرة الامر وورد ماجا بي في صورة
لم اعرفها الا في هذه المرة وفي حديث صحيح
لابن حبان والذي نفسي بيده ما شبه علي منذ
اتاني قبل مرته هذه وما عرفته حتي ولي ثم لم
يخرج البخاري عن عمر فيه شيا وانما اخرج هو ومسلم
عن ابي هريرة نحوه فالحديث متفق عليه وكان
الاولي ان المص يذكر ما اتفقا عليه عن ابي هريرة
والله اعلم بقصده في هذا المبني وهذا الحديث
متفق علي موضع عظيم موقعه وجلالته وكاد ان
يكون مدار الاسلام عليه وهو حقيق بان يسمي
ام السنة كما سميت الفاتحة ام القران لتضمنها
جمل المعاني المندرجة في منفصل المباني ومن

62

ثم قيل لو لم يكن في هذه الاربعين بل في سنن
سيد المرسلين غيره لكان كافيا باحكام الشريعة
وشافيا لقواعد الطريقة والحقيقة والله اعلم
قال ابراهيم الخواص ليس العلم بكثرة الرواية
وانما العلم لمن اتبع العلم واستعمله واقتدا بالسنة
وان كان قليل العلم الحديث الثالث عن ابي
عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي
الله عنهما توفي بمكة وهو ابن اربع وثمانين بعد
ابن الزبير بثلاثة اشهر وقبره غير معروف
قال ابن سيرين كانوا يرون انه اعلم بالمناسك
بعد ابن عثمان وقال ابن اسحاق الهمداني كنا
عند ابن ابي ليلى في بيته تجاه ابو سلمة بن عبد
الرحمن فقال عمر كان عندكم افضل ام ابنه فقالوا
لا بل عمر فقال ابو سلمة ان عمر كان في زمانه له
نظرا وان ابن عمر كان في زمانه ليس له نظير
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم الف حديث
وستمائة وثلاثين حديثا كان واسع العلم كثير
الاتباع وافرا الصلاح كثيرا الزهد في الدنيا اعتزل
الفتنة فلم يقاتل مع علي ولا مع معاوية ورغم لما
بانت الفئة الباغية ندم على عدم قتاله
مع علي كرم الله وجهه قيل وذكر له الخلافة يوم

الناس ص

التحكيم فقال بشرط ان لا يجري محجم دم فروي عنه
عمرو ابن العاص لما راي انه لا يوليه شيا ان استخلف
ويكفي من مناقبه ما روته اخته حفصة ام المومنين
عنه صلي الله عليه وسلم انه قال ان عبد الله رجل
صالح لو انه يقوم الليل فلم يترك قيامه بعد وقال
جابر ما منا الا من نالت الدنيا ونالت منه الا عمر وابنه
واولع بالحج ايام الفتنة وبعدها فبلغ ستين حجة
واعتمر الف عمرة وحمل علي الف فارس في سبيل الله قال
نافع مولاه اعتق الف رقبة وازيد وكان ارقاوه يقبلون
علي الطاعة ويلازمون المسجد والعبادة ليعتقهم
فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله
انخدعنا له وروي ابن الزناد عن ابيه قال اجتمع
في الحجر مصعب وعروة وعبد الله بنو الزبير وعبد
الله ابن عمر فقالوا تمنوا فقال عبد الله بن الزبير
اما انا فاتمني الخلافة وقال عروة اما انا فاتمني
ان يوخذ عني العلم وقال مصعب اما انا فاتمني
امرة العراق والجمع بين عايشة بنت طلحة وسكينة
بنت الحسين وقال ابن عمر اما انا فاتمني المغفرة قال
فنالوا كلهم ما تمنوا ولعل ابن عمر قد غفر له وسبب
موته ان الحجاج سمه عليه حيث قال له ابن عمر
بعد ما اخر الصلاة جدا ان الشمس لا ينتظرك

فقال

فقال لقد هممت ان اضرب الذي فيه عيناك فقال له
عبد الله ان تفعل ذلك انك سفيه مسلط فتغير
عليه فامر رجلا فسم زج رمحه فزحمه في الطواف
ووضع الزج على قدمه فمرض اياما ولما دخل
الحجاج يعوده فسأله عن الفاعل فقال وما تصنع
به قال قتلني الله ان لم اقتله قال لست بفاعل
قال ولم قال لانك الذي امرته به وروي عنه انه قال
قتلني الذي امر بادخال السلاح الحرم ولم يكن يدخل
به واوصى ان يدفن في الحل فلم تنفذ هذه الوصية
لاجل الحجاج فدفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وقيل
بفخ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول جملة حالية بني الاسلام اي اسس الانقياد
للشريعة والاستسلام للحقيقة على خمس اي
خمس قوائم او دعائم وصرح به عبد الرزاق في روايته
او خصال او قواعد وفي بعض الروايات على خمسة
بالتاء وهي رواية لمسلم اي اركان او اشياء او اصول
ويقال انما حذف التاء لان اسماء العدد انما يكون تذكيرها
بالتاء وتانيثها بسقوط التاء اذا كان المميز مذكورا
اما اذا لم يذكر فيجوز فيها الامران كما صرح به النحاة
في قوله تعالى يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا اي عشرة ايام وكحديث من صام رمضان

واتبعه بست من شوال كان كمن صام الدهر
كله ففي الحديث يجوز من جهة النحو وجود الثا و
عدمها **شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده**
ورسوله بجر الشهادة مع ما بعدها على انه عطف
بيان او بدل الكل من الكل وهو الاحسن وقال الكازروني
هو الرواية ويجوز رفعه بتقدير مبتدا اي احدها
او بحذف خبر اي منها وهذا اولى لان المختار عند
تعارض حذف المبتدا والخبر عند النحاة حذف
الخبر قال الكافيجي ويجوز النصب بتقدير اعني قال
الحسن رضي الله عنه في مجمع شهود جنازة للفرزدق
ما اعددت لهذا المقام فقال شهادة ان لا اله الا الله
منذ كذا سنة فقال الحسن هذا العمود فاين الاطناب
فهو تمثيل شبه الاسلام بخيمة عمودها كلمة التوحيد
واطنابها الاعمال الصالحة وفي رواية للبخاري تعليقا
ايمان بالله ورسوله وهي اظهر في العودية اللهم الا ان
يقال المراد بالاسلام هو الايمان والخمسة اركان الاسلام
فيكون تشبيها للمعقول بالمحسوس لانه اوقع في
النفس فشبه بحالة خباء قيمت على خمسة اعمدة
وقطبها الذي يدور عليه بالاركان هو الشهادة و
بقيته مشعبة بمنزلة الاوتار فيكون الايمان مغايرا
الاركان كمغايرة الخباء للعمود والاوتاد **واقام الصلاة**

اصله اقوام فحذفت الواو لنقل حركتها الى ما قبلها وقلبها
واجتماع الساكنين عندها وعوض التاء عنها وتركت
تخفيفا عند المضاف اليه لقيامه مقامها واما ما
قيل من انه مصدر فغير صحيح وكذا ما ذكره ابن حجر
من ان حذفها للازدواج خارج عن المنهاج **وايتاء**
الزكاة اي اعطائها مستحقيها وتمليكها اياهم **وحج البيت**
بفتح الحاء وكسرها لغتان مصدران **وصوم رمضان**
هكذا رتبت العبادات كما في سائر الروايات وفي رواية
بتقديم الصوم على الحج وهو محمول على ان ابن عمر رضي
الله عنهما سمع الحديث مرتين فرواهما في وقتين او
روى بعض الرواة بالمعنى اذ الواو لمجرد الجمع في المعنى
والاخر رمضان فرض في شعبان في السنة الثانية
من الهجرة والحج سنة ست او تسع بالمثناة فوق
والظاهر ان المراد بهن جميع ما تعبد الناس في
ابدانهم واموالهم لان العبادة اما بدنية محضة كالصلاة
او مالية محضة كالزكاة او مركبة منهما كالحج او كالاخرين
لدخول التكفير بالمال فيهما واما عدم ذكر الجهاد لانه
غالبا فرض كفاية على العباد بل ذهب جماعة كثيرة الى
ان فرض الجهاد قد سقط بعد فتح مكة المشرفة
على ما صرح به القرطبي وذكر انه مذهب ابن عمر
والثوري وابن سيرين الا ان ينزل العدو بقوم من

العباد او يامر الامام بالجهاد والله اعلم ثم اعلم ان هذا فرض
الاسلام الكامل عند اهل السنة والجماعة ممن تركها
ولو كلها ما عدا الشهادة فعلي خلاف مر فيها فهو فاسق
علي ما ثبت عند الجمهور من الجمع بين ادلة الكتاب والسنة
وخالف احمد واخرون كاحمد وابطاهر خبر مسلم بين
الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة وحديث
من ترك صلاة متعمدا فقد كفر فكفر تاركها مطلقا
اي سوا استحل تركها وانكر فرضيتها ام لا وبالغ اسحاق
فقال عليه اجماع اهل العلم وقال غيره عليه جمهور اهل
الحديث واجرت طايفة ذلك في الاركان الثلاثة ايضا
وهو رواية عن احمد اختارها طايفة من اصحابه وبعض
المالكية ثم اعلم ان لكل من تلك الاركان احكاما ظاهرية
تبين تفاصيلها في الكتب الفقهية ولها انوار وحقايق
واسرار ودقايق ذكرها ارباب القلوب من الطايفة
الصوفية اما التوحيد فسيجي بعض بيانه في محل
اليق بشانه واما الصلاة فقد قيل كان لرسول الله
صلي الله عليه وسلم معراجان في عالم الحس وهو من
المسجد الحرام الي المسجد الاقصي الي عالم الملكوت
ومقام دني فتدلي فكان قاب قوسين او ادني ومعراج
في عالم الارواح والاسرار من الشهادة الي الغيب
ومن الغيب الي غيب الغيب وهكذا الي ان ينتهي

الي

65

الي نور الانوار وروح الاسرار فلما اراد صلي الله عليه
وسلم ان يرجع الي هذا العالم قال الرب تعالي المسافر
اذا عاد الي وطنه اتحف اصحابه وان تحفة امتك الصلاة
الجامعة بين المعراجين الجسماني بالافعال والروحاني
بالاذكار ولذا ورد الصلاة معراج المومن فالاركان
السبعة وهي القيامان والركوعان والسجودان و
القومة بين الركوع والسجدة علي مثال طباق السبع
والقعود للتشهد مطلع شمس الشهود ومنتهي سر
الوجود فاذا وصل الي ذلك المقام وانتهي الي عتبة الجلال
الملك العلام يقول التحيات لله باللسان والصلوات
بالاركان والطيبات بقوة الايمان فعند ذلك تتلاقي روحه
بروح محمد صلي الله عليه وسلم فيقول السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته فيجيبه بقوله علي لسانه
اظهار العلو شانه السلام علينا وعلي عباد الله الصالحين
فكانه قيل له في تلك الحالة بم نلت هذه المقامة فقال
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد
ان محمدا عبده ورسوله ثم اتحف محمدا بالصلاة عليه
ثم دعا الله وتضرع اليه ثم سلم علي الملايكة الكرام ومن
حضره من الخواص والعوام واما الصوم ففي الطريقة
هو الامساك عما حرم الله علي عباده والافطار عما اباح له
في حكمه وفي الحقيقة هو الامساك عن الاكوان والافطار

بمشاهدة الرحمن واما الزكاة فهي اشارة الي تزكية احوال
الظاهر والباطن بترك الاقوال وصرفها الي الاسباب
الوصال وتخلية القلب عن الاغيار وتخلية الخاطر لظهور
تجليات الانوار واما الحج فهو الاحرام بالخروج عن الرسوم
والعادات والتجرد عن المالوفات والتوجه الي الله بصفا
الطويات والوقوف بعرفات المعرفة والعكوف علي عتبة
جبل الرحمة والتقرب في المزدلفة الي مقام الزلفة ورمي
ما بين يديك من السوي في وصول المني وقطع تعلق
الخلق بالقص او الحلق ليحصل محو الاثار النفسية بموس
الانوار القدسية ثم الطواف بالخروج عن الاطوار
السبعية بالاشواط السبعية حول الكعبة الربوبية
والسعي بين صفا الصفات وسروة المروات وقس
عليه ساير المناسك ولله در القايل
يا من الي وجهه حجي ومعتمدي. ان حج قوم الي ترب واحجار
لبيك من قرب ومن بعد. سرا بسر واجهارا باجهار
رواه البخاري اي في الايمان والتفسير بلفظه ومسلم
اي في الايمان والحج مسلما وكذا رواه احمد والترمذي
والنسايي الحديث الرابع عن ابي عبد الرحمن عبد
الله بن مسعود رضي الله عنه هذلي اسلم قديما
بمكة روي انه قال رايتني سادس ستة ما علي وجه
الارض مسلم غيرنا هاجر الي الحبشة ثم الي المدينة

بلغ مقابلة

وشهد

وشهد بدرا والمشاهد كلها وشهد بيعة الرضوان وصلى
بالقبلتين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقربه ولا يحجبه وكان
ابن مسعود كثيرا يدخل عليه واذا قام يلبسه نعليه
واذا جلس ادخلها في ذراعيه وكان يمشي معه
وبين يديه ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام
وكان معروفا في الصحابة بانه صاحب سر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسواكه ووسادته و
طهوره في السفر وروي في بعض طرق حديث
العشرة المبشرة بالجنة انه احدهم وقال صلى الله
عليه وسلم في حقه رضيت لامتي ما رضي لها ابن ام
عبد وسخطت لها ما سخطه لها ابن ام عبد وقال من
احب ان يقرا القران غضا كما انزل فليقرا على قراءة ابن ام
عبد وكان رجلا قصيرا نحيفا يكاد قيامه يوازي
جلوس طوال الرجال وقد روي عن علي انه عليه السلام
امره يعني ابن مسعود ان يصعد شجرة فصعد فنظر
اصحابه الى حموشة ساقيه فضحكوا فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لرجل عبد الله في الميزان اثقل من
احد وقال فيه ابو موسى لا تسالوني ما دام هذا
الحبر فيكم ودخل عليه عثمن بن عفان في مرض موته
فقال ما تشتكي قال ذنوبي قال فما تشتهي قال المغفرة
قال الا امر لك بطبيب قال الطبيب امرضني قال

الحموشة الصغر كما في المختار

ما تركت لاولادك قال اني لا اخشى عليهم الفقر بعد
ان علمتهم سورة الواقعة يقروها كل ليلة توفي
بالمدينة سنة اثنين وثلاثين وهو ابن بضع و
ستين سنة ودفن بالبقيع روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثمانمائة حديث وثمانية واربعين
حديثا روي عنه الخلفا الاربعة وكثيرون من الصحابة
ومن بعدهم رضي الله عنهم قال حدثنا قيل
معناه انشا خبرا حادثا لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو الصادق اي في اقواله وافعاله و
احواله مع الحق المصدوق اي فيما ياتيه من الوحي
المطلق والجمع بينهما للتاكيد وقيل المصدق فيما وعده
سبحانه او المصدوق بمعنى المصدق والجملة اعتراضية
لا حالية لتعم الاحوال بالكلية ان يجمع خلقه بكسر
الهمزة على حكاية لفظه صلى الله عليه وسلم و
جزم به المص في شرح مسلم وجوز غيره فتحها
والخطاب لبني ادم والمعنى ان واحدا منكم في بطن
امه بصيغة المجهول اي يضم ويحرز مادة تخلقه وهو
ما يخلق هو منه اربعين يوما حال كونه نطفة
كما في نسخة صحيحة اي منيا سايلا في مدة الاربعين
مجتمعة او متفرقة وهو الاظهر اذ الجمع انما يكون بعد
التفرقة وذلك ان النطفة اذا وقعت في الرحم

احدكم صح

يجمع خلقه

في بطن امه

اي في رحمها صح

فاراد

لما اراد الله ان يخلق منها بشرا طارت في بشرة المراة
تحت كل ظفر وشعر يمكث اربعين ليلة ثم تنزل دما الى
في الرحم فذلك جمعها وقت كونها علقة وقد روي
ذلك عن ابن مسعود والصحابة اعلم الناس بتفسير
ما سمعوه واحق بتاويل ما نقلوه لجليس لمن بعدهم
ان يرد عليهم كذا حققه الطيبي وجا بتفسير الجمع بمعنى
اخر عند الطبراني وابن منده بسند صحيح على
شرط الترمذي والنسائي انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى اذا اراد خلق عبد فجامع الرجل
المراة طار ماوه في كل عرق وعضو منها فاذا كان يوم
السابع جمعه الله ثم احضره كل عرق له دون ادم
في اي صورة شا ركبه ويويد هذا المعنى قوله
عليه السلام لمن قال ولدت امراتي غلاما اسود
لعله نزعة عرق هذا والخلق في الاصل بمعنى التقدير
يستعمل في ايجاد الشي بمادة وغيرها فالايجاد
بالاسباب والمواد يتعلق بعالم الملك والشهادة وهو
مظهر الحكمة والايجاد بغيرها يتعلق بعالم الملكوت
والغيب وهو مظهر الامر والقدرة فالاشباح لما كانت
من عالم الخلق اقتضت المادة والمدة والارواح لما
كانت من عالم الامر لم يقتض شيا من تلك المدة
وهذا معنى قوله تعالى الا له الخلق والامر ثم كانت

الصوفية خصوصية الاربعين لموافقة تخمير طينة
ادم وميقات موسي عليهما السلام وذلك اختصاصها
بالكمال لتركبها من عشرة واربع ولكل خاصية في الكمال
اما الاول فلانها نهاية الاحاد من غير تكرار واما الثاني
فلانه قد استقر كل مستقيم البنيان علي اربعة اركان
كالطبايع والفصول الاربعة قال القرطبي وهذا الترتيب
العجيب وان خفيت علينا حكمته فقد لاحت لنا خفيته
وهو انه كذلك سبق في علمه وثبت في قضايه وحكمه والا
فمن الممكن ان يوجد انواع الانسان واصناف الحيوان
بل وجميع المخلوقات في اسرع من لحظة وايسر من النطق
بلفظة كيف لا وقد سمع السامعون انما قولنا لشي اذا
اردناه ان نقول له كن فيكون انحول ولعل حكمة التدريج
في عالمي الاصغر والاكبر نفي توهم القدم وثبوت تقدم
العدم والله اعلم وقال الخطابي الحكمة في تاخير كل منها
اربعين يوما ان يعتاده الرحم لانه لو خلق دفعة واحدة
لشق ذلك علي الام ويخاف عليها الغم وايضا فيه
اظهار اثار قدرة الله تعالى واشعار اكثار نعمته
علي عبيده ليعبدوه ويشكروا له علي جميل نعمه
وايضا فتقلبيه في هذه الاطوار المباينة تاكيد لامر
البعث لان من قدر عليه ابتدا يقدر علي اعادته
انتهى بل في الاعادة ادخل فيها واهون منها هذا

وفي

لاختصاصها بخاصية
لم ينكرها اهل الذوق كما
ورد في الاخبار من اخلص
لله اربعين صباحا ظهرت
ينابيع الحكمة من قلبه علي
لسانه صح

وهي بطن امه صفة متعلق بيجمع على انه ظرف مكان له وقوله اربعين يوما ظرف زمان له والعرب الكازروني فيما اعرب حيث كال في بطن امه صفة لخلقه او حال منه اي مادة خلقه الحاصلة في بطنه او حاصلة وقوله اربعين يوما ظرف لذلك المقدر مقدر ثم يكون اي عقب هذه الاربعين يصير خلقه علقة وهي قطعة دم جامد او طري وهو الاظهر وسمي بها لانها اذ ذاك تعلق بالرحم مثل ذلك اي مقدار الزمن الذي هنالك يعني اربعين يوما ونصبه على انه صفة لعلقة والاشارة الى خلقه والمعنى علقة مماثلة لخلقه في انها يكون اربعين يوما ثم يكون مضغة اي قطعة لحم قدر ما يمضغ كذا ذكره الشراح والظاهر انه قطعة لحم كانها ممضوغة مثل ذلك واما ما ذكره الفاكهاني على ما وقع في اصله ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك وفي شرحه بقوله الاول اشارة الى المحل الذي اجتمعت فيه النطفة وصارت علقة وذلك الثاني اشارة الى ان الزمان الذي هو الاربعون وكذا القول في قوله ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك فهو مبني على خلاف الاصول المعتمدة من متون هذه الاربعين ثم الظاهران في هذا الحديث وقع موقع الفاء اذ لا مهلة بين الاربعين واما قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة

ثم صح

الاية فقال البيضاوي واختلاف المواطف لتفاوت
الاستحالات انتهي وهو مدفوع بهذا الحديث كما لا يخفي
والتحقيق المرضي ما ذكره الرضي من ان الفاء تفيد الترتيب
بلا مهلة لا ينافيها كون الثاني المرتب يحصل تمامه
في زمان طويل اذا كان اول اجزايه متعقبا لما تقدم
كقوله تعالي ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا
النطفة علقة نظرا الي تمام صيرورتها علقة ثم قال
فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما نظرا الي
ابتدا كل طور ثم قال انشاناه خلقا اخر اما نظرا الي تمام
الطور الاخير واما لستبعاد مرتبة هذا الطور
الذي فيه كمال الانسانية عن الاطوار المتقدمة والله
سبحانه اعلم ثم اي في الطور الرابع حين يتكمل
اجزاوه وتتشكل اعضاوه يرسل اليه الملك بصيغة
المجهول وفي نسخة بغير اليه وفي اصل ابن حجر تبعا
للفاكهاني ثم يرسل الله الملك وهو مخالف للاصول
المحررة نعم ضبط في بعض النسخ بصيغة المعلوم
من غير ذكر الجلالة فيرجع الي هذه العبارة ماله
ولعله صحف عليه اليه ما الاله لديه والمراد الملك
الموكل بالرحم والمراد بالارسال امره بها والتصرف
فيها اذ ثبت في الصحيحين ان الله موكل بالرحم من
حين كان نطفة او ذلك ملك اخر غير ملك الحفظ

وغير

ويجئ النطفة بتراب قبره كما ورد في تفسير قوله تعالي
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ان الملك يأخذ من تراب
مدفنه فيبدده علي النطفة وكونه سلالة من طين جاء
مختلف الالوان والاخلاق حسب اختلاف اجزاء الطين
بل بحسب اختلاف المركبات من الطين فيه حرص
النملة والفارة وشهوة العصفور وغضب الفهد و
كبر النمر وبخل الكلب وشره الخنزير وحقد الحية وغير
ذلك من ذمايم الصفات وفيه شجاعة الاسد وسخاوة
الديك وقناعة البوم وحلم الجمل وتواضع الهرة ووفا
الكلب وبكور الغراب وهمة البازي ونحوها من محاسن
الاخلاق فان قلت قد ورد في صحيح مسلم برواية
حذيفة ابن اسيد لابن مسعود كما في المشارق
انه اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله
ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها و
عظامها ثم يقول يارب اذكر ام انثي ربك ماشا ثم
يكتب اجله ورزقه فعلم منه ان التصوير بعد
الاربعين الاولي وهو مناف لهذه الرواية الاولي
فالجواب ان لتصرف الملك اوقاتا احدها حين يكون
نطفة ثم ينقلب علقة وهو اول علم الملك بانه ولد
وذلك عقيب الاربعين الاولي وحينئذ يأمره
ربه بكتب رزقه واجله وعمله وخلقته وصورته

منتهي ص

ثم يتصرف فيه بتصويره وخلق اعضايه وذلك
في الاربعين الثالثة ثم ينفخ فيه الروح فالمراد بتصويرها
بعده انه يكتب ذلك ثم يفعله في وقت اخر لان التصوير
بعد الاربعين الاولي غير موجود عادة كذا في شرح
مسلم وقد استشكل بين الناس ان النطفة اذا
قدرت ذكرا تتصور بعد الاربعين الاولي بحيث
يبين ما هو منه كل شيء حتي المشهوة فيحمل رواية ابن
مسعود علي البنات او الغالب او باختلاف في خلق
العباد علي ما اراده ففي رواية لمسلم ان النطفة تقع
في الرحم اربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك وفي
اخري لمسلم ان ملكا موكلا بالرحم اذا اراد الله تعالي
ان يخلق شيا باذن الله تعالي لبضع واربعين ليلة
الحديث وفي رواية في الصحيح يدخل الملك علي
النطفة بعد ما تستقر في الرحم باربعين يوما
وفي اخري بخمس واربعين فيقول يا ربا شقي ام
سعيد وفي اخرى عند الشيخين ان الله تعالي
قد وكل بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب
علقة اي رب مضغة والمعني يقول وقت النطفة
يا رب هذه نطفة ونحو ذلك في البقية وفي رواية
في سندها السدي وهو مختلف في توثيقه عن
ابن مسعود وجماعة من الصحابة ان التصوير

الاولي ايضا

لا يكون

لا يكون قبل ثمانين يوما وبه اخذ طوائف من الفقها
وقالوا اقل ما يتبين فيه خلق الولد احد وثمانون
يوما لانه لا يكون مضغة الا في الاربعين الثالثة
ولا يتخلق قبل ان يكون مضغة **فينفخ** اي الله او
الملك **فيه الروح** اي بعد تكميل جسده وتصوير
شكله وفي نسخة بصيغة المجهول قال القاضي عياض
واقره الامام وغيره ظاهر الحديث ان الملك ينفخ الروح
في المضغة وليس مرادا بل انما ينفخ فيها بعد ان
يتشكل بشكل ابن ادم ويتصور بصورته كما قال
تعالى فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما
ثم انشاناه خلقا اخر اي بنفخ الروح فيه وقال
القاضي اتفق العلماء علي ان نفخ الروح لا يكون الا
بعد اربعة اشهر اي عقبها كما صرح به جماعة من العلما
وعن ابن عباس انما ينفخ بعد اربعة اشهر وعشرة
ايام واخذ به احمد قيل وهذا حكمة كون عدة الوفاة
اربعة اشهر وعشرا لانها الشروع في الخامس
من غير ظهور حمل يتبين برا[ء]تها منه والعشرة احتياطا طا
او ان الروح ينفخ فيها كما قاله ابن المسيب وتبعه
احمد فيما روي عن ابن عباس ثم اعلم ان ظاهر
ايات القران شاهد بان التصوير يكون من الله
تعالى وقد ورد في بعض الروايات اضافة ذلك

الى الملك الموكل على الرحم والحمل على ظاهر القران وقال
تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشا كذا ذكره
بعضهم والاولى ان الاضافة الى الله تعالى حقيقة والنسبة
الى الملك مجازية كما جمع بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس
وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت وهذا جمع لطيف يودي
الى جمع شريف مستفاد من قوله تعالى وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى وقد جمع بعضهم بين القران
والخبر بان الملك الموكل بالرحم من اعوان اسرافيل
وهو ناظر اليه واسرافيل ناظر الى الصور المنقوشة
في العرش كما ورد به الخبر ان الله تعالى يجعل لكل مخلوق
صورة مخصوصة في ساق العرش وتلك الصور
كائنة في علم الله تعالى الازلي فياخذ اسرافيل
الصورة المختصة بتلك الذرة ويلقيها الى الارحام
وملك الارحام يلقيها الى الجنين فيتصور بتلك الصورة
المختصة فحيث ما اضاف الى نفسه تعالى التصوير
فلانه هو المقدر المصور في الاصل حقيقة وحيث
ما اضيف الى الملك فلانه المباشر لها حسب ما راى
في صحيفة اسرافيل واما نفخ الملك في الصورة فبسبب
تخلق الله عنده فيها الروح والحياة وقد قال بعض
العارفين في الحديث الشريف معنى لطيف بلسان
الاشارة بعد بيان العبارة وهي انه اذا سقطت

من

من صلب ولايته رجل من رجال الحق نطفة ارادة في رحم قلب
مريد صادق يستسلم لتصرفات ولاية الشيخ اذ هي بمثابة
ملك الارحام ويضبط المريد احواله الظاهرة والباطنة
علي وفق امر الشيخ وتدبيره لها الله تعالى يتصرف ولاية
الشيخ المويد بتاييد الحق بمرور كل اربعين عليه نشل ابطها
يحولها من حال الي حال ومن مقام الي اخر الي ان يرجع الي حظاير
القدس ورياض الانس التي صدر منها الي عالم الانس
فيكون الجنين في رحم القلب وهو طفل خليفة الله
في ارضه فيستحق الي ان ينفخ فيه الروح المخصوص
بانبيايه واوليايه يلقي الروح من امره علي من يشا
من عباده وايدهم بروح منه فاذا نفخ فيه يكون
ادم وقته فيسجد له الملايكة اجمعون اي فينقادون
له ويصلون عليه ويعظمون امره ويكرمون شانه **ويومر**
اي الملك عطف علي فينفخ **باربع كلمات** اي بكتابة
اربعة احكام مقدرة له علي جبهته بحبر القدرة وكتابة
ذلك لكل ما هو لائق هنالك يكون بين عينيه او بطن
كفه او ورقة تعلق بعنقه كما قال مجاهد ويويده
قوله تعالي وكل انسان الزمناه طايره في عنقه
واعلم ان الكتابة التي في ام الكتاب تعم الاشيا كلها وهذا
خص به كل انسان اذ لكل كتابة سابقة وهي ما في

اللوح ولاحقة يكتب ليلة القدر ومتوسطة اشير اليها
في الحديث ثم ظاهر سياق هذا الحديث ان هذه الامور والكتابة
بعد الاربعين الثالثة ورواية البخاري ان خلق احدكم
يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة
مثله ثم يكون مضغة مثله ثم يبعث اليه الملك فيؤمر
الملك فيؤمر باربع كلمات فيكتب رزقه واجله وعمله وشقي
او سعيد ثم ينفخ فيه الروح كالصريحة في ذلك لكن في
روايات اخر لمسلم وغيره ان كتابة تلك الامور عقب
الاربعين الاولى وبها اخذ جماعة من الصحابة وجمع بعضهم
بان ذلك يختلف باختلاف الناس فمنهم من يكتب له ذلك
عقب الاربعين الاولى ومنهم من يكتب له عقب الاربعين
الثالثة ولا يبعد تكرار الكتابة والله اعلم ثم ظاهر رواية
البخاري ان النفخ بعد الكتابة وفي رواية البيهقي عكسه
واما رواية الكتاب فيحتمل البعدية والقبلية لان الواو لمطلق
الجمعية وفي صحيح ابن حبان بخمس وهي الثلاثة
الاتية والاثر والمضجع الى القبر ولا تنافي لان الزايد
على تلك الاربع اعلم به صلى الله عليه وسلم بعد اخباره
او هذا الزايد يكتب لبعضهم دون اخرين **يكتب رزقه**
اي ما ينتفع به حلالا وحراما ماكولا او غيره قليلا
او كثيرا والجار بدل كل من قوله اربع اذ المضاف مقدر

فيه

فيه ويروي يكتب علي الاستيناف معلوما وكذا مجهولا
فيغير اعراب ما بعده **واجله** اي مدة عمره طويلا
او قصيرا **وعمله** صالحا وفي رواية حرفه اي صنايعه او طاحام
الشاملة لاعماله **وشقي** اي وهو شقي في الاخرة **او**
سعيد فيها وكان مقتضي ظاهر العبارة ان يقال و
شقاوته وسعادته فعدل عنها ماحكاية لصورة
ما يكتبه لانه يكتب شقي او سعيد والتقدير
انه شقي او سعيد فعدل لان الكلام مسوق اليهما
والتفصيل الاتي وارد عليهما كما حققه الطيبي وظاهر
الحديث يدل علي الامر بالكتابة ابتدا منه تعالي والاحاديث
الصحيحة تدل علي ان الامر بها بعد ان يسال الملك عنها
فيقول يا رب ما الرزق ما الاجل ما العمل وهل هو شقي
او سعيد ومن تلك الاحاديث ان النطفة اذا استقرت
في الرحم اخذها الملك بكفه فقال اي رب اذكر ام انثي
شقي ام سعيد ما الاجل ما الاثر باي ارض تموت
فيقال له انطلق الي ام الكتاب اي اللوح المحفوظ فانك
تجد قصة هذه النطفة فينطلق فيجد قصتها
في ام الكتاب انها تخلق وتاكل رزقها وتطا اثرها
فاذا جا اجلها قبضت ودفنت في المكان الذي قدر
لها ومنها انه يقول يا رب مخلقة ام غير مخلقة فان
كانت غير مخلقة قذفها الارحام دما وان قيل مخلقة

قال يا رب اذكما م انتي وذكرها من السعادة معاونة الامور
الالهية للانسان علي نيل الخيرات والمبرات الرضية و
تضادها الشقاوة وهي اما قلبية او بدنية او ماحول
البدن فالقلبية هي المعارف والحكم اللدنية والكمالات
العلمية والعملية والبدنية الصحة والقوة واللذات
الجسمية وماحول البدن من الاموال والاسباب
الدنيوية المعينة للامور الدينية والاحوال الاخروية
وقدم الشقاوة ليعلم ان الشر كالخير من عند الله
وبتقديره علي ما اقتضاه ردا علي الثنوية شريكا
المثبتين شريكا فاعلا للشر في المرتبة الربوبية وما
احسن قول الشاعر

وكم اديب فهم كلبه مستكمل العقل مقل عديم
وكم جهول مكثر ماله ذلك تقدير العزيز العليم

وتحقيق هذا المقام ان يقال ان الله صفتي جمال وجلال
او نعتي لطف وقهر فالسعدا واعمالهم وما لهم ومآلهم
مظاهر اللطف وفايدة بعثة الانبيا وانزال الكتب
من السما ترجع اليهم انما انت منذر من يخشاها كما ان
فايدة نور الشمس لاهل البصر هي اشارة وبشارة
لهم بالسعادة والاشقيا واعمالهم ومثويهم وماواهم
مظاهر القهر وفايدة البعثة لهم الزام الحجة عليهم
لئلا يكون للناس علي الله حجة بعد الرسل وهي

في

في الحقيقة نفي عليهم بالشقاوة قال البيضاوي من
وجده مستعد القبول للحق اثبته في عداد السعدا
ومن راه قاسي القلب جباريا بالطبع للحق متابيا
عن قبول الحق كتبه في ديوان هذا اذا لم يعلم من

الاشقياء

حاله وقوع ما تغير من ذلك في ماله فان علم كتب اوايله
واواخره وحكم عليه وفق ما يتم به عمله وما يختم به امره
كما اشار اليه بقوله **فوالذي لا اله غيره** اكده بالقسم
لتاكيد امر القضا في القضية ليعلم ان الكسب لا
مدخل له في الحقيقة **ان احدكم ليعمل بعمل اهل**
الجنة اي فيما يبدي للناس وهو من اهل النار كما
في خبر مسلم **حتى ما يكون** بالنصب وفي بعض
النسخ المصححة بالرفع قال الطيبي حتى هي
الناصبة وما نافية ولم يكفف يكون عن العمل فهي
منصوبة بحتى واجاز غيره ان يكون حتى ابتدائية
فيكون على هذا بالرفع وهو مستقيم ايضا كذا
ذكره الشيخ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري
شرح البخاري وقال بعض الشراح يكون في الموضعين
بالرفع لان ما النافية كافة عن العمل لان المعنى
على حكاية حال الرجل والاخبار عن المستقبل
نحو مرض حتى لا يرجونه انتهى ولا يخفى ان
وجه النصب اظهر وروايته اشهر واعرب ابن حجر

اي الفا فصيحة اذا كانت الشقاوة والسعادة مكتوبة فوالذي صح

تبعا للفاكهاني حيث اقتصر على تعيين الرفع
وعلل بان ما كسنتحيي وفيه ان ما النافية ما
نكف وان كان اعتبر ما كافة فلا يصح هنا لعدم صحة
الاستثنا حينئذ بقوله **بينه وبينها الا ذراع**
اي قدره وهو مثل يضرب بمعنى المقاربة لحديث
من تقرب الي شبرا تقربت منه ذراعا وان
تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا فالمراد به التمثيل
بالقرب من موته ودخوله عقيبه في جنته
فيسبق عليه الكتاب اورد الغالب لعلي
حصول السبق بلام مهملة وعداه بعلي تضمينا
لمعنى يغلب اي فيغلب عليه كتاب الشقاوة
قبل النفخ عند الولادة المستند الى اللوح
الماخوذ من ام الكتاب وهو العلم الازلي المتعلق
به في هذا الباب والكتاب في المتن يحتمل ان يكون
مصدرا وان يكون بمعنى المكتوب **فيعمل** اي في
تلك الحالة **بعمل اهل النار** اي ويموت على ذلك
فيدخلها اي مع اهلها هنالك لان بذر الشقاوة
والسعادة قد اختفى في الاطوار الانسانية
لا يبرز الا اذا انتهى الى الغاية الطينانية او
الايمانية **وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى
ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه**

الكتاب

74

الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة اي بان يستغفر
ويتوب منه فيدخلها اذ الخاتمة نسخت السابقة
وفي هذا الحديث اثبات القدر كما هو مذهب
اهل السنة خلافا للمعتزلة ومن تبعهم من اهل
البدعة قال القاضي وعبره الاول نادر جدا خلاف
الاخير فانه كثير وجودا ولعله يجري ان رحمتي
سبقت غضبي وفي رواية تغلب غضبي فلله الحمد
والمنة ثم الحكمة في اخفا القضية ان يعلم انه لا عبرة
بالصورة بل بالاخلاص وحسن السريرة وان
لا يغتر بحسن الاعمال ولا يقنط من روح الله بقبح
الافعال ولا يحقر اهل الشقاوة في ظاهر الاحوال
اذ الامر منوط بمطلق القضاء في الازل وان يعلم ان
ما يجري في العالم من الايمان والكفر والطاعات
والسيات من الكليات والجزييات بتقدير الله و
ايجاده في عباده وفق مراده اذ لا موثر في الوجود
الا الله الملك المعبود لا علة لفعله ولا معقب
لحكمه ثم القدر سر الله لم يطلع عليه ملك مقرب
ولا نبي مرسل فلا يجوز البحث عنه فانه تعالى لا يسال
عما يفعل ولذا قال علي كرم الله وجهه لمن ساله عن
القدر هو طريق مظلم لا تسلكه فاعاد السوال
فقال بحر عميق لا تلجه فاعاد السوال فقال سر

خفي عليك فلا تفتشه ولله در القايل

تبارك من اجري الامور بحكمه • كما شا لا ظلما اراد ولا هضما

فما لك شي غير ما الله شاه • فان شئت طب نفسا وان شئت

مت كظما • ثم في هذا الحديث الشريف ايما للسالك

الي مبدا احواله ومنتهي اماله من غير اعتبار اعماله

وفيه سر قول من عرف نفسه فقد عرف ربه ثم

منهم من نظر الي السابقة ومنهم من نظر الي الخاتمة

اللاحقة والاول اولي وفي المرتبة اعلي فان فيه ملا

حظة

فعل الحق مجردا عن الخلق فهو انسب الي مقام التفريد

وحال التوحيد بل هو مرتبة الجمع بخلاف الاخير

فانه يشير الي منزلة التفرقة رواه البخاري

ومسلم وكذا الاربعة وفي بعض روايات هذا الحديث

وانما الاعمال بالخواتيم وفي حديث الشقي من شقي في

بطن امه والسعيد من سعد في بطن امه وفي

الصحيحين انه صلي الله عليه وسلم قال ما من

نفس منفوسة الا وقد كتب الله مكانها من الجنة

او النار قالوا يا رسول الله افلا نتكل علي كتابنا وندع العمل

فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما اهل السعادة

فييسرون لعمل اهل السعادة واما اهل الشقاوة

فييسرون لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطي

واتقي الايتين وفي رواية للبخاري انما الاعمال بخواتيمها

قالوا

75

اعلاه خبث م

كالوعا فانه اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث
اسفله وفي رواية لمسلم ان الرجل ليعمل الزمان الطويل
بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وان الرجل
ليعمل الجنة واخرج احمد والترمذي والنسائي عن ابن
عمر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي يده كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان
قلنا لا يا رسول الله الا ما تخبرنا فقال للذي في يده
اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه اسما اهل الجنة
واباءهم وقبايلهم ثم اجمل على اخرهم فلا يزاد فيهم
ولا ينقص منهم ابدا وقال للذي في شماله هذا كتاب
من رب العالمين فيه اسما اهل النار واباءهم وقبايلهم
ثم اجمل على اخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا
فقال اصحابه ففيم العمل يا رسول الله ان كان امر قد فرغ منه
فقال سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة له يعمل وان
عمل اي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار وان
عمل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه
فنبذها وقال فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق
في السعير واخرج احمد والترمذي انه صلى الله
عليه وسلم كان يكثر ان يقول في دعايه يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك فقيل له يا رسول الله امنا
بك وبما جيت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب

ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله بعمل اهل

بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه
حيث يشا ثم قال اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على
طاعتك فليختم الكلام على هذا الحديث بهذا الدعا
الكريم الحديث الخامس عن ام المومنين
كنية ازواج سيد المرسلين لقوله تعالى وازواجه
امهاتهم اي في حرمة النكاح وباب التعظيم و
التكريم دون نحو النظر والخلوة وساير ما يتعلق
بالاجنبيات من التحريم ام عبد الله كناها صلى
الله عليه وسلم بابن اختها اسما عبد الله بن الزبير
او بسقط من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمي
عبد الله وهو ضعيف كما ذكره في الاذكار عايشة
بكسر الهمزة لا بالتحتية كما تقوله العامة رضي
الله عنها اسلمت صغيرة وتزوجها صلى الله
عليه وسلم وهي بنت ست سنين بمكة قبل الهجرة
بثلاث سنين ودخل بها في المدينة في شوال
منصرفه من بدر سنة اثنين من الهجرة وهي
بنت تسع سنين وبنت معه تسعا وعاشت
بعده اربعين سنة مرويا تها الف ومايتنا
حديث وعشرة قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من احدث اي اتى بامر حادث بان ابتدع
من قبل نفسه واخترع من عند عقله في امرنا

شانا

76

شاننا او شرعنا او امرنا المهتم عندنا وفي رواية
في ديننا هذا في ايراد اسم الاشارة بدلا او صفة
الحادة التعظيم وايما الي ظهور التفخيم واشعارا
بان امر الدين كمل وظهر ظهور المحسوس في مقام
التكريم ماليس منه اي من اصوله او هو مما ينافيه
بحسب مبانيه او معانيه وفي نسخة ماليس فيه
اي رايا ليس عنه مستند من الكتاب والسنة
او اجماع الامة سواكان فعلا او قولا او حالا فهو
رد بضم الهاو بسكن اي فذلك المحدث مردود
عن جنابنا وسطرودعن بابنا فان الدين اتباع اثار
الايات والاخبار واستنباط الاحكام منها لارباب
الاثار وقد كمل الدين كما اشار الي ذلك في الكتاب المبين
ممن رام الزيادة عليه حاول امرا غير مرضي لديه
لانه من قصور فهمه راه ناقصا بدون احداثه و
ما احدثه مردود فلا تتبدلوا وتبتدعوا لا تهلوا م
كالضمير الي الشخص او الي الامر والاول ابلغ والثاني
اظهر كذا قاله بعض الشراح والصواب ان يقال
الضمير الي من والي ما فتتكلم في ايراد الرد بصيغة
المصدر مبالغة عظيمة فتدبر قال المولف قوله
رد اي مردود كالخلق بمعني المخلوق رواه البخاري
ومسلم وكذا ابوداود والنسابي وفي رواية لمسلم

من عمل عملا اي من اتي بشيء من الطاعات البدنية
او الحالات القلبية او بشيء من الاعمال الدنيوية
او الاخروية سواكان محدثا لاحقا او متقدما على
الامر سابقا وكان من صفته انه فهو رد اي مردود
عليه غير مقبول فيما نسب اليه فهذه الرواية اعم وفي
افادة الدراية اتم فهذا الحديث عماد في التمسك
بالعروة الوثقى واصل في الاعتصام بحبل الله الاقوى
واصل في الاعتصام بحبل الله القوي ورد للمحدثات
والبدع والهوى وقد انشد في هذا المعنى شعر
اذا ما جاد الليل البهيم واظلما بامر قطيع شق سورتها ادها
فاعلى البرايا من الى السنن اعتزى واعمى البرايا من الى البدع انتما
ثم اعلم ان هذا الحديث اصل عظيم في ابطال المنكرات
وحوادث الضلالات وقد قال تعالى وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن
سبيله قال مجاهد السبل البدع وروى الدارمي
انه صلى الله عليه وسلم خط خطا ثم قال هذا
سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله
ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا
له ثم تلا الاية وقال عز وجل فان تنازعتم في شيء
فردوه الى الله والرسول قال ميمون بن مهران
من حقها التابعين الرد الى كتابه والى رسوله

في

ليس عليه امرنا
اي اذننا وحكمنا بل
اتى به على حسب هواه
وان حسن غرضه فيما نواه
ص

علمه

في حياته والى سنته بعد مماته وقال عز وجل قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي حديث
مسلم انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبه ان
احسن الحديث كتاب الله وشر الامور محدثاتها
وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد البيهقي
وكل ضلالة في النار وروى الدارمي ان ابن مسعود
انكر على جماعة اجتمعوا في المسجد يعدون الاذكار
بالحصى واشار اليهم ان يعدوا سيئاتهم وانهم ما
افتتحوا باب ضلالة واخرج البيهقي ان ابن عباس
قال ان ابغض الامور الى الله تعالى البدع وان من
البدع الاعتكاف في المساجد التي في الدور واخرج
ابو داود عن حذيفة كل عبادة لم يفعلها الصحابة فلا
تفعلوها وقال الغزالي السكوت عما تكلم فيه السلف
جفا والكلام فيما سكتوا عنه شغب وورد عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال من عمل قليل في سنة خير
من عمل كثير في بدعة اي ولو مستحسنة لان من
البدع ما استحسنه السلف ومنها ما استحبه
الخلف فمن قبيل الاول جمع القران كما اتفقوا عليه
الشيخان وكذا جمع عثمن بن عفان وكما وقع لعمر
رضي الله عنه في جمع الناس لصلاة التراويح في
المسجد بعد تركه عليه السلام لذلك بعد ما فعله

ليالي وقال عمر نعمة البدعة هي لانها وان حدثت
في الجملة الا انها ليست رد للفعلة المتقدمة بل مقوية
لتلك الحسنة فانه عليه السلام علل تركها بخشيته
الفريضة فزال بوفاته عليه السلام توهم عود
الفضيلة من امثلة الثاني بناء الربط وخانات
السبيل فانهما في معنى الخيرات الجارية الداخلة
في الاحكام الوقفية وكالتصنيف في العلوم الشرعية
من الاصول والفروع الفقهية وما يتعلق بها من
الالات الضرورية من القواعد الصرفية والنحوية
والمعاني والبيان والمحسنات البديعة وقال
الشافعي ما احدث وخالف كتابا او سنة او اجماعا
او اثرا فهو البدعة الضالة وما احدث من الخير
ولم يخالف شيئا من ذلك فهو البدعة المحمودة و
قال الامام ابو شامة شيخ المص وما احسن
ما ابتدع في زماننا كل عام في اليوم الموافق
ليوم مولده عليه السلام من الصدقات و
اظهار السرور والزينة فان ذلك مع ما فيه
من الاحسان الى الفقرا يشعر بمحبة الانبيا سيد
وتعظيم سيد الاصفيا كذا ذكره ابن حجر ثم قال و
صلاة الرغايب اول جمعة من رجب وليلة النصف
من شعبان بدعتان مذمومتان خلافا لمن استحسنها

وحديثهما

78

وحديثهما موضوع كما بينه المص في شرح المهذب

وغيره ممن قبله وبعده انتهي وفيه ان الصلاة خبر

موضوع واحيا كل ليلة بالعبادة مشروع واذا لم يصح

حديثهما لم يلزم عدم فعلهما ثم لا تعتقد سنيتهما مع

احياء ليلة شعبان قوموا ليلها وصوموا يومها

علي ما رواه الترمذي وفي خبر انه تعالي يغفر ليلتها

لاكثر من عدد شعر غنم كلب وفي خبر انه تعالي يغفر

ليلتها لجميع خلقه الا لمشرك او مشاحن وقد اخرج

البيهقي انه عليه السلام صلي ليلة اذ وقال في هذه

الليلة يكتب كل مولود ها لك من بني ادم وفيها يرفع

اعمالهم وينزل ارزاقهم ويعين اجالهم وقد سماها

الله سبحانه في القران انا انزلناه في ليلة مباركة وهي

من مواسم الخيرات ومنازل المبرات فصلاة مائة

ركعة في كل ركعة قراة الاخلاص عشر مرات باي طريق

لا يكون من البدع المذمومة مع ما ورد عن ابن مسعود

ان ما راه المسلمون حسنا فهو حسن عند الله ثم قال

ومنه الوقود ليلة عرفة او المشعر الحرام والاجتماع

ليالي الختوم اخر رمضان فيكره ما لم يكن اختلاط الرجال

بالنساء وان بانضمام اجسامهم فانه حرام انتهي وهو

ليس علي اطلاقها فان التوقيد المشعر بالتعظيم كتعظيم

ليلة المولد والاجتماع عند ختم القران من المستحبات

فيه ص

كما هو في التبيان ثم ما يترتب عليه من المفاسد
وتشويش خاطر العابد والساجد والاسراف في المال
باعتبار عدم الاحتياج الى كثرة السراج لاسيما في الليلة
القمراء وامثال هذه الاشيا يكون من الامور المنكرة
وقد اغرب بعض الشافعية وعد منها مداومة
الامام في صبح الجمعة قراءة سورة السجدة وسورة
الدهر وكذا مداومة الاضطجاع بين سنة الفجر
وفرضه لكن فيه ملحظ لطيف وسر شريف لبلاد
يتوهم العوام الوصية بالمواظبة السنية بل اقول وكان ينبغي على
الايمة الحنفية ان يقرءوا السورتين في بعض الاوقات
الوضعية ليرتفع الوهم بالكلية وقد بلغني ان اثنين
من اهل ما وراء النهر لما رجعوا الى بلادهم وسئلوا عن
غرايب ما راوا في مسيرهم ومعادهم فقال واحد ان
الشافعية بمكة يصلون الفجر ثلاث ركعات فقال
الاخر انما كان ذلك في يوم الجمعة لا جميع الاوقات
واما ابدا ابن حجر ما رواه الطبراني انه صلى الله عليه
وسلم كان يقراهما في كل جمعة محمول على الغالبية لا الكلية
والا لما المواظبة دليل الوجوب في القواعد الاصولية
واما ادخال ابن حجر صلاة بلال شكر الوضوء في البدعة
المستحسنة فمدفوع لان الصلاة باعتبار اصلها
مشروع مع انه صلى الله عليه وسلم قررها فهو من

السنة

السنة المشرفة والعبادة المحررة ثم اعلم ان الانسان
له روح نوراني من عالم الملكوت ونفس ظلمانية من عالم
الملك ولكل منهما انزاح وشوقا الى عالمه فغاية بعثة الانبيا
تزكية النفوس عن ظلمتها وصافحها وتحليتها بانوار
الارواح حتى يتجلى فيهما الوجود الحقيقي ذات الله
وصفاته وافعاله فالواجب على العبد ان يدق بمطرقة
كلمة التوحيد تمرد النفس الى ان تؤمن بذلكه وتكفر
بطاغوت وجوده ووجود ما سوى الله هذا هو الدين
القويم والطريق المستقيم فمن احدث فيه بتسويل
الشيطان غير ذلك بان ايس عن الله وتعلق قلبه بما سواه
ولم ينسلخ عن صفاته وافعاله واثاره ولم ينطمس ظلمات
ذاته في انواره فهو مردود ولا يكون مريدا بل لم تتابع
الشيطان فامر بدا الحديث السادس عن
ابي عبد الله النعمان بضم اوله ابن بشير بفتح الموحدة
صحابيا بن انصاريان رضي الله عنهما ولد على راس
اربعة عشر شهرا من الهجرة على الاصح وحنكه عليه السلام
بتمرة وهو اول مولود ولد في الانصار بعد قدومه صلى
الله عليه وسلم المدينة كما ان عبد الله بن الزبير المولود
معه في عامه اول مولود ولد للمهاجرين بها روي له مائة
واربعة عشر حديثا قتل بقرية من قرى حمص سنة
اربع وستين ولم ينفرد بروايه هذا الحديث بل رواه

ايضا سبعة من اكابر الصحابة رضي الله عنهم قال سمعت
رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول وفي رواية
اهوي الي اذنيه باصبعيه وفيها تاكيد للتصريح بسماعه
من النبي صلي الله عليه وسلم وهذا هو الصحيح ولا التفات
الي اختلاف فيه قاله المص والمراد به ما نقله الشيخ صلاح
الدين بن العلا عن يحيى بن معين ان اهل المدينة
يقولون لم يسمع من النبي صلي الله عليه وسلم واهل
العراق يصححون سماعه منه وليس يقول سمعت
رسول الله صلي الله عليه وسلم الا في حديث الحلال
بين والباقي يقول عن ان الحلال بين اي واضح غير خفي حله
فنظر الي ما نص الله ورسوله واجمع المسلمون علي
تحليله ونسبه مالم يعلم فيه منع علي اظهر القولين كما
بين في محله وان الحرام بين في اكثر النسخ المصححة
باعادة ان لتاكيد القضية وهو ما دل عليه دليل ظاهر
علي تحريمه من كتاب او سنة او اجماع امة ثم التحريم اما
لمفسدة جلية او مضرة خفية كالربا او مذبوح المجوسي
واما لمفسدة واضحة او مضرة لائحة كالسم والخمر
وكذا ساير المسكرات والمخدرات كالحشيشة والافيون
والبنج وكذا جوزة الطيب كما افتى به ابن حجر ونقل فيه
نص ارباب المذاهب الثلاثة من الشافعية والمالكية
والحنابلة قال وهو مقتضي كلام الحنفية يعني ان وصل

اي

85

اي حد السكر واما الافيون فصرح علماؤنا بانه يحرم

اكله واذا اعتاده يجب عليه اسئواله **وبينهما مشتبهات**

اي امور مشتبهة لوقوعها بين اصلين متغايرين او

وجودها بين دليلين متعارضين بحيث ييس ترجيح

احد الطرفين فيقع الاشتباه في الحكمين اولكونها ذات

جهة اي الحلال لم يجزان تعد من الحلال المبين ولكونها

ذات جهة من الحرام لم يجزان تعد من الحرام المعين **لا**

يعلمهن اي لا يعرف حكمهن **كثير من الناس** وقد جا

واضحا في رواية الترمذي ولفظه لايدري كثير من الناس

أمِنَ الحلال ام من الحرام هي لتعارض الامارتين و

تناقض العلامتين واما العارفون المحققون والعلما

المجتهدون وقليل ما هم لا تشتبه ذلك عليهم فاذا تردد

الشي بين الحل والحرمة ولم يكن نص او اجماع الامة

اجتهد فيه المجتهدون فالحقه باحدهما لدليل شرعي

ظهر له فاذا فقد فالورع تركه كما يدل عليه الحديث

فيما بعده قال العسر وللعلما فيه ثلاثة اقوال الحكم بالحل

والحرمة والتوقف فالاول دليله قوله عليه السلام كالراعي

يرعى حول الحمى فيدل على ان ذلك حلال والثاني

دليله قوله استبرا لدينه وعرضه والثالث دليله

التعارض او قوله عليه السلام الحلال بين والحرام

بين والمشتبه ليس منهما قلت فينبغي ان يقال المكروه

ثم رايت القرطبي صوب الكراهة وفسر الامام احمد
واسحاق وغيرهما المشتبه بما اختلف في حل اكله كالخيل
او شربه كالنبيذ او لبسه كجلود السباع او كسبه
كبيع العينة وفسره احمد مرة باختلاط الحلال والحرام
قيل ومنها اموال السلاطين لكن في زماننا الغني حكمها
علي اهل الدين نعم منها اذا اشتري شيئا في الذمة
وقضي ثمنه من مال حرام ومنها معاملة من في ماله
حرام ولذا قيل هذا زمان المشتبهات والورع عن
المحرمات والاظهر ما اعتمده الغزالي من ان من كان اكثر
ماله حراما حرمت معاملته ثم لما كان سياق الكلام و
تفصيل الاحكام للارشاد الي التحرز من الحرام وذلك
لا يحصل الا بالانتهاء عن المشتبه لتمام النظام قال
فمن اتقي الشبهات فيه وضع المظهر موضع المضمر
تفخيما لشانها فقد برا اي ممن اجتنبها في المعاملات
واحترز عنها في الاستعمالات استبرا اي طلب البراة لدينه
من الذم الشرعي وعرضه من الطعن العرفي
لانهما مهما اياه بمواقعة المحظورات اذا لم يتق الشبهات
كالمحمي صان دينه وحمي عرضه عن وقوع الناس
فيه واما قول ابن حجر فقد استبرا بالهمز وقد يخفف
فعقبه ان التخفيف غير موجود في الاصل وتخفيف
الهمز المتحرك غير صحيح الحال الوقف عند بعضهم

وحل

81

وحمل الشارح المظهر العرض عن النفس حيث قال
طهر دينه وبدنه من العقوبة وكلامه صحيح ففي النهاية
العرض موضع المدح والذم من الانسان سواكان في
نفسه اوسلفه ولما كان موضعه النفس حمل عليها
اطلاقا للمحل على الحال والحاصل ان ما اشتبه امره في الحل
والحرمة ينبغي اجتنابه لئلا يجره الى الوقوع في الحرام
وانه لو وجد في بيته مالا يدري الدام لغيره
والورع تركه كما فعله النبي صلى الله عليه وسلم
في التمرة التي وجدها في بيته وقال اخشى
ان يكون من الصدقة ولا يحرم لانه في يده والاصل
ان لا يكون من الصدقة كما ان الاصل في الثوب
الطهارة وكذا ترك المعاملة مع من في ماله
شبهة ربا ونحوه اولى مالم تتيقن حرمته فانه
صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند يهودي
بشعير اخذه لقوت اهله او منيفه مع اكلهم الربا
واثمان الخمور كذا ذكره شارح ففعله صلى الله
عليه وسلم لبيان الجواز ولعلمه ان شعيره هذا ليس
فيه شبهة لما كان هناك من قرينة او لم يكن موجودا
الا عنده مكان ضرورة هذا وفي عطف العرض
على الدين اشعار الى ان طلب برائته مطلوب
للمتقين ومن ثم ورد مايقي به العرض فهو صدقة

وجا في الاثر من وقف بموقف تهمة وفي رواية
من عرض نفسه للتهمة فلا يامن من اساة الظن
به وقد قال صلي الله عليه وسلم لرجلين راياه مع
امراة علي رسلكما انها صفية خوفا عليهما ان يظنا
به شيا فيهلكا فقالا يا رسول الله من كنا نتهمه فلا
نتهمك فقال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجري
الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شرا
وروي ان انسا خرج لصلاة الجمعة فراي الناس
راجعين منها فدخل محلا لا يرونه وقال من لا
يستحي من الناس لا يستحي من الله قيل ورفعه
الطبراني فلوا موه احد ابويه باخذ شبهة اكلها
فقال احمد لا يطيعهما وقال بعض السلف يطيعه
ويوقف اخرون ومن وقع في الشبهات وقع في
الحرام اي من سهل علي نفسه واكثر تعاطي الشبهات
افضاه الحال متدرجا الي ارتكاب المحرمات المقطوع
بحرمتها ولم يبعد ما هنالك اذ قد يا ثم اذا قصر
في التحري بذلك او المعني انه يعتاد المساهلة في
المعاملة ويجرعلي شبهة اغلظ منها ثم اخري
الي ان يقع في الحرام عمدا في الحالة الاخري والمعني
وقع في الجملة في ارتكاب المحرمات لان الذي ارتكبها
من المشتبهات ربما كان حراما فيقع فيه بخلاف

تعاطي

المحتاط

82

المحتاط فانه اذا امتنع من المتشبهات فبالاولي ان
لا يرتكب المحرمات ولذا جاء في خبر الترمذي لا
يكون احد من المتقين حتي يترك ما لا باس به
مخافة ما به باس وقال الحسن ادركنا قوما كانوا
يتركون سبعين بابا من الحلال خشية الوقوع في
باب من الحرام ومن ثم قيل الصغيرة تجر الي الكبيرة و
الكبيرة الي الكفر وقال بعض السلف المعاصي بريد
الكفر وقالا انه حديث ويويده قوله تعالي كلا بل ران
علي قلوبهم ما كانوا يكسبون وروي الترمذي عن
ابي هريرة ان الرجل ليصيب الذنب فيسود قلبه
وان هو تاب صقل قلبه وفي رواية ان العبد اذا اذنب
ذنبا كانت نكتة سودا في قلبه وكلما زاد زادت
حتي تعلوا قلبه فذلكم الران وفي رواية ان هذه
القلوب تصدي كما تصدي الحديد قيل ما جلاوها
يا رسول الله قال ذكر الموت وتلاوة القران وحاصله
ان من اكثر من مواقعة الشبهات اظلم قلبه لفقدان
نور الورع فيقع في الحرام ولا يشعر بالحرام وحاصله
ان ما قارب الشي خالطه غالبا ومنه قوله تعالي
تلك حدود الله فلا تقربوها نهي عن المقاربة حذرا
من المواقعة واليسير من الخمر ليس محذورا في
نفسه وانما حرم لئلا يتدرج منه الي الكثير المحذور

وكذا الخلوة بالاجنبية لا تحذو ربه الا لكونه داعية
بالتدرج الي الوطي المحرم وكذا قبلة الصايم اذا حركت
شهوته اما بكره لئلا يتدرج الي الوطي المفسد
للصوم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لعن
الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده اي
يتدرج من سرقة ما لا قطع فيه الي سرقة ما يقطع
به هذا وفي رواية الصحيحين ومن اجترا علي ما
شك فيه من الاثم اوشك ان يقع فيما استبان اي
الحرام الذي ظهر وتبين وفي رواية لهما ومن يخالط
الريبة يوشك ان يخالطه ومن تهاون بالمحقرات
يوشك ان يخالط الكباير ويحل الاسرار الحرام البين
ابتلا العامة والشبهة اختبار الخاصة كالراعي
اي حال الكاين الراعي للابل ونحوها يرعي اي دابة
حال او صفة لان الرعي في المعني كالنكرة حول الحمي
بكسر الحا ما يحمي من الارض لاجل الدواب ويمنع دخول
مال الغير وهذا غير جايز الا للنبي صلي الله عليه وسلم
لقوله لا حمي الا الله ورسوله وقد حمي صلي الله عليه
وسلم حرم المدينة ان يقطع شجره او يصاد صيده
وفي معناه وفي معناه الخليفة اذا حمي لابل الصدقة
كما روي عن صنيع عمر رضي الله عنه يوشك بضم
اليا وكسر الشين اي يسرع ويقرب ان يرتع
بفتح اليا والتا اي الراعي يرعي ماشيته فيه اي في الحمي

ان يجرعلي الحرام المحض وفي حديث موسل من يرعي بجانب الحرام يوشك

مام

لعدم

83

لعدم الاحتمابنا علي تساهله في المحافظة وجرأته
علي الرعي والمخالفة فيستحق العتاب او العقاب وهذا
ضرب مثل وفايدته تجلية المعاني المعقولة بصورة
المحسوسات لزيادة كشف المعقولة وله شان عجيب
في ابراز الحقايق ورفع الاستار عن وجوه الدقايق ثم
نبه بكلمة الاعلي امور خطيرة في الشرع في ثلاثة مواضع
من هذا الحديث ارشادا الي ان كل امر دخله حرف التنبيه
لجلالة شانه التنبيه يستحق ان ينبه المخاطب
له ويستانف الكلام لاجله فقال الا وهي مركبة من
همزة الاستفهام وحرف النفي فتفيد التنبيه علي
تحقق ما بعدها ولافادة التحقيق لايكاد يقع الجملة
بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقي به القسم كقوله
تعالي الا ان اولياء الله وان لكل ملك اي من ملوك العرب
حمي يمنع الناس عنه ويعاقبون عليه كما في الجاهلية
فقيل هو عطف علي الابناء علي انه يفهم من لفظة
الا انبه ومن قوله ان لكل ملك حمي فبهذا التاويل صح
العطف اذا عطف المفرد علي الجملة لايصح الا باعتبار
ان يتضمن المفرد معني الفعل كما في قوله تعالي
فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا علي قراة الكوفيين
والاولي ان يقال هنا انها واو الابتدا التي تسميها
النحاة واو الاستيناف الدالة علي انقطاع ما بعدها

احقق ؟

عما قبلها في الجملة كما ذكره صاحب المغني او هي عطف
علي الكلام السابق ولفظه الا متوسطة ايمان الحلال
بين وكذا او ان لكل ملك حمي او علي مقدر ربما سبب المنام
كما ذكره الزمخشري في قوله تعالي اوكلما عاهدوا ولما
كان الورع والتوهم مما يتبع ميلان القلب الي الصلاح
والفساد نبه علي ذلك بقوله الا وان حمي الله محارمه
اي المعاصي كما في الروايات ويطلق المحارم علي المنهيات
وعلي ترك المامورات ومعناه الذي حماه الله ومنع
دخوله هو الاشيا التي حرمها انتهي الحديث قوله
تعالي تلك حدود الله فلا تقربوها الا وان في الجسد
مضغة اي قطعة لحم قدر ما يمضغ وهي كما قيل صغيرة
في الجرم كبيرة في الجرم اذا صلحت بفتح اللام وضمها
والفتح افصح صلح الجسد كله اي اعضا البدن بجميعها
من العين والاذن واللسان وساير الاركان واذا فسدت
بفتح السين وبضم والاول هو الرواية علي ما صرح به
الكازروني فسد الجسد كله لما روي انه عليه السلام
راي رجلا يعبث بلحيته او يلعب بثوبه في صلاته
فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه الا وهي اي
تلك المضغة الموصوفة القلب سمي به لتقلبه في
امره وانقلابه بقضا الله وقدره وفي الحديث
ان القلب كريشة بارض فلاة يقلبها الرياح وقد
قال الشاعر

كذا

يشير الي

84

قد سمي القلب من تقلبه فاحذر على القلب وتحويل
والمعنى ان صلاح الجسد تابع لصلاح القلب وفساده
تابع لفساده لان القلب مبدا الحركات البدنية والارادات
النفسية فان صدرت عنه ارادة صالحة تحرك بحركة
الجسم صالحة وان صدرت عنه ارادة فاسده
تحرك الجسد بحركة فاسدة فاهم الامور مراعاة
القلب في انقياد الرب فمن صلح قلبه بالايمان والمعرفة
والعلم ونية الخير والاحسان صلح الجسد كله بالاعمال
الرضية والاحوال البهية واذا فسد القلب
بالجحود والشك والكفران فسد الجسد كله
بارتكاب الفجور والعصيان فعلى المكلف ان يقبل
عليها في جميع الحالات ويمنعها عن الانهماك في
الشهوات ولا يستعمل جوارحه باقتراف المحرمات
حتى لا تبادر الى الشيطان ثم اعلم ان الجمهور ذهبوا الى ان العقل في القلب
ويؤيده قوله تعالى افلم يسيروا في الارض فتكون
لهم قلوب يعقلون بها وقوله عز وجل ان في ذلك
لذكرى لمن كان له قلب اي عقل فلعدم انفكاكه عنه
كانه عينه ونسب الى ابي حنيفة ان محله الدماغ
وهو مذهب الحكما بدليل انه اذا فسد فسد
ولا يبعد ان يكون له تعلق ما بالدماغ في حال من
احواله فيختل باختلاله والحاصل انه كالملك في العقيبة

والاعضا كالجنة اوكالرعية وفيه من الاشارة انه
حمى الله سبحانه فلا ينبغي ان يتعرض لما يقتضي
من نقصان شانه وشبه بالعين والبدن بمزرعته
فان عذب ماؤها عذب زرعها وان ملح ملح او هو
كالعين والاعضا كالانهار او هو كالارض والاعمال
كالنبات يشير اليه قوله تعالى والبلد الطيب
يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا
ثم يتميز عن الحيوان بالقلب الذي هو محل العقل
الكامل فيميز بين مصالح الامور وبين مفاسدها
ومضارها ويطلع به على الكليات والجزئيات و
يفرق بين الواجبات والجايزات والمستحيلات واذا
عرفت ان هذا القلب لم يشرف من حيث صورته
الكلية بل من حيث هو محل لتلك الخاصية الالهية
علمت انه اشرف الاعضا واعز الاجزا وان غيره مسخرة
له ومطيعة فيما استقر منه ان خيرا فخير وان
شرا فشر فعند ذلك انكشف لك معنى قوله
اذا صلحت الى اخره هنالك وقيل الحواس مع القلب
بمنزلة بيت الملك له خمس طاقات يشاهد
من كل منها ما لا يشاهده من الاخرى ثم مما يصلحه
تدبر القران وخلو الجوف وقيام الليل والتضرع عند
السحر ومجالسة الصالحين واشده الاعظم اجتناب

الاشاد م

فيه /

المحرمات

85

المحرمات واحترازا الشبهات فان اكل الحلال ينوره
ويصلحه واكل الشبهة والحرام يصد به ويقسيه
ويظلمه ولذا قال تعالى كلوا من الطيبات واعملوا
صلحا قال الغزالي الطعام بذر الافعال ان دخل
حلالا خرج حلالا وان دخل حراما خرج حراما
وان دخل شبهة خرج شبهة انتهى قيل انه يخاف
على اكل الحرام ان لا يقبل له عمل ولا يسمع له دعا
لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ولما شرب
ابو بكر رضي الله عنه جرعة من لبن استقاها
واجهده ذلك حتى تقايا ها فقيل له اكل ذلك في شربة
قال والله لو لم يخرج الا بنفسي لاخرجتها سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل لحم نبت
من السحت فالنار اولى به وقد قال ابو يوسف ابن
اسباط اذا تعبد احد قال الشيطان انظروا
من اين مطعمه فان كان مطعمه سوا قال دعوه
لا تشتغلوا به دعوه يجتهد وينصب فقد كفاكم
شره وقد سئل سفيان الثوري عن فضل الصف
الاول فقال انظر كيف كسرتك التي تاكلها من اين
تاكلها وقم في الصف الاخير وهذه مصيبة عظمى
وبلية كبرى في زماننا هذا اذ المكاسب فسدت
والمحارم كثرت مع ضرورة المخالطة والحاجة الملجية

ابي بكر

الي المعاملة وعلي هذا فالخلاص بعيد والامر شديد ١
وقد بلغني عن شيخ مشايخي العالم الرباني مولانا
اسماعيل الشبرواني انه قال من يوم دخلت الصرة
والوظيفة في الحرمين الشريفين ذهبت الولاية
وسبب ذلك انهم كانوا يتعيشون بالمكاسب الشرعية
من التجارة والزراعة او بالمواهب الغيبية والفتوحات
الملكية من حيث لا يحتسبون ثم ابتلوا في هذه الازمنة
باكل مال الحرام كعشور جدة او الشبهة كالصرة
فصار اما متهم واذانهم وقراتهم ونحو ذلك كلها معلولة
وبعيد كونها خالصة مقبولة وحكم البلية اذا عمت
طابت لم يبق في قلوب اهلها تحاشي من تناولها بل عرض
لهم مرض الاستسقا حيث اكتفا لهم بشرب الما ولا
يقنعون بمقدار الضرورة حتي يكون لهم في الجملة
نوع من المعذرة فان الضرورات تبيح المحظورات
بل يتعدون عن حد الفقرا ويصلون الي مرتبة
الاغنيا وهم يزاحمون المساكين علي حقوقهم من
سكني الخلوة ووظيفة الخدمة ولا يفرقون بين الحل
والحرمة فنسال الله العفو والعافية وحسن
الخاتمة عند حلول العاقبة قال بعض العارفين ٢
القلب هدف سهام القهر واللطف ومظهر الجمال
ومنشا البسط والقبض ومبدا المحو والصحو و
منبع الاخلاق الرضية والاحوال الردية اذا وقفت

هذه المضغة في بحار المنكرات سالت من تاثر الشهوات
الى عالم الشهوات والخاضت الى الجوارح مباشرة
السيآت واذا وقفت في بحار المعارف مالت
بنعة المحبة والشوق الى المشاهدة فاستنارت المشاهدة
بنورها فتنورت العقل والحس والروح والصورة
فيتولد من حسن جوارحها خشوع الصورة
في هيئته وصلاح الجوارح في خدمته ثم له ظاهر
وهو المضغة الصنوبرية المودعة في تجويف الايسر
من الصدر وهو محل اللطيفة الانسانية ولذا انسب
اليه الصلاح في الامور الدنيوية والاخروية وله والفساد
باطن وهو اللطيفة النورانية الربانية العالمة
التي هي مهبط الانوار الالهية الصمدانية
وبها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لاكتسا ب
الاوامر واجتناب الزواجر وهي خلاصة تولدت
من الروح الروحاني ويعبر عنها بالنفس الناطقة
قال تعالى ونفس وما سواها وبالروح قال عز وجل
قل الروح من امر ربي وهو مقر الايمان كما في القران
اوليك كتب في قلوبهم الايمان كما ان الصدر محل
الاسلام كما قال عز وعلا فمن شرح الله صدره
للاسلام والفواد مقر المشاهدة لقوله سبحانه
ما كذب الفواد ما راى واللب مقام التوحيد لقوله

اغا يتذكر اولوا الالباب اي الذين خرجوا من قشر
الوجود المجازي و بقوا بلب الوجود الحقيقي لكن
معرفته كما متعذرة والاشارة الي حقيقتها علي ارباب هي ص
الحقايق واصحاب الدقايق متعسرة رواه البخاري
ومسلم وكذا الاربعة علي ما في الجامع ولفظه الحلال الصغير
بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات لا يعلمها
كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرا لعرضه
ودينه ومن وقع في المشتبهات وقع في الحرام كراع
يرعي حول الحمي الاوان لكل ملك حمي الاوان حمي الله
في ارضه محارمه الحديث وروي الطبراني في الاوسط
عن عمر مرفوعا الحلال ما احل الله في كتابه والحرام ما ولفظه
حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه
الحديث السابع عن ابي رقية بضم الرا وفتح القاف
وتشديد اليا اي التحتية قال المص ابنة له لم يولد
له غيرها تميم بن اوس الداري نسبة الي جد له اسمه
الدار وقيل الي موضع يقال له دارين وقال فيه
ايضا الديري نسبة الي دير كان يتعبد فيه وقد
بسطت القول في ايضاحه في اوايل شرح مسلم
قال المص رضي الله عنه كان نصرانيا وقدم المدينة
فاسلم وذكر للنبي صلي الله عليه وسلم قصة الجساسة
والدجال انه وجده هو واصحابه في البحر فحدث النبي

صلي

صلي الله عليه وسلم بذلك علي المنبر وعد ذلك من
مناقبه اذ لم يقع نظيره لغيره في مراتبه فيكون من
رواية الاكابر عن الاصاغر قال ابن السكن اسلم سنة
تسع هو واخوه نعيم ولهما صحبة وقال ابو نعيم كان
راهب اهل زمانه وعابد اهل دهره في فلسطين
وهو اول من اسرج السرج في المسجد
واول من قص في زمن عمر باذنه انتقل الي بيت المقدس
بعد قتل عثمان وسكن فلسطين وكان عليه السلام
اقطع بها قرية وكان كثير التهجد يختم القران في ركعة
قام ليلة بقوله تعالي ام حسب الذين اجترحوا السيآت
الاية حتي اصبح مات سنة اربعين ودفن ببيت
جبريل او حبرين من بلاد فلسطين وهو قرية من
قري الخليل روي له ثمانية عشر حديثا بالمسلم منها واحد
وهو هذا الحديث ان النبي صلي الله عليه وسلم قال
الدين اي دين الاسلام يعني مدار قوامه ومعظم
مرامه النصيحة ماخوذة من النصح ضد الغش
من نصحت العسل اذا صفيته وهي كلمة جامعة تفسيرها
ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر هذا
المعني بكلمة واحدة تجمع معناها غيرها كما قالوا في
الفلاح ليس كلمة اجمع لخير الدنيا والاخرة وزيد في المشكاة
ثلاثا ثم لما كانت النصيحة من الامور الاضافية استفصلت

كلا ح
كمنه ح

لرفع الحالة الابهامية **قلنا** معشر السامعين من
الصحابة نحو الظاهر ان السوال وقع من بعض ارباب
الحال لكن لما كان يرضى بغيبة ارباب الكمال نسب اليهم
المقال **لمن** اي النصيحة لمن والنكتة في الابهام
او لاتمام التبيين ثانيا بكون القضية اوقع في النفس
مما اذا هجم من اول وهلة وفي حال غفلة **قال**
اي النبي عليه السلام **لله** اي بالايمان بوجوب وجوده
واثار كرمه وجوده وبصفاته الثبوتية والسلبية و
الاضافية وبافعاله المحمودة المرضية وبان يعلم ان كل
ما سواه مما احدث بقدرته القوية ومشيئته
الجلية وحكمته الخفية وباحكامه بان يعلم انها غير معللة
وان المراد من شرعها منافع عايدة الى العباد لا يجب
عليه شيء ان اثاب فبفضله وان عذب فبعدله ثم
باخلاص الطاعة واجتناب وهذه الاوصاف راجعة المعصية
الى العبد في نصيحته نفسه فان الله غني عن العالمين
ونصح الناصحين وحكى ان الحواريين قالوا لعيسى
عليه السلام يا روح الله من الناصح لله قال الذى
يقدم حق الله على حق الناس هذا والمفهوم من
شرح ابن حجر زيادة عز وجل هنا في المتن وهو غير
موجود في الاصول **ولكتابه** بان يعتقد انه كلامه
ويعتبر بمواعظه ويتدبر في عجايبه وغرايبه

ويعمل

ويعمل بمحكمه ويسلم في متشابهه ويكل علمه الى عالمه
ويذب عنه تاويل المحرفين وطعن الطاعنين وينشر
علومه ويبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه
ومنسوخه ومطلقه ومقيده ومجمله ومبينه
ويحفظ مبانيه ويراعي معانيه ويعمل بما فيه والمراد
بالكتاب القران لان الايمان به يتضمن الايمان بجميع
الكتب المنزلة او جنس الكتب السماوية اذ الجنس
المضاف يفيد العموم كما قرر في الاصول **ولرسوله**
بالايمان به وبجميع ما جا به والانقياد لاوامره والانتها
لزواجره ومعاداة من عاداه وموالاة ونصرها ملته (من والاه صح)
ونشر دعوته واحيا سنته ومحبة اهل بيته وصحابته
والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم او الجنس ليشمل
الانبيا والملك ايضا لان منهم رسل الى الانبيا كما قال تعالى
جاعل الملايكة رسلا **ولايمة المسلمين** بان ينقاد لطاعتهم
ولا يخرج عليهم والامام من له خلافة الرسول في اقامة
الدين بحيث يجب اتباعه على الخلق اجمعين قال الخطابي
ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم
واداء الصدقات اليهم انتهى يعني مالا صرفا اذا
كانوا عدولا في حكمهم والا فالاحتفاظ عنهم وصرفها الى
مستحقين اولى ان لم يخش ضررا منهم وفي مواتاهم
للعلما الاعلام بقبول ما رووه من الاحكام واحسان

الظن بهم فيما استنبطوه من فروع الاسلام وعامتهم
بارشادهم الى مصالحهم ومنافعهم والامر بالمعروف و
النهي عن المنكر ودفع الضرعنهم وجلب الخير اليهم
وسد عوراتهم وسد خلاتهم وتوقير كبيرهم وشفقة
صغيرهم وان يحب لهم ما يحب من الخير ويكره لهم
ما يكره لنفسه من الشر وقد قال بعض السلف من
وعظ اخاه سرا فهي نصيحة ومن وعظه على
روس الناس فهي فضيحة هذا ولم يقل ولعامتهم
للاشعار بان عامة الامة اتباع للائمة رواه مسلم
منفردا به عن تميم وليس له في صحيحه عنه سواه
واخرجه البخاري في صحيحه تعليقا وفي بعض
النسخ رواه البخاري ومسلم و هو كذا في الاذكار
والمشكاة و رياض الصالحين لكن فيه مساهلة
ومسامحة لان العبارة تقتضي ان يكون البخاري
روى هذا الحديث متصلا مسندا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من طريق تميم الداري
وليس كذلك بل انما اورده في ترجمة باب بدون
ذكر تميم الداري نعم انه روى صدر هذا الحديث
في تاريخه عن ثوبان فالصواب الاكتفا بقوله رواه
مسلم والله اعلم الحديث الثامن عن ابن عمر
رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم

لنفسه

89

وسلم قال امرت اي امرني ربي والحايدة العدول
عن التبيين دعوي التقبين والتعويل علي شها دة
القتل اذ ليس يا مره غيره عز وجل ان اقاتل الناس
ايماء ان اغاتلهم اذ تعد ية الامر تقتل بغير حرف نحو
الجر نحو امرتك الخير لكن ما ايتمرت به والمراد بالناس
عبدة الاوثان دون اهل الكتاب كما ذهب اليه اكثر
شراح الحديث لان الحاية مقاتلتهم ليس ما ذكر فقط بل
اما ذكر او اعطا الجزية والمراد بهم الاعم لكن خص منه
اهل الكتاب بالاية ذكره الطيبي قبل وهو الاولي لان الامر
بالقتال انما ثبت بالمدينة مع كل من يخالف الاسلام قال
ابن الصباغ الشامل لما بعث النبي صلي الله عليه وسلم
فرض عليه التوحيد والتبليغ وقراة القران لقوله
اقرا باسم ربك الذي خلق ثم فرض الصلاة بمكة
وفرض الصوم بعد سنتين من الهجرة والحج في
السنة السادسة او التاسعة واما الزكاة فقيل
بعد الصيام وقيل قبله واما الجهاد فلم يوذن له
بمكة واذن له بالمدينة لمن ابتدا به ثم ابتداهم به
دون الحرم والاشهر الحرم ثم نسخ ذلك وابيح ابتداهم
في الاشهر الحرم والحرم واما قول الخطابي ان المراد
عبدة الاوثان لان اهل الكتاب يقولون لا اله
الا الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف حتى

في م

بالناس

يقاتلون

يقروا بالشهادتين محمول على رواية ابي هريرة
من اقتصارها على لا اله الا الله لا على رواية
ابن عمر لقوله **حتى يشهدوا ان لا اله الا الله**
وان محمدا رسول الله مع ان التحقيق في المراد
لا اله الا الله كلمتا الشهادة وان الاقتصار عليها
من باب الاكتفا وصار هذه الكلمة علما للجملة ولذا
ورد في كثير من الاحاديث من قال لا اله الا الله
دخل الجنة ومن كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل
الجنة واما قول ابن حجر ان تخصيص جمع من الشراح
الناس بما قاله الخطابي وهم فانما هو وهم منه
لعدم فهم كلامهم وغرض مرامهم على ما قررنا
تبيانه وحررنا برهانه هذا وفي رواية حتى
يقولوا وهي صريحة في عدم اشتراط لفظ الشهادة
وفي الرد على من يقول بعدم صحة التقليد في
باب التوحيد بل ايمان المقلد صحيح عند ارباب
التاييد قال المص وهو مذهب المحققين والجماهير
من السلف والخلف واشتراط تعلم ادلة المتكلمين
ومعرفة الله بها والا لم يكن من اهل القبلة خطا
ظاهر فان المراد بالايمان هو التصديق الجازم
وقد حصل ولانه صلى الله عليه وسلم اكتفى
بالتصديق بما جا به ولم يشترط المعرفة بالدليل

وقد

وقد تظاهرت هذه الاحاديث في الصحيح فحصل
بمجموعها التواتر والعلم القطعي انتهى **ويقيموا**
الصلاة ويوتوا الزكاة خصهما بالذكر من بين اركان
الاسلام اعظاما بشانهما لانهما اساس العبادات البدنية
والمالية ولذا سمي الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة
الاسلام وقد قرن بينهما في القرآن آسرها والمعنى
حتى يقبلوا احكام الاسلام وينقادوا تحت الاحكام
والا فمجرد الشهادتين لا يجوز المقاتلة معهم حيث
اتو بنظام المرام ولا يتوقف اجراء احكام الاسلام
على اداء الصلاة وايتاء الزكاة باجماع العلماء الاعلام و
اغرب ابن حجر في هذا المقام حيث قال فيه دليل لقتل
تارك الصلاة وادعى ان عليه اكثر العلماء لانه عني
الامر بالقتال ولا يخفى ما فيه من تربيب المقال
اذ القائل بقتل تاركها لا يخرجه عن كونه مسلما بل
يقتله حدا كقتل القاتل قصاصا وهو مناف لان يكون
غاية المقاتلة مع ان المقاتلة مع الكفار دون القتل مع
الفجار على ان الشافعية لم يقولوا بقتل تارك الزكاة
وقد وقع الاجماع على قتال مانعيها بطريق الامتناع
كما وقع في زمن الصديق والفاروق ومن تبعهما
من اهل التحقيق ولم ينقل عن السلف والخلف
انهم قتلوا احدا بترك صلاة او زكاة بل ولم يشترط

الزكاة قنطرة
لعظم ح

بنظام

احد لمريد اسلام التزام صلاة ولا زكاة بل روي عن
الامام احمد انه قبل سلام من اشترط ان لا زكاة ولا
جهاد ومن اشترط ان لا يصلي الا صلاتين ومن
اشترط ان يسجد من غير ركوع وهذا مبني على ان
الاسلام يصح على الشرط الفاسد ثم يومر بالشرايع
كلها وهذا هو المناسب لمقام التدريج في احكام
الاسلام وقد جا في حديث ضعيف على ما قيل انه
صلى الله عليه وسلم لم يكن يقبل من اجابه الى الاسلام
الا باقامة الصلاة وايتا الزكاة وهذا الايتا في قتال
اهل الردة وامتناعهم ايتا الزكاة بعد انقياد احكام
الاسلام وحديث ابي هريرة في صحيح مسلم كالصريح
لما ذهبنا اليه وهو انه صلى الله عليه وسلم يوم
خيبر حين اعطى الراية لعلي فقال علي ما اقاتلهم
قال على ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله فاذا فعلوا ذلك عصموا منك دماهم واموالهم
الا بحقها فجعل مجرد الاجابة اليهما عاصمة للنفوس
والاموال الا بحقها ومنه حديث معاذ لما بعثه
الى اليمن امرهم ان يدعوهم اولا الى الشهادتين ثم
ان من اطاعه فيها اعلمه بالصلاة ثم بالزكاة نعم
نقاتل قوما او اهل قرية اتفقوا على ترك الصلاة
وكذا في اذان شعاير الاسلام كالاذان على ما صرح به

علماونا

علما وناد الاعلام الا انه لا يجوز قتل كل فرد منهم بعلة
ترك الصلاة والاذان اجماعا الا ما قال الامام احمد من ان
تارك الصلاة متعمدا كافر يعني يصير كافرا هو احد وجهي
تركها والجمهور اولوا الحديث بان المراد بقوله من ترك
الصلاة متعمدا فقد كفر اي النعمة او يقارب الكفر او
يخشى عليه الكفر او محمول على المستحل **فاذا فعلوا**
ذلك اي ما ذكر من الشهادتين والاقامة والايتا و
اطلاق الفعل على المشار اليه مع ان بعضه قول
اما باعتبار انه عمل اللسان المعبر عن عمل الجنان او
على سبيل تغليب الاثنين على الواحد **عصموا** بفتح
الصاد اي حفظوا **مني** اي من تعرضي **دماهم**
واموالهم لان قيل جعل غاية المقاتلة وجود ما
ذكر مقتضى الحديث ان من شهد واقام واتى
ترك القتال معه وان جحد سائر ما جاء به النبي صلى
الله عليه وسلم لكنه ليس كذلك اجيب بان الشها دة
برسالته يتضمن التصديق بجميع ما جاء به مع ان
قوله **الا بحق الاسلام** يدخل فيه جميع ذلك وانما
خصصنا بالذكر لما قدمناه هنالك والمراد بحق الاسلام
القتل بالقصاص والزنا والقطع بالسرقة وغرامة
ما اتلف من مال اخيه المسلم ونحو ذلك فانه لحدود
واجبة الاحكام بحق الاسلام والمسلم التزمها باسلامه

فيقام عليه بمقتضى التراسه والمعنى اذا فعلوا ذلك
لا نتعرض لهم بسبب من الاسباب يحدث هنالك الا بحق
الاسلام وحسابهم على الله تعالى اي انا احكم فيهم
بهذه الاحكام ظاهرا وحسابهم يتعلق الى الله عز
وجل باطنا فرب عاص بصادق عند الله عز وجل حيرا
في الباطن وبالعكس لحديث نحن نحكم بالظواهر
والله اعلم بالسرائر وخبر ما امرت بان اشق على
قلوب الناس ولا بطونهم وقال لاسامة هلا اشتقت
عن قلبه وفيه دليل على ان من اظهر الاسلام وابطن الكفر
قبل اسلامه ظاهرا وهو ما ذهب اليه الجمهور وقال
مالك واحمد لا تقبل توبة الزنديق وكذا قال بعض علمائنا
رواه البخاري ومسلم اي ما عدا قوله الا بحق الاسلام
ولما كان الاعتبار لا كثر الكلام صح اسناده الى مسلم في
هذا المقام قاله مع قول ابن حجر وعجيب من المصنف مع
شدة تحقيقه وحفظه كيف اوهم ان كلا من الشيخين
خرجه جميعه انتهى ويؤيد ما قلناه ان السيوطي
ذكر هذا الحديث في الجامع الصغير وقال رواه
الشيخان والاربعة عن ابي هريرة مرفوعا ولفظه
امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا
الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وذكره في

محاسبة بواطنهم

الكبير

الكبير ايضا وقال رواه ابن جرير والطبراني في الاوسط
عن انس ولفظها امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها قيل وما حقها قال زنا بعد احصان او كفر
بعد اسلام او قتل نفس فيقتل بها وفي حصر
الثلاثة في معرض التبيان دلالة على ان تارك الصلاة
لا يقتل فتامل ولا يعكر قول ابن حجر ان سياق
الحديث وان كان في الكافر لكن المسلم اولى منه بذلك
لانه تركها مع اعتقاده وجوبها بخلاف الكافر الاصلي
لانه ممنوع ومدفوع بان المسلم معصوم الذمة
الا ان ترك احدى الثلاثة المذكورة على ما ورد بصيغة
الحصر في حديث صحيح بلفظ لا يحل دم امرئ مسلم
الا باحدى ثلاث الحديث كما سياتي في اصل الكتاب
هذا وجاء في رواية للشيخين عن ابي هريرة امرت
ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا
بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وفي رواية حتى يقولوا لا اله الا
الله فمن قال لا اله الا الله عصم مني الى اخره واخرجه
مسلم عن جابر بهذا اللفظ وزاد ثم قرا انما انت مذكر
لست عليهم بمسيطر واخرجه مسلم عن انس ولفظه

امرت ان اقاتل المشركين حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله وان يستقبلوا قبلتنا وان يأكلوا
ذبيحتنا وان يصلوا صلاتنا فاذا فعلوا ذلك حرمت
علينا دماءهم واموالهم الا بحقها لهم ما للمسلمين و
عليهم ما على المسلمين واخرج الذهبي عن يونس
ابن كثير عن قتادة قال لما توفي النبي صلى الله عليه
وسلم ارتدت طوايف كثيرة من العرب عن الاسلام
ومنعوا الزكاة ومنهم من منع الزكاة ولكن كما صرح به
غيره فنهض ابو بكر رضي الله عنه لقتالهم فاشار
اليه عمر وغيره ان يفتر عن قتال مانعي الزكاة فقال
والله لو منعوني عقالا وعناقا كانوا يؤدونها الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عن منعها فقال
عمر كيف نقاتل الناس وقد قالوا لا اله الا الله وقد
قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى
يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها فقال ابو بكر لاقاتلن من فرق
بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال وقد قال
الا بحقها قال عمر فوالله ما هو الا ان رايت الله شرح صدر
ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق انتهى وبهذا يندفع
قول ابن حجر ومن العجب ان حديث ابن عمر هذا الذي

سافر

سابقة المصنف في قتال مانعي الزكاة ولم يبلغه ابا بكر
وعمر رضي الله عنهما مع تشاجرهما واختلاف رايهما
فاستدل ابو بكر بالحديث الثاني وعمر بانه اقتصر
على قول لا اله الا الله انتهى ولا يخفى ان عمر وغيره
رضي الله عنهم ذهبوا الى ان اكثر الاحاديث فيها الاكتفا
بالشهادتين في الغاية فلا يجوز قتال مانعي الزكاة
كما لا يجوز قتال تاركي الصلاة واختار ابو بكر انه يجوز
قتال قوم تركوا من شعاير الاسلام شيا من ترك
صلاة وزكاة وجمعة وجماعة واذان ونحوها من
حقها ورجعوا الى قوله رضي الله عنه فيكون اجماعا
واما قتل احد بترك صلاة او زكاة او جمعة ونحوها
مع اقراره بالفريضة فلا يعرف له سند مرضي في
القضية وحاصل جميع الاحاديث انه امران يقاتل
الكفرة حتى يقروا بالتوحيد والنبوة وان ينقادوا
لاحكام الملة ثم اعلم ان في هذا الحديث اشارة الى نور
التوحيد وظهور التفريد وهو وضوح فنا اثار
الخلق بتشعشع انوار ربنا الحق وله مراتب منها
التوحيد النظري ان علم بالاستدلال او التقليدي
ان علم بمجرد تصديق المخبر الصادق في مقام الكمال
وسلم القلب في توحيد الرب من الشبهة والحيرة
والريبة وهو ان يعتقد ان الله منفرد بوصف

الالهية متوحد باستحقاق العبودية كما اشار اليه
في الحديث ان به تحقن الدماء والاموال ويتخلص من
الشرك الجلي في الاحوال ومنها التوحيد العلمي وهو ان
يصير العبد بخروجه من غشاوة صفاته وخلاصه
من سجن ظلمات ذاته وانسلاخه عن لباس الاختيار
حيران في فضاء نور عظمة الجبار ولهان تحت سبحات
سطوات الانوار فيعرف ان الموجد الحق والمرشد
المطلق هو الله الواحد القهار وان كل ذات فرع من
نور ذاته وكل نعت من علم وقدرة وارادة وسمع و
بصر عكس من انوار صفاته واثر من آثار افعاله واسرار
مصنوعاته ومنشاوه نور المراقبة ومنها التوحيد
الحالي وهو ان يصير التوحيد وصفا لازما لذات الموحد
بتلاشي ظلمات رسوم وجود الغير الا قليلا في غلبة
اشراق نور التوحيد واستتار نور حاله في نور علم
التفريد كما قال بعض اهل التاييد شعر
فلما استنار الصبح ادرج ضوءه باسفاره اضواء نور الكواكب
واستغراقه في مشاهدة جمال وجود الواحد بحيث
لا يظهر عند شهوده الا ذات الواحد وبرى التوحيد
صفة الواحد لا صفته بل لا يرى ذلك هنالك كما قال الجنيد
التوحيد معنى يضمحل فيه الرسوم ويندرج فيه
العلوم ويكون الله كما لم يزل ومنها التوحيد الالهي

وهو

وهو ان الله تعالى كان في الازل موصوفا بالوحدانية
في الذات وبالاحدية في الصفات كان ولم يكن معه
شي والان كما كان كل شي هالك الا وجهه ولم يقل يهلك
لان عزة وحدانيته لم تدع لغيره وجودا وفي هذا
المعني انشد العارف الانصاري لنفسه شعر
شريف المبني ظريف المعني

ما وحد الواحد من واحد ۞ اذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته ۞ عارية ابطلها الواحد
توحيده اياه توحيده ۞ ونعت من ينعته لاحد

ثم اعلم ان كل جمع ليس بعده تفرقة فهو الحاد وزندقة
فنرجع عن هذا التدقيق ونقول في مقام التوفيق
ان كل تحقيق هو ان يقال الشهادة اشارة الي تخلية لوح
القلب عن الشرك الجلي والخفي وساير النقوش الكونية
ثم تحليته بالمعارف والحكم الالهية والاعتقادات الحقية
واحوال المعاد وغيرها من الامور الاخروية لان من
اثبت ذات الله بجميع اسمايه وصفاته التي دل
عليها اسم الجلالة ونفي غيره وصدق رسالة النبي
نبعت الصدق والامانة فقد وفي بموعده عهده
وبذل نهاية جهده في بداية جهده وامن بجميع
ما وجب من الكتب والرسل والمعاد ولذا لم يتعرض
في الحديث لاعداد ساير الاعداد ثم اقامة الصلاة

ارشاد الي ترك الراحات البدنية واتعاب الالات الجسدية
وهي ام العبادات التي اذا وجد ثم يتاخر عنها البقية
ولذا استغني عن عدها عدها وعن ترك السيات
بعدها فان الصلاة تنهي عن الفحشا والمنكر ثم
ابتا الزكاة هو الاعراض عن الفضول المالية عن كل الموجودات
الوهمية وبذل المال الذي هو شقيق الروح لاستفتاح
ابواب الفتوح ولدفع المانع عن الاشتغال بمقامات
ارباب الكمال ولعدم الانس بالفاني عن الباقي من مطالعة
الجمال ومشاهدة الجلال والله سبحانه اعلم بحقيقة
الاحوال الحديث التاسع عن ابي هريرة
رضي الله عنه قيل بالتنوين وصوبه جماعة لانها
جز علم واختار اخرون منع صرفه كما هو الشايع
علي السنة العلما من المحدثين وغيرهم لان الكل
صار كالكلمة الواحدة واعترض عليه بانه يلزم
عليه رعاية الاصل والحال معا في كلمة بل في لفظ هريرة
اذا وقفت فلعلا فانها تعرب اعراب المضاف اليه
الحال ونظيره خفي في جنس المقال قال ابن حجر ويجاب
بان الممتنع رعايتهما من جهة واحدة لا من جهتين
كما هنا وكان الحامل عليه الخفة واشتهار هذه الكنية
حتي نسي الاسم الاصلي بحيث اختلفوا فيه اختلافا
كثيرا انتهي ولا يخفي ان هذا مما لا يشفي العليل فالمعتمد

95

ما قدمناه في الخطبة ان هريرة صارت علما حتى
كان يطلق عليها وهي كبيرة وسبب تلقيبه بذلك ما
رواه ابن عبد البر عنه انه قال كنت احمل يوما هرة
في كمي فرآني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما هذه فقلت هرة فقال يا ابا هريرة واختلف في
اسمه على خمسة وثلاثين قولا اصحها ما ذكره المص
بقوله عبد الرحمن وقد روي عن ابن اسحاق عنه انه بدله
في الاسلام عن عبد شمس اسمه في الجاهلية ابن صخر
رضي الله عنه اسلم عام خيبر وشهدها ثم لازم
النبي صلى الله عليه وسلم الملازمة التامة رغبة
في العلم راضيا بالشبع بطنه في باب القناعة ومن
ثم كان احفظ الصحابة قال البخاري روي عنه اكثر من
ثمانمائة ما بين صحابي وتابعي توفي سنة سبع وخمسين
بالمدينة ودفن بالبقيع وما اشتهر ان قبره بقرب
عسقلان لا اصل له وانما ذاك صحابي اخر اسمه جندرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما نهيتكم عنه اي سواء كان نهي تحريم او تنزيه
ليشمل الحرام والمكروه فاجتنبوه اي اجعلوه في جانب
واتركوه وفي رواية فدعوه قاله في حجة الوداع حين
خطب قائلا ايها الناس فرض عليكم الحج فقال
الاقرع بن حابس اكل عام يا رسول الله فسكت

١

حتي قالها ثلاثا فقال لو قلت نعم لوجب ولما استطعتم
وهذا الخطاب ونحوه يختص لغة بالموجود بن عند نزولها
وعرفا يشتمل من بعدهم لما هو معلوم من الدين بالضرورة
ان هذه الشريعة عامة الي يوم القيامة ولقوله
حكمي علي الواحد علي الجماعة وما امرتكم به فأتوا وفي حكمي ص
نسخة صحيحة فافعلوا منه اي مما امرتكم وجوبا في
الواجب وندبا في المندوب ما استطعتم ما قدرتم
عليه لانه سبحانه يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
ولا يكلف نفسا الا وسعها ويفيد الحديث والاية الموافقة
له يخص عموم قوله تعالي وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا ثم هذا الحديث موافق لقوله
تعالي فاتقوا الله ما استطعتم واما قوله عز وجل
اتقوا الله حق تقاته فقيل منسوخ
والاصح ان تلك مبينة لهذه وانما يتم هذا علي تفسير
حق تقاته بامتثال امره واجتناب زجره واما علي
المشهور من تفسيره بان يذكر فلا ينسي ويطاع فلا
يعصي فالاوجه النسخ لان هذه لما نزلت خرجت
الصحابة رضي الله عنهم منها وقالوا اينا يطيق ذلك
فنزلت والاظهر ان هذا التفسير بيان لتقوي
الخاصة وما سبق لتقوي العامة وعن احمد انه
يوخذ من الحديث ان النهي اشد من الامر لانه لم
يرخص في شي منه والامر مقيد بالاستطاعة

ويريده

ويؤيده قول بعضهم اعمال البر يعملها البار والفاجر
والمعاصي لا يتركها الا الصديقون وقد يؤخذ من
هذا الحديث مبني القاعدة المشهورة وهي ان درأ
المفاسد اولي من جلب المصالح فاذا تعارضت مفسدة
ومصلحة قدم دفعها علي نفعها لان اعتبار الشارع بالمنهيات
اشد منه بالمامورات وهذا يوافق الحكمة البدنية ايضا
من ان الاحتما اولي من استعمال الدوا **فانما اهلك الذين**
من قبلكم اي صارت سبب هلاكهم **كثرة مسايلهم**
اي ما لم يحتج اليها الضرورات وقيل الاستفسار يحبس
في الاخبارات ويبيح في الانشاات وذلك قصة بني اسرايل
في قصته البقرة ونحوها **واختلافهم** قال المص هو
برفع الفا لا بكسرها يعني بفساد المعني اي عصيانهم
علي انبيايهم او ترددهم في انباهم ثم اعلم ان هذا الحديث
من جوامع الكلم وقد تضمن احكاما منها وجوب ترك المنهيات
ومنها وجوب فعل المامورات لان الامر فيها للوجوب
ومنها تحريم الاختلاف الموجب للاختلال وكثرة السوال
من غير ضرورة داعية الي تلك الحال لانه توعد عليه
بالهلاك والوعيد علي الشي يقتضي تحريمه وقد قال
تعالي واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا اما الاختلاف
فلانه سبب تفرق القلوب ووهن الدين وظهور الفتون
كما جري للخوارج حين تبرا بعضهم من بعض واندحضوا

وذلك حرام وسبب الحرام حرام واما كثرة السوال من غير
ضرورة به مشعر بالتعنت او مفيض اليه وهو حرام
وقد نهي النبي صلي الله عليه وسلم عن قيل وقال وكثرة
السوال وروي احمد انه عليه السلام نهي عن الاغلوطات
وهي المسايل المشكلات وورد سيكون اقوام من امتي
يغلطون فقهاهم بعضل المسايل اوليك شرار امتي وقال
الحسن شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسايل
يعمون بها عباد الله وقال الاوزاعي ان الله اذا اراد ان
يحرم عبده بركة العلم القي علي لسانه المغاليط فلقد
رايتهم اقل الناس علما وكان ابي بن كعب وزيد بن ثابت
وغيرهما من افاضل الصحابة اذا سيل احدهم عن مسيلة يقول
اوقعت فان قيل نعم قال فيها بعلمه او احال علي غيره وان
قيل لا قال دعها حتي تقع هذا كله فيمن يسال تعنتا
وتكلفا واما من سال حاجته وتفرقا فهو مثاب
لقوله تعالي فاسيلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
ولا سيما اذا كان المسيول عنه معدن الحقايق ومنبع
الدقايق شعر

وان كنت لا بد مستشربا من اعظم البحر تستشرب

وفي الحديث اشارة الي وجوب اتباعه عليه السلام
وتسليم ما جا به من الاحكام من غير معارضة ولا مدافعة
الا لم يترك شيا يقرب الي الله الا امر به ولا شيا يبعد

عنه

عنه سبحانه الا نبي عن ذلك وهي امور لا يرشد اليها
مجرد العقل اذ العقل لا انما منه رسم العبودية لا ادراك
رسوم الربوبية بل تلك اسرار يكاشف من حضرة القدس
وخطيرة الانس القلب الاصفى للنبي المصطفى
لانه من بين الخلق تخلق باخلاق الحق قد والعرش
محمود وهذا معنى قال السهروردي العارف وجاء
مثالك ايها المحبوس في قفص عالم الحكمة مثال
الجنين في بطن الام فانه لو قيل له ان الله خالق
السموات والعرش والكرسي والشمس والقمر ما يفهم
ذلك ولا يهتدي ما هنالك فانت ايها المتعقل بعقلك
ذلك الجنين ما انشقت عينيك مشاهد عالم الشهادة
ولا تتقمصت بصفة وجودك بعد ما ولدت فاذا مت
يقال لك فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
فتستيقظ من نومتك بموتك وترى حالما ما رايته
بعينك كما قال بعضهم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا
واما اهل الله وخاصته فوجدوا ذلك وما لوا الى
ما هنالك شوقا وقد قال قائلهم لو كشف الغطاء ما ازددت
يقينا رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس
قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول
الله فسكت حتى قالها مرارا فقال رسول الله

بمعاصر

ذوقا

الفطائم

صلي الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم
ثم قال ذروني ما تركتكم فانما هلك الذين من قبلكم
بكثرة سوالهم واختلافهم علي انبيايهم فاذا امرتكم
بشي فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي
هذا فدعوه وقد قال تعالي لا تسالوا عن اشيا ان تبد
لكم تسؤكم فقيل انها نزلت لما سالوه عن الحج وقالوا
افي كل عام والمعني انجميع ما يحتاج اليه من امر
الدين لا بد ان يتبين في القران المبين فلا حاجة
الي السوال وانما المحتاج فهم ما فيه بمساعدة احاديث
سيد المرسلين قال تعالي لتبين للناس ما نزل
اليهم ولعلهم يتفكرون وقد صح ان اعظم المسلمين
جرما من سال عن شي لم يحرم من اجل مسالته (فحرم)
وعن انس نهينا ان نسال رسول الله صلي الله
عليه وسلم عن شي وكان يعجبنا ان يجي الرجل من اهل
البادية العاقل فيساله ونحن نسمع وروي احمد انهم
رشوا اعرابيا بردا حتي يسال لهم ولعل هذا هو السبب
لسؤال جبريل عليه السلام الحديث العاشر
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم ان الله تعالي طيب اي حسن
جيد ماخوذ من الطيب والمعني طيب الثنا مستلذ
الاسما قيل فهو من اسمايه الحسني بصحة الحديث

بد

98

به كالجميل لحديث ان الله جميل يحب الجمال رواه البيهقي
بسند صحيح عن ابي سعيد وا ما زاد ابن عدي
سخي يحب السخي ونظيف يحب النظافة فسنده
ضعيف وكذا ما رواه الترمذي ان الله طيب يحب الطيب
نظيف يحب النظافة جواد يحب الجواد ففي اسناده
مقال والحاصل ان معناه متصف بجميع صفات
الكمال ومنزه عن سمت النقصان والزوال لا يقبل
من الاعمال والاقوال والاموال والاحوال الا طيبا لقوله
تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
والمعنى الا طاهرا خالصا من المفسدات كالعجب والريا
او حلالا احترازا من المال المغصوب والربا واعلم ان الطيب
يطلق لمعان منها المستلذ طبعا نحو هذا طعام طيب
نحو قوله تعالى كلوا ما طاب من السلوى ومنها الحلال
ويقابله الخبيث كقوله تعالى قل لا يستوي الخبيث
والطيب ومنها الطاهر كقوله الطيبون للطيبات
اي الطاهرون من العيوب للطاهرات من الذنوب
والله عز وجل طيب بهذا المعنى اي هو طاهر منزه
عن جميع النقايص والافات لا يقبل من الاعمال الا طاهرا
من المفسدات ولا من الاموال الا طاهرا من المحرمات
ثم اعلم ان انتفا القبول قد يوذن بانتفا الصحة
كما في حديث لا يقبل الله صلاة احدكم اذا احدث

حتى يتوطى وقد يفسر القبول بالثواب ومنه خبر
احمد من صلى في ثوب قيمته عشرة دراهم فيه درهم
حرام لم يقبل الله صلاة ما كان عليه ومنه قوله
تعالى انما يتقبل الله من المتقين فمعنى الحديث
لا ينبغي ان يتقرب الى الملك المتعال الا بما يكون حلالا
من خيار المال كما قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون ولا يقبل الا عبدا متحليا بفضيلتي العلم
والعمل تقيا من الشبهات نقيا من النجاسات سليما
قلبه من الافات ثم هذه الجملة الممهدة توطية لما
هو الغرض من سياق هذا الحديث وهو استحالة
اكل الحلال لحيازة الكمال المستلزم لاجابة الدعا في
غالب الاحوال ولذا قال وان الله عز اي شانه وجل اي
برهانه امر المومنين بما امر به المرسلين فسوى بين
الرسل واممهم في خطاب المقال لعموم وجوب
اكل الحلال فقال اي الله كما في نسخة صحيحة وفي اخرى
اكتفي بقوله تعالى يا ايها الرسل هذا الخطاب و
النداء ليس على ظاهره لانهم ارسلوا في ازمنة
مختلفة فالمراد الاعلام بان كل رسول نودي بهذا في
زمانه ليعتقد السامع ان ما نودوا به جميعا حقيق بالاخذ
والعمل به كذا في الكشاف وفيه نفحة اعتزالية لانهم لما لم
يثبتوا قدم الكلام حملوا على ذلك لنظام المرام لكن الحق

ان

٩٩

ان الله متكلم في الازل وان لم يكن ثم مخاطب فالخطاب
علي ظاهره واجيب عن هذا بان التعلق التنجيزي
في حال العدم بان يطلب من المكلف العقل والفهم في
حال العدم او الفهم في حال العدم محال بالاتفاق
والمراد بالخطاب للمعدوم كما حققه شارح المختصر
التعلق العقلي وهو ان المعدوم الذي علم الله انه يوجد
بشرايط التكليف يوجه عليه حكم في الازل بما يفهمه
ويمتثله فيما لا يزال انتهي وقد يقال يمكن الجمع بين
القولين بانه كما تعلق العلم الازلي بهذا الخطاب ظاهر
علي وفقه التعلق التنجيزي بخطاب الرسل واحدا
بعد واحد في هذا الباب ويويده ان هذا كله محفوظ
في ام الكتاب **كلوا من الطيبات** اي الحلالات ولو
كانت من المستلذات وقدمه علي قوله **واعملوا صالحا**
اي كل ما يصلح من العبادات ليكون اشارة الي ان
الصالح من الاعمال لا بد ان يكون مسبوقا باكل الحلال
**وقال تعالي يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم** اي حلالات ما ملكناكم واعطيناكم اسند
الرزق اليه نفسه تحريضا لهم علي غاية احتياطهم
حتي لا ياكلوا الا الحلال المطلق الذي يتساهل ان
يضاف اليه ومن تبعيضية صيانة لهم علي الاسراف
في الكمية واشارة الي ان حمله رزقه ومحصوله

اكثر من ماكوله ومع هذا هو حريص على زيادة تحصيله
والامر للاباحة او للوجوب كالواشرف على الهلاك
في المجاعة او للندب كمواغقة الضيف ومعاونة
الصوم وقوة العبادة قال سهل بن عبد الله اداب الاكل
ان يكون حلالا وهو ما لا يعصي الله فيه وصافيا وهو
ما لا ينسى الله فيه وقواما وهو ما يمسك النفس
والعقل وتماما وهو ان يودي شكر المنعم وفي الاية
اشارة الى ان الحرام رزق وهو مذهب اهل السنة
خلافا للمعتزلة ودليلنا من الكتاب قوله تعالى وما
من دابة في الارض الا على الله رزقها وقد علمنا
ان جميع المخلوقين ليس ياكلون حلالا فانهم قد
يسرقون ويغصبون وينفذون بدون السنة
حديث ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها
فدل على ان جميع ما اكلته كل نفس رزقها حلالا كان
او حراما مع اجماع الامة ان الله يرزق البهايم ما ياكله
وليس يملك لنوها فدل على ان اصل الرزق لا يشترط
فيه الملك قال ابو هريرة ثم ذكر اي النبي صلى الله
عليه وسلم الرجل استطرادا بان عقب كلامه
بذكر الرجل الموصوف استبعادا لان الله يقبل دعا
اكل الحرام لبعد مناسبته عن جناب الاقدس
لتكدر روحه وتسود قلبه ولفظة ثم للترتيب في
الوجود

على م

نقلة انا يلا

الوجود لا في رتبة الشهود و يطيل السفر منصوب
على الحال بانه صفة للرجل لانه في المعنى كالنكرة او حال
كما جوز الوجهان في قوله تعالى يحمل اسفارا وقيد
الاطالة لانها اقرب الى الاجابة لان طول الغربة
يقتضي زيادة الكربة والمعنى يطيل السفر في العبادة
كالحج وطلب العلم والغزوات ومع ذلك لا يستجاب له
الدعوة فكيف بمن هو منهمك في المعصية او الغفلة
اشعث متفرق الشعر كما هو من لوازم السفر
اغبر مغبر الوجه في الاكثر صفتان اخريان او
حالان مترادفتان من فاعل يطيل او متداخلان
وفي هذين الحالين ايضا اشارة الى رثاثة الهيئة
من اسباب الاجابة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
رب اشعث اغبر ذي طمرين مدفوع بالابواب
لو اقسم على الله لابره ولذا ندب ذلك في دعا
الاستسقا يمد يديه اي يرفعهما الى السما
لانها قبلة الدعا قايلا يا رب اعطني كذا يا رب
جنبني كذا والمراد بهما التكرار والالحاح وبه يؤيده
انه احرى البرار موعوعا اذا قال العبد يا رب
ربما قال الله لبيك عبدي سل تعطه ولذا غالب
ادعية القران مصدرة بذكر الرب فان صفة الربوبية
يناسب حال العبودية وقد قال جعفر الصادق

[illegible]

من حزنه من امر فقال خمس مرات يارب انجاه الله
مما يخاف واعطاه ما اراد لان الله حكى عنهم انهم قالوه
خمسا ثم قال فاستجاب لهم ربهم وفي الحديث ان الله
كريم يستحيي من عبده ان يرفع اليه كفيه ثم يردهما صفرا
خائبتين رواه احمد وابو داود والترمذي والحاكم والبيهقي
عن ابي موسى وسبب ذلك ان في رفعهما اشعارا الى
الذل والانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار ولذا
قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله ببطون اكفكم
ولا تسالوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم
واما ما ورد في صحيح مسلم انه صلى الله عليه
وسلم جعل ظهورها الى السما فلعله من خصوصية
دعا الاستسقا لما فيه من الايما الى انقلاب
الاحوال كما ذكره في تقليب الردا وروى احمد انه
صلى الله عليه وسلم فعله وهو واقف بعرفة
وحملوه على انه جمع بين الوجهين فالاول لحصول
مطلوب من النعما والثاني لدفع ما وقع به من
البلا وجا ايضا انه رفع يديه وجعل ظهورهما
الى جهة القبلة وهو مستقبلها وجعل بطونهما
مما يليه ولعله لبيان الجواز ولدفع ما يتوقع به
من المحنة فجعل يديه بمنزلة الجنة ثم في رفعهما
الى السما ايما الى ان السما مخزن الارزاق ومعدن [illegible]

اسرار الخلاق ومعبد العمال ومحل الضيا ومنزل الصفا
ومطعمه حرام حال من فاعل قايلا وهو مصدر
ميمي بمعنى المفعول وكذا قوله ومشربه حرام
وملبسه حرام وغذي هو بضم الغين وكسر
الذال ذكره المص وهو بتخفيف الذال المعجمة في اكثر
النسخ المعتبرة وفي المصابيح وردت مشددة
اي والحال انه قد حصل تغذيته وتنميته وتربيته
بالحرام فهو اشارة الى حال صغره كما ان قوله مطعمه
الى حال كبره تنبيها على استواحاليه في امره
فانى الاستفهام للاستبعاد اي كيف ومن اين
يستجاب اي يجاب الدعا لذلك اي الرجل الموصوف
بالابتلا ولاجل كون مطعمه ومشربه وملبسه
حراما من الابتدا الى الانتها وقد قيل ان للدعا جناحين
اكل الحلال وصدق المقال لكنه في هذا الزمان لا
يوجد الا قليلا في كثير من الاحوال فلنكتف بغيره
مما يحفظ دروعا البلا عن تجوعا وما احسن
قول بعض الظرفا

يقول لي الجهول بغير علم ● دع المال الحرام وكن قنوعا
فلما لم اجد مالا حلالا ● ولم اكل حراما مت جوعا

لكن قال بعض العارفين واذا كنت مضطرا تاكل
الميتة فينبغي انك ما دمت تلتفي غنما لا تاكل

من حمار وما دمت تجد حمارا لا تاكل من كلب وما دمت
تصاد فكلبا لا تباشر خنزيرا فقيه الاشارة الي ان
وقت الابتلا بالمحرمات والشبهات ينبغي ان يراعي
ما يوجد اقرب الي الحلالات ثم اقل المراتب في هذا
الباب ان يحترز بما حرمه فتوي العلما وهو ورع
العامة ثم يمتنع عما يتطرق اليه احتمال التحريم وان
افتي المفتي بحله بقوله عليه السلام فيما سياتي
وان افتوك وهو ورع المتقين ثم الحذر عن كل ما يراد
بتناوله القوة علي الطاعة او يتطرق الي بعض اسبابه
معصية او كراهة وهو ورع الصديقين رواه
مسلم وهو احد الاحاديث التي عليها قواعد
الاسلام ومباني الاحكام وعليه العمدة في اكتساب
الحلال واجتناب الحرام واخرج الطبراني عن ابن
عباس قال تليت عند رسول الله صلي الله عليه
وسلم هذه الاية يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا
طيبا فقال سعد بن ابي وقاص يا رسول الله ادع
الله ان يجعلني مستجاب الدعوة فقال له النبي
صلي الله عليه وسلم يا سعد اطب مطعمك تكن
مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده ان
العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل
منه اربعين يوما وايما عبد نبت لحمه من سحت

فالنار

فالنار اولي به وقد قيل لم لم يستجاب دعوتك دون
الصحابة فقال ما رفعت الي فمي لقمة الا وانا اعلم
من اين جات ومن اين خرجت وجاني محدث
انه اذا خرج الحاج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله
في الغرز اي الركاب فقال لبيك ناداه ملك من السما
لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك الحديث
الحادي عشر قيل انه مبني علي السكون وقيل
وقيل علي الفتحة التقديرية وقيل بالفتحة اللفظية
عن ابي محمد الحسن كناه بذلك وسماه رسول الله
صلي الله عليه وسلم ابن علي بن ابي طالب وقع في
اصل ابن حجر هنا رضي الله عنهما وهو في غير محله لتوهم
رجع الضمير الي علي وابي طالب والصواب تاخيره
كما في النسخ المعتبرة علي ما سياتي سبط رسول
الله صلي الله عليه وسلم بالجر علي انه بدل من
ابي محمد او بيان للحسن ويجوز رفعه علي انه خبر
مبتدا مقدر هو هو ونصبه بتقدير اعني اي
ابن بنته فاطمة الزهري رضي الله عنها وريحانته
اي طيب قلبه او رزق ربه او راحة روحه ولبه
وهو ماخوذ من قوله صلي الله عليه وسلم في
شان الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا
وفي رواية من الجنة ولد في نصف رمضان

سنة ثلاث من الهجرة على الاصح ومات سنة خمسين
مسموما من زوجته بارشا يزيد ابن لها على ذلك
كما قيل ودفن بالبقيع وكان من الحكما الكرما وسروبانة
ثلاثة عشر حديثا وعلقت فاطمة باخيه الحسين
بعد خمسين يوما من ولادته رضي الله عنها
اي عن الحسن وعلي ومن جلة مناقبه وعلو
مراتبه ما رواه مسلم عن ابي هريرة انه عليه
السلام قال للحسن اللهم اني احبه فاحبه وعن
معاوية قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم
عص لسانه او قال شفته يعني الحسن وانه
لن يعذب لسان او شفة مصها النبي صلى
الله عليه وسلم وروي انه حج خمسة عشر
حجة ماشيا والنجايب تقاد بين يديه وخرج
من ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات
وربما اجاز الواحد مائة الف وقد احصي سبعين
امراة ولما بايعه النبي صلى الله عليه وسلم بعد
ابيه ولي الخلافة سبعة اشهر واحد عشر
يوما ثم تركها خشية سفك الدما متابعة لما
روى الحسن البصري عن ابي هريرة بكرة قال
بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب
جا الحسن حتى صعد المنبر فقال ان ابني هذا

الناس م

سيد وان الله سيصلح به بين فيتين عظيمتين
من المسلمين قال حفظت من وفي نسخة ضبطت
عن رسول الله صلي الله عليه وسلم دع ما يريبك
الي ما لا يريبك هو بفتح اليا وضمها لغتان والفتح
افصح واشهر ومعناه اترك ما شككت فيه واعدل
الي ما لا تشك فيه ذكره المص واشار فيه الي ان
تعلقه بعقد وكاعدل او اذهب وللطيبي حتى ما
اتيقنته حسنا وحلالا واترك ما شككت في كونه
حسنا ام قبيحا وفي كونه حلالا ام حراما ويقال
دع ذاك الي كذا اي استبدله به والامر فيه للندب
وعن عمر رضي الله عنه انه قال ما شي اسهل من
الورع اذا رايك شي فدعه وقال ابو ذر تمام التقوي
ترك بعض الحلال خوفا ان يكون حراما وقيل لابن
ادهم الا تشرب من ما زمزم فقال لو كان لي دلوا
لشربت اشارة الي ان الدلو من مال السلطنة
وهو مشتبه ثم اعلم ان الريبة تقع في العبادة
والمناكحة وساير انواع الحقا ملق ومن ثم كان الخروج
من الخلاف في كل مسالة افضل باجماع علماء الامة
لانه ابعد عن الشبهة فالمعني اترك ما تشك
فيه من الاموال انه من نوع الحرام او الحلال او
ما تتردد فيه من الاقوال والافعال انه منهي

ما لبسه فيها بعض الريبة خير من السلبية ويروي عن زيد ابن ا[illegible] تمامها قص

عنه اولا و سنة او بدعة واعدل الي ما لا تشك
فيه من الاحوال والمقصود ان ينبغي المكلف اموره
في الدين علي اليقين واما بلسان العارفين فمعناه
اذا كنت صحيح الخاطر طاهر الباطن نقي القلب
مراقبا للغيب و تفرق لمة الملك من لمة الشيطان
والالهام من حديث النفس وكنت مميزا بين الحق
والباطل بنور الفراسة دع ما يريبك من الاغلوطات
القلبية والتبسهات النفسانية والشيطانية
الي ما يريبك بما ينزل بقلبك وعقلك وروحك من
الالهام الالهي وكان ترك ما يريبك مامور به
فترك ما يريب الغير مما يصعب علي افهام العامة
اولي كما اشار الي ذلك الامام الاعلي
اني لاكتم من علمي جواهره كي لا يري الحق جاهلا فيفتتنا
يا رب جوهر علم لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون اقبح ما ياتونه حسنا
رواه الترمذي بكسر التاء والميم وفتح الاولي وحكي
ضمها والكل بالذال المعجمة نسبة لمدينة قديمة
علي طرف جيحون نهر بلخ وهو ابو عيسي محمد
ابن عيسي بن سورة وكان من اوعية العلم والحديث
لقا البخاري وخلقا كثيرا توفي بترمذ من رجعون
في رجب سنة تسع وسبعين ومايتين والنسائي

فيفتتنا

بنجم

بلد بخراسان

بفتح النون والسين مقصورا ويمد منسوب
الي نسا بخراسان وهو الامام ابو عبد الرحمن احمد
ابن شعيب رحل واجتهدوا تقن الي ان تفرد
فقيها وحديثا واما مة وديانة ومات بمكة سنة
ثلاث وثلثماية كذا ذكره الشارحون ونسبوه الي جامع
الاصول ونقل ابن حجر انه مات بالرملة والله اعلم ورواه
ايضا ابن حبان في صحيحه والحاكم **وقال الترمذي**
حديث حسن صحيح اي حسن باعتبار اسناد و صحيح باعتبار اسناد
اخر والجمع بينهما باعتبار التردد فيه هل هو مترق
من جهة الحسن الي الصحة ام لا جذف كلمة او كما
تجد في من الذي بعد فلا يرد ما قيل من ان الجمع بينهما
في حديث واحد كالجمع بين المتنافيين لان الحسن
قاصر درجته عن مرتبة الصحيح كما يظهر لك من
تعريفهما في اصول الحديث وذكر ابن الصلاح وجها
اخر وهو انه اراد بالحسن اللغوي وبالصحيح
الاصطلاحي وهو ما تستحسنه النفس ويميل اليه
الطبع انتهي ولا يبعد ان يكون الامر بالعكس
بان يراد الصحيح الثابت سنده وقد يقال حسن
لذاته وصحيح لغيره هذا وعند الترمذي وغيره
زيادة فيه وهي فان الصدق طمانينة والكذب
ريبة ولفظ ابن حبان فان الخير طمانينة وان الشر

ريبة وقد اخرجه احمد ايضا عن انس والطبراني
عن ابن عمر وروي ابو نعيم في الحلية والخطيب
عن ابن عمر دع ما يريبك الي ما لا يريبك فانك لا تجد
فقد شي تركته لله عن ابن عمر عن وابصة ابن
معبد والخطيب وروي باسناد ضعيف عن ابي هريرة
عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال لرجل دع
ما يريبك الي ما لا يريبك قال وكيف لي بالعلم قال اذا اردت
امرا فضع يدك علي صدرك فان القلب يضطرب
للحرام ويسكن للحلال وان المسلم الورع يدع الصغيرة
مخافة الكبيرة زاد الطبراني قيل له فمن الورع قال
الذي يقف عند الشبهة ومن ثم تنزه يزيد بن
زريع عن خمسماية الف من ميراث ابيه فلم ياخذها
وكان ابوه يلي الاعمال للسلاطين وكان يزيد يعمل
الخوص ويتقوت منه الي ان مات وقد قيل ينبغي
ان التدقيق في التوقيق عن الشبهات انما يصلح
لمن استقامت احواله وتشابهت اعماله بخلاف
المنهمك في المحرمات ومن ثم قال ابن عمر لمن ساله
عن دم البعوض قتلوا الحسين واستاذن رجل بعض
السلف ان يكتب من محبرته فقال هذا ورع مظلم
وقال الاخر في مثل ذلك ما بلغ ورعي ولا ورعك
هنالك وقد قال بعض علمائنا هذا زمان الشبهات

وقد

105

وقت استعمالها وترك المحرمات والمعنى ان كثرة الشبها
وقلة الحلال ان اوجبت ان يكون الورع منحصرا في
ترك المحرمات ويؤيده انه صلى الله عليه وسلم
قال لاصحابه انتم في زمان لو تركتم عشر ما علمتم
لهلكتم ويأتي على الناس زمان لو عملوا بعشر ما علموا
لنجوا وفقنا الله لمرضاته ورزقنا رزقا حسنا مقويا
لطاعته الحديث الثاني عشر عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
بفتح اوله ذكره المصنف وبكسر ثالثه اي لا يهمه
من المعاني الاعتناء والمعنى ما لا ضرورة فيه
ولا منفعة له والضمير المستتر المرفوع راجع الى
ما والضمير المنصوب الى المرء بمعنى الشخص الكامل
للرجل والمراة ومن للتبعيض لان محاسن الاسلام
كثيرة ومن جملتها فعله ما يعنيه وترك مصدر
مضاف الى الفاعل الراجع الى المرء وما لا يعنيه
مفعول له والمجموع مبتدأ ومن حسن خبره وانما
قدم الخبر لاشتمال المبتدأ على ضمير يرجع الى متعلق
الخبر فهو من باب على التمرة مثلها زبدا ثم
اعلم ان الذي يعني الانسان من الامور ما يتعلق
بضرورة حياته وفي معاشه مما يشبعه من

ن
يعنيه

جوع ويرويه من عطش ويستر عورته ويعف
فرجه ويكفه ويسكنه ويضوره سلامته في
معاده وهو الاسلام والايمان والاحسان على ما مر
بيانه وسبق برهانه وذلك يسير بالنسبة الى ما لا يعنيه
ان سلم من سائر الافات وجميع الشرور والمخاصمات
وكان ذلك من الفوائد الدالة على حسن اسلامه
وثبات مقامه وحقيقة تقواه ومجانبة لهواه
لاشتغاله بمصالحه الاخروية واعراضه عن اغراضه
الدنيوية الشهوية من التوسع في الدنيا الدنية
وطلب المناصب والرياسة النفسية ومجمل الكلام
انه ينبغي للمرء ان يشتغل بالامور التي يكون فيها صلاح
معاشه ومعاده ويتصرف به في الدنيا بمقدار احتياجه
زاده لحصول مراده ويسعى في الكمالات العلمية
والحالات العملية التي هي وسائل الى حصول السعادة
الابدية ووصول النعم السرمدية وقد قال انس
استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه
صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب
عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لابي هريرة
تريد ان لا يجري عليك القلم قال نعم يا رسول الله قال

ادت

اذ هو ما يرضي الله وكف عن المحارم ودع الكلام فيما لا يعنيك
وكان الصديق الاكبر يقول يا ليتني كنت اخرس
الا عن ذكر الله وقال معروف مقت الله للعبد ان
يراه مشتغلا بما لا يعنيه فاته ما يعنيه وقال
الغزالي حد ما لا يعنيك في الكلام ان تتكلم بما لو سكت
عنه لم تاثم ولم تتضرر حالا ومالا فانك به تضيع زمانك
وتحاسب على ما نطق به لسانك اذ تستبدل
الذي هو ادني بالذي هو خير ولو صرفته في
الفكر والدعاء ربما ينفتح لك من نفحات وجه الله
ما يعظم جدواه ولو سبحت بني لك قصر في
الجنة ومن قدر على ان ياخذ كنزا من كنوز الجنة
واخذ بدله بدرة كان خاسرا في التجارة ثم حسن
الاسلام عبارة عن كماله وتمامه والاستسلام لاحكامه
وهو علامة شرح الصدر بنور الرب ونزول السكينة
على القلب حديث حسن بل صرح ابن عبد البر
بانه صحيح رواه الترمذي وغيره في الجامع
الصغير للسيوطي ان رواه الترمذي وابن
ماجه عن ابي هريرة واحمد والطبراني عن الحسين
ابن علي والحاكم في الكنى عن ابي بكر والشيرازي
عن ابي ذر والحاكم في تاريخه عن علي ابن ابي
طالب والطبراني في الاوسط عن زيد بن ثابت

وابن عساكر عن الحارث بن هشام هذا وفي
اصل ابن حجر زيادة هكذا مخالف لما في الاصول
فقال موصولا ولا ينافيه رواية مالك له في الموطا
عن الزهري مرسلا لان للزهري فيه اسنادين
احدهما مرسل وهو ما رواه مالك والاخر موصول
وهو ما رواه الترمذي وغيره والاتصال مقدم
على الارسال وبذلك يجاب عن قول احمد والبخاري
وابن معين والدارقطني لا يصح الا مرسلا قول
ولك ان تقول ان اسناد المرسل صحيح واسناد جواب م
الموصول حسن ولا تنافي بينهما فلا احتياج الي قول
ابن حجر علي ان له طرقا مرفوعة اذا اجتمعت
احدثت له قوة ولعل هذا من اسباب تحسين احرم
المصنف له انتهي ولا يخفى انه لم يقل بضعف هذا الحديث
حتى احتيج الي تحسينه بتعدد طرقه بل لعل تعدد
طرقه باسانيد حسنة اوجب ابن عبد البر ان
يقول بتصحيحه فكانه اراد انه حسن لذاته
صحيح لغيره او باعتبار بعض طرقه صحيح ومن
ثم قال ابن عبد البر وانه ثقات ثم هذا الحديث
من جوامع الكلم الجزيلة لاندراج المعاني الجليلة
في الالفاظ القليلة ولعله مستفاض من
قوله تعالى فيما وصف به المومنون الكاملون قد

افلح

١٠٧

افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
والذين هم عن اللغو معرضون ولهذا لما راي عليه
السلام من يعبث بلحيته في صلاته قال لو خشع
قلبه لخشعت جوارحه وفيه اشارة الي ان اللغو
يكون في القول والفعل والخاطر وقد قال في صحف
ابراهيم من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما
يعنيه وروي ان رجلا وقف علي لقمان الحكيم وهو
في حلقة عظيمة فقال الست عبد بني فلان
قال بلي قال فما الذي بلغ بك الي ما اري قال قدر
الله وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني واخرج
الترمذي ان رجلا مات اي شهيدا كما في رواية
وعن الحسن من علامات اعراض الله ان يجعل
شغله فيما لا يعنيه واخرج الترمذي ان رجلا مات
اي شهيدا كما في رواية فقال ابشر بالجنة فقال
صلي الله عليه وسلم اولا تدري فلعله تكلم بما لا يعنيه
او بخل بما يعنيه واخرج البيهقي مرفوعا اكثر الناس
ذنوبا اكثرهم كلاما فيما لا يعنيه الحديث الثالث
عشر عن ابي حمزة بحا مهملة وزاي مفتوحتين
بقلة حريفية كناه صلي الله عليه وسلم بها
لا جتنابه اياها انس بن مالك رضي الله عنه
الانصاري الخزرجي البخاري خادم رسول الله

ابو داود وهذا الحديث ربع الاسلام وروي عنه عليه السلام انه قال كم

عن العبدم

بخل بما يعنيهم

صلي الله عليه وسلم كما صح عنه ان النبي صلي الله عليه
وسلم لما قدم المدينة كان عمره عشر سنين وان امه
ام سليم اتت به النبي صلي الله عليه وسلم اي في
السنة الاولي من الهجرة فقالت له خذه غلاما
يخدمك فقبله وقد قالت له يوما يا رسول الله
ادع الله له فقال اللهم اكثر ماله وولده وادخله الجنة
وفي رواية اكثر ماله وولده وبارك له فيه قال فلقد
رزقت من صلبي سوي ولد ولدي ماية وخمسة
وعشرين اي ذكورا ولم يرزق الا بنتين علي ما قيل
واني ارضي لتثمر في السنة مرتين وانا ارجوا الثالثة
واستمر في خدمته صلي الله عليه وسلم الي ان توفي
وهو عنه راض ثم توطن بالبصرة وكان اخر الصحابة
بها موتا سنة تسعين عن ماية سنة او عشرين
سنة مات بقصره بالطف علي فرسخين من البصرة
واوصي ثابتا البناني ان يجعل تحت لسانه شعرة
كانت عنده من شعر رسول الله صلي الله عليه وسلم
وهو احد المكثرين روي له الفان ومايتا حديث
منها عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال لا يومن
احدكم اي ايمانا كاملا بدليل ما سبق في حديث
جبريل من تعريف اصل الايمان انه التصديق فقط
ونفي اسم الشي علي نفي الكمال عنه مستفيض شايع

اخضل صـ

في

في كلامهم كقولهم فلان ليس بانسان فان قيل فاذا
حصل هذه المحبة يلزم ان يكون مومنا كاملا وان
لم يات بسائر اركان الطاعة اجيب بان هذا مبالغة
كان الركن العظيم فيه هذه المحبة نحو لا صلاة
الا بطهور وهذا الحصر بالنسبة الى حقوق العباد
دون حقوق الله سبحانه والمعنى لا يكمل ايمان
احدكم بان يترقى من حضيض التقليد الى ذروة
اليقين والتاييد حتى يحب لاخيه اي المسلم
كما في رواية الاسماعيلي وكذا رواية احمد والنسائي
ولفظه حتى هنا جارة لا عاطفة ولا ابتدائية
اذ ما بعدها خلاف ما قبلها وان بعدها مضمرة
ولهذا انتصب يحب ولا يجوز رفعه هنا لان عدم
الايمان ليس سببا للمحبة ما يحب لنفسه اي من
الطاعات والمباحات كما جاء في رواية النسائي من الخير كذا
قاله شارح ولكن رواية الاسماعيلي والنسائي وابن
منده حتى يحب لاخيه من الخير ما يحب لنفسه
اي مثل ما يحب لنفسه فان عين المحبوب ذلك محال ان تحصل
في محلين قال المص في شرح مسلم وليس هذا من
الصعب الممتنع كما ظن اذ القيام بذلك يحصل
بان يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه
فيها بحيث لا تنقص النعمة عن اخيه شيئا من

النعم عليه ويرحم عليه في جميع الاحوال وذلك
سهل علي القلب السليم انتهي وكذا من كمال الايمان
ان يبغض لاخيه ما يبغض لنفسه ولم يذكره
لان حب الشي مستلزم لبغض نقيضه فيكون
من باب الاكتفا كما اكتفي في الحديث التارك بترك
مالا يعنيه ثم رايت خبر احمد افضل الايمان ان
تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره
لنفسك وتحقيق ذلك ان المومنين متحدون
بحسب الارواح متعددون بلعتبار الاشباح كنور
واحد في مظاهر مختلفة او كنفس واحدة في
ابدان مختلفة بحيث لو تالم البعض تالم الكل كما
جا في الحديث الاخر المومنون كالجسد الواحد
اذا اشتكي منه عضو تداعي له ساير الجسد
بالحمي والسهر وذلك لان ايمانهم من اثر نور الهداية
شرعية وطريقة ومن اثار انوار اسمايه وصفاته
حقيقة فارواحهم اتحدت بذلك النور المقتضي
للالفة والرحمة فان حزن واحد حزنوا وان فرح
فرحوا وهذا مقام الجمع بالروح وهو انه يجتمع عند
تجلي الروح له عن تفرقة الطبيعة وهناك مقام اعلي يقال
له جمع الجمع وهو انه يجتمع عند تجلي الحق له عن تفرقة
الغير روحانيا ونفسانيا ملكيا وملكوتيا فلا يري

السابق م

عن فعل ما يعنيه م

غير

غيرالله لاختفا ماسواه من جميع الاشيا كاختفا
النجوم عند اشراق الشمس في السما وكالهبا في
الهوا رواه البخاري ومسلم ورواه احمد والترمذي
والنساي وابن ماجه كلهم عن انس لكن لفظ مسلم
والذي نفسي بيده لا يومن عبدٌ حتي يحب لاخيه
او قال لجاره ما يحب لنفسه ولفظ احمد لا يبلغ عبد
حقيقة الايمان حتي يحب للناس ما يحب لنفسه
من الخير هذا وقد ورد لا حرج علي من كره
الامتياز بالجمال وروي احمد والحاكم وصححه ان مالك
ابن مرارة قال يا رسول الله قد قسم لي من الجمال ما
تري فما احب ان احدا من الناس فضلني بشراكين
فما فوقهما اليس ذلك هو البغي فقال لا ليس ذلك
من البغي ولكن البغي من بطر او قال سفه الحق
الحديث الرابع عشر عن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يحل دم
امري بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
اي لا يحل اراقة دم شخص وهي كناية عن قتل مسلم
ان يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله كما في البخاري
ومسلم وجامع الاصول وقال الحرجه الحسنة فوجه حذفه
لا يظهر ولعل الاكتفا به وقع في رواية لهما لكن الاولي
ان يختار لفظ الاشهر والاكثر فتدبر الا باحدي ثلاث
اي ثلاث خصال والتقدير لا يجوز قتل مسلم بسبب

من الاسباب الا بارتكاب احدى خصال ثلاث
وهي زنا المحصن وقتل النفس بغير حق والارتداد
فنصل ذلك بتعداد المتصفين به المستوجبين
القتل لاجله فقال الثيب بالرفع وهو الرواية كما صرح
به الشارح الكازروني فبتقدير المبتدا اي احدها او
الخبر اي منها ومضاف اي خصلة الثيب او زناه
او يقال هم الثيب اي احده وهو الاظهر فتامل وجوز
نصبه بتقدير اعني وجره بالبدل وهو اسم جنس
يشمل الرجل والمراة الزاني بحذف اليا تخفيفا كالمتعال
وفي نسخة صحيحة باثبات اليا والمراد بالثيب المحصن
وهو المكلف الحر الذي اصاب بعد التكليف والحرية
نكاحا صحيحا ولا بد من تحقق وطي عند المتابلة
بقوله عليه السلام البكر بالبكر ثم للامام لا للاحاد
رجمه ولا يجوز قتله بغير ذلك اجماعا لما ثبت ان عمر
رضي الله عنه قال في خطبته ان الله بعث محمدا
نبيا وانزل عليه كتابا وكان فيما انزل الشيخ والشيخة
اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله ان الله
كان عزيزا حكيما وقد رجم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورجمنا الحديث رواه مسلم وغيره وكان
ذلك بمشهد من الصحابة فلم ينكر عليه وفي صحيح
البخاري قال عمر رضي الله عنه خشيت ان يطول

بالناس

بالناس زمان حتى يقول قايل لانجد الرجم في كتاب
الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله الا وان الرجم
حق على من زنى وقد احصن اذا قامت البينة او
كان الحبل او الاعتراف ورجم علي ايضا كما في صحيح
البخاري وغيره وحكوا على ذلك اجماع الصحابة ومن
بعدهم ممن يعتد باجماعه واما البكر والمكلف غير المحصن
فان كان حرا فيجلد مائة وان كان رقيقا فيجلد خمسين
ولا تغريب عند نا ثم من الحكمة في قتل الزاني ان في
الزنا مفاسد من اختلاط الانساب وتضييع
الاولاد وثبوت كل رجل على كل امراة بمقتضى طبعه
وهواه فيهيج الفتن والحروب بين الانام بعد التشبه
بالبهايم والانعام والله روف بالعباد وهو لا يحب
الفساد ثم حكمة اللواطة تعرف بادلة اخرى
تفصيلها في محلها الاخرى والنفس بالنفس
اي وثالث النفس يقتل قصاصا بالنفس التي قتلها
عدوانا بشروطه المعتبرة في الفروع وهو مخصوص
بولي الدم ولا يحل قتله لاحد سواه حتى لو قتله
غيره لزمه القصاص وظاهر الحديث المطابق
لقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس
يويد مذهب ابي حنيفة في ان المسلم يقتل بالذمي
وان الحر يقتل بالعبد خلافا للايمة الثلاثة في اعتبارهم
تساويهما في الحرية لمفهوم قوله تعالى الحر بالحر

والعبد بالعبد وفي الاسلام لقوله عليه السلام لا يقتل
المسلم بكافر ودفع بان المراد بالكافر الحربي بدليل ما رواه
الطحاوي في مسنده ان النبي عليه السلام قتل مسلما
بذمي وقال انا احق من وفى بذمته وكذا رواه ابو حنيفة
وابو داود في مراسيله وعبد الرزاق والدارقطني ويؤيده
ما رواه الشافعي والدارقطني عن علي من كانت له ذمتنا
فدمه كدمنا وديته كديتنا واما الحديث الحسن
الذي في التاريخ الاوسط للبخاري وسنن ابي داود
من قوله عليه السلام لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو
عهد بعهده فمحمول على الكافر الحربي المستامن جمعا
بين الادلة وان المقابلة في الاية رد على اهل الجاهلية
في عدم اعتبار المقتلين بالكلية كما يدل عليه قوله
سبحانه وتعالى والانثى بالانثى كان الاجماع على انه
الذكر بالانثى والانثى بالذكر فتدبروا ما استدلالهم
بقوله تعالى ولكم في القصاص فرد بانه لا مساواة
في الانفس كما لو قتل عشرة واحدا او قتل صحيح
سليم كبيرا ضعيفا او رجل امراة مع نقصان عقلها
وديتها عن دية الرجل فثبت ان الاعتبار بالمساواة
في ايجاب القصاص في الانفس وان الكامل يقاد منه
للناقص ومن قال بان الحر يقتل بالعبد سعيد بن
المسيب والنخعي وقتادة والشعبي وقتاده و

الثوري

[بلغ مقابلة]

١١١

والثوري محتجين بقوله عليه السلام المسلمون تتكافؤ
دماهم بل وذهب النخعي والثوري في احد قوليهما ان
الحر يقتل به وان كان عبده محتجين في ذلك بما رواه النسائي
من حديث الحسن عن سمرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه
ومن خصاه خصيناه قال البخاري وانا اذهب اليه
وقال غيره لم يسمع الحسن من سمرة الا حديث
العقيقة وهو مدفوع بان من حفظ حجة على
من لم يحفظ وبان اعتبار الاتصال اولى من اعتبار
الانفصال قال بعض العرفا كما كتب الله سبحانه القصاص
على القتلى كتب على نفسه الرحمة في قتلاه الذين
بذلوا اللوح الانساني عند شهود الجلال الصمداني
كما قال من احبني قتلته اي بسيف المجاهدة او بنور المشاهدة
ومن قتلته فانا ديته الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى
بالانثى اي من كان متوجها اليه بالكلية كان فيضه به
متصلا به بالكلية ومن كان في رق غيره من المكونات
لم يتصل به غاية الاتصال ومن كان ناقصا في دعوى
محبته لم يكن مستحقا لكمال مودته ومن كان الله ديته
فله حياة الدارين والبقاء بين الثقلين والتارك
لدينه يعني به المرتد بعد يقينه وفي رواية لمسلم
التارك للاسلام وهو اظهر في المرام المفارق اي

بقلبه واعتقاده او بدنه او لسانه للجماعة اي المعهودين
وهم جماعة المسلمين فهو تاكيد لما قبله اي الذي فارق جماعة
من المسلمين وخرج عن جملتهم وانفرد عن زمرتهم بالردة
التي هي قطع اهل الاسلام ومودتهم فيجب قتله ان
لم يتب واستثنا المرتد من المسلم باعتبار ما كان قبل
ردته مخصوصا وعلاقة الاسلام مرتبطة بدليل انه لا
يقتل حتى يستتاب ثلاثا وانما يقتل لان في اقراره على
الردة مع اصراره خللا لنظام عقد الاسلام فوجب
قتله حفظا للاحكام واختلف في المراة المرتده فقال
الشافعي واحمد تقتل لقوله عليه السلام من بدل
دينه فاقتلوه رواه الشيخان وهو عام في الرجل
والمراة ولان اشارة الحديث المذكور الى ان العلة تبديل
الدين موجودة في المراة وقال ابو حنيفة لا تقتل
لنهيه صلى الله عليه وسلم عن قتل النسا كما في
الصحيحين وهو خاص فيهن فيقدم على عموم من
بدل دينه فاقتلوه وفي اثار محمد بن الحسن عن ابن
عباس اذا هن ارتددن لا يقتلن ولكن يحبسن
ويدعين الى الاسلام ويجبرن عليه ولان العلة في
قتل الرجل بالردة انه لو اقر على الاصرار للحق بالكفار
فكثر سوادهم وحارب المسلمين فكنت عادية بالقتل
وهذا مفقود في المراة لانها ليست من اهل

الحرب

112

الحرب والنكاية فلا يخاف منها الاعانة واما قول ابن حجر
هذا منقوض بخو الاعمي والزمن مدفوع بانه من
النوادر في هذا الحديث دليل علي انه لا يقتل بالبدعة في هذا الجنس تم ص
اونفي الاجماع الخالي عن نقل التواتر كالروافض والخوارج
وكذا تارك الصلاة لا يقتل واما قوله صلي الله عليه
وسلم من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر فليس علي
ظاهره خلافا لاحد كان الجمهور اولوه بان معناه قارب
الكفر او شابه الكافر او كفر نعمة ربه او جره الي كفره في
اخر امره او حمله علي مستحله فيدخل في حد المرتد
واما تفسير الشافعي للحديث بانه استحق عقوبة
الكفر فليس ظاهرا في المراد فانه يحمل استحقاق عقوبته
في الدنيا والاخرى مع انه ليس بقابل بكفره في المعاد
واما ما ذكره بعضهم من ان المرتد بدل لكل دينه
والمفارق بعض دينه فيدخل في الحديث اهل البغي
والخوارج تحت المقاتلة معهم حتى يرجعوا الي الحق
فيه ان الكلام في القتل لا في المقاتلة اما تري ان الاجماع
علي عدم جواز قتل باغ بانفراده او خارجي او رافضي
وحده فانه لا يلزم من جواز المقاتلة جواز القتل
الا تري ان مانعي الزكاة يقاتلون بخلاف من تركها من
غير قتال فانه فكذا تارك الصلاة فحصلت الموافقة بين
هذا الحديث وبين حديث امرت ان اقاتل الناس

لا يقتل م

حتى يشهدوا ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة بل هذا الحديث
مبين لاجمال قوله الا بحق الاسلام فانه محصور في هذه
الثلاثة من الاحكام كما جاء مصرحا مرويا عنه عليه السلام
ثم خص من عموم هذا الحديث دفع الصايل فانه لو لا الامر
الي قتله حل اراقة دمه او التقدير لا يحل تعمد قتله الا في
هذه الثلاثة وقد ابعد من قال بدخوله في المفارق للجماعة
ولا يخفى ان الاريب امحال الاستثنا من اهل القهر الالهي
والطرد الكلي لا يفتح لهم باب القلب فياتيه الالهام
ولا باب السمع والبصر فيدخلهما الفهم والاعتبار لما زلوا
عن طريق الحق وصراط التوحيد واحتجبوا بظلمات
الكثرة عن نور التفريد فاستحقوا القتل والنار وحبسوا
في ظلمات دار البوار فنسال الله لطف العزيز الغفار رواه
البخاري ومسلم وتقدم انه رواه الحمسة وقد اخرجه
احمد ايضا لكن عن ابي امامة بن سهل قال كنا مع عثمان
وهو محصور في الدار فقال انهم يتوعدوني بالقتل
قلنا يكفيكهم الله يا امير المومنين قال ولم يقتلوني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امري
مسلم الا باحدى ثلاث رجل كفر بعد اسلامه او زنى
بعد احصانه او قتل نفسا فيقتل بها فوالله ما
احببت بديني بدلا منذ هداني الله ولا زنيت في
جاهلية ولا اسلام قط ولا قتلت نفسا فيم يقتلونني
الحديث الخامس عشر عن ابي هريرة رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان
يومن اي ايمانا كاملا بالله واليوم الاخر اكتفى بجل في

113

ما يومن به لان المدار عليهما وخص اليوم الاخر بالذكر
لان الخير والشرور ورجا الثواب وخوف العقاب كلها
راجعة الي الايمان باليوم الاخر فمن لم يعتقده لم يرتدع
عن شر ولم يتقدم علي خير وتكرير الشرطية في كل
جملة للاهتمام والاعتنا بكل خصلة مستقلة فليقل
بسكون اللام اي فليقل قولا خيرا او فليذكر خيرا مما
فيه منفعة او ليصمت بضم الميم ذكره المصرا اي ليسكت
ويترك شرا مما فيه مضرة واو للتنويع والمعني
اذا اراد المومن ان يتكلم فان كان ما يتكلم به خيرا يثاب
عليه واجبا كان او مندوبا فليتكلم به وان لم يظهر
له خيره سوا ظهر انه حرام او مكروه او مباح
فليمسك عنه فالكلام المباح مامور بتركه مخافة
انجراره الي حرام او مكروه او خيبة من غفلة عن حال
ذكره وشتام فكره وتفكره ولذا قال الصديق الاكبر
ليتني كنت اخرس الا عن ذكر الله وفي الخبر ليس يتحسر
اهل الجنة يوم القيمة الا علي ساعة مرت بهم ولم يذكروا
الله فيها وفي حديث اخر من صمت نجا فاعلم ان الصمت
في وقته صفة الرجال كما في الكلام من الاهات النفال
واختلاف الاحوال من حظ النفس واظهار الامتيازات
من بين الاشكال وبه يظهر لمعات الطوارق ويطلع
شموس الحقايق كما ان النطق في موضعه من انفس

الخصايل وانس الشمايل ولذا قال الدقاق من سكت
عن الحق فهو شيطان اخرس وقال غيره الجاهل اذا
تكلم فهو كالحمار واذا سكت فهو كالجدار وفيه اشعار
بان سكونه في مقامه خير من كلامه اذ لا حرج في
سكونه مع ظهور الشر في رفع صوته ولقد صدق
من قال وحقق

تكلم وسدد ما استطعت فانه كلامك حي والسكوت جماد
فان لم تجد قولا سديدا تقوله فصمتك عن غير السديد سداد

قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا
سديدا وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم ان في
صحف ابراهيم عليه السلام على العبد ان يكون بصيرا
بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن حسب
كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وجا في خبر
انك لن تزال سالما ما سكت فاذا تكلمت كتب لك او
عليك وروي احمد والترمذي والنسايي ان احدكم
ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لم يظن ان تبلغ ما
بلغت فيكتب الله له بها رضوانه الي يوم القيمة وان احدكم
ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت
فيكتب الله عليه بها سخطه الي يوم القيمة والاحاديث
في هذا المعني كثيرة المبني وقال الفضيل لا حج ولا رباط
ولا جهاد اشد من حبس اللسان علي العباد وقال
لقمان لابنه لو كان الكلام من فضة كان السكوت من

114

ذهب وسمناه كما قال ابن المبارك لوكان الكلام بطاعة
الله من فضة لكان السكوت عن معصية الله
من ذهب وهو صريح في ان الكف عن المعصية افضل
من الطاعة التي لا يكون تركها معصية وفيه اشارة
الى ان الصمت افضل من الكلام لكن ذهب جماعة
من السلف الى تفضيل الكلام ويؤيدهم هذا الحديث
حيث قدم الكلام في معرض المرام وامر بالسكوت
عند عدم وجود قول الخير حذرا من وقوعه في الشر
فيفيد ان قول الخير غنيمة والسكوت عن الشر
سلامة فان الانسان اما ان يتكلم او يسكت فان
تكلم فاما بخير وهو ربح واما بشر وهو خسر وان
سكت فاما عن شر وهو ربح واما عن خير فهو
خسر فله في كلامه وسكوته ربحان فينبغي ان
يكتسبهما وخسارتان فينبغي ان يجتنبهما وما احسن
ما قال ارباب الحال شعر
زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران
وقد قال تعالى ان الانسان لفي خسر الاية وقد قال
عز وجل ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
وقال محمد بن الحسن اخبرني هشام بن عروة عن
عكرمة عن ابن عباس قال ان الملائكة لا تكتب الا ما

والايمان مشتق من الامان ولا امان من فوات الغنيمة والسلامة م

فيه اجرا ونور وقد روي البيهقي عن عايشة قالت
ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم نايما
قبل العشا ولا لاغيا بعدها اما ذاكرا فيغنم واما نايما
فيسلم وروي ان داود الطايي لما اراد ان يقعد في
بيته اعتقد ان يحضر مجلس اباحنيفة اذ كان
تلميذا له ويقعد بين اضرابه من العلما ولا يتكلم
في مسيلة فلما قوي نفسه علي ممارسة هذه
الخصلة سنة كاملة قعد في بيته عند ذلك
واثر العزلة وقال بشر بن الحارث اذا اعجبك الكلام
فاصمت واذا اعجبك الصمت فتكلم ويروي عن
معاذ بن جبل انه قال كلم الناس قليلا وكلم ربك كثيرا
لعل قلبه يري الله سبحانه وقيل ان ابا بكر رضي
الله عنه كان يمسك في فيه حجرا كذا سنة ليتقل
كلامه واما التزام الصمت واعتقاده قربة مطلقا
وفي بعض العبادات كالصوم والاعتكاف فمنهي
عنه لخبر ابي داود لا صمات يوم الي الليل وروي
الاسماعيلي النهي عنه في الاعتكاف وروي النهي في
الصوم ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره
بالاحسان اليه ويحمل ما صدر منه وكف الاذي
عنه واما ما وقع في رواية من قوله فلا يوذي جاره

محمول

فمحمول على اذى الاكرام فقد قال عليه السلام اتدرون
ما حق الجار ان استعانك اعنته وان استقرضك
اقرضته وان افتقر جدت عليه وان مرض عدته
وان مات اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته
وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه
بالبنا فتحجب عنه الريح الا باذنه وان اشتريت فاكهة
فاهد له وان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك
ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف
له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده
لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله تعالى ذكره الغزالي
في الاربعين وكذا البيهقي عن عمرو بن شعيب عن
ابيه عن جده وقد قال تعالى والجار ذي القربى
والجار الجنب فقيل المراد بالاول الزوجة والقريب
وبالثاني الاجنبي وقيل الاول المسلم وبالثاني
الكافر وقيل الاول القريب المسكن منك والثاني
ضده لخبر عايشة يا رسول الله ان لي جارين
فالى ايهما اهدي قال الى اقربهما منك بابا ولخبر
ان الجيران ثلاثة كافر فله حق واحد بالجوار ومسلم
فله حقان الجوار والاسلام ومسلم قريب فله
حقوق ثلاثة الجوار والاسلام والقرابة وهذا
مضمون الحديث له طرق متعددة وبعضها

متصلة وبعضها مرسلة وروي الزهري مرسلا
ان رجلا اتي النبي صلي الله عليه وسلم يشكوا اليه
جاراله فامر صلي الله عليه وسلم بعض اصحابه
الا ان اربعين دارا جار وبه احتجج من السلف و
قيل في جار المسجد من سمع الاذان والاقامة وبقدر
ذلك المقدار في الدار وقيل من ساكنك في محلة
او بلد فهو جارك وروي مسلم عن ابي ذر اوصاني
خليلي اذا طبخت مرقا فاكثر ماءه ثم انظر الي اهل
بيت من جيرانك فصبهم منها بمعروف وفي رواية
فاكثر ماءه وتعاهد جيرانك وروي البخاري في الادب
كم جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول يارب هذا
غلق بابه دوني فمنع معروفه وفي الصحيحين ما
زال جبريل يوصيني بالجار حتي ظننت انه سيورثه
ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه
بالبشر في وجهه وطيب الحديث معه وتعجيل
ما حضر عنده وقيامه بنفسه في خدمته و
اطعامه ثلاثة ايام بقدر وسعه ثم مواعدته
بلطف في تودده واعتذار في تقصير حقه و
روي ابو الليث السمرقندي والبيهقي ان ابراهيم
عليه السلام كان يكني ابا الضيفان وكان لقصره
اربعة ابواب يمشي الميل والميلين في طلب من
يتغذى معه وروي البيهقي عن عبد الله بن عمر
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا جبريل

بم اتخذ الله ابراهيم خليلا قال لاطعامه الطعام
واما خبر الضيافة على اهل المدر وليست على
اهل الوبر فقيل موضوع وقيل ضعيف والجمهور
على ان الضيافة مستحبة وذهب احمد والليث
ابن سعد انها واجبة هذا وبلسان العارفين
كان الحديث يشير الى رعاية السالك حال الاقرب
فالاقرب فيبدا بتكميل نفسه ويروضها بذكر
الحق والسكوت عن غيره لغلبات الروحانية
واستيلا سلطان الحقية حتى ينسى اولا نفسه
في ذكره ثم ينسى ذكره في ذكره ثم ينسى كل ذكر في
ذكر ربه ثم يثني بتكميل ما هو اقرب اليه قربا معنويا
من الجار الذي في مقام السكوت قريب في مقامه
والضيف الذي هو السالك في طريق الحق الداخل
في الغربة عن ماوى النفس ولم يصل الى مقام
من مقامات اهل الانس فيكرمه ويزكيه ويونسه
بذكر المولى ويحفظه من التذلل لارباب الفساد
من ادناس محبة الدنيا لتحصيل الحياة الطيبة
وهي ان تصير النفس مطمئنة مستعدة لقبول
فيض ارجعي ويطيب القلب عن دنس الحدث
فانيا عن انانيته بكشف جلاله باقيا بشهود
الحق وجماله رواه البخاري ومسلم وفي الجامع

الفردانية م

الصغير رواه احمد والشيخان والترمذي وابن ماجه
عن ابي شريح وعن ابي هريرة ولفظه من كان يومن
بالله واليوم الاخر فليحسن الي جاره ومن كان يومن
بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن كان يومن بالله
واليوم الاخر فليقل خيرا او ليسكت انتهي وفي
البخاري عن شريح عن النبي صلي الله عليه وسلم انه
قال والله لا يومن والله لا يومن والله لا يومن ثلاثا
قالوا ومن ذلك يا رسول الله قال الجار لا يومن جاره
بوايقه قالوا وما بوايقه قال شره وفي صحيح مسلم
عن ابي هريرة مرفوعا لا يدخل الجنة من لا يومن
من جاره بوايقه وروي البيهقي عن المقداد بن
الاسود قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لان يزني
الزاني بعشرة نسوة ايسر عليه من ان يزني بامراة
جاره ولان يسرق السارق من عشرة بيوت ايسر
عليه من ان يسرق من بيت جاره الحديث
السادس عشر عن ابي هريرة ان رجلا اي من
الصحابة قيل هو ابن عمرو وحارثة بن قدامة وسفين
ابن عبد الله علي ما ذكره الكازروني وغيره وابو
الدرداء كما ذكره ابن حجر وقال فقد اخرج الطبراني
عنه قلت يا رسول الله دلني علي عمل يدخلني الجنة
قال لا تغضب ولك الجنة لكن يبعد تعبير ابي هريرة
عنه بهذه العبارة اللهم الا ان يقال بتعدد السايل

او لشكه في القايل ويويده انه اخرج احمد عن حارثة
ابن قدامه عم الاحنف بن قيس انه قال سالت النبي
صلي الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قل لي قولا
واقلل علي لعلي اعقله قال لا تغضب فاعدت عليه مرارا
كل ذلك يقول لا تغضب لكن لا ريب في هذا يحيي بانهم
يقولون ان حارثة هذا تابعي لا صحابي قال للنبي صلي
الله عليه وسلم اوصني اي دلني علي ما ينفعني دنيا ودينا
ويقربني الي الله زلفي وفي بعض طرق الحديث اخبرني
ما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب اي فيما
يتعلق بحظوظ النفس والهوي لا فيما يتعلق بحقوق
المولي فردد وزيد في نسخة لفظ ذلك اي كرر
الرجل ذلك السوال او كرر ذلك السايل السوال
مرارا اي ثلاث مرات وكانه لم يقنع بقوله لا تغضب
فطلب وصية ابلغ منها وانفع له فيها فلم يزده
صلي الله عليه وسلم عليها وفي كل مرة قال
لا تغضب لما علم عليه السلام من حاله اي اختلال
امره واضطراب باله من استيلا الغضب عليه
فامره بما هو اولي بالنسبة اليه او اختصر علي جواب
موجز جامع لما لديه لان جميع المفاسد التي تعرض
للانسان انما يعرض له من فرط شهوته واستيلا
غضبه وحدته وهذا ما يقتضيه القوة الغضبية

القطان م

الثريا لاضافة الى ما يقتضيه القوة الشهوية
فلما سأله الرجل ان يشير اليه بما يتوسل به الى التجنب
عن الاخلاق الردية نهاه عن الغضب الداعي
الى ما هو اعظم ضررا واكثر وزرا لان ارتفاع السبب
يوجب ارتفاع ارتفاع المسبب وفي الحديث اقتباس
من قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون وقوله
سبحانه والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
والله يحب المحسنين وفي حديث الشيخين ليس
الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك
نفسه عند الغضب وذلك لان الغضب من نزعات
الشيطان يخرج به الانسان عن اعتدال حاله
فيتكلم بالباطل ويفعل المذموم وينوي الامر
الملوم بل قد يكفر نعوذ بالله من الحور بعد الكور
ويؤيده حديث البيهقي ان الغضب ليفسد
الايمان كما تفسد الصبر العسل وعلاجه ان
يرى الكل من الله ويترك متابعة نفسه وهواه
ويذكر نفسه وهواه ان غضب الله اعظم وفعله
اتم وكم خالف امره لديه وهو سبحانه لم يغضب
عليه ويتعوذ ويتوضأ ويصلي ويشتغل بنفسه بما هو
ينفعه في مقام النية وقد ورد ان من كظم غيظا
وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا

وايمانا

118

وايما نار رواه ابوداود وفي رواية من كظم الغيظ
وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله عز وجل
على روس الخلايق يوم القيمة حتى يخيره في اي
الحور شاء رواه احمد واصحاب السنن الا النسائي
واخرج احمد ما تجرع عبد جرعة افضل عند
الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله
رواه البخاري وفي الجامع الصغير رواه احمد والبخاري
والترمذي عن ابي هريرة واحمد ايضا والحاكم في
مستدركه عن حارثة بن قدامه وروى الطبراني
عن ابي الدردا ولفظه لا تغضب ولك الجنة وابن ابي
الدنيا بلفظ لا تغضب فان الغضب مفسدة
هذا وفي طريق اخر ان رجلا قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اوصني ولا تكثر علي او قال مرني بامر
واقلله علي كي اعقله قال لا تغضب فتفكرت حين
قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فاذا الغضب
يجمع الشر كله ومن ثم قال جعفر الصادق الغضب
مفتاح كل شر وقيل لابن المبارك اجمع لنا حسن الخلق
في كلمة قال ترك الغضب واخرج محمد بن نصر المروزي
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم من قبل
وجهه فقال يا رسول الله اي العمل افضل قال حسن
الخلق ثم اتاه عن يمينه فقال له ذلك فقال كذلك

وفي اخرى قال يا رسول الله او مني قال لا تغضب صح

ثم عن شماله كذلك ثم عن خلفه فلما التفت اليه فقال
مالك لا تتقه حسن الخلق هو ان لا تغضب ان
استطعت وروي احمد والترمذي انه صلي
الله عليه وسلم قال في خطبته الا ان الغضب
جمرة تتوقد في قلب ابن ادم اما ترون الي انتفاخ
اوداجه واحمرار عينيه فمن احس من ذلك
شيا فليلزق بالارض وفي رواية فليجلس ولا يعدو
به الغضب وفي رواية اذا غضب احدكم فليقعد
وان غضب وهو قاعد فليضطجع وروي احمد و
ابو داود اذا غضب احدكم وهو قايم فليجلس
فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع وفي رواية لاحمد اذا غضب احدكم فليسكت صح
قالها ثلاثا وقد ورد عنه صلي الله عليه وسلم انه
قال اذا غضب احدكم فليتوضا بالما فانما الغضب
من النار وانما تطفا النار بالما وفي رواية انما
الغضب من الشيطان وانما الشيطان خلق
من النار وانما تطفي النار بالما فان غضب احدكم
فليتوضي وفي رواية ابي نعيم عن معاوية فليغتسل
وفي الصحيحين استب رجلان عند النبي صلي
الله عليه وسلم واحدهما يسب صاحبه مغضبا
قد احمر وجهه فقال صلي الله عليه وسلم اني لاعلم
كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم فقالوا للرجل الا تسمع

مايقول

ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني لست
بمجنون قلت قوله هذا ايضا من الغضب ونظيره
ما سال شيخ كبير طبيبا عن ضعف البصر فقال من
اثر الكبر وهلذا اساله عن ثقل السمع وضعف
الظهر وغير ذلك الى ان غضب الشيخ فقال انت
مجنون كل هذا من الكبر فقال له هذا ايضا من الكبر
واخرج الطبراني ثلاثا من اخلاق الايمان من اذا غضب
لم يدخله غضبه في باطل ومن اذا رضي لم يخرجه
رضاه من حق ومن اذا قدر لم يتعاط ما ليس له وقالت
عايشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى لرضاه
ويغضب لغضبه واما ما نقل عن الفضيل ثلاثة لا يلامون
على غضب الصايم والمريض والمسافر فمحمول على ان من
كان سبب غضبه مباح كالسفر وطاعة كالصوم لا يلام على
ما صدر عليه من حدة كلامه لشدة حال مرامه
والله اعلم وكان الشعبي مولعا بهذا البيت
ليست الاحلام من حين الرضا   انما الاحلام في حين الغضب
وعن عبد الرزاق وقال سكبت جارية لعلي بن الحسين
الما يتهيا للصلاة فسقط الابريق من يد الجارية على
وجهه فوقع وجهه اليها فقالت الجارية ان الله عز
وجل يقول والكاظمين الغيظ فقال كظمت غيظي
قالت والعافين عن الناس فقال قد عفا الله عنك

سخطه ويسخط لسخطه

فشجه

قالت والله يحب المحسنين قال الذهبي كانت حرة
لوجه الله تعالى وعن سهل بن عبد الله قال لا يبلغ
العبد حقيقة الايمان حتى يكون لعباده كالارض
اذا هم عليها ومنافعهم لديها وعن انس بن مالك رضي
الله عنه قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه
اعرابي فجبذه من خلفه حتى رايت صفحة عنق رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية البردة
من شدة جبذته فقال يا محمد اعطني من مال الله
الذي عندك والتفت اليه وضحك ثم امر له بعطا
رواه مسلم وفي بعض الكتب المنزلة كقول الله تعالى يا ابن
ادم اذكرني اذا غضبت قال الطحاوي يغضب ويرضى اذكرك اذا غضبت صح
لا كاحد من الورى وقال غيره الغضب هو ثوران دم القلب
او عرض يتبعه ذلك لدفع المؤذيات قبل وقوعها و
الانتقام بعد حصولها فاطلاقه على الله مجازي اي
يفعل بهم ما يفعل الملك اذا غضب على من تحت يده
من الانتقام وانزال العقوبة هذا وقد قال بعض العارفين
المحققين ان الناس في الغضب على ضربين احدهما
مغلوب الطبع الحيواني فلا يمكنه دفعه وهو الغالب
في الناس والثاني غالب الطبع بالرياضة فيمكنه
منعه ولولا هذا والا كان قوله عليه السلام
لا تغضب

لا تغضب

تكليفا بما لا يطاق ثم اقوى الاشيا في منع الغضب
ودفعه التوحيد الحقيقي وهو اعتقاد ان لا فاعل
في الوجود الا الله وان الخلق الات لفعله فاذا توجه
اليه مكروه من جهة غيره يري ان فاعله هو الله لا
غيره وان ذلك الغير الة للفعل كالسيف للضارب
ونحوه فح يندفع به الغضب لانه لو غضب والحالة
هذه لكان غضبه اما على الخالق وهو جراة منافية
للعبودية او على المخلوق وهو اشراك بنا في توحيد
الربوبية ولذا جا في حديث انس قال خدمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال
لي لشي فعلته لم فعلت ولا لشي لم افعله لم لم تفعله
وكلن يقول قدر الله وما شا فعل ولو قدر لكان وما ذلك
الا لكمال معرفته صلى الله عليه وسلم بان لا فاعل
ولا معطي ولا مانع الا الله عز وجل فعلى هذا الفاعل
في الوجود عند نظار ارباب الشهود هو الله الموجود
المعبود المقصود وله الات كبرى وصغرى ووسطى
فالكبرى ماله قصد واختيار كالانسان الضارب
بالعصى والصغرى ما لا قصد له ولا اختيار كالعصا
المضروب بها والوسطى ماله قصد ولا اختيار
له كالدابة فمحصل الحديث لا يظهر اثر الغضب الا فيما
يوافق غضب الرب الحديث السابع عشر عن ابي

فيعلي بفتح اليا واللام مضارع علي بفتح فكسر شداد
بفتح فتشديد ابن اوس بفتح فسكون رضي الله
عنه انصاري خزرجي ابن اخي حسان قال عبادة
ابن الصامت وابو الدردا كان شداد ممن اوتي العلم
والحلم سكن بيت المقدس واعقب بها وتوفي فيها
سنة ثمان وخمسين عن خمس وسبعين سنة قال
المصنف في التهذيب وقبره بظاهر باب الرحمة باق
الي الان انتهى وقيل مات بفلسطين روي له خمسون
حديثا وكان اذا اخذ مضجعه يتقلب كالحبة على المقلي
فيقول اللهم ان النار منعتني النوم ثم يقوم فلا يزال
يصلي الى الصباح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الله كتب الاحسان اي فرضه وقدره
او اثبته او امر به علي كل شي اي لاجل كل شي كقوله
تعالى ولتكبروا الله علي ما هداكم لما هداكم او في كل
شي كقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على
ملك سليمان اي في ملكه واي كل شي كذا قيل ولعله
مبني علي ان الحروف يقوم بعضها مناب بعض ولا
يبعد ان يكون علي معناه ومعناه ان الله اوجبه علي
كل شي كيف ينبغي للفاعل ان يقوم به ويفعله
يعني انه قد روعي ذلك علي لسان نبيه النبيه
فاذا قتلتم اي اذا قصدتم قتل ما يجوز قتله شرعا

من

من قصاص ونحوه فاحسنوا القتلة بكسر القاف
هو الرواية وفي الرواية هيئة القتل والاحسان فيها اختيار
اسهل الطريق الماما واقلها تعذيبا وايلاما وفيه رد على
ما كان عليه الجاهلية من المثلة بقطع الاعضا وتعذيب
الاجزا واذا ذبحتم اي واذا اردتم ذبح ما يحل ذبحه من
البهايم فاحسنوا الذبحة بكسر الذال وهي هيئة الذبح
وروي الذبح ذكره الكازروني قيل وهي التي في اكثر
نسخ صحيح مسلم وهو المصدر لا غير لكن قال المص
القتلة والذبحة بكسرهما ثم الذبح مختص بالحيوان
واحسان الذبح بالبهيمة هو الرفق بها بان لا يصرعها
بعنف ولا يجرها من موضع الى اخر بالتشديد
في جرها واحضار نية الاباحة او القربة وتوجيهها
الى القبلة والتسمية وقطع اوداجها اي عروق
رقبتها واحداد الة ذبحها لقوله وليحد احدكم
شفرته بسكون اللام ويكسر وبضم اليا وكسر
الحا وتشديد الدال المفتوحة ويجوز كسرها
لغة والمعنى لتحددها والشفرة بفتح اوله السكين
العريضة والمراد به السكين ونحوه مما يذبح به وليرح
ذبيحته بسكون اللام ويكسر وبضم اليا وكسر
الرا وجزم الحا من الاراحة وهي جلب الراحة للشي
او تسبب الى حصولها له والمعنى ليوصل الراحة

ابها

اليها بان يتركها على حالها حتى تستريح عنا ضطرا
عند ذبحها والذبيحة بمعنى المذبوحة فعيلة
بمعنى المفعوله كانه قال دابته الذبيحة اويكون
من باب غلبة الاسمية على الوصفية هذا وينبغي
ان يستتيبطاعند ذبحها وان يواري احداد ها
عنها لامره صلى الله عليه وسلم بذلك على ما
رواه احمد وابن ماجة ولا يذبح اخرى قبالها ثم
يمر السكين بسرعة عليها ثم يمهلها حتى تبرد
ثم يسلخها فقد روى الجلال والطبراني انه صلى
الله عليه وسلم مر برجل واضع رجله على صفحة
شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ اليه ببصرها
فقال افلا قبل هذا تريد ان تميتها موتات وروى
ابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل
وهو يجر شاة باذنها فقال له دع اذنها وخذ بسالفتها
اي مقدم عنقها واخرج عبد الرزاق ان شاة انفلتت
من جزار حتى جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم فاتبعها
فاخذ يسحبها برجلها فقال لها النبي صلى الله عليه
وسلم اصبري لامر الله وانت يا جزار فسقها للموت
سوقا رفيقا واخرج احمد انه قال رجل يرسول الله
اني لاذبح الشاة وانا ارحمها فقال ان رحمتها رحمك الله
رواه مسلم وكذا احمد والاربعة قال العلماء وهذا

الجزرة

122

الحديث متضمن لجميع قواعد الاسلام لان الاحسان
في العمل اتياعه على مقتضي الشرع او العقل والافعال
التي تصدر عن الشخص اما ان تتعلق بمعاشه او
معاده والاول اما سياسة نفسه وملكه واهله
واخوته واولاده او باقي الخلق والثاني اما الايمان
وهو عمل القلب او الاسلام وهو عمل البدن فاذا احسن
الانسان في هذا كله واتي به على مقتضي دينه فقد
ادي ما عليه من انواع التعظيم لامر الله والشفقة
علي خلق الله فرضا وندبا شرعا وعرفا فقوله ان الله
كتب معناه اوجب وقدر الاحسان على الانسان في
كل شي يتعلق بمعاده بان ياتي بالتكاليف على الوجه
المشروع ومعاشه باصطلاح امور نفسه
وبايصال النفع الي اخوته علميا وماليا ودفع
الضر عنهم اما في الدنيا بان لا يشتغل بمقابلة الاساءة
باخري واما في العقبي بان يبري ما ذمته عن التبعات
المقتضية للعقوبات وفي كلام بعض اهل العرفان الكرام
ان الاحسان اسم جامع لجميع ابواب الحقايق
وهو اما الاحسان في القصد وهو اصطلاح
علي مقتضي العلم وابرامه عزما بان ياخذ
من العمل حدا وتصفيته حالا بان لا يلاحظ حظ
نفسه ابدا او في الاحوال بان يراعي حفظها بالحضور

للعقوبات خ

والاحسان يطلق على
الانعام وعلى الاتقان
والاحكام خ

وسترها على الناس بالستور ويجتهد في تحقيق
الامور وفي الوقت بان لا يفارق المشاهدة ابدا
ولا يلاحظ بقمنة احدا ويجعل هجرته الى الحق
سرا سرمدا ولقد اجاد من اجاب بقوله
احسنا
احسن بحسبك ان تسمى محسنا ما احسن الاحسان ممن
واغنم من الذكر الجميل اجله فاجل ما كسب الفتى حسن الثنا
وقد قال الله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم
والله يحب المحسنين وان رحمة الله قريب من المحسنين
وهل جزاء الاحسان الا الاحسان واحسن انواع الاحسان
واكمل مقامات افراد الانسان ما في حديث جبريل
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وهذا في الدنيا
واما في العقبى فهو ان ترى الله وتغيب عما سواه
وتفنى ثم تبقى ببقاه الحديث الثامن عشر
عن ابي ذر جندب بضم الجيم وضم الدال وفتحها
ذكره المص وقال ابن حجر بتثليث الدال حينئذ
جواز كسرها مع ضم اوله وهو مخالف لما في كتب
اللغة وضبط الاسماء والاقتصار على الاولان معروف
في العرف ثم جندب كدرهم لغة في جندب
جراد معروف واسم على ما في القاموس ابن جنادة
بضم الجيم قاله المولف وابي عبد الرحمن معاذ بن
جبل بضم الميم رضي الله عنهما اي عن ابي ذر
ومعاذ ثم ابو ذر غفاري روي عنه انه قال انا رابع
الاسلام

123

الاسلام اسلم ورجع الي قومه ثم هاجر الي المدينة
وورد بروايات متعددة انه اصدق الناس لهجة وهو
احد النجبا من الصحابه صلي الله عليه وسلم وزهادهم
وكان يري ان من اكتنز علي صفرا و بيضا كوي بها يوم
القيمه وقال علي في حقه وعا ملي علما وكي عليه
فلم يخرج منه شي حتي قبض روي له مايتا حديث
واحد وثمانون حديثا مات بالربذة سنة ثلاثين
وصلي عليه ابن مسعود ومات بعد عاشره جا
المدينة ومعاذ انصاري اسلم وعمره ثمان عشر
سنة شهد بدرا والعقبة والمشاهد كلها مع رسول
الله صلي الله عليه وسلم روي له مائة حديث و
سبعة وخمسون وورد انه صلي الله عليه وسلم
قال اعلم امتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل وانه قال
له يا معاذ اني لاحبك فقال وانا احبك والله يا رسول
الله قال لا تدع ان تقول في دبر كل صلاة اللهم اعني
علي ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وانه قال ياتي
معاذ يوم القيامة بين يدي العلما رتوة اي رمية
سهم او خطوة او درجة وقال مالك بلغني ان ابن
مسعود قال ان معاذ كان امة قانتا لله فقال يا ابا
عبد الرحمن انما ذكر الله بهذا ابراهيم عليه السلام
فقال ابن مسعود ان الامة الذي يعلم الناس

الخيروان الثالث هو المطبع وفي رواية انه قال
الكنا نشبه معاذا بابراهيم عليه السلام ثم هو
ممن جمع القران في حياة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم استقروا القران
من اربع عبد الله بن مسعود وسالم مولى ابى
حذيفة وابي ومعاذ مات بناحية الاردن في طاعون
عماس وهو بفتح اوله قرية بين الرملة والقدس
نسب اليها لان اول ما ظهر منها سنة ثمانية
عشر وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وقبره بنوربيسان
في شرقيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اي لكل منهما ولاحدهما وسمع الخراولسيرهما وعا
سمعا اتق الله امر وجوب لان المراد به الخوف والخشية
واكتساب الاوامر واجتناب الزواجر والتقوى لغة
حفظ النفس عما يؤذيه كانها جعلت في وقاية
وشرعا صيانة النفس عن المحذورات واختلف في
الصغاير والتحقيق ان للتقوى مراتب من ترك
المحظور والمكروه والمباح وما لا يعني والغفلة عن
الذكر والشكر والتبري عما سوى الله سبحانه ولذا
قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وكما لها كما ورد
في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله حق تقاته بان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا

يشكر

124

ينهي و يشكر فلا يكفر اخرجه الحاكم مرفوعا حيث
ما كنت يستعمل للمكان والزمان والمعنى اتق مخالفة
الحوادث حيث يراك الخلق اولا يرونك اكتفا بنظره
تعالى كما يشير اليه قوله عز وجل واتقوا الله ان الله
كان عليكم رقيبا وكما ورد عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال لابي ذر اوصيك بتقوى الله في سر امرك
وعلانيته والمعنى اتق الله في الخلا والملا وفي حال
السخا والباسا فان الله عالم بسر امرك كما انه مطلع
بطول امرك فعليك برعاية دقايق الادب في حفظ
اوامره ومراضيه والاحتراز عن مساخطه و
مناهيه والتقوى هي الكلمة الجامعة للامم السابقة
واللاحقة قال تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم واياكم ان اتقوا الله فالتقوى من اساس
الدين وبه يرتقى الى مراتب اليقين واتبع السيئة
الحسنة بفتح الهمزة وسكون التاء وكسر البا
امر من الاتباع والمعنى باشر الحسنات عقيب
السيات وهو ايضا للوجوب على ما قيل من ان
المراد بالحسنة التوبة بقرينة قوله تمحها فان ساير
الحسنات لم تكفر جميع السيات والمعنى تمح الحسنة
تلك السيئة اي يمح الله بها اثارها من القلب او من
ديوان الحفظة ويثبت مكانها الطاعة كما قال

تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل
الله سياتهم حسنات وقبل الاولى حمل الحسنة على
العموم والمعنى اذا ابتليت بسيئة فاعمل بعدها
حسنة تمح اثار السيئة كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن
السيئات وكما ثبت في الاحاديث الصحيحة من
تعميم المكفرات وفيه بحث اذ سبب نزول الاية كما في
الصحيحين عن ابن مسعود ان رجلا اصاب امراة
قبلة ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك
له فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت
هذه الاية فدعاه فقراها عليه فقال رجل هذه
له خاصة فقال بل للناس عامة فالحسنة محمول على
التوبة اذا جاء تائبا وليس في الحديث ما يدل على انه
صدر منه حسنة اخرى ولو فرض وقوع طاعة
كصلاة ونحوها فما يفي بالغرض من عموم السيئات
يشمل الكبائر وحقوق العباد وايضا الواحد يعوم
حكمها ترتب عليه الفساد من عدم خوف في المعاد
ويؤيد ما قررناه في الطريق من طرق وصاياه معاذ
لما بعثه الى اليمن وان احدثت ذنبا فاحدث
عنده توبة ان سرا فسرا وان علانية فعلانية هذا
وقد اجمع العلما على ما قاله ابن عبد البر ان الاعمال
الصالحة لا تكفر غير الصغائر ثم قد يخفف

الكبائر

الكبائر علي ما صرح به النووي واما الكبائر فلا بد لها
من التوبة لاجماعهم علي انها فرض ويلزم من التكفير
الكبائر بنحو وضوء وصلاة بطلان فريضة التوبة
وهي فرض عين علي الخاصة والعامة قال تعالي وتوبوا
الي الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون وفي الصحيح
الصلوات الخمس والجمعة الي الجمعة ورمضان الي
رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر فحكي
ابن عطية عن جمهور اهل السنة في معناه ان
اجتناب الكبائر شرط لتكفير هذه الفرايض للصغائر
فان لم يجتنب لم يكفر شيئا بالكلية وهو ظاهر اية
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم اي
حسناتكم علي قواعد اهل السنة لا بمجرد اجتناب
كبائركم كما قالت المعتزلة وقال بعض اهل السنة
ان الحسنة تكفر الصغيرة ما لم يصر عليها سوا فعل
الكبيرة ام لا مع القول الاصح بان التوبة من الصغيرة
واجبة ولو لم يات بكبيرة لجواز ان تعذيب الله سبحانه
بها خلافا للمعتزلة وقيل الواجب الاتيان بالتوبة
او بمكفر ها من الحسنة وهذا اجمع مستحسن
في التحقيق والله ولي التوفيق واما اتباع الحسنة
السيئة فان كانت ردة تحبطها والا فلا علي مذهب
اهل السنة خلافا للمعتزلة ثم لما وصاه بحقوق

الله وما يتعلق باصلاح نفسه ذكر ما يتعلق بحقوق
العباد من غيره فقال وخالق الناس بضم الخا و
اللام وسكنها اي وخالطهم مخالطة حميدة وعاشرهم
معاشرة شديدة وهو بذل الحيا وبذل الندي وكف
الاذي ومجمله جامل الناس بما تحب اي يجاملوك به وعاملهم
بما يعجبك ان يعاملوك به وفي وصية بعض الحكما عليك
بالخلق مع الخلق وبالصدق مع الحق ثم الخلق وان كان في الاصل
سجية لما ورد مرفوعا ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما
قسم بينكم ارزاقكم الا ان للانسان قابلية يمكنه ان
يتخلق بالاخلاق الحسنة المرضية اذا تعلق به العناية
الربانية وتدل عليه الادعية النبوية اللهم فكما حسنت
خلقتي فحسن خلقي اللهم اهدني لصالح الاخلاق
لا يهدي لصالحها الا انت واصرف عني سيئها لا
يصرف عني سيئها الا انت فهو جبلي باعتبار اصله
اكتسابي بالنظر الي محله واما ما ورد عن ابن مسعود
فرغ ربكم من اربعة الخلق والعمل والرزق والاجل كذا
ذكره ابن حجر ولعله تصحف عليه فتح الخا بالضم
والا فهو يوافق قوله تعالي الله الذي خلقكم ثم رزقكم
ثم يميتكم ثم يحييكم الاية رواه الترمذي اي في جامعه
وقد سبق بعض مناقبه وله تواليف في التواريخ
والعلل وفي الشمايل وقد شارك البخاري ومسلما

كثيرا

كثيرا من مشايخهما وروي عن اتباع الاتباع وكتب
المصنف عنه امام محمد بن اسمعيل البخاري وحسبه
بذلك فخرا وقال حديث حسن وانما قاله صلي
الله عليه وسلم لابي ذر لما جا اليه وهو مختف بمكة
فاسلم واراد المقام معه صلي الله عليه وسلم فعلم
عليه السلام انه لا يقدر معه علي المقام فامره ان
يلحق بقومه عسي ان ينفعهم الله به وقال له اتق
الله حيث كنت الحديث ولمعاذ لما بعثه الي اليمن
معلما لهم وقاضيا بينهم وقد امتثل رضي الله عنه
هذه الوصية وسنم لما بعثه عمر رضي الله عنه
علي عمل قدم منه وليس معه شي فعاتبته
امراته فقال لها كان ضاغطا اي ضابطا يضيق
علي ويمنعني من اخذ شي لدي واراد به عز وجل
وظنت امراته ان عمر بعث معه رقيبا فقامت
تشكوه الي الناس وفي بعض النسخ اي نسخ
الجامع حسن صحيح وقد سبق اجوبة عن
وجه الجمع بينهما وفي شرح الكازروني حسن
من معاذ صحيح من حديث ابي ذر واما قول
ابن حجر عقب تحسينه لهذا الحديث مقدم علي ترجيح
الدارقطني ارساله للقاعدة المقررة ان المسند
لزيادة علمه مقدم علي المرسل ففيه بحث

لان الدارقطني يقدم سند ارسال
الحديث علي اسناد الاتصال وهو لا ينافي
كونه حسنا او غيره واما قوله ويؤيد تحسين
الترمذي انه ورد لهذا الحديث طرق متعددة
عند احمد والبزار والطبراني والحاكم وابن عبد
البر يفيد مجموعها حسنه ففيه نظر
ظاهر اذ لم يقل احد بتضعيفه حتي يفيد
تعدد الطرق تحسينه بل تعدد الطرق
الحسنة يفيد تصحيحه فيكون الحديث
حسنا لذاته صحيحا لغيره ويؤيده ان الحاكم
قال صحيح علي شرط الشيخين وان قيل
انه وهم منه لان ميمون احد رواته لم يخرج
له البخاري شيئا ولم يصح سماعه من احد من
الصحابة فلم يوجد فيه شرط البخاري كذا ذكره
ابن حجر وفيه ان عدم اخراج البخاري له لا ينفي
كونه علي شرطه وكذا عدم سماعه من الصحابة
لا يبقي ان سنده غير صحيح بل يكون منقطعا
وهو مختلف في ضعفه علي ان شرط السماع
عند امكان الاجتماع فهو صحيح علي شرط
مسلم من غير النزاع بل وشرط البخاري ذلك
من غاية الاحتياط والا فالجمهور علي خلافه

انما هو معتبر عند البخاري دون مسلم لانه يكتفي باحتمال السماع

في

127

في اعتبار صحة الحديث هذا وقد قال سهل
لا معين الا الله ولا دليل الا رسول الله ولا زاد
الا التقوى الله وقال الكتاني قسمت الدنيا
على البلوى وقسمت الجنة على التقوى وقال
النصراباذي من لزم التقوى اشتاق الى مفارقة
الدنيا قال تعالى وللدار الآخرة خير للذين
يتقون وقيل من تحقق في التقوى هون الله
على قلبه الاعراض عن الدنيا وقيل التقوى على وجوه
للعامة تقوى الشرك وللخواص تقوى المعاصي
وللاولياء تقوى التوسل بالافعال وللانبياء تقويهم
منه اليه واما الخلق فقد روي الحسن عن
الحسن عن ابي الحسن عن سبط الحسن
ان من احسن الحسن الخلق الحسن وفي حديث
انكم لن تسعوا الناس باموالكم وانما تسعوهم
ببسط الوجه وحسن الخلق وقيل لذي
النون المصري من اكثر الناس هما فقال اسوءهم
خلقا وقال وهب ما تخلق عبد بخلق اربعين
صباحا الا جعل الله ذلك طبيعة فيه ثم التقوى
كما ذكره بعض اهل التحقيق انه قد لاح عند اربابه
العرفان بطوالع الوحي ولوامع الوجدان الانسان
جوهر لطيف نوراني من عالم الامر الرباني

شبيه بالجواهر القدسية الملكوتية وله قوتان
يحظى بكمالهما ويشقى باختلالهما قوة عاقلة
تدرك حقايق الموجودات باجناسها وانواعها
وينتقل منها الى معرفة من استقل بابداعها وقوة
عاملة تدرك النافع نافعا فتميل اليها والضار ضارا
فتنفر عنها وذلك امور معاشية تتعلق بحفظ
النوع وكمال البدن او ملكات فاضلة واحوال
باطنة هي خلق الحسن وهو ما تزكية النفس
عن الرذايل واصولها عشرة شرة الطعام والكلام
والغضب والحسد والبخل وحب المال والجاه و
الكبر والعجب والريا واما تحليتها بالفضايل وامهاتها
عشرة التوبة والخوف وذكر الموت والزهد والصبر
والشكر والاخلاص والتوكل والمحبة والرضا بالقضا
ثم الخلق ملكة تصدر بها الافعال عن النفس بسهولة
من غير سبق روية وتنقسم الى فضيلة هي فضيلة
ورذيلة وهي الاطراف وهذا جار في الاعتقاد بان الوسط م
يكون توحيد تنزيه بين تعطيل وتشبيه و بين
جبر وقدر وفي الافعال بان يكون كرما بين اسراف
وتقتير وفي الاخلاق بان يكون شجاعة بين تهور
وجبن وفي الاحوال بان يكون بابها بين
محو وصحو كان خير الامور الوسط وحب التناهي
من

من الغلط وبما ذكرنا تبين لك ان السالك المتقي
لا بد له من علم وعمل وتصحيح نية وتحسين طوية
وحسن الخاتمة والتقوي باعتبار مبناها وجيزة
ومن جهة معناها عزيزة وجملتها ان الله لا يراك
حيث نهاك وقيل يستدل علي تقوي الرجل
بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا
فيما قد نال وحسن الصبر فيما فات وروي ان
ابا حنيفة ما جلس في الحر في ظل غريمه ويقول
في الخبر كل قرض جر منفعة فهو ربا وذكر القرطبي
ان الجنيد كان جالسا مع رويم والجريري وابن عطا ما ينجي م
فقال الجنيد ما ينجي الا بصدق اللجا قال تعالي وعلى
الثلاثة الذين خلفوا حتي اذا ضاقت عليهم الارض
بما رحبت وقال رويم ما ينجي من نجا الا بصدق
التقي قال تعالي وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم
وقال الجريري ما ينجي من ينجي الا مراعاة الوفا
قال تعالي الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون
الميثاق وقال ابن عطا ما ينجي من ينجي الا تحقيق
الحسا قال تعالي الم يعلم بان الله يري قال
الاستاذ ابو القاسم القشيري ما ينجي من ينجي الا
برضا بالقضا قال تعالي ان الذين سبقت لهم منا
الحسني قلت جميعها مندرجة تحت التقوي

ففي الحديث كل الصيد في جوف الفرا
عن جابر قال قال موسي عليه السلام يارب
امهلت فرعون اربعماية سنة فاوحي الله
اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب
عن الخلق فاحببت ان اكافيه ومن شعر
ابي الدردا
يود المرا ان يعطي مراده ويابي الله الاما اراد
يقول المرء فايدتي ومالي وتقوي الله افضل ما استفاد

الحديث التاسع عشر عن ابي العباس
حبر الامة وبحر الحكمة ترجمان القران وابي الخلفا
عبد الله بن عباس عم النبي صلي الله عليه
وسلم رضي الله عنهما ولد قبل الهجرة بثلاث
سنين وقد صح عنه عليه السلام انه قال
في حقه اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل
اللهم علمه الحكمة وتاويل القران اللهم بارك فيه
وانشر منه واجعله من عبادك الصلحين
اللهم زده علما وفقها وقال مسروق ادركت
خمسماية من الصحابة اذا خالفوا ابن عباس
لم يزل يقررهم حتي يرجعوا الي ما قال وقال
كنت اذا رايته قلت احلم الناس واذا تكلم
قلت افصح الناس واذا حدث قلت

129

اعلم الناس روي له الف حديث وستماية
وستون مات بالطايف ودفن بها سنة
ثمان وستين في خلافة ابن الزبير وصلي عليه
محمد بن الحنفية وقال مات رباني هذه الامة
وقد استاذنه صلي الله عليه وسلم وهو
علي يمينه حين شرب فقال له اتاذن لي
ان اعطي الاشياخ اي ابا بكر وعمر وغيرهما
فقال والله لا اوثر بنصيبي منك احدا فوضع
القدح في يده وقد عمي في اخر عمره وفي
ذلك يقول **شعر**

ان ياخذ الله من عينيّ نورهما ففي فوادي وقلبي منهما نور
قلبي زكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مابور

قال كنت خلف النبي صلي الله عليه وسلم
يوما اي خلف دابته كما في رواية ذكرها الواحدي
في وسيطه عن ابن عباس انه اهدي كسري
الي النبي صلي الله عليه وسلم بغلة فركبها
بحبل من شعر ثم اردفني خلفه وسار بي
مليا ثم التفت **فقال يا غلام** بضم الميم لانه
نكرة مقصودة ويجوز كسرها بنية الاضافة
وهو ابلغ بالنسبة وفي روايته يا غليم وهو

قوله مابور اي مصلوح قال في الصحاح
وابر نخله لقحه واصلحه والذي نقله
المدابغي في حاشيته علي شرح هذا
الكتاب تفخيمه نصه وفي نسخ صارم
كالسيف كما تعد بدل مابور وتفي
الماثعد كما قال في الصحاح السيف
الذي يقال انه من عمل الجن انتهي
وكلاهما له وجه وجيه

تصغير شفقة او لكونه صغيرا اقل من
عشرة اني اعلمك كلمات اي ينفعك الله بهن
كما في رواية لمسلم اي بتعلمهن وعلمهن وتعليمهن
والمعنى اعلمك فصولا مفيدة في دفع اللاواء
وجلب الالا وكما يدة هذه التمهيدات
تنبيه المخاطب السعيد وبينزعي بها سمعه
السديد لفهم ما يلقيه اليه ويتمكن في نفسه
فضل تمكن لديه ثم ايراد الكلمات بجمع القلة
للايما بانها قليلة المباني جزيلة المعاني ليسهل
حفظها ويتيسر ضبطها احفظ الله اي
امره وحكمه بامتثال اوامره واجتناب
زواجره والرضا بما قدره وقضاه وعدم
الالتفات الي ما سواه او احفظ مراسم
طاعاته ولوازم عباداته يحفظك اي يحرسك
من مكاره الدنيا ومشاق العقبي ومجمل
معناه احفظ الله فلا يراك حيث نهاك يحفظك
في دينك ودنياك احفظ الله اي في امتثال
حكم شريعته وحسن الخلق مع خليقته
فان المدار على التعظيم لامر الله والشفقة
علي خلق الله تجده تجاهك بضم التاء اي

حذاك

حذاك وتلقاك بمنصره اياك والواصل تجاهه وجاهه
والتا بدل من الواو كما في تقاه وقال المصنف تجاهك
بضم التاو فتح الهاي امامك كما في الرواية
الاخري ثم المعني تجد عنايته ورافته قريبا
منك يراعيك باصناف البركات وهذه استعارة
تمثيلية شبه حاله في معاونة الله اياه ومراعاة
حالاته وسرعة انجاح حاجاته بحال من جلس
امامك يحفظك ويراعيك في مقامك وهو
تلميح الي قوله سبحانه ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد وقد اشار بعض العارفين
الي انه لا ذرة من ذرات العالم ونور الانوار
محيط بها قاهر عليها اقرب من وجودها
اليها لا بمجرد العلم فقط ولا بمعني الايجاد و
الامداد بل بمعني اخر لا يجوز كشفه لعموم
العباد شعر
رمزت اليه حذار الرقيب • وكتمان سر الحبيب حبيب
اذا ما تلاشيت في نوره • يقول لي ادع فاني قريب
وقال بعضهم لفرط قربه يكاد لا تراه ولغاية بعدك
عنه تري شيا سواه وهذا تمام لمن يطلب
معرفة مولاه ولا يصح الطلب الا لمن خالف
هواه وخص الامام اشعار بشرف المقصد

في جميع الحالات ويتذكر
من انواع الفتوحات ويستمد
م

والمرام وبان السالك كالمسافر الى العقبي متحول
عن الدنيا مقبل بكليته علي المولي فكان المعني
تجده حيث ما توجهت من امر الدين او
الدنيا المعينة علي تحقيق أمر اليقين او المعني
اجعله يجري منك تجاه اقايد اي ما منك اذا
سالت اي اذا اردت سوال شي فاسيل الله
ولا تلتفت اي ما عداه فانه المعطي والمانع
والضار والنافع وخزاين العطايا عنده و
مفاتيح المزايا بيده فينبغي ان لا يرجي الا
نعمته ولا يخشي الا نقمته ويلتجي في عظام
المرام اليه ويعتمد في جمهور الامام عليه
وقد قال تعالي واسئلوا الله من فضله وفي
الحديث من لم يسال الله يغضب عليه اذ السوال
اظهار شعاير الانكسار والاقرار بسمت العجز
والافتقار والانخلاس عن ذروة القوة والطاقة
الي حضيض الاستكانة والفاقة وفي الخبر
ليسال احدكم ربه حاجته كلها حتي شسع
نعله اذا انقطع وقد قال تعالي لموسي عليه
السلام يا موسي سلني في دعايك حتي عجينك
واخرج المحاملي وغيره قال تعالي من ذا الذي
دعاني فلم اجبه وسالني فلم اعطه واستغفرني

ملحم

فلم

فلم اغفر له وانا ارحم الراحمين **واذا استعنت**
اي اردت طلب المعونة في تحمل المونة المتعلقة والاخرة صح
بامر الدنيا **فاستعن بالله** اذ لا معين سواه
ولا مانح ولا مانع الا اياه وكل معين لا يعين الا
بالقاربة الداعية في قلبه فلابد من قطع الواسطة
في مقام قربه كما يشير اليه قوله تعالى اياك نعبد
واياك نستعين ولانه لا حول عن معصية الله
الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا باعانة
الله ومن ثم كان لا حول ولا قوة الا بالله كنزا من
كنوز الجنة على ما ورد به الخبر وكتب الحسن الى عمر
ابن عبد العزيز ولا تستعن بغير الله بكلك الله اليه
وقيل المعنى اذا سالت غير الله فاسال الله ان
يوفقك اياه واذا استعنت بما سواه فاستعن
بالله ليعينك بخلق الاعانة والشفقة في قلبه
ان قدره وقضاه **واعلم** حث على التوجه التام
نحو الخير الذي هو المقصود والمرام **ان الامة**
المراد بها ههنا ساير البرية **لو اجتمعت**
على ان ينفعوك بشيء لفظة لو بمعنى ان
اذ المعنى على الاستقبال كما في لو تركوا من خلفهم
ونكتة العدول هي ان اجتماعهم على الامداد
من المستحيلات بخلاف الاتفاق على الاذا

فانه من الممكنات ولذا قيل شعر
الظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم
لم ينفعوك اي بشيء من الاشيا الا بشيء قد كتبه
الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك
الا بشيء قد كتبه الله عليك اي قدره واثبته
في الذكر وفرغ منه والمعنى وحد الله في
الطلب والدفع ولحوق الضر والنفع قال تعالى
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان
يردك بخير فلا راد لفضله رفعت بصيغة المجهول
الاقلام اي وثبتت الاحكام لما في جامع الترمذي
ان اول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال ما اكتب
قال اكتب القدر ما كان وما يكون وفي رواية لابي
داود والترمذي اول ما خلق الله القلم ثم قال
اكتب في تلك الساعة ما هو كاين الى يوم القيمة
وجفت بالجيم المفتوحة وتشديد الفا
اي يبست الصحف اي كتابة ما زبر في اللوح
وفرغ منها على وفق ما قدر وهو كناية عن
جريان القلم بالمقادير وعدم امكان شي من
التغيير لا يقال هذا ينافي قوله تعالى يمحوا
الله ما يشا ويثبت لانا نقول المحو والاثبات
لما جفت به الصحف ايضا لان القضا قسمان

مبرم

132

مبرم ومعلق او نقول ما في اللوح قابل للمحو
والاثبات تعلي منهج الصواب بخلاف ما في علمه
سبحانه واليه الاشارة بقوله وعنده ام الكتاب
رواه الترمذي[٢] اي هذا كما في نسخة حديث
حسن صحيح وقد روى مسلم ان الله كتب
مقادير الخلق قبل ان يخلق السماوات والارض بخمسين
الف سنة وروي ايضا قيل يا رسول الله
فيما العمل اليوم افيما جفت به الاقلام وجرت
به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به
المقادير قيل ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر
لما خلق له وقد روى جماعة غير الترمذي من
عدة طرق عن ابن عباس وجلالته صلى الله عليه
وسلم وصاه بذلك عن علي وابي سعيد وسهل
ابن سعد وعبد الله بن جعفر لكن قال ابن منده
وغيره اصح الطرق كلها الطريق التي اخرجها
الترمذي ثم هو حديث كبير الشان كثير البرهان
للدلالة على رعاية حقوق الله والتفويض
والتوكل عليه وعجز الخلق وافتقارهم اليه وشهود
توحيده وظهور تفريده وفي رواية غير
الترمذي وهو عبد بن حميد في مسنده لكن

[٢] وقال صح

باسناد ضعيف ورواه احمد باسناد بن منقطع
ولفظه يا غلام او يا غليم الا اعلمك كلمات ينفعك
الله بهن فقلت بلى يا رسول الله فقال احفظ
الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف
الي الله في الرخا يعرفك في الشدة فاذا سالت
فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله قد
جف القلم بما هو كاين فلو ان الخلق كلهم جميعا ارادوا
ان ينفعوك بشي لم يقضه الله لم يقدروا عليه
وان ارادوا ان يضروك بشي لم يكتبه الله عليك لم
يقدروا عليه واعلم ان الصبر على ما تكره خير كثير
وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان
مع العسر يسرا وهذا اتم من حديث عبد بن
حميد الذي ذكره المص بقوله احفظ تجده امامك
بفتح الهمزة تعرف بتشديد الرا الي الله في الرخا
اي تحبب اليه بلزوم طاعته واجتناب معصيته
ذكره المص لان المعرفة سبب المحبة وقيل اجعل
اجعل الله يعرفك بطاعته والعمل فيما اولاك
من نعمته يعرفك بفتح اليا وكسر الرا يجازك
ويمدك في الشدة ويجعل لك من كل ضيق
فرجا ومن كل هم مخرجا وحاصل المعنى تقرب

اليه

الله صح

133

اليه بانواع الطاعات واصناف العبادات
وتحبب اليه وتوكل عليه واستسلم لتكون
معروفا بذلك لديه فيسهل عليك همومك
ويدفع عنك غمومك بما سلف من تقربك
اليه وتذللك لديه واعتمادك عليه وفي
حديث للترمذي عن ابي هريرة من سره
ان يستجيب الله له عند الشدايد والكروب
فليكثر الدعا في الرخا ورواه الحاكم عن سلمان
وقال صحيح الاسناد واعلم ان ما اخطيك اي
جاوزك من المقادير من نعمة او شدة فلم
يصل اليك لم يكن مقدرا ليصيبك اي لان يصيبك
والا لكان اصابك ولم يتجاوز عنك ولم يبتعد
عليك وما اصابك من المقدرات لم يكن
مقدرا ليخطيك والمعني انه فرغ مما اصابك
او اخطاك من خير وشر ونفع وضر وطاعة
ومعصية ونعمة ومحنة فما اصابك كانت
اصابته لك محتومة فلا يمكن ان يخطيك
وما اخطاك تسلا منك هنه محتومة فلا
يمكن ان يصيبك لان ذلك كالسهام الصايبة
وجهت من الازل فلا بد ان تقع مواقعها من غيره
ان تتغير وتتبدل وقد قال تعالي قل لن

يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقال سبحانه ما
اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم
الا في كتاب من قبل ان نبراها اي نخلقها وقد
ورد في مسند احمد انه صلي الله عليه وسلم
قال ان لكل شي حقيقة وما بلغ عبد حقيقة
الايمان حتي يعلم انه ما اصابه لم يكن ليخطيه
وما اخطاه لم يكن ليصيبه في خبر اخر فان
فان استطعت ان تعمل لله بالرضا في اليقين
فافعل وان لم تستطع فان الصبر علي ما تكره
خيرا كثيرا وزيد في رواية اخري بعد هذا
قلت يا رسول الله كيف اصنع باليقين قال
ان تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطيك وما اخطاك
لم يكن ليصيبك فاذا استحكمت باب اليقين
وهو العيان بقوة الايمان لا بالحجة والبرهان
وقيل هو مشاهدة الغيوب بصفا القلوب
وملاحظة الاسرار بمحافظة الافكار اي ان
تيقن قلبك بالتصابعينك علي الرضا بما اصابك
من البلا وان لم تصل الي هذا المقام فتجرع
الصبر فان في الصبر خيرا كثيرا لتحقق المرام
كما اشار اليه بقوله واعلم ان النصر من الله للعبد
علي جميع اموره يوجد مع الصبر اي من العبد

علي

على امور به من امتثال طاعته واجتناب معصيته
وحلول محنته ونزول مصيبته قال تعالى
والله مع الصابرين وقال تعالى واصبر لحكم ربك
وقال واصبر وما صبرك الا بالله وقال ولئن
صبرتم لهو خير للصابرين ومن جملة الخير
النصر بل الظاهر كما هو الغالب ان من انتصر
بنفسه عدم النصر ومن صبر ورضي بعلم
الله وطلب النصر من عنده كالمعهود من
احسانه وكرمه ان ينصره ويقويه على
عدوه ومجمل معناه ان الصبر سبب للنصر
وان الفرج بفتحتين الخروج من الغم مع
الكرب بفتح فسكون اي الغم الذي ياخذ
بالنفس اي لا يدوم على احد اسر الكرب والشدة
ولا بد عقباه من الفرج والخلاص من المحنة
ولذا وردا شتدي ازمة تنفرجي فينبغي
للعبد ان يكون صابرا على ما ابتلاه مولاه
وراجيا وقوع الفرج مما نزل به وقدره
وقضاه فانه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين
وان مع العسر يسرا مصداقه قوله تعالى
فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فذكر
العسر مرة وذكر اليسر مرتين فان المعرفة

المعادة هي عين الاولي بخلاف النكرة فانها غيرها
ولذا قال صلي الله عليه وسلم لن يغلب عسر
يسرين ولعل المعني ان العسر في الدنيا يصحب
اليسر في الدنيا والعقبى واخرج البزار وابن ابي
حاتم واللفظ له لو جا العسر فدخل هذا الحجر
لجا اليسر حتي يدخل عليه فيخرجه فانزل الله
هذه الاية فان قلت السفر والفرج واليسر
بعد الصبر والكرب والعسر لانهما بتوا ردان
علي المحل كما سوى الاصحاب المستفاد من مع
فالجواب ان المقصود المبالغة في معاقبة احدهما
الاخر واتصاله به حتي جعله كالمتقارن زيادة
في التسلية والتنفيس وجعلها بمعني بعد
من ضيق العطن وحاصل معني هذا الحديث
الشريف هو الحث علي التوكل والرضا ونفي الحول
والقوة الا بالمولي اذ ما من حادثة من سعادة
وشقاوة وخير وشر ونفع وضر ويسر وعسر
وعمل واجل الا وقد تعلق بقدر الله وقضايه
قبل ان يخلق السموات والارضين بخمسين الف
عام جري قلم القضا بما يكون فسيان التحرك والسكون
فيجب الشكر في حال السرا والصبر في حال
الضرا معتقدا ان الامر كله لله وان كل شي من عند
الله

الله كان تفسير شيء فبتقديره واذا اتفق شيء
فبتيسيره وفي الحديث ايضا اشارة الى ان
الله تعالى اذا اراد ان يفتح لعبده بابا من
فضله ابتلاه بشيء من ابتلايه ثم يخصه بنعمة
من نعمايه وما رايت شيا من الامتحان الا رايت
معه او بعده من بوارد لطايف بره وسع الطريق
محبتهم وزيادة لمودتهم والحكمة في ذلك ان تعرف
قدر النعمة وشرف المنة فبمرارة الفراق تعرف
حلاوة الوصال وبجراحة الهجران تدرك حلاوة
العرفان وبالنقطة السودا في وجه الحسنا
تعلم قدر الحسن والبها فعلى المومن اذا
لحقه شدة في صعوبة ما لها ان يعلم انه سيظهر
بزوالها الا انه اما ان يتخلص عنه بالحياة واما ان
يحصل له النجاة بالممات وحينيذ يصل الى من
لا يهمل شيا من امره ولا يضيع حقه من
صبره وشكره وقال بعض المريدين للسيد
ابي الحسن الشاذلي علمني الكيميا فقال له هي
عن الله ص كلمتان اطرح الخلق عن نظرك واقطع طمعك ان
لا يعطيك غير ما قسم لك وقال القطب الرباني
الشيخ عبد القادر الجيلاني في فتوح الغيب

١

النفس لها حالتان لا ثالث لهما حالة عافية
وحالة بلا فاذا كانت في بلا فالجزع والشكوي و
التسخط والاعتراض والتهمة للحق عز وجل
لا صبر ولا رضا ولا موافقة بل سو الادب والشرك
بالخلق والاسباب والكفر واذا كانت في عافية
فالاشر والبطر واتباع الشهوات واللذات كلما
نالت شهوة طلبت اخري واستحقرت ما عندها
من النعم من ماكول ومشروب وملبوس ومنكوح
ومسكون ومركوب فتخرج لكل واحدة من
هذه النعم عيبا ونقصا وتطلب اعلي منها
واسني مما لا يقسم لها وتعرض عما قسم لها فتوقع
الانسان في تعب طويل ولا ترضي بما في يديها
وما قسم لها فترتكب الغمرات وتخوض المهالك
في تعب طويل لا غاية له ولا منتهي لها في الدنيا ثم
في العقبي كما قيل من اشد العقوبات طلب ما لا
يقسم فاذا كانت في بلا لا تتمني سوي الكشف منها
وتنسي كل نعيم وشهوة ولذة لا تطلب شيئا منها
فاذا عوفيت منه رجعت الي رعونتها واشرها
وبطرها واعراضها عن طاعة ربها وانهماكها
في معاصيه وتنسي ما كانت فيه من البلية وحل

بها من الويل وتتردد الى اشد مما كانت عليه
من انواع البلاء والضر عقوبة لها لما قد اجترحت
وركبت من العظايم وفطامها وكفا عن المعاصي
في المستقبل اذ لا تصلح لها العافية والنعمة
بل حظها في البلاء والبوس فلو احسنت الادب
عند انكشاف البلية ولا زمت الطاعة بالشكر لعلمه
والرضا بالمقسوم لكان خيرا دنيا واخرى
فكانت تجد زيادة في النعيم والعافية والرضا
من الله عز وجل والطيبة والتوفيق واللطف
فمن اراد السلامة في الدنيا والاخرة فعليه
بالصبر والرضا وترك الشكوى الى الخلق وانزال
حوايجه بربه عز وجل ولزوم طاعته وانتظار
الفرج منه عز وجل والانقطاع اليه هو خير
من غيره من جميع خلقه حرمانه عطاء نته
نعمابلا وه دواوعده نقد نسيته حالة وقوله
فعل انما قوله وامره اذا اراد شيا ان يقول له
كن فيكون كل افعاله حسنة وحكمة ومصلحة
غيرانه عز وجل طوى علم المصالح عن عباده
وتفرد به فالاولى للعبد واللايق بحاله الرضا والتسليم
والاشتغال بالعبودية من اداء الاوامر وانتهاء
النواهي والتسليم في القدر وترك الاشتغال

بالربوبية التي هي علة الاقدار ومجاريها واصولها
والسكون عن لم وكيف ومتى والتهمة للحق عز
وجل في جميع حركاته وسكناته وتستند هذه
الجملة الى حديث عبد الله بن عباس وهو ما
روي عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال بينما انا رديف رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ قال لي يا غلام احفظ الله يحفظك
احفظ الله تجده امامك واذا سالت فاسئل
الله واذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما
هو كاين ولو جهد العباد ان ينفعوك بشي لم يقضه
الله لك لم يقدروا عليه ولو جهد العباد ان يضروك
بشي لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه فان
استطعت ان تعمل لله بالصدق في اليقين
فاعمل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره
خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع
الكرب وان مع العسر يسرا قال فينبغي لكل
مومن ان يجعل هذا الحديث مراة قلبه وشعاره
ودثاره وحديثه فيعمل به في جميع حركاته وسكناته
حتى تسلم في الدنيا والاخرة ويجد العزة فيهما
برحمة الله عز وجل انتهى وقد افرد هذا الحديث
بشرح مستقل لبعض العلما وهو حقيق بذلك

لحن

لمن اراد تحقيق ما هنالك الحديث العشرون
لم يتعرض المص للفظة الحديث من ههنا الي اخر
الكتاب كذا قاله الشارح الكازروني وغيره واما ما
وقع في اصل ابنحجر من قوله الحديث الموفي عشرين
مخالف للنسخ المعتبرة ثم اعلم ان العشرون يطلق
علي مجموع عدده ومنه قوله تعالي ان يكن منكم
عشرون ويطلق علي عدد المكمل للعشرين مجازا
كما ههنا لانه تم به العشرون عن ابي مسعود
عقبة بن عمرو الانصاري الخزرجي البخاري البدري
شهد العقبة الثالثة مع السبعين ولم يشهد بدرا
عند الجمهور وانما نسب الي بدر لانه نزل فيه لكن
الزهري ومحمد بن اسحاق والبخاري ومسلم ذهبوا
الي انه شهدها رضي الله عنه سكن الكوفة
ومات بها في خلافة علي وهي من يوم الجمعة لثمان
عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين الي
غداة الجمعة لسبع بقين من رمضان سنة اربعين
وسروياته مائة حديث وحديثان قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس
بالرفع علي الفاعلية والراجع الي ما محذوف او
الفاعل ضمير يعود الي ما والناس مفعوله لكن الرواية
علي الاول كما قاله الكازروني ولفظ من تبعيضية الي من

جملة ما وصلوا اليه وحقوه وظفروا به من
كلام النبوة الاولي من بيان لما اي من كلمات
ذي النبوة المتقدمة واضاف الكلام اليها اعلاما
بان الحيا من قضايا النبوة المجتمع عليها فما من نبي
الا وقد حث عليه وندب الامة بقوله اذا لم
تستح فاصنع ما شيت والجملة اسم ان بتاويل
هذا القول وفي حديث لم يدرك الناس من كلام
النبوة الا هذا قال بعضهم ان من الاولي الابتدائية
يقال استحيي واستحي لكن الاول اصح وافصح
ومنه قوله تعالي ان الله لا يستحيي ان يضرب
مثلا ومنه هذا الحديث علي ما في الاصول المعتمدة خلافا
لما يتوهم من شرح ابن حجر فتدبر قال المص معناه
اذا اردت فعل شي فان كان مما لا يستحي من الله
ومن الناس في فعله فافعله والا فلا وعلي هذا
مدار احكام الاسلام وذلك بان افعال الانسان
اما ان يستحي منها او لا فالاول يشمل الحرام والمكروه
وتركهما هو المشروع والثاني يشمل الواجب والمندوب
والمباح وفعلها مشروع في الاولين جايز في الثالث
فعلي هذا يتضمن الحديث الاحكام الخمسة ولهذا
ورد الحيا هو الدين كله رواه الطبراني عن قرة ثم في كلام
المص اشارة الي ان صيغة الامر في الحديث للاباحة

فان

فان معناه اذا انت لم تستح من صنيع امر الله وفعله
فذلك دليل علي جواز ارتكابه وصنيعه اي اذا نزع
منك الحيا فافعل ما شيت فان الله يجازيك عليه
ويكون هذا تعظيما للحيا وتبجيلا في حقه بالثنا
وقيل امر بمعني الخبر اي صنعت ما شيت وقيل
المعني انك اذا لم تستح من الله من فعل شي يجب
ان لا يستحيي منه في امر الدين فافعل ولا تبال ما قيل ص
بالخلق ولعل من هذا القبيل ما قيل ان الحيا يمنع العلم
والرزق يعني الحيا من الناس ولذا قال تعالي والله
لا يستحيي من الحق ومن ثم قالت عايشة نعم
النسا نسا الانصار لم يمنعهن الحيا عن ان
يسالن عن امر دينهن وفي حديث ان دينا
هذا لا يصلح لمستحيي ولا المتكبر والمراد منه
الحيا المذموم والا فقد صح ان الحيا شعبة من
الايمان رواه مسلم والترمذي عن ابن عمر وفي
رواية عنه علي رواه ابو نعيم في الحلية والحاكم
في مستدركه والطبراني في الكبير الحيا والايمان
قرنا جميعا فاذا رفع احدهما رفع الاخر والحاصل
انه لا ينبغي ان يغلبه الحيا من الناس علي الحيا
من الله حتي يستحيي فيما يضره في امر دينه
او دنياه وبهذا ايتبين لك صحة قوله صلي الله

عليه وسلم الحيا خير كله الحيا لا ياتي الا بخير قال
المراد به الحيا من الحق ان لا عبرة بالخلق في الشهود
المطلق وقيل المعنى اذا بطلت منك هذه القوة
التي هي اصل كل خير وما بقي فيك عين ولا اثر فافعل
ما شيت كانه لا يفيدك دوا ولا ينفعك احتما
كما ان الطبيب الحاذق اذا ييس من مداواة المريض
وعرف ان الاحتما والدوا ما ينفعه لفساد مزاجه
وعدم قبول علاجه فياذن المريض ان يفعل
كل ما يشتهي من الاشيا ولا ياسر بالاحتما ولا شك
ان الانبيا للقلوب كالاطبا للقوالب فهذا تفخيم
لامر الحيا ومزيد تعظيم له في مقام الثنا ويويده
ما ورد على ما رواه الطبراني عن انس مرفوعا
من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله ثم الحيا تغير
وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يلام به
وقال الجنيد الحيا رويته التقصير ورويته الالا فيتولد
من بينهما حالة تسمى الحيا وقال ذو النون الحيا وجود
الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك
الى الرب وقال الدقاق هو ترك الدعوى بين يدي
المولى وقال العارف السهروردي الحيا اطراق
الروح اجلالا لعظمة الجلال ومن هذا القبيل حيا
اسرافيل كما ورد انه يتستر بجناحه حيا من

139

الله عز وجل وكذا عثمان رضي الله عنه كما قال حيا
اني لاغتسل في البيت المظلم كانطوي حيا
من الله عز وجل قيل والحيا وجوه منها حيا الجناية
كادم عليه السلام لما قيل له افرارا منا قال بل
حياسنك وحيا الكرم كحيا نبينا صلى الله
عليه وسلم كما في قوله تعالى ان ذلكم كان يوذي
النبي فيستحي منكم وحيا الحشمة كعلي رضي
الله عنه حين سال المقداد حتى سال النبي
صلى الله عليه وسلم عن حكم المذي لمكان
فاطمة رضي الله عنها منه وحيا الاستحقار
كموسى عليه السلام قال انه ليعرض لي الحاجة
من الدنيا فاستحي ان اسيلك يارب فقال الله
عز وجل سلني ملح عجينك وعلف شاتك و
حيا الانعام وهو حيا الرب عز وجل يدفع كتابا
مختوما الى العبد بعد ماعبر الصراط واذا فيه
فعلت وفعلت ولقد استحييت ان اظهر
عيبك فاذهب فاني غفرت لك وفي بعض
الكتب قال الله تعالى ما انصفني عبدي
يدعوني فاستحي ان ارده ويعصيني ولا يستحي
مني وقال بعضهم التحقيق الحيا ينشئ عن علم
القلب بان الله رقيب عليه فيحافظ ظاهره

وباطنه من مخالفة احكامه ويستقبح ما يصدر
من هفوات افعاله وزلات كلامه ويتحمل انواع
البلا نشيطا في نظره ولا يشتكي الى غيره لماذا
ترقي وتحقق ان الله اقرب الاشيا اليه استحي من
قربه فوق ما يستحي من رويته فيدعوه ذلك
الى محبته والخلوة معه مستوحشا من الاغيار
مستلذا بروح انس الملك الغفار حتى تطلع
عليه انوار التوحيد وتلمع في غيره بوارق
اسرار التفريد فيستحي من شهود مشهوده
المطلق كاينا عن الخلق باقيا مع الحق هذا او اقل
الحيا ان لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث
امرك رواه البخاري وكذا احمد وابو داود والنساي
ورواه احمد ايضا عن حذيفة واخرجه ابن
ابي شيبة عن ابي مسعود الانصاري مرفوعا
ولفظه ان اخر ما كان من كلام النبوة الاولى اذا لم
تستحي فاصنع ما شيت وروى الترمذي من
حديث ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى
الله عليه وسلم قال استحيوا من الله حق
الحيا قالوا انا نستحي والحمد لله قال ليس ذلك
ولكن الاستحيا من الله حق الحيا ان تحفظ
الراس وما حوى والبطن وما وعى وان تذكر

الموت

١٤٥

الموت والبلا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله
حق الحيا وروى البيهقي عن سعيد بن زيد ان
رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني قال
اوصيك ان تستحيي من الله كما يستحيي رجلا صالحا
من قومك وعن بهز ابن حكيم عن ابيه عن جده
قال قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما
نذر قال احفظ عورتك الا من زوجتك وما
ملكت يمينك قلت يا رسول الله اذا كان احدنا
خاليا قال فالله احق ان يستحيي منه ووضع
يده صلى الله عليه وسلم على فرجه الحادي
والعشرون عن ابي عمرو بالواو وقيل ابي عمرة
اي بالتا تانيث عمرو سفين بن عبد الله بضم
السين روايةً وبتثليث درايةً رضي الله عنه
كان ثقفيا عاملا لعمر على الطايف مرويا ته
خمسة احاديث قال قلت يا رسول الله قل
لي اي لاجلي خاصة من بين الانام في الاسلام اي
فيما يكمل به الاسلام ويستدل به على توابعه
من الاحكام قوله كافيا كاملا شاملا واضحا
شافيا لا اسال عنه احدا غيرك اي لا احتاج
فيه الى سوال غيرك وفي رواية بعدك اي بعد
سوالك هذا قال قل امنت بالله اي وبجميع

ن
الحيا

بلغ مقابلة

ما يجب الايمان به من المعتقدات ثم استقم على اداء
الطاعات واجتناب المخالفات او قل امنت بالله وهذا
معنى قول المصنف ثم استقم كما امرت ممتثلا امر الله مجتنبا
نهيه انتهى شاملا للاتيان بكل مامور والاجتناب
عن كل محذور فقد دخل فيه اعمال القلوب والابدان
من الايمان والاسلام والاحسان وقوله ثم استقم يدل
على الثبات فيها ولعظم امر الاستقامة قال
شيبتني هود لانه نزل فيها فاستقم كما امرت
وهي جامعة لجميع انواع التكاليف وقال الصوفية
لان الدعوة الى الله مع كون المدعو على الصراط المستقيم
امر صعب لا يمكن الا اذا كان الداعي على بصيرة
يرى انه يدعوه من اسم الى اسم ومن ثم قال صلى
الله عليه وسلم كما اخرجه احمد استقيموا ولن
تطيقوا الى حق الاستقامة وقال ابن عباس
في قوله فاستقم كما امرت ما نزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن اية كانت اشد
ولا اشق عليه من هذه الاية ولذا قال عليه
السلام لاصحابه حين قالوا له اسرع اليك الشيب
قال شيبتني هود واخواتها واخرج ابن ابي حاتم
لما نزلت هذه الاية شمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فما روي ضاحكا ما عطف احكوا تها فلا يأتي

معنى

معنى الاستقامة لان من جملتها هم امته ان لا يفضح
بهم ما وقع بالامم السالفة في الدنيا ومنها انه ذكر
احوال الاخرة واهوال يوم القيامة ولفظ ثم للتراخي
الزماني فيفيد ان الكفار غير مخاطبين بفروع الاسلام
بل باصوله فاذا امنوا طولبوا بفروعه ايضا والاظهر
انه مستعار للتراخي الرتبي لان الاستقامة افضل
من مجرد الايمان لشمولها العقائد والاعمال والاخلاق والاحوال م
ولذا قيل الاستقامة خير من الف كرامة وقد نقل انه
لا يطيقها الا اكابر الامة لانها الخروج عن المالوفات
ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين الحق على بيوم
قدم الصدق والحديث مقتبس من قوله تعالى ان
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الايتين فعن
ابي بكر الصديق رضي الله عنه لم يشركوا به شيا
ولم يلتفتوا الى اله غيره واستقاموا على ان الله
ربهم وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على
طاعته ولم يروغوا روغان الثعالب وعن ابن عباس
وجمع من السلف استقاموا على شهادة ان لا اله
الا الله وجاء عن الصديق الاكبر في رواية اخرى
انه فسرها ايضا بانهم لم يلتفتوا الى غير الله
وهذا هو غاية الاستقامة ونهاية الكرامة
وقيل ينقسم الى استقامة العمل وهو الاقتصاد

فيه غير منقد من نهج السنة ولا متجاوز
عن حد الاخلاص الي الريا والسمعة او رجا
العوض وطلب الغرض والي استقامة الروح
وهي الثبات علي الحق والي استقامة السر
وهي الثبات علي الحقيقة وعند المحققين ان
استقامة العمل هي استوا القصد في السير الي
الله وهي دون الاستقامة في السير في الله
لان هذه في الطريق والسلوك اليه باخذ الطريق
المستقيم بحسب التوفيق واما السير في الله
فهو الاتصاف بصفاته ثم الاستقامة في الله دون
الاستقامة بالله المامور بها نبينا صلي الله عليه
وسلم في قوله فاستقم كما امرت لان تلك في مقام
جمع الجمع والبقا بعد الفنا والاولي للمريدين والثانية
للمتوسطين ولعل هذا هو السر في تخصيص
الخطاب به عليه السلام في قوله فاستقم دون
الخطاب العام ويشير اليه ايضا حديث استقيموا
ولن تطيقوا وقال جعفر الصادق في قوله
تعالي فاستقم كما امرت افتقر الي الله تعالي بصحة
العزم وقال القشيري الاستقامة درجة
بها كمال الامور وتمامها وبوجودها حصول
الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما ضاع

والي استقامة القلب
وهي الثبات علي
دوام ذكر الرب م

سعيه

سعيه وجده وخاب جهده وقال العارف
العاشق معني الحديث اذا وقفت بالتوحيد
وراينت جلال قدمه دار مع الحق حيث دار اما
قضاوا اما رضاوا لا تنزل عن مقام الرضا الى
فترة النفس والهوى رواه مسلم وكذا الترمذي
وقال حسن صحيح وزادة مهمة في حديثه
وهي قلت يرسول الله ما احوف ما تخاف علي فاخذ
بلسان نفسه وقال هذا ويويده انه اخرج احمد
لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم
قلبه حتى يستقيم لسانه واقول وقد يقال ولا يستقيم
لسانه حتى يستقيم قلبه كما سبق في اذا صلحت
صلح الجسد كله وربما يقال ان تقديم القلب
للمجذوب والمراد بما يريد هذا وروي عن علي كرم
الله وجهه انه قال قلت يا رسول الله اوصني
فقال قل ربي الله ثم استقم قال قلت ربي الله
وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب
فقال ليهنيك العلم ابا الحسن الثاني
والعشرون عن ابي عبد الله جابر بن عبد الله
الانصاري رضي الله عنهما كان هو وابوه من
مشاهير الصحابة شهد العقبة الثالثة وبدرا
واستغفر له عليه السلام في ليلة البعير سبعا

وعشرين مرة وهو من الحفاظ المكثرين في الرواية
وممن طال عمره حتى كثر الاخذ عنه وعمي اخر عمره
وتوفي عن اربع وتسعين سنة عام ثلاث وسبعين
يقال هو اخر من مات من الصحابة بالمدينة روي
عنه الف وخمسماية حديث واربعون حديثا
وقتل ابوه يوم احد واحياه الله وكلمه كفاحا ان رجلا
هو النعمان بن قوقل بقافين مفتوحتين بينهما
واو ساكنة واخره لام اوسي شهد احدا سال
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارايت هذه
الكلمة تستعمل في الاستقبال وحاصل معناه
اخبرني لان مشاهدة الاشيا لما كانت طريقا
الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا
ارايت بمعناه لان الروية سبب للعلم والعلم
سبب لصحة الخبر عنه فاطلق السبب واريد
المسبب القريب فحينيذ من روية البصيرة والاستفهام
فيه بمعنى الامر لانه للتقرير المستلزم لطلب الخبر وقيل
حقيقة الاستفهام دخلت على رايت وهو بمعنى ترى
من روية القلب كانه قال اترى اذا صليت المكتوبات
اي الخمس المفروضات وصمت رمضان اي ايام شهره
واحللت الحلال وحرمت الحرام اي اعتقدت الحلال
حلالا وارتكبته والحرام حراما واجتنبته ولم ازد على
ذلك

المسبب البعيد فهو من روية البصر اولان العلم بها وسيلة الى صحة الخبر فاطلق السبب واريد

ذلك المذكور شيئا من ساير العبادات يحتمل أن
السايل لم يكن من أهل الزكاة والحج ولذا لم يذكرهما
ويحتمل أنه ذكرهما ولم ينقل الراوي اختصارا أو نسيانا
أو كان هذا السوال قبل وجوبها ويحتمل أنه اكتفى
بقوله حرمت الحرام لأن ترك الفرايض من جملة
المحرمات فعلى هذا ذكر الصلاة والصوم للاهتمام
بهما دخل الجنة أي من غير سبق العقوبة وهمزة
الاستفهام فيه مقدرة قال نعم أي تدخلها وذلك
لأن اللام في الحلال والحرام للاستغراق فاذا أحل كل
حلال وحرم كل حرام فقد أتى بجميع وظايف الشريعة
وذلك مستقل بدخول الجنة فان الحلال المراد به المأذون
في فعله يشمل الواجب والمباح والحرام والمراد به
الممنوع متناول للمكروه التحريمي رواه مسلم قال
المص في الأصل ومعنى حرمت الحرام اجتنبته
أي معتقدا حرمته ومعنى أحللت الحلال فعلته
معتقدا حله أي حالة كونه معتقدا حله والله
أعلم انتهى كلامه وفيه نظر لأن في الحلال يكفي
مجرد الاعتقاد كما ذكره المص في شرح مسلم نقلا عن
ابن الصلاح الظاهر أنه أراد بتحريم أن يعتقده حراما الحرام صح
وأن لا يفعله بخلاف تحليل الحلال فانه يكفي مجرد
اعتقاده كذا نقله عنه وسكت عليه وهو خلاف

ما ذكره هنا قال السيد جمال الدين الحق ما قاله
ابن الصلاح لان مجرد الاجتناب عن الحرام لا يكفي
بل لا بد من اعتقاد كونه حراما ومجرد اعتقاد كون
الشي حلالا بدون الفعل كاف انتهي والتحقيق
انه لا يحتاج الكلام في طرفيه الي ذكر الاعتقاد لانه
مفهوم من ذكر الحلال والحرام وانما احتيج الي التاويل
قوله حرمت واحللت فتاويل حرمت باجتنبت
كاف وتاويل احللت بفعلت ومقصوده ان
يجتنب الحرام ويكتسب الحلال مع ان العلم بتفاصيل
الشرع غير متوجه علي كل احد حتي يشترط الاعتقاد
المبني علي معرفة كل شي بانه حرام وحلال بل يكفي
للعامة ان يكفوا عن المحرمات ويتناول المباحات
سوا علموا بتفصيل ذلك ام لا فلو تناول احد ما
هو حلال في نفس الامر وترك ما هو حرام في ذاته
مع جهله باحكامها الموجب لاعتقادها لم يكن
مواخذا فيهما ولعل ابن الصلاح نظر الي هذا
قال الطاهر لم يمكن حمل الحديث علي الكمال
وهو انه ما اجتنب شيا الا وقد اعتقد انه حرام
وما اكتسب شيا الا وقد اعتقد انه حلال وفيه
اشارة الي انه ليس عنده شي من المشتبها ثم لا يلزم
من قوله فعلية فعل كل حلال بخلاف قوله اجتنبته

اذ ليسا علي بابها لان الله سبحانه هو المحرم والمحلل م

فانه

فانه يلزمه اجتناب كل حرام وقد سبق ان الحلال
بين والحرام بين فكانه اكتفى بهما في بيان احكامهما
فان قلت ظاهر الحديث يقتضي ان الاعمال الصالحة
اسباب دخول الجنة لان تعليق الحكم بالوصف يشعر
بالعلية وقد ثبت في الصحاح انه قال صلى الله عليه
وسلم لن ينجي احدا منكم عمل قالوا ولا انت يا رسول
الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته فالجواب
ان دخول الجنة بمحض رحمة الله وفضله كما ان
دخول النار بمقتضى سخطه وعدله واما تفاوت
درجات الجنة واختلاف دركات النار فبحسب
مراتب الاعمال لكن لابد للعبد ان يستعد لفضله
وذلك باحسان عمله كما قال تعالى ان رحمت الله قريب
من المحسنين وما احسن قول علي كرم الله وجهه
من ظن انه بدون الجهد يصل فهو متمن ومن
ظن انه ببذل الجهد يصل فهو متعن **الثالث** الحديث صح
والعشرون عن ابي مالك الحارث بن عاصم الاشعري
رضي الله عنه مات في خلافة عمر رضي الله عنه
بطعن هو ومعاذ وابو عبيدة وشرحبيل في
يوم احد ثالث ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين
روى عنه جابر بن عبد الله وغيره **قال قال رسول**
الله صلى الله عليه وسلم الطهور بالضم هو المختار

وقول الاكثرين كما قاله المص وقال القرطبي الفتح هو
المروي قال السيد جمال الدين الطهور بالضم المصدر
وبالفتح اسم لما يتطهر به كان كانت الرواية بالضم فظاهر
وان كانت بالفتح فصحيح ايضا والمراد به المصدر
لان المفعول بالفتح قد يجي مصدرا كالقبول والمضاف
محذوف اي استعمال الطهور كذا قاله شراح الحديث
ولكن روايتنا في هذا الحديث بالضم والله اعلم انتهي
وفي شرح مسلم للمص اجمع اهل اللغة علي ان الطهور
والوضوء يضمان اذا اريد بهما المصدر اي التطهارة
عن الحدث والخبث ويفتحان اذا اريد بهما الاسم اي ما
يتطهر به قال القاضي عياض هو هنا بمعني المصدر
اي التطهر عن الحدث الاكبر والاصغر في البدن وعن
الخبث في الملبوس والمكان وهو التنزه عن المستخبثات
الحسية والمعنوية شطر الايمان اي بعض الصلاة
لانه شرط من شرايطها والشطر كما يطلق علي النصف
يطلق علي الجزء كما سيجي تحقيقه ومنه قوله تعالي
فول وجهك شطر المسجد الحرام اي جانبا من اجزا
جوانبه واطلق الايمان علي الصلاة كما في قوله تعالي
وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الي بيت المقدس
لانه اعظم اثاره واكرم انواره قال شارح وانما جعل شطرها
لان صحة الصلاة بالاركان وهي احد الشطرين وبالشرايط

وهي

175

وهي الشطر الاخر ولما كان اظهرها واكثرها فعالا
هي الطهارة جعلت كالشروط كلها شطرا علي الانسا ع
انتهي وفيه مالا يخفي من التراع وقال المص المراد
بالطهور الوضوء يعني وما في معناه من انواع الطهارة
واصناف النظافة والاظهر بل الاظهر مجرد الوضوء كما ذكره
بقوله وقيل معناه ينتهي تضعيف ثوابه الي نصف
اجر الايمان اي اجر اصل الايمان وهو في غاية من البعد
لان الايمان شرط لصحة جميع الاعمال والاحوال فكيف
يقابل نصف اجره باجر وسيلة من وسايل عمل الصلوات
ولو كان في اعلي درجات المضاعفة مع ان اجر الوضوء
متوقف علي صحة النية وهي متوقفة علي وجود صفا
الطوية وثواب اصل الايمان لا يعرفه غير الله سبحانه
ثم قوله وقيل الايمان يجب ما قبله من الخطايا يعني
من الصغاير والكباير وحقوق العباد وغيرها خلافا للايم
قوله وكذلك الوضوء لان الصلاة مع اصالتها لا تجب الا
الصغاير فكيف بالوضوء علي ان المكفرات متعددة
وايضا التشبيه يقتضي المثلية لا المنصفية
لكن الوضوء تتوقف صحته علي الايمان فصار نصفا
فيه بحث ظاهر لان المتوقف علي الايمان اشيا كثيرة
من عبادات مستقلة ووسايل مستتبعة فكيف
يكون الوضوء وحده نصفا مع ان الصلاة باستقلالها

١

بل مع انضمام غيرها لا يصلح ان يكون نصفاله لاسيما
علي مذهب اهل السنة والجماعة من ان الاركان غير
داخلة في حد الايمان بل امر زايد معبر عنه بالكمال
في مقام الاحسان ثم قال وقيل المراد بالايمان الصلاة
والطهور شرط لصحتها فصار كالشطر وفيه ماقدمناه
من التحقيق وانه لا يصح في مقام التدقيق والله
ولي التوفيق ثم قوله وقيل غير ذلك لعله اشارة الي
ما اخترناه اولا الي ما قال بعض الصوفية من ان
الطهور تزكية النفس عن الرذايل والاخلاق الدنية
وهي نصف الايمان اذ النصف الاخر التحلية بالفضايل
والاعتقادات الحسنة والتخلية مقدم علي التحلية
وحاصله ان الايمان مشتمل عليهما فيكون كل نصف
الاخر وبيانه ظاهر في كلمة التوحيد فانها مشتملة
علي تخلية القلب عن وجود سوي المعبود بالحق و
تحلية باثبات توحيد الرب في الشهود المطلق
مع الاشارة الي اثبات الصفات السلبية والنعوت
الثبوتية وقيل الايمان ظاهر وهو الاقرار والتسليم
باطن وهو الاخلاص والتصديق فبالاقرار بلا
اله الا الله طهارة الظاهر عن الشرك والبراة عنه
وبالتصديق والاخلاص طهارة الباطن عن الشك
والنظافة عنه فنصف الايمان تطهير الظاهر

دكاو

وكماله تطهير الظاهر وكماله تطهير الباطن وهذا المعنى
يقوي القول بان الاقرار شطر الايمان والله ولي الاحسان
وقال الغزالي للطهارة مراتب من تطهير الظاهر عن
الحدث والخبث ثم تطهير الجوارح عن الجرايم ثم تطهير
القلب عن الاخلاق المذمومة ثم تطهير السر
عما سوى الله انتهى وفيه اشارة الى ما سبق من اعتبار
التخلية [والتحلية ثم] لان المقابل لما ذكره والتلطخ بالنجاسة الحقيقية
والحكمية والتدنس بالاعمال الردية والدنية والتبعد
عن الله والاشتغال عما عداه من الامور الكونية وقد
كان قارب هذا المعنى بعض الفقهاء في تحصيل المعنى
بناء على ان المراد بالايمان الكامل بالمعنى الاعم المتركب
من ثلاثة اجزا وهي تصديق الجنان واقرار اللسان
وعمل الاركان فانه وان كثر خصاله لكنها منحصرة
فيما ينبغي التنزه والتطهير عنه وهو كل محذور
عنه اعتقادا وقولا وفعلا وخلقا وخلقا وحالا وما
ينبغي التلبس به وهو كل ما مور به كذلك فهو شطران
فهو نظير خبر الايمان نصفان نصف صبر ونصف
شكر واما حديث ابن ماجه وابن حبان في صحيحه
اسباغ الوضوء شطر الايمان ورواية الترمذي
والوضوء شطر الايمان فليس على ظاهره بل يتعين
تاويله بان المراد بالشطر هو الجزء في القاموس

الشطر نصف الشي وجزوه ومنه حديث الاسرا
فوضع شطرها اي بعضها يعني لو كان المراد به النصف
لم تعد الخمسون في المرة الثانية بثنتين ان
يراد به الخمس لما جا في روايات اخر فوضع عني عشرا
واما حديث احدوا الطهور نصف الايمان محمول علي
ما قد سناه من تقسيم الايمان بالنوعين من الاحسان
مع انه قد لا يراد به حقيقة التنصيف كقول شريح
وقد قيل له كيف اصبحت قال اصبحت ونصف الناس
علي غضبان يريد انهم بين محكوم له راض و بين
محكوم عليه غضبان فهما جزآن مختلفان ومنه قول
الشاعر
اذا مت كان الناس نصفين شامت بموتي ومثن بالذي
ايه ينقسمون قسمين ومنه حديث تعلموا الفرايض
فانها نصف العلم وكذا قول مجاهد المضمضة والا
والاستنشاق نصف الوضو علي انه قد يقال الايمان
تطهير الباطن من دنس الكفر والوضو الظاهر
من وسخ الوزر ثم رايت انه ذكر صاحب النهاية
والله ولي الهداية والحمد لله تملا الميزان روي
بالتا المثناة من فوق و باليا اخر الحروف فالاول
بتاويل الكلمة والثاني بتاويل القول كذا ذكره
السيد جلال الدين وقول المصراي نوا بهما يشير
ابي

الى الاول فتامل وقد ابعد من قال المراد بالحمد لله
الفلكة والمعني ان ثواب التلفظ بعبنا هامع استحضار
معناها تملا كفة الحسنات التي هي مثل طباق
السموات وذلك ان حمده سبحانه علي ذاته وصفاته
وافعاله في اظهار الموجودات واثار المصنوعات
بما يوجب عظمة تملا الميزان بتقدير تجسمه
او باعتبار صحفه وفي الحديث اثبات الميزان ذي
الكفتين واللسان كما هو مذهب اهل السنة
خلافا للمعتزلة قال القرابي وصفته في العظمة
انه مثل طباق السموات والارض يوزن فيه الاعمال
بقدرة الله تعالي والصحيح يومئذ مثاقيل الذر
والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحايف الحسنات لتمام
في كفة النور فيثقل بها الميزان علي قدر درجاتها
عند الله تعالي بفضله ويطرح صحايف السيات
في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله انتهي
ونقل الواحدي في تفسيره عن ابن عباس قال
يوزن الحسنات والسيات في ميزان له لسان
وكفتان فاما المومن فيوتي بعمله في احسن صورة
فيوضع في كفة الميزان فيثقل الميزان حسناته
علي سياته فذلك قوله تعالي فمن ثقلت موازينه
فاوليك هم المفلحون ويوتي بعمل الكافر في اقبح صورة

فيوضع في كفة الميزان فيخف وزنه فذلك
قوله تعالى فاوليك الذين خسروا انفسهم
قيل ولكل انسان ميزان لقوله تعالى ونضع
الموازين القسط والاصح انه ليس الا ميزان
واحد والجمع اما للتعظيم شانه تحذيرا من
السيات وتحريضا على الحسنات او باعتبار الموزونات
وبناسبه قوله واما من ثقلت موازينه واما
تملان
من خفت موازينه وسبحان الله والحمد لله
بالتوفيه والتجنية وكذا قوله او تملا لكن قال
الكازروني الرواية فيهما على التانيث ام او للشك تملا
ما بين السما والارض مفعول لاحدهما وفي
نسخة صحيحة ما بين السموات والارض قال
المص ولو قدرتا بهما جسما لملا ونبيه ما اشتملتا
عليه من التنزيه والتفويض الى الله انتهى وكانه
اشار الى ان الحامد له سبحانه على افعاله ينبغي
ان يكون مفوضا الى ربه في جميع احواله والاظهر
ان التسبيح يشير الى التنزيه الذي هو ازالة الصفات
السلبية والحمد يومي الى اثبات الثنا الجميل وهو
هو الاثبوت الثبوتية وبهذا الاعتبار يملا انوارها
جميع ما في الدار ولقد قيل ليس في الدار غيره ديار
وقد ذكر البيهقي في تفسيره وابن دحية عن

٢ التثنية

طلحة

طلحة بن عبيد الله قال سالت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال هو
تنزيه الله تعالى عز وجل عن كل سوء وهو اسم بمعنى
التسبيح كما حققه بن مالك لا علم له كما ذكره الزمخشري
ثم الظاهر انهما يملان باجتماعهما ويحتمل ان كلا منهما
بانفراده تملا فقوله او تملا شك من الراوي في
سماع لفظ الحديث ويصح ضميره ان يكون راجعا
الى مجموع اللفظين او الى كل من الكلمتين فاندفع
بهذا قول بعضهم هذا شك فيما تملا ما بين
السماء والارض هل هو الكلمتان او احدهما انتهى
ولا يخفى ان الشك لا يجوز ان ينسب اليه صلى
الله عليه وسلم ولا يتصور ان الراوي من عنده
يتصرف في العبارة ويأتي بالة الشك ليتم له الاشارة
فكلام هذا القائل باطل ليس تحته طائل وفي
رواية النسائي وبن ماجه والتسبيح والتكبير
ملء السموات والارض اي كل منهما وكلاهما والاول
هو المنقول لان الميزان اوسع مما بين السماء والارض
فما يملا اكثر مما يملاهما وقد سبق ان الحمد لله
تملا الميزان بانفراده فلا وجه ان يراد به انضمامه
وقد جاء في حديث اخرجه الحاكم مرفوعا وصححه
بلفظ يوضع الميزان يوم القيمة فلو وزنت السموات

والارض لو سعت فتقول الملايكة يا رب لمن تزن
هذا فيقول الله تعالي لمن شيت من خلقي فتقول
الملايكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وقد
روي احمد والنساي والترمذي لا اله الا الله لا يعدلها
شي في الميزان وعند احمد لا يثقل شي لبسم الله
الرحمن الرحيم وفي رواية لاحمد لو وضع السموات
السبع والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله
في كفة مالت بهن والصلاة نور اي ذات نور
او ذاتها نور مبالغة في التشبيه والمعني كما قال
المص انها تمنع من المعاصي وتنهي عن الفحشا و
تهدي الي الصواب يعني كما ان النور يستضا منه
ويهتدي به فال ولعل يكون ثوابها نورا لصاحبها
يوم القيامة وقيل لانها سبب لاستنارة القلب
انتهي وتوجيهه انها منورة وجه صاحبها في
الدارين ومنه ماروي الصلاة نور المومن وجا
من صلي بالليل حسن وجهه بالنهار وقال ابو الدردا
صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلم القبور وفي صحيح
ابن حبان موفوعا من حافظ عليها كانت له نورا
وبرهانا ونجاة يوم القيامة واخرج الطبراني
انه صلي الله عليه وسلم قال من صلي الصلوات
الخمس في جماعة جاز علي الصراط كالبرق اللامع

في

149

في اول زمرة السابقين وجا يوم القيامة ووجهه
كالقمر ليلة البدر واخرج ابن منده مرفوعا اذا حفظ
العبد علي صلاته قالت له حفظك الله كما حفظتني
فتصعد بها الي السما ولها نور حتي تنتهي الي الله
تعالي فتشفع لصاحبها او صورة قلب ملازمها
لان بها تشرق فيه انوار المعارف واسرار العوارف
فتتفرغ فيها من كل شاغل ويعرض عن كل زايل ويقبل
علي الله بكليته حتي يمن عليه بشهود قربه ووجود
محبته وقد ورد عنه صلي الله عليه وسلم كما رواه
احمد والنساي وجعلت قرة عيني في الصلاة وفي
رواية الجايع والظمان يروي وانا لا اشبع من حب
الصلاة ثم هي تزيل الهموم والغموم عن صاحبها
ومنه قوله عليه السلام يا بلال اقم الصلاة ارحنا بها
اخرجه احمد والصدقة اي الزكاة كما في رواية
ابن حبان ويصح بقاوها علي عمومها برهان اي
دليل وبيان علي صحة الايمان المصدق بيوم الحساب
فان العبد اذا سيل عن مصرف ماله وقال انصدقت
كانت صدقته برهانه في الجواب حيث بذل العاجل رجاء
للاجل من الثواب او برهان علي صدقه دعواه في
محبة الله اذ المحبوبات كلها تبذل لاجل المحبوب
الاكبر من ان ينال بالحواس ومن ان يدرك جلاله

بالعقل والقياس ولذا انفق بعض العرفا كالصديق
الاكبر جميع ماله وبعضهم امسك قدر ما يدفع انفق
به الحاجة من ماله وبعضهم اقتصر على الواجب
لضعف حاله والبرهان لغة هو الشعاع الذي
يلي وجه الشمس ومنه خبر ان روح المؤمن
تخرج من جسده كبرهان الشمس ومنه
سميت الحجة القاطعة برهانا لوضوح ما فيه من
الدلالة قال تعالى يا ايها الناس قد جاءكم برهان
من ربكم الاية وقال المص الصدقة برهان اي حجة لصاحبها
في اداء حق المال وقيل حجة في ايمان صاحبها لان
المنافق لا يفعلها غالبا والصبر ضيا اي نور قوي
ينكشف به الكربات وينقلع به الظلمات قال
المص اي الصبر المحبوب وهو الصبر على طاعة الله
والبلاء ومكاره الدنيا وعن المعاصي ومعناه لا يزال
صاحبه مستضيئا مستمرا على الصواب انتهى
وفي خبر لابن ابي الدنيا وابن جرير ان الصبر على المصيبة
يكتب به للعبد ثلاثمائة درجة وان الصبر على الطاعة
يكتب به للعبد ستمائة درجة وان الصبر على المعاصي
يكتب به للعبد تسعمائة درجة قيل حكمة جعل الصلاة
نورا والصبر ضيا مع ان الله سبحانه قال هو الذي
جعل الشمس ضيا والقمر نورا هي ان الصبر

هو

هو الاساس المبني عليه سائر الاعمال فلولم يكن
وجوده لم تتصور صلاة ولا غيرها من الاحوال
ومن ثم ورد ما اعطا احد خيرا من الصبر وفي
رواية اوسع عطا من الصبر وايضا فالضو فيه
احراق بخلاف النور لانه محض اشراق ولذا وصف
شريعة موسي وهارون عليه السلام بانها ضيا
حيث قال تعالي ولقد اتينا موسي وهارون الفرقان
وضيا وذكرا للمتقين لما فيه من شدة ابد الاثقال
والاغلال ووصف شريعة نبينا صلي الله عليه
وسلم بانها نور لقوله تعالي قد جاكم من الله نور
وكتاب مبين لخلوها عن تلك المشاق الدينية
واتصافها بالملة السهلة الحنيفية ولا ينافيه
ما ورد في رواية الصوم بدل الصبر لانه من
بين العبادات مختصة بالاحراق للاجزا الباطنية
لكونه سببا لاحتراق الذنوب الماضوية ولانه لا حظ
فيه اشراق ولهذا ورد الصوم لي وانا اجزي
به واما ما جا في رواية احمد والترمذي من طريق
هذا الحديث والصوم نصف الصبر اي بعضه او
معظمه هذا وقد قال الامام حجة الاسلام الغزالي
الانسان مركوز فيه العقل الداعي الي المصالح و
الشهوة الباعثة الي المفاسد لم يوجد الصبر

في غيره من الملائكة لفقدان الشهوة الصارفة عن
الحد منه ومن البهايم لعدم العقل ثم ما دام صبيا ليس
له الا الشهوة الغذا ثم اللعب ثم المنكح فاذا بلغ ظهر باعث
الدين والعقل يرشده الى الاعراض عن الباطل الفاني و
الاقبال على الحق الباقي فصد العقل الطبع عن خلاف
الشرع هو الصبر وهو ما يدفع فعلا كتفاعل الاعمال
الشاقة او نفعا كالثبات على الالام المحرقة او
نفسانيا وهو منع النفس من مقتضيات الطبع الى
مواققات الشرع وان كان عن شهوة البطن والفرج
فهو العفة وان كان عن المكاره فعلى المصايب بان يحمل
النفس على ترك اظهار الجزع خص بالصبر وهو عند
الصدمة الاولى والا فيسمى سلوا وفي النوايب سمي
سعة الصدر وان كان في مبارزة الاقران فهو الشجاعة
وان كان في كظم الغيظ سمي حلما وان كان في حال الغنى
سمي ضبط النفس وان كان عن فضول العيش سمي
زهدا وان كان على قدر يسير من المال سمي قناعة
وعلى هذا انتهى كلام الامام فعلم منه ان الصبر يبنى
عليه اركان الايمان والاسلام واحكمت عليه قواعد الاحكام
فيكون اتم من الصلاة فناسب ان يشبه بالضيا
الذي هو اقوى من النور مع انهما يتبعا وران وفي كلام
العارفين اشارة الى ان للصبر اقساما من الصبر لله
اي عن معصيته وعلى طاعته لا لاجل مثوبته وهو

للعامة

بلغ مقابلة

للعامة والصبر بالله اي بتاييده وهو صبر المنسلخ
عن حوله وقوته عالما بانه لا حول ولا قوة الا بالله نص عليه
في المنازل وذكر القاشاني انه فوق جميع الاقسام لحصوله
بالبقا بعد الفنا ويؤيده قوله تعالي لسيد الاصفيا
واصبر وما صبرك الا بالله والصبر علي الله اي علي
حكمه وقضاه وهو صبر السالك الذي بري عن التقيد
والاختيار ويري ان المتصرف فيه وفي الكل والمتصرف
في الامور هو الحق فيصبر علي احكامه مع مكابدة الامر
والامة ومنه قوله تعالي واصبر لحكم ربك فانك باعيننا والصبر في الله والصبر مع الله
والصبر عن الله وهولا اهل المحبة اذ اراد المحبوب وهما لاهل الحضور والمشاهدة ثم
فراق المحب كما قال قايلهم .

اريد وصاله ويريد هجري . فاترك ما اريد لما يريد .

وهذا اشد انواع الصبر مرارة ولذا لما سمعه الشبلي
شهق لديه حتى مغشيا عليه وانشد .

ان صوت المحب من الم الشوق . وخوف الفراق يورث
ضرا بالصبر لما استغاث به الصبر . فصاح المحب للصبر صبرا
وتحقيق هذه المعارف تطلب من العوارف والقران
حجة لك اي ان حفظت مبناه وعملت بمقتضاه
يشهد لك ويصير حجتك ويدل علي نجاتك وحسن
مآبك او عليك ان تركت تلاوته وخالفت طاعته
يشهد عليك في مآلك ويلقيك في مهالكك ففيه

اشارة الي ان القران سبب الوصول الي اعالي الدرجات
او اسافل الدركات ولذا قال تعالي واعتصموا بحبل
الله فهو كبحر النيل ما للمحبوبين ودما للمحجوبين
قال تعالي يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وننزل من
القران ما هو شفا ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا وقد قال الخطابي جا في الاثر ان عدد اي
القران علي قدر درج الجنة فمن استوفي جميعها استولي
علي اعلي درجات الجنة قال المحققون استيفا جميع اي
القران هو ان يتخلق باخلاقه وصفاته بل باخلاق الله
وصفاته ويشير اليه قول عايشة رضي الله عنها كان
خلقه القران ويومي اليه قوله الرحمن علم القران
هذا وجا في حديث القران شفيع مشفع او ماحل
مصدق من قدمه امامه قادة الي الجنة ومن
جعله وراه وقع في قفاه الي النار وقيل المعني لك او
عليك في القواعد الشرعية والوقايع الحكمية لانه
المرجع عند المنازعات العرفية كل الناس يرجوا
جملة مستانفة كانه قيل قد تبين الرشد من
الغي هنالك فما حال الناس بعد ذلك فقال كل
الناس يصبح ساعيا في تحصيل غرضه ومراده
مسرعا في طلب نيل مقاصده فبايع نفسه
وفي نسخة بالاضافة وهو خبر مبتدا محذوف

هو

152

هو هو والفاء تفصيلية والبيع بمعنى الشرا
لان المشتري يعتق لا البايع وهو مجازي يصرف
نفسه من الاعراض التي يتواخاها ويقصدها
من الخير والشر فمعتقها خبر بعد خبر او بدل
من قوله فبايع نفسه والفاسية او موبقها
عطف عليه اي منهم من يسعى في فكاك رقبته
من اسر الطبع باتباع الشرع فيعتقها من
العذاب ويخلصها من العتاب ومنهم من يسعى
في هلاك نفسه بمتابعة النفس والشيطان
والهوى فيهلكها ويرميها في طريق الردى
فتكون للاول الدارين والامان وللثاني الهلاك

خيرهم ... والخسران م

وقال المص معناه كل انسان يسعى بنفسه فمنهم
من يبيعها الله بطاعته فيعتقها من العذاب
ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعها
فموبقها اي مهلكها انتهى ولا يخفى انه اختار
على ان البيع على بابه كما اشار اليه الحق سبحانه
بقوله ان الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة الى ان قال فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم
اي الحظ الجسيم فانه النعيم المقيم قال الشيخ
ابو الحسن الشاذلي النفوس ثلاثة اقسام

نفس لاتشتري لخستها وهي نفس الكافر ونفس
تشتري لكرامتها وهي نفوس المومنين ونفس
لايقع عليها الشرا لثبوت حريتها وهي نفوس الانبيا
والمرسلين قال المص وقد بسطت شرح هذا الحديث
في اول شرح صحيح مسلم فمن اراد زيادة فليراجعه
وبالله التوفيق انتهي وقال الفاكهاني المعني ان
كل انسان يصبح ساعيا في اموره وهو اما ان يكون
الغالب عليه السعي في خلاص نفسه بتوجهه
بقلبه وقالبه الي العقبي وما عند الله تعالي
من الاعراض عن زخارف الدنيا والتنبيه باداب
الشرع اكتسابا واجتنابا فهذا الذي قال فيه عليه
السلام معتقها اي باع نفسه من الله وعتقه
مولاه وناهيك بها صفقة اغتنام اذ كان الثمن
عينها دار السلام والنظر فيها الي وجه الملك العلام
والعجب انه يبيع ايلا ليعتق وحرية وسيادة بسبب
ما اسلفه من عبادة وزهادة فاعتق نفسه من
رق المخالفات بل من اقتحام النار وعظم العقوبات
واما ان يكون ساعيا في مذموم اغراضه وهواه
مخالفا في غالب تقلباته لسيده ومولاه فهو الذي
باع نفسه من الشيطان وتصدي لغضب الرحمن
واختار عذاب النيران علي نعيم الجنان فكان جديرا

بالهلاك

بالطرد والحرمان نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه
ونساله رحمته وكريم ثوابه بعد او قالوا يجب على
العبد مخالفة النفس الداعية الى المهالك المعينة
للاعدا المغروسة في البلا المستهمة باصناف الاسوا
المتبعة للاهوا على العقلا والعلما ما لا يسلم منها
الا الصديقون والانبيا وقال تعالى لا تتخذوا
الهين اثنين اراد بالاخر لسان الاشارة الهوى
لقوله عليه السلام ما عبد اله ابغض على الله
من الهوى لان كل ما عبد الا على موافقة النفس
والهوى ومخالفة الكتاب والهدى ولذا قال تعالى
افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم
حين قدره وقضاه وقال ابو يزيد من امات
نفسه يلف في كفن الرحمة ويدفن في ارض
الكرامة ومن امات قلبه يلف في كفن العقوبة
ويدفن في ارض العقوبة رواه مسلم وكذا احمد
والترمذي والنساي وابن ماجه والبيهقي الرابع
والعشرون عن ذر ابي الغفاري كما في نسخة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما
يروي اي يرويه كما في نسخة وفي اخرى فيما روى
عن الله عز وجل وفي نسخة عن الله تعالى

وفي اخره عن ربه والمعنى روينا عنه انه روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم ما يأتي من الكلام حال
كونه مندرجا في جملة الاحاديث القدسية
حتى يروي بها عنه سبحانه انه قال والفرق بين
الحديث القدسي وبين القران انه اللفظ المنزل
للاعجاز بواسطة جبريل عليه السلام والقدسي
اخبر الله نبيه معناه بالالهام او المنام فاخبر
النبي صلى الله عليه وسلم امته بعبارته عن
معنى ذلك الكلام فلا يكون معجزا ولا متوا ترا
كالقران وقال الطيبي فضل القران على الحديث
القدسي انه نص الهي في الدرجة الثانية وان
كان من غير واسطة الملك غالبا لان المنظور فيه
المعنى دون اللفظ وفي التنزيل اللفظ والمعنى
منظوران يا عبادي الخطاب مع الثقلين لاختصاصهم
بالتكليف في الامور وبتعاقب التقوى والفجور
ويؤيده انه فصل المخاطبين بالانس والجن ويحتمل
ان يكون عاما شاملا لذوي العلم كلهم من الملائكة
والثقلين ويكون ذكر الملائكة مطويا مندرجا في قوله
وجنكم لشمول الاجتنان لهم ثم توجه الخطاب
نحوهم لا يتوقف على صدور الفجور منهم ولا على

امكان

154

امكانه لانه كلام صادر علي سبيل الفرض و
التقدير اني حرمت الظلم علي نفسي التحريم
لغة المنع شبه تنزه عن الظلم باحتراز المكلف
عن مانهي عنه والمعني تعاليت وتنزهت علي ان
اظلم احدا بان اعذبه بلا ذنب او اضيع اجر
محسن مع انه لا يجب علي شي كلي حكيم في
كل باب لحائزه نفسي عن زيادة عقاب او نقص
ثواب والمراد بالنفس الذات وجا اطلاقه عليه
في حديثه هذا وفي قوله عليه السلام لا احصي
ثنا عليك انت كما اثنيت علي نفسك فقول شارح
لا يطلق علي الله الا علي سبيل المشاكلة مدفوع
علي انه لا مقابلة في هذا الحديث ايضا واغرب
ابن حجر حيث اقره وقدر المشاكلة محلها الكلمة
الثانية لا الاولي واما قوله لا يجوز اطلاق النفس
عليه سبحانه لانها تشعر بالتنفس فمسلم لكن
نقول يجوز اطلاقها من حيث انها ماخوذة
من النفاسة لا من النفس بفتح الفا فههنا
اعتباران مختلفان كالشي فانه باعتبار معني
المفعول لا يجوز اطلاقها عليه سبحانه ومنه
قوله تعالي ان الله علي كل شي قدير واما باعتبار
معني الفاعل فيجوز ومنه قوله تعالي قل اي

شي اكبر شهادة قل الله واما ايهام شموله
قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت مع كون المراد
كل متنفس عند فوع بما علم استثناوه سبحانه
قطعا بالعقل والنقل ومنه قوله تعالى كل شي
هالك الا وجهه فلا يخطر هذا الوهم بالبال
والله اعلم بالحال هذا وقد بالغ بعض المتابعين
وتكلفه في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم
ما في نفسك بجعل الخطاب راجعا الى عيسى
على ان الاصل ولا اعلم ما فيها ثم اوقع الظاهر
موقع المضمر فصار معناه ولا اعلم ما في مخلوقتك
وتعسفه مما يمجه السمع السليم ويدفعه الطبع
المستقيم وقال المص اي تقدست عنه فالظلم
مستحيل في حق الله تعالى لانه مجاوزة الحد
او التصرف في غير ملكه وهما جميعا محال في حق
الله تعالى انتهى اولانه وضع الشي في غير
موضعه وهو محال ايضا لانه حكيم عليم فيما قدر
ودبر فان قيل قد نفى الله عن نفسه الظلم بقوله
وما ربك بظلام للعبيد على سبيل المبالغة وذلك
يوهم ثبوت اصل الظلم كما توهمه بعض الشراح
وقال بتصوره به لكنه لا يفعله عدلا منه وتنزها
عنه فالجواب ان يقال صفات الله بلغت غاية

الكمال

155

الكمال ونهاية الجلال فلو اتصف بالظلم لكان عظيما فتنفاه عن حد عظمته لو كان ثابتا اواراد شيء نفس الظلم لكن القليل منه بالنسبة الي رحمته الذاتية كثير فلذا عبر بلفظ المبالغة مع انه قد يقال ان صيغة فعال تجي للنسبة فمعناه ليس بذي ظلم اوورد بصيغة المبالغة المفيد للكثرة مقابلة العبيد وكثرتهم في عالم الخلقة واما ما اجاب بعضهم بان الله تعالي في خلقه تصرفين ظاهرا وباطنا فتصرفه الظاهر ينهي عنه شرعا وتصرفه الباطن يقضي به ويخلقه حقيقة وهو الاول والاخر والظاهر والباطن فهذا صحيح المعني لكنه لا يندفع الشبهة كما لا يخفي ولعله اراد ان تصرفه الباطن علي خلاف تصرفه الباطن علي خلاف تصرفه الظاهر ليس بظلم منه سبحانه كما يتوهم من ظاهر عبارات بعضهم وهي النهي امرت الشيطان بالسجود و منعته منه ونهيت ادم عن اكل الشجرة وحملته عليه ولعل هذه المسئلة شبهة المعتزلة في خلق الافعال لتوهمهم انه لو هذا الوقع ظلم بحسب ظاهر الاحوال وينسبون مذهبهم الي العدل والاعتدال مع انهم عنه في حيز الاعتدال وجعلته بينكم محرما والشرك وان كان اعظم الظلم وكذا ساير

المعاصي تسمى ظلما الا ان المراد هنا ظلم العباد بعضهم لبعض كما يدل عليه قوله فلا تظالموا قال المص هو بفتح التاء اي لا تتظالموا انتهى وهو بتخفيف الظاء في الاصول المعتبرة ونقل ابن حجر انه روي بتشديدها والاشهر تخفيفها والمعنى لا يظلم بعضكم بعضا لان الظلم ظلمات يوم القيمة كما رواه الشيخان وروى البخاري من كانت له مظلمة لاخيه فليتحلله منه فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يوخذ لاخيه من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات اخيه وطرحت عليه ثم اعلم ان من اعان ظالما ولو بالذي لطول بقائه او مال اليه بالوقوف عليه والتردد اليه من غير ضرورة ملجية فهو من جملة الظلام قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وقد سيل ابن المبارك عن خياط يخيط للظلمة هل هو من اعوانهم فقال لا هو من الظلمة وانما هو من الاعوان من يبيع له الخيط والابرة ولقد سيل سفيان الثوري عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة من الماء قال لا قيل له يموت قال دعه يموت وذكر البيهقي عن مجاهد عن ابن عباس قال اوحى الله الى داود يا داود قل للظلمة لا

تذكروني

تذكروني فان حقا علي ان من ذكرني اذكره وان ذكري
اياهم ان العنهم روي انه لما خالط الزهري السلطان
كتب اليه اخ في الله عافانا الله واياك من الفتن
فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك
ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله
فيما فهمك من كتابه وعلمك سنة نبيه واعلم ان
ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست و
حشة الظالمين وزللت مرتبة العالم فدونك
ممن يؤد حقا ولم يترك باطلا حين اتاك اتخذوك
قطبا يدور عليه رحى باطلهم وجسرا يعبرون
عليه الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم
يدخلون الشك بك على العلما ويقتادون بك قلوب
الجهلا فما ايسر ما عمروا في جنب ما خربوا عليك
وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا لديك فما
يؤمنك ان تكون ممن قال فيهم فخلف من بعدهم
خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وانك
تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك
فقد دخله سقم وهيئ زادك للسفر البعيد وما
يخفى على الله من شي في الارض ولا في السما **يا عبادي**
كرر النداء زيادة لتشويقهم ولتشريفهم ولذا اضافه
الى نفسه وتنبيها على محاسن ما بعده وجمعه

لانها دة الاستغراق افراده كلكم ضال اي من شانكم
وفي جبلتكم الضلالة كما ورد انه قال ان الله خلق
الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره اي في ظلم الطبيعة
من الميل الي الشهوات والركون الي المحسوسات
والغفلة عن اسرار المكونات فرش عليهم من نورما
نصب لهم من الايات والدلالات فمن اصابه من ذلك
النور اهتدي ومن اخطاه ضل اي واختار طريق
الردي الا من هديته بتنوير قلبه وشرح صدره
وتصفية استعداده عما ينافي قبول الحق من
ظلمات الشكوك والشبه والهوي فينبت فيه شجرة
التصديق باجامن اصول الدين ثم ينموا باغصان
الطاعات في كل حين ثم يثمر بثمار المشاهدة واليقين
ولا ينافي ذلك قوله صلي الله عليه وسلم كل مولود
يولد علي الفطرة فان هذه ظلمة طارية علي الفطرة
الاولي كما يشير اليه ماروي خلق الخلق علي معرفته
فاغتالهم الشيطان وقال ابن المبارك يولد علي ما
يصير اليه من سعادة اوشقاوة فمن علم انه يصير
مسلما ولد علي فطرة الاسلام ومن علم انه يصير
كافرا ولد علي فطرة الكفر ويؤيده قوله تعالي هو الذي
خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن وحديث خلقت
هولا للجنة ولا ابالي وخلقت هولا للنار ولا ابالي و

حديث

157

حديث فريق ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في
السعير وهذا المعنى لا ينافي كون كل مولود متهيا
للاسلام مستعد للايمان لان بعضهم يختار الكفر
والطغيان على الطاعة والاحسان كما اخبر الله عنهم
بقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وهذا التحقيق
يحصل الواسطة المختارة لاهل السنة بين الجبر
والقدر على طريق التدقيق والله ولي التوفيق فا
ستهدوني اهدكم فاطلبوا مني الهداية الموصلة
الى ما دلكم عليها او سلكم اليها وللهداية مراتب عليه
لا ينتهي احد اليها ولعل حكمة طلبه سبحانه
منا سؤال الهداية مع انه تعالى يهدي من يشاء بحسن
الرعاية وجميل العناية اظهار الافتقار والاشعار
بانه لو هداه قبل سؤاله اياه لقال انما اوتيته على علم
عندي فيضل بذلك عن تحقيق ما هنالك فاذا سال
ربه امور الدينية والاخروية فقد اعترف على نفسه
بالعبودية ولمولاه بالربوبية وهذا مقام شريف
ومشهد لطيف وبهذا المعنى تبين وجه العموم
والخصوص من قوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام
ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وبان انه اهتدى
من اهتدى لا بما سواه وان غير المهتدي لم يرد الله

لرعام

وفيه دليل واضح على ان المهتدى
من هداه الله

هدايته فلم يهتد لذلك ولو اراد هدايته لاهتدى
فيما هنا الكشف خلافا للمعتزلة حيث قالوا انه تعالى
اراد هداية الجميع على انه تعالى يقول ولو شا
الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ويقول
ولو شا الله ما اشركوا فجل ربنا ان يريد ما لا يقع
او يقع ما لا يريد فانه تعالى يفعل ما يشا ويحكم
ما يريد لا يقال المومن مهتد فطلبه الهداية
تحصيل الحاصل لان المراد طلب المزيد والثبات
والتابيد كما اشار الى المعنى الاول قوله سبحانه
زادهم هدى والى المعنى الثاني امنوا امنوا ويحتمل
كلام المومنين قوله تعالى اهدنا وتحقيقه
ان الانسان مركب من روح روحاني يقتضي
العروج الى عالم القدس ومقام الانس ومن نفس
مايلة الى الخلود في السفليات والانغماس في مناقع
الشهوات فمن ساعده التوفيق هداه الى سوا
الطريق واذاقه حلاوة المجاهدة حتى يصل
الى مقام المشاهدة وذلك بارشاده الى تحصيل
الملكات الكاملة والاخلاق الفاضلة المعبر عنها
بالصراط المستقيم والدين القويم ولما فرغ من الامتنان
بالامور الدينية شرع في الامتنان بالاحوال
الدنيوية فقال ياعبادي كلكم جايع الا من

اطعمته

ع اوجه التابيد

الطمأنينة بالوسائط والروابط من الصناعات التي
عليها تدور المناهج وبها منتظم المصالح بمقتضى القسمة
الأزلية المقدرة في عالم القضا كما قال تعالى نحن قسمنا
بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وقد نقل الشيخ اليافعي
عن بعضهم أن الله سبحانه لما أظهر الخلق من العدم
في عالم القدم عرض عليهم الصنائع وخيرهم فيها
فاختار كل منهم صنعة قدرت له فلما أبداهم إلى الوجود
أجرى على كل ما اختاره لنفسه بمقتضى اعملوا فكل
ميسر لما خلق له وأنه انفردت طائفة فلم يختاروا شيئا
وقالوا ما أعجبنا شيء نختاره وأظهر لهم مقامات
العبادة فقالوا اخترنا أخذ منك فقال وعزتي
وجلالي لأسخرنهم لكم ولأجعلنهم خدامًا بين يديكم
ولأشغلنكم فيمن عرفكم وخدمكم على الله تعالى
قد يرزق بلا سبب معلوم كما روي أن موسى عليه
السلام عند نزول الوحي عليه وحصول الكلام
تعلق قلبه بأهله في ذلك المقام فأمره الله تعالى
أن يضرب بعصاه صخرة فانشقت وخرجت منها
صخرة ثانية ثم ضرب فانشقت فخرجت ثالثة
ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة وفي فمها شيء يجري
مجرى الغذاء فسمع الدود يقول سبحان من يراني
ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني

فاستطعموني اي اطلبوا مني الطعام اطعمكم بتفتيح
ابواب المرام وتسهيل اسباب الانتظام فلا يجوز ابطال
حكمه بوضع وسايط الارزاق والاتكال بسعة نعمة
الرزاق فقد روي ان بعض العارفين بلغ من زهده
ان فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا اسئل
احدا حتى ياتيني رزقي من عند ربي فاقام في
سفح جبل سبعا لم ياته شي حتى كاد يتلف فقال
يرب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني
اليك فالهمه الله فو عزتي وجلالي لا ارزقك حتى
تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة
فبسط في رزقه فاوجس في نفسه ذلك فسمع
اردت ان تبطل حكمتنا بزهدك في الدنيا ما علمت
انه يرزق العباد بايدي العباد احب اليهم من ان
يرزقهم بيد القدرة ولاننا في يمن تكلفه سبحانه بارزاق
العباد من طريق فضله واحسانه استطعاموه تفننا في
لطفه وبره وامتنانه اذ لا يجب عليه شي من شيئه
فمن لا يطعمه بفضله يفي جابيا بعدله وفيه نكتة
لطيفة واشارة شريفة الى تاديب الفقرا الواقفين
علي باب الاغنيا فكانه قال لا تطلبوا الطعام من غيري
فان من يطلبونهم انا الذي اطعمهم فاستطعموني
اطعمكم كما اطعمهم يا عبادي كلكم عار في اول وجوده

تكفله

في

في ابتدا الوجود **الا من كسوته** من عندي بخلق
الكسوة وتقديرها لشفقة والمرحمة وما نقل عن حكمة
عليه السلام ابن ادم انت اسوا بربك ظنا حين
كنت اكمل عقلا لانك تركت الحرص جنينا محمولا
ورضيعا مكفولا ثم اوقعته عاقلا حين اصبت
رشدك وبلغت اشدك **فاستكسوني اكسكم**
بفتح الهمزة وضم السين وفيه تنبيه لعبيد
على عجزهم من جلب منافعهم ودفع مضارهم
الا ان ييسر الله لهم ما ينفعهم ويدفع عنهم
ما يضرهم ولعل الاقتصار على احتياج الطعام
واللباس اذلا منه وجعلهما للناس **يا عبادي**
انكم تخطئون بضم التا وكسر الطا في الرواية
المشهورة وروي بفتحهما في النهاية خطي في
دينه خطا اثم فيه واخطا سلك سبيل الخطا عمدا واخطاء
او سهوا وقال ابو عبيدة خطي بمعنى واحد
وقيل المخطي من اراد الصواب فصار الى
غيره ومنه قولهم المجتهد يخطي ويصيب
والخاطي من تعمد ما لا ينبغي ومنه رجح رواية
الثانية لانه جعل ذنبا مغفورا والخطا من
غير تعمد معفو عنه سيل ام لا وتوضيحه
ان بعض الفضلا ضبط بفتح التا والطا على

وزن تفترون وقال اخطا يخطي رباعيا اذا فعل
اثما من غير قصد وخطي يخطي علي وزن علم
يعلم ثلاثيا اذا فعل عن قصد ومنه ناصية
كاذبة خاطية قال وانما يتعين ان يكون هنا يخطي
ثلاثيا لانه جعله ذنبا بنفسه لقوله وانا اغفر
الذنوب جميعا والخطا عن غير قصد معفو
عنه لقوله صلي الله عليه وسلم رفع عن امتي
الخطا والنسيان انتهي ويمكن تاييد القول
الاول بان الخطا ولو كان عن غير قصد لكن ربما
وقع بتقصير في بعض مقاماته فلا يبعد ان يحتاج
الي المغفرة مع انه وقع الدعا برفع الخطا في قوله
تعالي ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا نظرا
الي انه لا يجب علي الله سبحانه شي وفي الدعوات
النبوية اللهم اغفر لي ذنبي خطاي وعمدي وكل
ذلك عندي وربما يجرد عا امثال ذلك علي
التلذذ بالتذاذ اغفر ان ماهنالك علي انه
قد يقال المعنى تذنبون عمدا وخطا **بالليل**
والنهار في ساعتهما واوقاتهما وقدم الليل اذ
الظلمة هي الاصل والنور طار عليها يسترها
اولان المقام يقتضي تقديمه اذ اكثر المعاصي
يوجد عنده **وانا اغفر الذنوب** اي المتعمدة

واعفوا

واعفوا عن غيرها جميعا هو كقوله تعالي
ان الله يغفر الذنوب جميعا وهو اما محمول
علي حال التوبة واما عام مخصوص بالشرك
وما شاء الله ان لا يغفره لقوله سبحانه ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء فاستغفروني اطلبوا مني المغفرة اغفر
لكم اي ذنوبكم ولو مع الكثرة وفي الحديث
لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم وجا
بقوم غيركم فيذنبون فيستغفرون فيغفر
لهم وذلك لان صفة الغفارية تستدعي ظهور
ذلك كما ان نعت الرازقية يقتضي ما سبق
هنالك وظاهر الحديث ان مجرد الاستغفار مع
تحقق اشرار مفيد في الجملة لانه اظهار الافتقار
الي مغفرة الغفار وهو مما يخفف عقوبة الفجار
او يوخرها الي اجل من اطوال الادوار يا عبادي
انكم لن تبلغوا ضري بفتح اوله ويضم وهو
منصوب بنزع الخافض اي لن تصلوا الي ضري
فتضروني منصوب جوابا للنفي ولن تبلغوا
نفعي فتنفعوني والمعني لن تقدروا ان تصلوا
الي ضر ولا تصلوا الي نفعي لان الطاعة لا تنفعه
والمعصية لا تضره بل ان احسنتم احسنتم

لا نفسكم وان اساتم فلها والله الغني عن
جميع الاشيا وانتم الفقرا اي المحتاجون اليه
في ايجادكم وامدادكم فالنفي غير متوجه
الي القيد بل الي مجموع الكلام كما لا يخفي علي
العلام يا عبادي لو ان اولكم واخركم اى
كل افرادكم او الاموات الذين سبقوكم والاحيا
الموجودين فيكم ومن لا يوجد بعد منكم
وانسكم وجنكم اي جميع اصنافكم كانوا علي
اتقي اي تقوي اتقي قلب رجل وعلي اتقي
احوال قلب رجل واحد منكم وانما قيد زهذا
ليصح الحمل والمعني لو كنتم علي غاية التقوي
ما زاد ذلك الكون في ملكي شيا اي من
العظمة يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم
وجنكم كانوا علي افجر اي علي فجور افجر قلب رجل
واحد او علي افجر احواله ولم يقل لفظة منكم
هنا ليلا يخاطبهم بالافجرية تفضلا واحسانا
كذا قاله شارح وقال الكازروني وقع منكم في
بعض النسخ لكن الروايةعلي الاول والمعني
لو اتفقوا علي الفجور ما نقص ذلك من ملكي
شيا لان واجب الوجود لذاته الثابت في جميع
صفاته لا بد ان يكون غنيا عن الحاجات منصفا

بالكمالات

١٦١

بكل الكمالات ثم لكمله كامل بل لا بد ان يتصور
وجود اكمل منه كما اشار اليه الامام حجة الاسلام
بقوله ليس في الامكان الامكان ابدع مما كان
ثم ما يوجد في الكون من الشر عهوا ضا عي
وليس شرا مطلقا بحيث يكون عدمه ضرا
من وجوده بل وجوده مع ذلك ض من
عدمه وقوله شيا مفعول مطلق ان قلنا نقص
لازم اي شي من النقصان او مفعول به ان قلنا
انه متعد اي شي من الاشيا هذا وقيل اراد باتقي
رجل منكم محمدا عليه السلام كما اراد بافجر رجل
ابليس فانه من الجن عند الجمهور ولعل هذا
ايضا نكتة اسقاط لفظة منكم في الفقرة الثانية
فان المقصود بالذات خطاب الانس وانما ذكر
الجن تبعا في مقام الانس يا عبادي لو ان اولكم
واخركم وانسكم وجنكم في صعيد واحد وهو
وجه الارض وظاهرها اي في مقام واحد
فسالوني في تلك الحالة بالسنة مختلفة حوايج
مؤتلفة وقيد السوال بما ذكر لان تزاحم
الاسولة وترادف الناس في المسالة
مع كثرتهم وكثر حاجتهم مما يضجر المسئول
عنه ويد هشه وذلك يوجب حرمانهم

قاموا

ونقصانهم او تعسر انجاز مطالبهم واسعاف
مآربهم وليس كذلك في حقه سبحانه ولذا قال
فاعطيت كل انسان مسالته اي مطلوبه
وحاجته ما نقص اي العطا للسيدي مما عندي
من خزاين الرحمة التي في امري وحكمي وتدبيري
الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر بصيغة
المجهول البحر على ثاني المفعولين قال المصنف هو
بكسر الميم واسكان الخاء وفتح الياء اي الابرة و
معناه لا ينقص شيا يعني لان ما عند الله
لا يدخله نقص بل يدخل المجد والفاني
وما كما موصوله او موصوفة او مصدرية
اي ما نقص شيا الا شيا مثل الذي او مثل
شي ينقصه او نقصانا الا مثل نقصانه في العلة
واعاطرب المثل بالمخيط والبحر لانه وان كان
يرجع بشي قليل محسوس لكن لقلته
بالنسبة الى اعظم المرئيات عيانا لا يرى
ولا يعد شيا فكانه لم ينقص منه شيا وهذا
من باب تشبيه المعقول بالمحسوس للتفهيم
لانه في التحقيق لا ينقص خزاين الله بشي
او ينقص ماء البحر فاين ذلك مما هنالك وفي
معناه قول الخضر لموسى عليهما السلام ما نقص

ذلكم

فيه

علمي

علمي وعلمك من علم الله الا كما ينقص هذا
العصفور وهو الذي راياه شرب من البحر
فان قلت هل يتصور ملك يعطي منه هذا
العطا ولا ينقص شيا فالجواب ان العلم يقتبس
منه ما شا الله ولا ينقص منه شيا اصلا
ثم في هذا الحديث تنبيه للخلق على الادامة
لسواله تعالى مع اعظام الرغبة وتوسيع المسلة
والعلم بان منع بعض عطايه ليس ينقص
في خزاينه بل الحكمة تقتضي ذلك ان يكون المنع
خيرا هنالك ولذا قال ابن عطا ربما اعطاك فمنعك وربما منعك فاعطاك
والعوام يطلبون الدنيا وزهواتها والخواص
يتوجهون الى العقبى ولذاتها والعارفون يقصدون
الحضرة الاحدية ومناجاتها وذلك بعد ان فاح
عليهم نفحات الوفا وزكاهم الحق من كدورات الصفا
وجلاهم باجمال الجلا واحياهم بعد ما افناهم
بمعنى البقا وسقاهم من شراب الوداد واسكرهم
عتيقة المواد وكشف لهم الاسرار واطلع عليهم
شموس الاسرار رقاهم حالا بعد حال من
بسط وقبض وجذب وحجب وجمع وفرق
وكشف وستر وصحو ومحو وتمكين وتلوين مما
قيل كان شيا لم يزل اذا اتى كان شيا لم يكن اذ مضى

ملا يشهدون في الملكوت الاجال ذي العزة
والجبروت وقال الشاذلي انا لا نري مع الحق
من الخلق احدا ان كان ولا بد فكالهبا ان فتشته
لم تجد شيا اي في الهوي وما اشتهر انه قال
بعضهم ما راينا شيا الا ورايناالله بعده وما
راينا شيا الا ورايناالله فيه وما راينا شيا الا
ورايناالله قبله وما راينا شيا سوي الله فاشارة
الي ترقيهم في معارج الادب ومناهج الطلب ياعبادي
انما هي الضمير للقصة وقوله اعمالكم علي حذف
المضاف اي جزا اعمالكم احصيها لكم اي احفظها
عليكم واكتبها ثم اوفيكم اياها بتشديد الفا اي
اردها اليكم تاما وافيا كذا ذكره السيد جمال الدين
وقال المظهر هي ضمير مبهم يفسره قوله اعمالكم
يعني راجع الي متعلق ذهني اشيرالية ثم اخبر
عنه بما بعده كما قال صاحب الكشاف في قوله
هذا فراق بيني وبينك انه قد تصور فراق بينهما
عند حلول ميعاده فاشار اليه انتهي وفي قوله
لطف لكم حكم حيث لم يقل عليكم وقال الطيبي
الضمير راجع الي ما يفهم من قوله اتقي قلب
رجل وافجر قلب رجل وهي الاعمال الصالحة و
الطالحة اعمالكم احصيها عليكم اي بعلمي وملايكتي

الحفظة

163

احفظها احفظها عليكم ثم اوفيكم ابا نها اي اودي جزاءها

اليكم ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا فمن وجد

وفي نسخة صحيحة عمل خيرا اي ما يثاب عليه

فليحمد الله على توفيقه لطاعته وليعلم انه

من فضل الله ورحمته ومن وجد غير ذلك اي غير

ذلك الخير وهو الشر ولم يذكره المعلم من جهة مقابله

اولانه ليس شرا محضا كما قرر في محله اولان ذكر

الشر شرا فتركه خير فانه من اداب حسن

الخطاب ولعل غير ذلك اعم من الشر فيشمل

المباح لانه بالنسبة الي الخير شر ولذا ورد ليس

يتحسر اهل الجنة يوم القيامة الا على ساعة

مرت بهم ولم يذكروا الله فيها فمن وجد غير محض

الخير ولو لم يكن صريح الشر فينبغي ان يلوم نفسه

في مقام المراقبة وحال المحاسبة ولذا قال

الشيخ البستي

زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران

فلا يلومن الا نفسه لبغايها على الظلمة الاصلية

لها فاثرت شهوا تها ومستلذا تها على رضا خالقها

ورازقها فكفرت بنعمه ولم تذعن لحكمة فاستحقت

ان يعاملها ربها بمقتضى عدله وان يحرمها من

ابادي كرمه وفضله وعنه ايها اي ذم ابن ادم وقلة

اضافه حيث يحسب طاعته من نفسه و
كسبه ولا يسندها الى توفيق ربه واذا صدر
منه شيا من الاوزار يسندها الى الاقدار ذلك ان
كان لا تصرف له على زعمه فهلا كان فيهما وان كان
له تصرف فلم ينفه عن احدهما قيل هذا الحديث
صريح في ان الخير من الله والشر من النفس
كما قاله المعتزلة وتاويله على مذهب اهل السنة
ما قيل في قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن
الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اضاف
السيئة الى النفس لانها السبب فيها لاستجلابها
المعاصي وهو لا ينافي قوله تعالى قل كل من عند
الله لان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة
احسان وانعام والسيئة مجازاة وانتقام ولا لوم
على الله لانه لا يجب عليه تعالى شيء
وقد اكد الفعل بالنون تحذيرا ان يقع في قلب
عامل غافل ان لا يستحقه غير نفسه قال البيضاوي
افعال العباد وان كانت غير موجبة للثواب
والعقاب بذواتها الا انه تعالى اجرى عادته بربطها
به ربط المسببات بالاسباب وانشد بعض ارباب
الالباب ٭ اخاف وارجو عفوه وعقابه ٭ واعلم حقا انه حكم عدل
فان يك عفوا فهو منه تفضل ٭ وان يك تعذيبا فاني له اهل

والتحقيق

والتحقيق ان السبب الفاعل للخير والشر ليس
الا الله وحده بمقتضى فضله وعدله واما
السبب القابلي فهو وان كان ايضا منه في الحقيقة
الا ان قابلية الخير من الاستعداد الاصلي الذي
هو من الفيض الاقدس الذي لا دخل للاخيار
فيه وقابلية الشر من الاستعداد الحادث
بسبب ظهور النفس بالصفات والافعال الحاجبة
للقلب المكدرة لجوهر الروح حتى يحتاج الى
الصقل بالرزايا والبلايا وكذا قال تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن
كثير ثم المجازاة قد تكون في الدنيا على الحسنات
والسيات لما روي ان المومنين يجازون بسياتهم
في الدنيا ويدخلون الجنة بحسناتهم والكافر
يجازي بحسناته في الدنيا ويدخل النار بسياته
والمراد بحسنات الكافر طاعات لم يتوقف صحتها
على الايمان كاحسان اليتيم ووصلة الرحم واطعام
المسكين واغاثة الملهوف اداء الصدقة واعتاق
الرقبة وامثال ذلك هذا وفي القران ان اهل الجنة
يحمدون بقولهم الحمد لله الذي هدانا لهذا وما
كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وان اهل النار يلومون
انفسهم قال تعالى حكاية عن ابليس لهم فلا تلوموني

ولو موا انفسكم وقال عز وجل ان الذين كفروا
ينا دون المقت الله اكبر من مقتكم انفسكم رواه
مسلم وهو حديث عظيم من الاحاديث
الالهية المسماة بالقدسية وهي اكثر من
مائة حديث وقد جمعها بعضهم وقد انتخب
منها اربعين وقد ساق المص هذا الحديث باسناده
في اذكاره وختم بدوونيه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن جبريل عن الله ثم نقل ابو ادريس
راوية عن ابي ذر كان اذا حدث به جثى على ركبتيه
تعظيما له واجلالا ورجال اسناد هذا الحديث دمشقيون
قال احمد ليس لاهل الشام حديث اشرف منه و
اخرجه احمد والترمذي وابن ماجة بزيادة يا عبادي
كلكم مذنب الا من عافيته فاسئلوني المغفرة
اغفر لكم ومن علم اني ذوا قدرة على المغفرة
فاستغفرني غفرت له ولا ابالي وكلكم فقير
الا من اغنيته فاسئلوني ارزقكم فلو ان حيكم
وميتكم واولكم واخركم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا
وكانوا على قلب اتقى عبد من عبادي لم نزد
في ملكي جناح بعوضة ولو اجتمعوا وكانوا
على قلب اشقى عبد من عبادي لم ينقص من
ملكي جناح بعوضة ولو ان حيكم وميتكم واولكم

واخركم

واخركم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فسال كل سايل
منهم ما بلغت امنيته ما نقص من ملكي الا كما
لو كان احدكم مر بالبحر فغمس فيه ابرة ثم نزعها
ذلك باني جواد واحد ماجد افعل ما اريد
عطاي كلام وعذابي كلام انما امري بشي اذا
اردته ان اقول له كن فيكون هذا وقد قيل في
هذا الحديث دليل علي قدر الاعمال وان من لا عمل له
فهو علي خطر عظيم في المال قال القاضي رزين
ابن معاوية كل الناس الا من عصمه الله تعالي
وقد اتخذوا مذهب المرجية امنية يرجوا منه
الجنة بلا عمل الطاعة ويلتمس الرحمة مع الاقا
علي المعصية من غير توبة وقد جا ان الغرة هي
المقام علي المعصية وتمني المغفرة الرجا كما لا يجتني
من الشوك العنب كذلك لا تنال منازل الابرار
منازل الفجار وقال تعالي ان الذين امنوا والذين
هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اوليك يرجون
رحمة الله وقال تعالي انما يخشي الله من عباده
العلماء ثم وصفهم بقوله ان الذين يتلون كتاب الله
الي قوله غفور شكور لها لواجب علي العبد ان
يكون بين الخوف والرجا قال تعالي نبي عبادي
اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب

الاليم وجا في الحديث ان الله لا يجمع على عبد خوفين
ولا يجمع له بين امنين وان من خافه في الدنيا
امنه في العقبى وان امنه في الدنيا اخافه في الاخرى
وانشد لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي
الخامس والعشرون عن ابي ذر اي رجع الحديث
عنه اليه رجوعا رضي الله عنه ان ناسا اي جمعا
وهم فقرا المهاجرين من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم الجمع بين النبي والرسول لاتصافه
عليه السلام بهما ثم خص بالوصف الاخص
حال الندا يقولهم يرسول الله ذهب اهل
الدثور قال المص بضم الدال والثا المثلثة الا
الاموال الكثيرة واحدها دثر كفلس وفلوس
انتهى بالاجور البا للتعدية وفيه معنى المصاحبة
اي ذهب اهل الاموال بالدرجات العلى واستصحبوها
معهم في الدنيا والعقبى ثم احالنا وسالنا
حيث لم يتركوا لنا شيا من اسباب المنى لانهم
يصلون كما نصلي ما كافة او مصدرية
ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول
اموالهم اي ونحن لا نقدر على ان نلحق
بهم في زيادة اعمالهم هذا ليس بحسد منهم
في اموالهم بل غبطة في حسن احوالهم

ايضا م

كالوالنبي صلى الله عليه وسلم

ورجا

166

ورجاز يادة اما لهم في مالهم قال اوليس الهمزة
للانكار والواو للعطف على مقدر اي ايكون كذلك
وليس قد جعل الله لكم ما تصدقون الرواية فيه
بتشديد الصاد والدال جميعا ويجوز في اللغة
تخفيف الصاد قال المص في شرح مسلم اي تتصدقون
به اي بكل تسبيحة اي ان لكم بسبب كل قول سبحان
الله ونحوه من سبوح وقدوس وامثالها صدقة
اسمها وبكل متعلق لخبر المقدر وليس بخبر لعدم
الفايدة ثم الصدقة ما يخرجه الانسان من ماله
على وجه القربة واجبا كان او تطوعا فقال القاضي
عياض تسميتها صدقة تشبيها لها بالمال في اثبات
الاجر او على سبيل المشاكلة وقيل معناه انها صدقة
على نفسه انتهى وعلى كل تقديره ايما الى ان الصدقة
للقادر عليها افضل من هذه الاذكار وبوجه ان
العمل المتعدي افضل من القاصر غالبا او الى ان تلك
الاذكار اذا احسنت النية فيها ربما يساوي
اجرها اجر الصدقة لاسيما في حق من لم يقدر
على الصدقة بل قد ورد لو ان رجلا في حجره
دراهم يقسمها واخر يذكر الله لكان الذاكر لله افضل
فتامل وفي بعض النسخ ان كل تسبيحة صدقة
وهو مع مخالفته للاصول المعتبرة غير مطابق

لما سياتي من ضبط المصنف قوله وكل تكبيرة
صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة
حيث قال في شرح مسلم روينا بالوجهين رفع صدقة
صدقة ونصبه فالرفع على الاستئناف والنصب
عطفا على ان بكل تسبيحة صدقة انتهي والحاصل ان
كل في المواضع الثلاثة اما مجرور للعطف علي مدخول
الجار في بكل تسبيحة وصدقة منصوب علي اسم ان
وهذا الوجه هو المختار المضبوط في اكثر نسخ العلما
الابرار واما انه مرفوع علي انه مبتدا او صدقة
خبره والجملة عطف علي محل ان والمراد بالتكبيرة قول
الله اكبر والتحميدة الحمد لله والتهليلة لا اله الا الله
وامثالها مما يدل علي معناها وان اختلف مبناها
وامر بالمعروف وهو ما عرف في الشرع ولو علي
خلاف الطبع صدقة وقد ضبط في اصلنا المعتمد
المقرو علي مشايخنا جر امر ونصب صدقة عطفا
علي ما قبله وفي بعض النسخ المصححة برفعها علي
انهما مبتدا وخبر والمخصص للابتدا بالنكرة ههنا
عملها في المعروف كما نص عليه ابن مالك وكذا الكلام
ونهي عن منكر صدقة وفي نسخة المنكر قيل
واسقط المضاف اعتمادا علي السابق او قطعا
له عن ذلك الحكم والتنوين للتقليل للاشعار بان

اي محل

علي

ههنا

قليلا

قليلا من هذا النوع يقوم مقام تلك الامور السابقة
فكيف بالكثير وذهب المص في شرح مسلم الي ان
التنكير فيه للافراد حيث قال فيه اشارة الي ثبوت
حكم الصدقة في كل فرد من افراد الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ولذا نكرهما والي ان الثواب فيهما اكثر
منه بالتسبيح ونحوه لانهما فرضا كفاية وتلك نوافل
ومعلوم ان اجر الفرض اكثر من النفل لقوله عز
وجل وما تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما
افترضت عليه وروي ان ثواب الفرض يزيد على
النفل بسبعين درجة انتهي والمعروف هو
الصنايع الجميلة والخصايل الجليلة لانها عرفت
في الشرع ولذا اعرف باللام والمنكر ما ينكره الشرع
ولا يرتضيه العقل والطبع ولذا نكر للتحقير
وفي بضع احدكم صدقة بالنصب والرفع وفي
تعليلية بمعني البا السببية قال المص هو بضم
البا واسكان الضاد المعجمة وهو كناية عن الجماع
اذا نوي به العبادة وهي قضا حق الزوجة وطلب
ولد صالح واعفاف النفس وكفها عن المحارم اي
من النظر والفكر والهم والعزم وامثال ذلك
والظرف في كلامه متعلق بمحذوف اي يكون الجماع

صدقة اذا نوي العبادة من قصد مباشرتها
بالمعروف الذي امره الله به ثم الراوي في كلامه بمعني
او لان كلا من الامور المذكورة سبب لكونه صدقة
ثم البضع بالضم النكاح علي ما في الصحاح وقال
غيره يطلق علي الفرج نفسه والمراد هنا مباشرة
الرجل منكوحته او مملوكته ولما كان الجماع من
الامور المباحة واستبعد ان تكون فيه اجر
الصدقة قالوا يا رسول الله ايأتي احدنا
شهوته ويكون له فيها اجر اي مثوبة قال ارايتم
اخبروني لو وضعها في حرام اكان عليه وزر
اي اثم يترتب عليه عقوبة والاستفهام للتقرير
ولذا قال فكذلك اذا وضعها في الحلال وفي نسخة
في حلال كان له اجر بالرفع في اصلنا وفي بعض
النسخ بالنصب قال في شرح مسلم ضبطنا اجرا
بالنصب والرفع وهما ظاهران انتهي فالنصب علي
انه خبر كان واسمه مستتر فيه اي كان ذلك الوضع
له اجرا والرفع بوضعه او كان لاجل وضعه اجر
والحديث دليل لمن جوز القياس وهم اكثر الاصوليين
والمذكور قياس العكس واختلف فيه ايضا
وهو اثبات ضد الحكم في ضد الاصل كاثبات الوزر

علي انه اسم كان اجر له بوضعه م

الذي

الذي هو ضد الصدقة في الزنا الذي هو ضد
الوطي المباح ومثله قول ابن مسعود قال
صلي الله عليه وسلم من مات لا يشرك بالله شيا
دخل الجنة وانا اقول من مات يشرك بالله شيا
دخل النار ذكره ابن حجر واقول مثله حديث
طوبي لمن طال عمره وحسن عمله فان الويل لمن
طال عمره وساء عمله ثم رايت رواية احمد والترمذي
عن ابي بكرة بلفظ خير الناس من طال عمره
وحسن عمله وشر الناس من طال عمره وساء عمله
واما ما نقل عن بعض التابعين في ذم القياس
فهو اما محمول علي قياس معارض لما نص واما
علي ما فقد فيه بعض شروطه وقال المم في
شرح مسلم فيه اثبات جواز القياس كما قال
العلما كافة خلافا لاهل الظاهر واختلف الاصوليون
في العمل به وهذا دليل لمن عمل به وهو الاصح وهو
الاصح وفيه دلالة علي ان المباحات بالنيات
الصادقات تصير طاعات انتهي وقد ورد من
نام عن ورده كتب الله له اجر صلاته وكان نومه
صدقة من الله تصدق به عليه اخرجه النساي
وغيره واخرج البزار ما من يوم وليلة ولا ساعة
الا لله فيها صدقة يمن بها علي من يشاء من

عباده وما من الله على عبده مثل ان يلهمه ذكره
وقيل ظاهر الحديث يقتضي ان الوطي صدقة وان
لم ينوبه شيا كما انه لو زنى اثم وان لم ينو شيا والى هذا
اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقياس العكس
الذي ذكره حيث قال ارايتم لو وضعها في حرام
اي اخره فلك النية معتبرة في الزنا ايضا الا ترى
انه لو جامع امراة لقيها على فراش زوجته ولم يتبين
له انها غيرها لا يكون اثما بخلاف ما اذا دخل في حانوت
فاحشة على قصد الزنا فوجد امراته هناك
بعام
ولم يعرفها وجامعها يكون اثما هذا وقد اخرج
ابن حبان في صحيحه ليس من نفس ابن ادم
الا عليها صدقة في كل يوم طلعت فيه الشمس
قيل يا رسول الله من اين لنا صدقة نتصدق
بها قال ان ابواب الخير لكثيرة التسبيح والتكبير
والتحميد والتهليل والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر وتميط الاذى عن الطريق وتسمع الاصم
وتهدي الاعمى وتدل المستدل على حاجته
وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث
وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف فهذا كله
صدقة واخرج احمد بنحوه وزاد ذلك في جماعك
زوجتك اجر قلت كيف لي اجر في شهوتي فقال
صلى

صلى الله عليه وسلم ارايت لو كان لك ولد فادرك
ورجوت خيره فمات اكنت تحتسب قلت نعم
قال فانت خلقته قلت بل الله خلقه قال فانت
هديته قلت بل الله هداه قال فانت كنت ترزقه
قلت بل الله كان يرزقه قال كذلك فضعه في حلاله
وجنبه حرامه فان شاء الله احياه وان شاء
اماته ولك اجر فان قلت اذا فعل الاغنياء ما ذكرتم
من التسبيح والتحميد والتهليل وامثالها فبقي شكر
الفقراء على حالها اجيب بان مقصود الفقراء
تحصيل ثواب الصدقة لا نفي زيادتهم المطلقة
ويخدش بان الظاهر ان مقصدهم انما كان طلب
المساواة لانه ورد في بعض طرق الحديث عند مسلم
قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا اهل
الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يوتيه
من يشاء رواه مسلم ولفظه في الصحيحين
ان فقراء المهاجرين اتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم
المقيم فقال وما ذاك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون
كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون

ولا نعتق فقال صلى الله عليه وسلم الا اعلمكم شيئا
تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون
احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا
بلى يا رسول الله قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر
كل صلاة ثلاثا وثلاثين قال ابو صالح فرجع فقرا
المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء فعلم بهذا افضلية غني شاكر
الفقير في العبادات البدنية وزاد عليه بالقربات
المالية وهذا لا شك فيه كما قاله ابن دقيق العيد
وانما الذي يتردد النظر فيه اذا تساويا في اداء
الواجبات وزاد الفقير بنوافل الاذكار والغني بنوافل
الصدقة وانفرد كل واحد بمصلحة ما هو فيه
واذا كانت المصالح متقابلة ففي ذلك نظر يرجع
الى تفسير الافضل ما هو فان فسر له بزيادة الثواب
والقياس يقتضي ان المصالح المتعدية افضل
من القاصرة وان كان الافضل بمعنى الاشرف بالنسبة
الى صفات النفس كالذي يحصل للنفس من التطهير
للاخلاق والرياضة لسوء الطباع بسبب الفقر
اشرف فيترجح الفقر ولهذا المعنى ذهب الجمهور

من

من الصوفية الى ترجيح الفقر الصابرين لان مدار
الطريق على تهذيب النفس ورياضتها وذلك
مع الفقر اكثر منه مع الغنى فكان افضل بمعنى
اشرف انتهى كلام ابن دقيق العيد وهو في غاية
التحقيق ونهاية التدقيق وبوبيه ان الظاهر
من الاحاديث يقتضي تفضيل الذكر على الصدقة
بالمال لحديث احمد والترمذي الا انبئكم بخير اعمالكم
وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير
لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا
عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى
يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل ولحديثهما
ايضا سئل اي العباد افضل عند الله يوم القيمة
قال الذاكرون الله كثيرا قلت يرسول الله ومن
الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه الكفار
والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان
الذاكر لله افضل منه درجة ولحديث الطبراني
لو ان رجلا في حجره دراهم يقسمها واخر يذكر
الله لكان الذاكر لله افضل ولهذا ذهب جماعة
من الصحابة والتابعين الى ان الذكر افضل من
الصدقة واجمع الصوفية على ان الفقير الصابر
افضل من الغني الشاكر ولما خالفه ابن عطا فدعا

بل

عليه الجنيد لما ابتلا بالبلا قال بعضهم الفقير الشاكر
افضل من الغني الشاكر ولعل مراده الشاكر الى
الله حيث ما وصل الى مقام الصبر وحال الرضا ويويد
حديث اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا وفي رواية
كفافا ويقويه ان الله تعالى جعل اكثر الانبيا والاصفيا
في صورة الفقرا وهيئة الضعفا حتى قال صلى الله
عليه وسلم يدخل سليمان عليه السلام الجنة بعد
ساير الانبيا بخمسماية عام وقال في حق عبد الرحمن
ابن عوف يدخل بعد فقرا المهاجرين بخمسماية عام وفي رواية
رايته يدخل الجنة حبوا واما دعوى ابن حجر ان نبينا
صلى الله عليه وسلم في اخر عمره صار غنيا فلا وجه
لها اذ ثبت انه صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه
مرهونة عند يهودي ولقد قال حجة الاسلام ان
الكافر الفقير عذابه في النار اخف من الكافر الغني
واذا كان الفقر ينفع الكفار فكيف لا يكون نافعا
للابرار ويويده انه عليه الصلاة والسلام قال
اجوعكم في الدنيا اشبعكم في الاخرة وانه صلى الله
عليه وسلم لما عرض عليه الدنيا وخير بين ان يكون
نبيا ملكا وبين ان يكون نبيا عبدا اختار ان يكون نبيا
عبدا وقال اجوع يوما فاصبر واشبع يوما فاشكر
وفي اداب المريدين ان الفقير الصابر افضل من الغني

الشاكر

١٧١

الشاكر ثم قال لمان قيل قال صلي الله عليه وسلم اليد
العليا خير من السفلى والعليا هي المنفقة كما في رواية
فالجواب ان الغني حينيذ افضل من ذلك الفقير
بسبب انه باعطايه القدر اليسير من المال
مال الي جانب الفقر فحصل له في الجملة نوع
من الكمال وان الفقير بسبب اخذه من غير
اضطرار مال الي جانب المال فوقع له نقصان
في الحال وقد ذكر بعض ارباب التحقيق واصحاب
التدقيق جوابا عن هذا الاشكال وهي ان
الفقر اسم للبراة من روية الملك وبان لا يري
الملك والتصرف في ماله ونفسه بل في الوجود
الا للحق وله مراتب بعضها فوق بعض من قبض
اليد عن ماله ينا ضبطا وطلبا والاعراض عنها
لسانا وجنانا ثم الرجوع الي سابقة الازل وهو
عدم الذاتي فيعلم ان وجوده واستعداده
وكمالاته ومقاماته من فضل الله وفيضه
الاقدس فيتجرد عن الكل راجعا الي الله مقرا
ثم تحقق اضطراره بان يعلم ان الوجود الحقيقي
لله وانما يجري عليه حكم سابقة الازل فلا فعل
له ولا وصف ولا وجود فهو مضطر تحت حضرة
الجمع وهذا هو فقر الصوفية الذي هو

الا انه يتوقف علي تمهيد مقدمه علي جواب السوال م

وكمالاته م

نقد الاماتة في الفنا في احدية الذات واما
الغني فهو اسم للملك التام وهو اما غنى القلب بالموثر
الحقيقي عن جميع الوسايط ومسالمته لحكم الله
تعالى في تمام المرابط او غنى النفس المطمينة عن
حظوظها وتعلقاتها باستقامتها على طلب
الحق او الغنى بغنى الحق بالفنى في ذاته والبقا ببقايه
فاذا تقرر ذلك فيقال الفقر الذي تكلموا في شرفه
وتفضيله على الغنى هو فقر الزهاد المشار اليه
اولا والاغنيا الذين فضلهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم هم الذين اختارهم الله في سابق علمه
وخصهم من مواهب فضله بسائر مراتب الفقر
والغنى فلم يكن فضلهم الا بعمالا بسبب انفاقهم
واعمالهم المشتركة كما ظنه الفقرا وتمنوا ان يساو[ه]م
او يساوقوهم بها فنبههم اولا باحوالهم حتى
ينقطع عنهم تلك الامنية فلما لم يتنبهوا اعلمهم
بخصوصيات المواهب والعطا بقوله ذلك فضل
الله يوتيه من يشا ليعلم انهم اصفيا الفقرا واغنيا
الاغنيا في سرادقات العزة وحجب الطاعة
كما اشار الى ذلك بعض الاوليا
لله تحت قباب العز طايفة • اخفاهم في ردا الفقر اجلالا
هم السلاطين في اطمار مسكنة • استعبدوا من ملوك الارض اقيالا

غير

غير ملابسهم ثم معاطشهم جروا على فلك الخضر اذ بالا
وحاصل الكلام ان مقام جمع الجمع على مرتبة وهو الرضا
والتسليم بما جرى به قلم القضا كما يشير اليه قوله
ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده
خبيرا بصيرا وفي الحديث القدسي ما معناه ان
من عبادي من لا يصلح الا الفقر ولو اغنيته لفسد
حاله وان من عبادي من لا يصلح له الا الغنا ولو
افقرته لفسد حاله وقد يختلف حال شخص
واحد باعتبارين فتارة يناسبه الفقر واخرى
يناسبه الغنى ولقد قال الفاروق هما مطيتان لا ابالي
ايهما اركب وهذا بالنسبة الى اختيار الرب لعبده
واما اذا خير فاختار ما اختاره مختار الانبيا بان
يكون جامعا بين احوال الاصفيا فتارة يجوع و
يصبر على البلا وتارة يشبع ويشكر على النعما فيكون
مظهر الكمال في مرايا الجلال والجمال ويحمل القضية
ان كل ما يبعد العبد عن قرب الرب فهو شوم وكل
ما يقرب الى مقام انسه وحضرة قدسه فهو
مبارك لان الفقر كاد ان يكون كفرا كما في حديث
وفي الاية كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى
ولقد تعوذ صلى الله عليه وسلم منهما بقوله اعوذ
بك من شر الفقر ومن شر الغنا رايت بعض

الفضل ذكروجها وجيها في تفضيل الفقرا علي ما
ما يفهم من هذا الحديث وهو ان الاغنيا وان شاركوا
الفقرا في التسبيح ونحوه فقد امتاز الفقرا عنهم
بمزية جليلة وهي الجدة التي يجدها الفقرا عند
عدم ما ينفقونه كما ينفقه الاغنيا وقامت تلك
الجدة مقام انفاق الصدقة فان نية المومن خير
من عمله ولان تسبيح الاغنيا متسبب عن سوال
الفقرا وكلمن يتعلم عنهم الي يوم القيمة فانه في المعني
كانه من صدقته عليهم وشتان ما بين الصدقتين
هذه صدقة الاذكار وهي قوة الارواح وتلك صدقة
الطعام والشراب وهي قوة الاشباح واما ما حرره
الشيخ ابو طالب المكي فقال انكم فضلتم الاغنيا
اوساويتموهم وان لم يكن لكم قربات اسوال وذلك
فضل الله فهو بعيد كما لا يخفي علي ذي الانتبا ٥
وقيل الكفاف افضل من الفقر والغني فانهما
محنتان يمتحن الله بهما من يشا من عباده و
اختاره شيخ مشايخنا الجلال السيوطي رحمه
الله ويويده حديث خير الرزق الكفاف رواه
احمد في الزهد وفي رواية خير الرزق ما كان
يوما بيوم كفافا وفي رواية خير الرزق ما يكفي
ووفقت طايفة عن التفضيل بينهما ثم الذي

بخط

173

يخطر بالبال والله اعلم بالحال ان كلام الصوفية
ليس في فضايل الاعمال بل في مراتب الاحوال بان
الصبر علي شدة الفقر وقلة المال اقوي من التشكر
علي النعمة وسعة المال وهذا اسر واضح لا ينبغي ان
يكون فيه خلاف المثال لان العبد الذي يجد مه في
حال البسط والمنحة لان الثاني يحتمل انقلاب
حاله اذا وجد المحن والاول بطريق الاولي يزيد
في الطاعة عند ظهور المنن السادس والعشرون
عن ابي هريرة تقدم ذكره ووجه منع صرفه
واعاده ابن حجر هنا اذ هو لا له عما مضي رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم كل سلامي بضم السين وتخفيف اللام و
تخفيف الميم وجمعه سلاميات بفتح الميم وهي
المفاصل والاعضا وهي ثلاثماية وستون ثبت
ذلك في صحيح مسلم عن رسول الله صلي الله وسلم
قاله المص وهو مبتدا موصوف بقوله من الناس
ولفظة من للتبعيض وخبره قوله عليه صدقة
والعايد الضمير المجرور وقال ابن مالك حق الراجع
الي كل مضاف الي نكرة ان يجي علي وفق المضاف اليه
كقوله تعالي كل نفس ذايقة الموت وقد يجي علي
وفق كل كما في الحديث انتهي ولا يبعد ان يقال

قوله من الناس اي من كل
واحد من الناس اه شبرخيتي

تذكيره باعتبار معني وخصّ كل السلامي من العضو والمفصل كما ذكروا في قوله تعالي ان رحمة الله قريب اي انعامه وفي قوله لعل الساعة قريب اي البعث والمعني علي كل واحد بعدد كل مفصل او عضو صدقة يليق به شكرا لله تعالي بان جعل في عظامه مفاصل يقدر بها علي القبض والبسط بسببها او دفعها للبلاء عنها بسلامتها وبقايها كل يوم بالنصب ظرف لقوله صدقة لانه بمعني تصدق او مرفوع علي الاستيناف لكن الرواية علي الاول كما صرح به الكازروني وعلي تقدير ثبوت رفعه قوله تطلع فيه الشمس صفة كاشفة لليوم ليلا يتوهم ان المراد به مطلق الوقت لا للتاكيد كما قيل وقوله يعدل مع خبره خبره والعايد في الاخبار محذوف اي يعدل فيه بين الاثنين اي يصلح بين المتخاصمين او المتحاكمين او المتهاجرين صلحا جايزا بان لا يحل حراما ولا يحرم حراما كما في الحديث وهو مبتدا علي تاويل المصدر او بان المقدر ان ارتفاع الفعل بعد حذفه كما في قوله تعالي ومن اياته يريكم البرق وفي قوله تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وخبر قوله صدقة وقد ثبت بالايات والاحاديث

النبويات

النبوي بان الاصلاح بين الناس من افضل القربات
واكمل العبادات قال تعالى لا خير في كثير من نجواهم
الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس
وقال عز وجل انما المومنون اخوة فاصلحوا بين
اخويكم وفي الحديث الا اخبركم بافضل من درجة
الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال اصلاح
ذات البين حتى جاز الكذب فيه مبالغة في وقوع
الالفة بين المتنازعين وان الصدق يفضي الى محذور
اشد منه في اسرار البين وظهور دوام العداوة بين
المتخاصمين ويعين الرجل اي جنس الرجل
المراد به النكرة اي ويساعد رجلا في دابته فيحمله
اي فيركب الرجل عليها اي على دابته والضمير راجع
الى الرجل او المعين والاول ابلغ وقد ورد من حمل اخاه
على شسع فكانه حمله على دابة في سبيل الله رواه
الخطيب عن انس او يرفع له عليها متاعه اي
للمعين على الرجل وفي الحديث اشارة الى استجاب
مراعاة حقوق الاصدقاء المعروفين بل العوام
المجهولين وهي الاعانة بالنفس والمال وكتمان
السر والحال وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم
قال ان المومنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم
كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له ساير

صدقوم

الجسد بالحمى والسهر والكلمة الطيبة وهي
الباقيات الصالحات صدقة على ما سبق فيه
الكلام من التسبيح والتهليل والتحميد ونحوها
في تمام النظام ومنه قوله تعالى اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه او المراد بها الكلام
الطيب في رد السائل قال تعالى قول معروف ومغفرة
خير من صدقة يتبعها اذى والمراد بها حسن
الكلام مع الانام لانها يفرح به قلب المومن ويدخل
عليه السرور وهو من اعظم الاجور وقد ورد
انه اذا التقا المسلمان نزل عليهما مائة رحمة تسعون
لاكثرهما بشرا وعشرة لاقلهما رواه في المعارف
مرفوعا وقيل المراد بها كلمة التوحيد لقوله
تعالى ومثل كلمة طيبة فانها تطيب بها القلوب
علما ومعرفة ومشاهدة وهي افضل الذكر لانها
اجمع للقلوب مع الله وانفع لنفي ما سواه واشد
تزكية للنفس وتصفية للباطن وتنقية للخاطر
وحديث النفس وهواجسها واطرد للشياطين
ووساوسها ثم اعلم ان الذكر عبارة عن وجدان
الرب وحضوره بالقلب وله لب هو المقصود وقشور
ثلاثة فالاعلى ذكر اللسان فقط ثم ذكر القلب تكلفا
بحيث يحتاج الى مراقبته حتى يحضر ثم ذكره طبعا

بان يمكن من القلب بحيث لا يحتاج الي تكلف في صرفه
عنه الي غيره ثم استيلا المذكور وانمحا الذكر والذاكر
بان يفني عن نفسه وذكره ولا يلتفت الي فنايه ايضا
ذاهبا الي ربه اولا ثم ذاهبا فيه بالاستغراق بحاله
اذ لو التفت الي شي من ذلك لكان معرضا عن الله
غير منفك عن الشرك الخفي هنالك واولا يكون
كالبرق الخاطف ثم اذا استعرج به الي المقام الاعلي
وطالع الوجود الحقيقي الاصفي وانطبع فيه نقش
الملكوت وتجلي له قدس اللاهوت واول ما يتمثل
له جواهر الملايكة وارواح الانبيا والاوليا في
صور جميلة تفيض اليه بواسطتها بعض الحقايق
الي ان يعلو درجته عن المثال فيكافح بصريح الحق
في كل الاحوال هذا زبدة كلام الامام حجة الاسلام
في الاربعين **وبكل خطوة** بفتح الخا المرة الواحدة
وبضمها اسم لما بين القدمين وقيل هما لغتان
يمشيها اي يمشي الرجل بها **الي الصلاة** اي نحوها
في ساير الطاعات **صدقة** فعن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال كان بنو سلمة في ناحية
من المدينة فارادوا ان ينتقلوا الي قرب المسجد
فانزل الله تعالي انا نحن نحيي الموتي ونكتب
ما قدموا واثارهم فدعاهم ثم قرا عليهم الاية فتركوا

رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال لهم
ديارهم تكتب اثاركم
م

رواه البيهقي وعن عمر ابن عبد العزيز لو كان الله
مغفلا شيئا لاغفل هذه الاثار التي تعفيها الرياح و
يميط الاذى بضم اوله اي ازالة ما يوذي المارة من
نحو شوك او نجاسة او حجارة عن الطريق صدقة
واخرت هذه ايماء الى انها دون ما قبلها كما يدل عليه
حديث الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها
شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن
الطريق واستحب بعض العلماء انه اذا اراد ازالة
الاذى ان يقول لا اله الا الله ليكون جامعا بين اعلا
شعب الايمان وادناها ويدخل تحت عمومه اماطة
الظالم عن الطريق الحق وشرعه المطلق وهو مفهوم
بالاولى كما في قوله تعالى ولا تقل لهما اف فما اندفع به قول
ابن حجر انه تكلف بعيد هذا وقد قال بعض العارفين
المراد بالاذى النفس فانها منبع الشر والفساد و
معدن الظلم والاذى للعباد في البلاد ومحل الافات
والعاهات ولذا قيل التوحيد اسقاط الاضافات
وقال العارف العاشق اصل التوحيد كشوف
سبعين بابا من عيون صفات الحق كما اشير اليه
في حديث الايمان بضع وسبعون شعبة وافضلها
كشف عين الذات وادنى المقام منها افراد القدم
عن الحدوث وهو اماطة قذى الكونين عن عين

اعيان القديم واما ما روي عن الحسن وابن سيرين ان
فعل المعروف يوجر عليه وان لم تكن فيه نية بل روي
حميد بن زنجويه عن الحسن ان من اعطي اخر شيئا
حيا منه له فيه اجر لصلته الحي فلا ينافي ما صح في
حديث ابن حبان من انه عليه السلام ذكر فيه خصالا
كالتصديق وفعل المعروف واعانة الضعيف وترك
الاذي ثم قال والذي نفسي بيده ما من عبد يعمل بخصلة
منها يريد بها ما عند الله الا اخذت بيده يوم
القيامة حتي يدخل الجنة وهو مستمد من قوله
تعالي لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة
او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغا
مرضات الله فسوف نوتيه اجرا عظيما لان
ما ذكر في الكتاب والسنة محمول علي كمال الاجر
والثواب كما في نفس الابتدا اشارة الي ذلك حيث
استثني ما ذكر من نفي الخير فاثبت له الخيرية ثم
رتب الاجر العظيم علي تصحيح النية ولولا اعتبار
هذا العموم لارتفع اكثر الخيرات والمبرات لان اكثر
الخلق عاجزون في مثل هذه الافعال من تصحيح
النيات وايضا النية انما هي شرط لصحة العبادات
المستقلة والثواب يشرط بها ايضا في الامور المباحة
واما المعروفات كصلة الرحم واحسان اليتيم

وابو نعيم في الحلية عن ابن سيرين ان من تبع جنازة حياء من اهلها له اجر

ذلكم

واغاثة الملهوف واعانة الضعيف واطعام الضيف
والمسكين واشالها فتصحيح النية من كمالها الثبوت
اصلها وكذا يجزي الله الكائنين في الدنيا علي امثال
هذه الافعال من مكارم الاخلاق فقول الحسن
مستحسن مقبول لا مردود كما توهمه ابن حجر
فتامل وتدبر لان حاصل الحديث يرجع الي التعظيم
لامر الله والشفقة علي خلق الله وقد قال بعض
الاكابر يجمع الخيرات هو الصدق مع الحق والخلق
مع الخلق رواه البخاري ومسلم وفي رواية له يصبح
علي كل سلامي من احدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة
وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وامر بالمعروف
صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزي عن ذلك
ركعتان يركعهما من الضحي والمعني يكفي مجموع هذه
الصدقات كلها عن هذه الاعضا جميعها ركعتان
في وقت الضحي لانها اكمل مقدار من صلاة نافلة
وهي تعم بالاعضا كاملة فاذا صلي في طاعته
فقد قام كل عضو منه بوظيفته واديت شكر
نعمته وقد قال سهل بن عبد الله التستري في
الانسان ثلاثمائة وستون عرقا مائة وثمانون ساكنة
ومائة وثمانون متحركة فلو تحرك ساكن او سكن متحرك
لم ينم النوم ويؤيد هذا القول احاديث كثيرة منها

حديث

حديث البزار انه صلى الله عليه وسلم قال للانسان
ثلاثمائة وستون عظما وستة وثلاثون سلامى عليه
في كل يوم صدقة قالوا فمن لم يجد ذلك يا رسول الله قال
يامر بالمعروف وينهى عن المنكر قالوا فمن لم يستطع قال
يرفع عظما عن الطريق قالوا فمن لم يستطع قال
فليدع الناس من شره ومنها حديث مسلم خلق
ابن ادم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله
وحمد الله وهلل الله وسبح الله وعزل حجرا عن
طريق المسلمين او عزل شوكة او عزل عظما او
امر بمعروف او نهى عن منكر عدد تلك الستين
والثلثمائة السلامى وامسى في يومه فقد
زحزح نفسه عن النار ومنها حديث احمد وابي
داود في الانسان ثلاثمائة وستون مفصلا فعليه
ان يتصدق منه بصدقة قالوا ومن يطيق ذلك
يا نبي الله قال النخاعة في المسجد يدفنها والشى
ينحيه عن الطريق فان لم يجد فركعتان الضحى يجزيه
ومنها حديث البزار وابن حبان في صحيحه على
كل ميسم من ابن ادم صدقة كل يوم فقال رجل من
يطيق هذا قال امر بالمعروف صدقة الحديث هذا
وقد قال تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال ابو
الدردا هو صحة الجسد وقال وهب مكتوب

في حكمة آل داود العافية الملك الخفي أي عن النعيم
المسئول عنه وقال ابن مسعود النعيم الأمن والصحة
ويؤيده حديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس
الصحة والفراغ وأخرج الترمذي وابن حبان أن أول
ما يسأل العبد عنه يوم القيامة فيقول له ألم نصح
لك جسمك ونرويك من الماء البارد وقال ابن عباس
النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار وكأنه أشار
إلى قوله تعالى إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان
عنه مسئولا ثم الحديث المذكور ما ورد لحصر الخيرات
بل نبه بالمذكورات على أمثالها من المبرات من
الإحسان إلى كل شيء الخبر في كل كبد رطبة أجر

السابع والعشرون هو وما بعده في الحقيقة
حديثان إلا أنهما لما تواردا على معنى واحد كانا
كالحديث الواحد وصار الثاني للأول بمنزلة الشاهد
عن النواس بفتح النون وتشديد الواو **بن سمعن**
بكسر السين وفتحها كذا قاله المصنف فيهما **رضي
الله عنه** كذا في النسخ لكن لأبيه أيضا صحبة فكان
ينبغي أن يقال عنهما وقد تزوج صلى الله عليه وسلم
أخت النواس وهي مشهورة روي له سبعة عشر
حديثا وكان أنصاريا من أصحاب الصفة وسكن الشام
وقال أقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالبر

بالمدينة سنة وما يمنعني من الهجرة اي العود الي الوطن
الا المسالة اي السوالات التي كانت ترد عليه صلي الله
عليه وسلم من بعض اصحابه واجوبتها لما سران المهاجرين
والانصار لما كثروا السوال ونهوا عنه كانوا يحبون
ان ياتي اهل البادية ويسالوا حتي يسمعوا فيتعلموا
فكانت اقامته تلك السنة مع عزم العود الي وطنه
لاجل ان يتفقه في الدين تلك المدة عملا بقوله سبحانه
وما كان المومنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم
طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون قيل وفيما ذكره دلالة علي ان
الهجرة لم تكن واجبة علي غير اهل مكة ويتوقف بان
من كان له عشيرة تحميه لم تلزمه الهجرة ولو من مكة
فلعله كان ممن له حمية من قومه عن النبي صلي الله
عليه وسلم قال اي حين ساله عن البر والاثم البر
اي اعظم خصاله حسن الخلق بضمتين ويسكن
اللام وقد سبق انه طلاقة المحيا وبذل الندا وكف
الاذي وقال الترمذي البر هنا الصلة والتصدق
والطاعة ويجمعها حسن الخلق وقال الطيبي فسر
البر في حديث اخر بما يقربك الي الله وقال بعض
المحققين ان حسن الخلق عبارة عن حسن العشرة
والصحبة مع الخلق بان يعرف انهم اسرا الاقدار

وان كل ما لهم من الخلق والخلق والرزق والاجل والعمل بمقدار
بتحسن اليهم حسب الاقتدار فيامنون منه
ويحبونه بالاختيار ووسع للخالق بان يشتغل بجميع الفرايض
والنوافل ويأتي بانواع الفضايل عالما بان كل ما ياتي منه
ناقص يحتاج الي العذر وكل ما صدر من الحق كامل
يوجب الشكر ثم يتخلق باخلاق الله بدوام الاعراض
عما سواه والحاصل ان البر بكسر الباء اسم جامع لانواع
الخير وهو ما اقتضاه الشرع وجوبا وندبا ولذا قابله
بقوله والاثم وهو ما نهي عنه للتحريم او للكراهة
ما حاك في نفسك بالحاء المهملة والكاف اي تردد
كما له المصحح من الحيك وهو التاثير اي اثر فيها بان اقلقها
وهذا باعتبار المومن المتقي الملهم بالحق والصواب
لحلمه عليه السلام علم ذلك من السايل حال الجواب
وفي رواية الاثم حزاز القلوب بتشديد الزاي
الاولي وهو بمعناه وفي اخري حواز بتشديد الواو
وحاصله انه حل في قلبك منه حرارة وريب
وخوف من انه ذنب وقد تصحف علي السيد
الشريف العلامة فضبطه بالجيم وهمزة بعد الالف
علي انه صيغة الماضي من المجيء غفلة عن الرواية
والدراية وكرهت ان يطلع عليه الناس اي اشرافهم
الذي يستحيي منه لو صدر منك ذلك الفعل

عندهم

عندهم والظاهر من سياق الحديث ان للاثم علامتين
علامة داخلية وعلامة خارجية كما يأتي التصريح
به في روايته وذلك ان النفس لها شعور من اصل الفطرة
بما يحمد عاقبته ومالا تحمد عاقبته ولكن غلبت عليها
الشهوة حتى اوجبت لها الاقدام على ما فيه المضرة
كاللص يغلبه الشهوة على السرقة وهو خائف
من الوالي قطع الرقبة ولانها بطبعها تحب اطلاع الناس
على خيرها وبرها وتكره اطلاعهم على اثمها وشرها
ومن ثم اهلك الريا اكثر المشايخ والعلما فيكره هنا اطلاع
الناس على فعلها يعلم انه اثم بالنسبة اليها فيترك
ما خطر ببالها وقال بعض العارفين الاثم هو
حبس النفس وهي تخييل الصدر بنعت الاضطراب
والتضييق لانها ثقيلة على الارواح والبر لطف ممزوج
بنور الذكر فتطمين به القلوب وينفتح منه الغيوب
وليس في الحديث دلالة على ان مجرد حصول المعصية
والهم بها اثم لوجود العلامتين حتى يحتاج ان يخص
بخبر ان الله تجاوز لامتي عما وسوست نفسها ما لم يعمل
بها ويتكلم لان ذلك فيما لا يعلم كونها اثما مثلا وهذا
فيما هو المعلوم من الاثام مع ان التردد مناف للهم
والعزم والا لما عزم على سبيل الجزم من جملة عمل
القلوب فيحصل به الاثم على ما هو عليه جمهور من

اهل العلم رواه مسلم وعن وابصة بكسر البا
الموحدة وهو بالصاد المهملة ذكره المص ابن معبد
بفتح الميم والموحدة رضي الله عنه قدم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة رهط من
قومه بني اسد خزيمة عام تسع فاسلموا ورجع
الى بلاده ثم نزل الكوفة ثم تحول الى الجزيرة وسكن الرقة
ودمشق ومات بالرقة ودفن عند منارة جامعها
وكان قاريا كثير البكا لا يملك دمعته قال اتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال جيت تسال
عن البر اي والاثم لما سيأتي من الرواية في الجمع بينهما وكما
يشير الجواب اليهما ولعله من باب الاكتفا بضد الاشيا
فقلت نعم وهذا من دلايل النبوة لانه اخبره عما
في ضميره قبل ان يتكلم به وجا في بعض الروايات ان
وابصة جا يتخطى الناس حتى جلس الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا وابصة تحدثني ما جيت به
او احدثك فقال بل انت حدثني يا رسول الله فهو
احب الي قال جيت تسال عن البر والاثم قال نعم قال
استفت قلبك وفي رواية احمد قال اتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا لا اريد ان ادع شيا من
البر والاثم الا سالت عنه فقال لي ادن يا وابصة
فدنوت حتى مست ركبتي ركبتيه فقال يا وابصة

اخبرك

اخبركبما جيت تسال عنه او تسالني قلت يا رسول
الله اخبرني قال جيت تسال عن البر والاثم قلت نعم قال
فجمع اصابعه الثلاثة فجعل ينكت بها في صدره ويقول
يا وابصة استفت نفسك الحديث اي اطلب الفتوى من
قلبك لانه يبلغ في سلوك طريق الكمال وطلب الوصول
بعين الوصال الى مقام التقلب وبيان ذلك ان سير الانسان
الى الحق انما هو بالباطن وان كان مع استعانة الظاهر
وظهور المحبيات الابدية الى حيز النفس والقلب لصعود
وهبوط المحبيات النفسانية والقلبية الى الظاهر
للعلاقة بينهما ثم النفس قبل التوجه الى الحق امارة
بالسوء ثم يصير لوامة ثم يصير مطمئنة والحاصل
انه عليه السلام ذكر له ضابطة جامعة مميزة بين
البر والاثم بقوله البر ما اطمانت اليه النفس
اي سكنت اليه وسكنت من اضطرابها لديه والنسخ
المعتمدة مجتمعة على لفظ اليه ووقع في اصل ابن حجر
باسقط عليه فقال اي سكنت عليه وفي رواية اليه انتهى
ولا يخفى ان السكون لا يتعدى بعلى نعم جاء في رواية
وسكنت اليه النفس وكان بعض من لا دراية له بالرواية
راى تكرار اليه مع قوله واطمان اليه القلب فغاير
بينهما من عنده والمعنى اذا التبس عليك شيء ولم تدر
انه من اي القبيلين فتامل فيه ان كنت من المجتهدين

واسال المجتهدين ان كنت من المقلدين كان وجدت
ما سكن اليه القلب فخذ والا فدعه قاله البيضاوي
ولعله عطف اطمينان القلب علي اطمينان النفس
للتاكيد كان النفس اذا ترددت في امر ما تتبع
ذلك خفقانا في القلب للعلاقة بينهما الحاصلة المتعلق الاول
بهما وربما سري الي ساير القوي فيحس بها الحلال
والحرام فاذا زال ذلك عن النفس وحدث بها الطمانينة
انعكس الحرام والنفس لغة حقيقة الشي واصطلاحا
لطيفة في الجسد تولدت من ازدواج الروح بالبدن
واتصالهما معا فاذا في ظلمتها لا يغشاها نور العلم كان
والمعرفة ما يلتفت الي الشهوة وساير الاخلاق الرذيلة لانها
الي العالم الحسي سميت امارة واذا تنفس صبح الهداية
وانزعجت من دواعي طبيعتها متطلعة الي نفار الطمانينة
متجذبة مرة الي العالم العلوي واخري الي العالم السفلي
سميت لوامة لانها تلوم نفسها لعلمها بمحل الطمانينة
واذا طلعت شمس العناية من اوج الرعاية صارت
ملهمة واذا بلغت شمس العناية وسط سما الهداية
اشرقت الارض بنور ربها وامتلا القلب من السكينة
اليقينية وخلع علي النفس خلع الطمانينة صارت
مطمئنة تجذب ~~مستكملة~~ مكلمة مستعدة لجذبة
ارجعي الي ربك راضية مرضية والاثم ما حاك في

النفس

النفس اي اثر فيها ولم يستقر عندها وتردد في الصدر
ولم ينشرح للامر وان افتاك الناس عطف على مقدر
ان لم يفتك الناس وان افتاك الناس يعني علماوهم
لما في روايته وان افتاك المفتون والمعنى التزم العمل
بما في قلبك وان قالوا لك انه حق ولا تاخذ بقولهم
فانهم قد يوقعوك في الغلط وفي اكل الشبهة كان
نزي من له مال حلال وحرام فلا تاخذ منه شيبا
وان افتاك المفتي مخافة ان تاكل الحرام لان الفتوى
غير التقوى فعن عايشة قالت كان لابي بكر غلام ياكل
من خراجه فجاه يوما بشي فاكله ابو بكر فقال له
الغلام اتدري ما هذه فقال ابو بكر وما هو قال
كنت تكهنت لانسان في الجاهلية وما احسن الكهانة
الا اني خدعته فلقيني فاعطاني لذلك فهذا
الذي اكلت منه فادخل ابو بكر يده في فيه فقا كل
شي اكله من بطنه رواه البخاري وذكر الغزالي هذا
الخبر في الاحيا ان الصديق قال بعد استفراغه
اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط
الامعاو في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر
بذلك فقال او ما علمت ان الصديق لا يدخل في جوفه
الا طيبا ثم قال الغزالي ولا شك ان الصديق لما اخبر ان
اللبن من غير وجهه لم يكن ليخفى عليه مع كونه اعلم

الناس ان ما يتناوله الانسان من غير علمه به انه
لا اثم عليه فيه ولا يجب في فتوى الفقه استفراغه
ولكن انما فعل ذلك بعلو رتبته وكمال صديقيته
ولسر وقر في صدره عرفه ذلك السران فتوى
العامة حديث اخر والطريق الاخرة لا يعرفه
الا الصديقون ولذلك استفرغه وادخل اصبعه
في حلقه ليخرجه حتى كادت روحه تخرج معه
لانه راه موثرا في قلبه اثرا يمنعه عن منزلته
وكمال مرتبته وفي روايته انه انفق في مدة
خلافته ثمانية الاف درهم فلما حضره الموت قال
كنت قلت لعمر اني اخاف ان لا يسعني ان اكل من
هذا المال فغلبني فاذا مت فخذوا من مالي ثمانية
الاف فضعوها في بيت المال وهذا في غاية من
التقوى ولهذا نزل في حقه وسيجنبها الاتقى
الذي يوتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من
نعمة تجزي الا ابتغا وجه ربه الاعلى ولسوف
يرضى وقد قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
وافعل تاكيد والمعنى بهذا الاسرار ارباب
البصيرة من اهل النظر المستقيم واصحاب
الفراسات من ذوي النفوس المرتاضة
فان نفوسهم ملهمة للصواب في اكثر الاحوال

وفي

وقيل حمله على عموم الايمان والتقوى اولى ولا
يبعد ان يقال المعنى وانا قاتل جمع بعد جمع
وفيه ايما الى المعجزة المشيرة الى اختلاف الايمة
قال شيخ مشايخنا السيد جمال الدين وافتوك
في روايتنا بالفا والتا المثناة من فوق ولعله انما
جي به للتاكيد لكن اورد هذه الكلمة صاحب
النهاية في باب القاف والنون فقال وافتوك
اي ارصدك ثم قال حكى ابو موسى ان الزمخشري
قال وان المحفوظ بالتا والتامن الفنيا حديث
حسن كذا في الاصول المعتمدة وقال ابن
حجر حديث صحيح وفي نسخة حسن وسياتي
بحث مستحسن رويناه بفتحتين اي بسندنا
المتصل في مسند الامامين اي الجليلين
حديثا وفقها وزهدا وصلاحا احمد بن حنبل
وهو ابو عبد الله الشيباني احد الايمة الاربعة
من المجتهدين والفقها المتبوعين في امر الدين
وروى عنه البخاري ومسلم وابو داود وجماعة ولد
ببغداد ومات بها يوم الجمعة في ربيع الاول سنة
احد واربعين ومايتين عن سبع وسبعين
سنة ومسنده عشرون مجلدا وفيه اربعون
الف حديث جمعه من سبع مائة الف حديث

وحسبين الف حديث وقال جعلته حجة بيني
وبين الله تعالى وقال ما اختلف المسلمون فيه
من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعو
اليه فان وجدتموه والا ليس بحجة وهذا يدل
على كمال اطلاعه بالسنة الا انه رضي الله عنه
لم يلتزم الصحة في مسنده وانما اخرج فيه ما لم
يجمع الناس على تركه واما قول بعضهم ان كل ما فيه
صحيح فغير صحيح الا ان يراد به انه ثابت ثم قال
جماعة ان كل ما فيها اما صحيح واما حسن والاغلب
الصحة لكن الاظهر انه قد يوجد فيه ضعيف الا انه
قد يكون مختلفا فيه ثم مصنفو الاحاديث منهم
من رتب على مسانيد الصحابة كاحمد والدارمي
وابن ابي شيبة والبزار وابي يعلى ومنهم من رتبها
على ابواب الاحكام كالصحيحين والسنن وفي
كل فايدة وحكمة عايدة والدارمي بكسر الراء
وهو ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن التميمي
السمرقندي الحافظ من بني دارم روى عنه
مسلم وابو داود والترمذي وابو زرعة كان اما م
اهل زمانه في العلم والورع ولد سنة احد وثمانين
ومائة ومات يوم التروية سنة خمسة وخمسين
ومائتين والغالب على مسنده الصحة ولما بلغ البخاري

بعبد

ثم بكي وانشد

ان تبق تفجع في الاحبة كلهم وفنا نفسك لا ابا لك تفجع

وذكر الترمذي انه سمع البخاري يحدث عن حديث
من تشييع جنازة وذكر ابن عدي ان النسائي حدث
عنه باسناد حسن كذا في النسخ المصححة وقال
ابن حجر باسناد جيد وفي نسخة حسن انتهي
وعلي كل تقدير يناقض ما قدمه عن المص بانه
حديث صحيح وتكلف في الجمع بينهما بل تعسف في
شرحه فالا طايل تحته علي ان حديث احمد له
طريقان احدهما فيه علتان ضعف وانقطاع و
ثانيهما فيها مجهول فعلية بانضمامه الي رواية فلعله
الدارمي حكم المص عليه بانه حسن اولكثرة طرقه
كان احمد اخرجه من طريق اخري عن ابي امامة
قال قال رجل يرسول الله ما الاثم قال اذا حاك في
صدرك شي فدعه وسندها جيد علي شرط
مسلم من طريق اخري عن ثعلبة الخشني قال قلت
يرسول الله اخبرني ما يحل لي وما يحرم علي قال البر
ما سكنت اليه النفس الحديث وسندها جيد ايضا
ويقويه ايضا ما اخرجه الطبراني عن واثلة قلت للنبي
صلي الله عليه وسلم افتني عن امر لا اسال عنه احدا
بعدك قال استفت نفسك قلت كيف لي بذلك

قال تدع ما يريبك الى ما لا يريبك وان افتاك المفتون
قلت كيف قال تضع يدك على قلبك فان الفواد يسكن
للحلال ولا يسكن للحرام واراد المص بقوله حسن
اولا معناه اللغوي وثانيا معناه الاصطلاحي وهذا
اولى بالاعتبار لئلا يلزم التكرار وكرره للتاكيد في سنده
حيث قيل بضعفه ثم اعلم ان من اراد الاحتجاج بحديث
من السنن كابي داود والترمذي والنسائي وابن
ماجه والموطا وغيرها مما لم يلتزموا الصحيح والحسن
بل ادخلوا فيه الضعيف ايضا امتنع عليه ان يحتج
بحديث منها حتى ينظر في اسناده وحال رواته
ان كان له قابلية لذلك ويجد اماما صحح او حسن شيئا
فيقلده هنالك نعم اذا راينا مجتهدا اسند لحديث
على ما ادعاه فنحكم بانه صحيح او حسن عنده كما
اقتضاه الثامن والعشرون عن ابي نجيح بفتح
نون فكسر جيم مهملة العرباض بكسر العين المهملة
وبالباء الموحدة والضاد المعجمة ابن سارية بالسين
المهملة والياء المثناة تحت ذكرهما المص ووزنها جارية
سلمي من اصحاب الصفة وهو احد البكائين المشتاقين
الى الله يقول في دعائه كبرت سني ووهن عظمي
اللهم صح
اليك فاقبضني اليك وكان يقول انه رابع الاسلام وكان من
العابدين صح
الزاهدين روي انه قال لولا ان يقال فعل ابو نجيح

لابجد

لا يجد ما لا في سبيله ثم لحقت واديا من اودية لبنان فعبد تالله حتى اموت وروي ان معاوية اعطي المقداد حمارا من الغنم فقال العرباض ما كان لك ان تاخذه وما كان له ان يعطيكه كاني اراك في النار تحمله علي عنقك فرده المقداد مات بالشام سنة خمس وسبعين ومرويا ته احد وثلاثون حديثا رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلي الله عليه وسلم اي بعد صلاة الصبح كما في رواية وفي اخري ذات يوم موعظة اي ما يوعظ به من الكلام الدال علي التخويف بطريق النصيحة والتنوين للتفخيم اي عظيمة كما يدل عليه رواية بليغة اي بلغت البها في تاثيرها فينا كما يشير اليه قوله وجلت منها القلوب بكسر الجيم اي خافت من اجلها القلوب وحذرت من الذنوب فان الوجل خوف مع الحذر وذرفت قال المصنف بفتح الذال المعجمة والرا المهملة اي سالت منها العيون يعني جرت بسببها الدموع من العيون لتاثير الموعظة في النفوس واستيلا سلطان الخشية في القلوب واخر هذا عاقبله لانها لما ينشا عنه غالبا صلى وفيه استحبابا بموعظة العالم اصحابه لينفعهم في دينهم ودنياهم من العلوم ولا يقتصر لهم علي معرفة الاحكام والحدود والرسوم بل يذكرهم ويخوفهم ويشوقهم ويسوقهم الي ذكر

التقوي ومحبة المولي والاعراض عن الدنيا والمعني ان
تلك الموعظة اثرت فيهم واحدثت منهم بجامعهم بحسب
ظاهرهم وباطنهم وفي بعض روايات الترمذي ذرفت
منها العيون ووجلت منها القلوب نظرا الي اثر الظاهر
قبل المؤثر الباطن بخلاف الرواية الاولي فانها لتقدم
السبب علي المسبب او الاصل علي الفرع والله اعلم
فقلنا يا رسول الله كانها اي تلك الموعظة **موعظة
مودع** بكسر الدال المشددة اي شخص يودع اصحابه
واحبابه لخلافه د رسنيا الاذكره في بابه **فاوصنا** اي
ارشدنا بما فيه صلاح حالنا وفلاح مالنا وفيه ان للابرار
الاكثار من خصايل الخير لاسيما في اخر العمر وانه يجوز
الاستدلال بالاقوال علي الاحوال وانه يستحب الاسترشاد
من اكابر الدين واغتنام فرصة الاستفاضة من عظما
اليقين **قال اوصيكم بتقوي الله** هذا من جوامع الكلم
لان التقوي امتثال المامورات واجتناب المحذورات
وهي زاد المعاد الذي امرنا بتحصيلها جميع العباد حيث
قال تعالي ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
ان اتقوا الله ولما كان الظاهر من التقوي ان يكون فيما بينهم
وبين الله عطف عليها بقوله **والسمع والطاعة** اي فيما
بينهم وبين من يلي امرهم يعني واوصيكم بقبول الامير
وطاعته ما امر بالمباح عادلا كان او جايرا والا فلا طاعة
لمخلوق

المخلوق في معصية الخالق كما وردوا نه الا يجوز محاربته
لانه كما قال الحسن ما يصلح الله به اكثر مما يفسده
وان تامر بتشديد الميم اي صار اميرا عليكم عبد
وفي رواية عبد حبشي اي دني الخلق فلا تستنكفوا
عن طاعته لئلا يؤدي الى ظهور الفساد وتهييج الفتن
بين العباد فكان الصبر على ولاية من لا يجوز له الولاية
اهون الضررين النار الفتن التي لا حد لها ولا خلاص منها وقد
ذكر عليه السلام في بعض ما روي عنه قال بعد جور
الولاة وظلمهم فقالوا اسمعوا واطيعوا ما اقاموا
فيكم كتاب الله وهذا وارد على سبيل المبالغة في الامر
بطاعته والنهي عن مخالفته وطريق الفرض والتقدير
اذ الاية من قريش وان استولى الامام الاعظم ولعل
في الحديث اشعارا بما يقع في اخر الزمان من كون الخلافة
بالتسلط والشوكة من غير اعتبار شروط الاية كما في
زماننا هذا الحال لا يوجد امام بين اهل الاسلام موصوف
بما تقرر في حقه من الاحكام ويؤيده قوله وانه اي
الشان في المصابيح والمشكاة بلفظ فانه من يعش
وهو مجزوم بمن الشرطية واصله يعيش كما في
نسخة بمن موصولة فسيرى اختلافا كثيرا اي في
الولاية والخلافة بسبب طلب الجاه والمال والسين
لتاكيد الاستقبال وفي اصلنا المقروء على مشايخنا

قال ابن حجر قوله وان تامر وفي رواية وان امر عليكم عبد ولاحمد حبشي مجدع وللبخاري حبشي كان راسه زبيبة ولمسلم ولو كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف وقوله وان تامر اي جعل عاملا بان او استعمل على البلد مثلا او ولي فيها ولاية عامة كالامامة او خاصة كالامامة في الصلاة او جباية الخراج او مباشرة الحرب فقد كان في زمن الخلفاء الراشدين من يجتمع له الامور الثلاثة ومن يختص ببعضها اه

امارة

منو

١

فانه بالثنا ايضا قال السيد جمال الدين الشافي في قوله لانه
من يعش المسيبة جعلت ما بعدها سببا لما قبلها يعني
من قبل وصيتي التزم تقوي الله وقبل طاعته من ولي
عليه ولم يهيج الفتن اسن بعدي الاختلاف الكثير
يعني وقع بين الصحابة والتابعين وهلم جرا الي هذا
الحين فعليكم اسم فعل اي الزموا واستمسكوا بسنتي
وهي ما وضعه صلي الله عليه وسلم وجوبا او ندبا
من احكام الدين وسنة الخلفا الراشدين اي الهادين
المهديين بفتح الميم وتشديد التحتية الاولي اي
المهتدين الذين هداهم الله الي طريق الصواب والهمهم
اتباع مناهج اولي الالباب وجمع بينهما لان الشخص
اذا لم يكن مهتديا في نفسه لم يصح ان يكون هاديا
لغيره وهم الصديق والفاروق وذو النورين والمرتضي
رضي الله عنهم اجمعين وذلك لانهم لما كانوا افضل الصحابة
وواظبوا علي استمطار الرحمة من السحابة وخصهم
الله بالمراتب العلية والمناقب السنية ووطنوا انفسهم
علي مشاق الاسفار ومجاهدة القتال مع الكفار انعم
الله عليهم بمنصب الخلافة العظمي والتصدي الي
الرياسة الكبري لاشاعة احكام الدين واعلا اعلام
الشرع المتين رفعا لدرجاتهم وازديادا لمثوباتهم
فلو لم تقع الخلافة علي الترتيب المذكور لما فازوا كلهم بالمنصب
المذكور

النبي صلى الله عليه وسلم

جمع مهدي

186

نبوته صح

المشكور ولا يخفى ان هذا من معجزاته الدالة على
ثبوت لانه اخبر بذكر هذه الفتنة وقال الخلافة
بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا ووقع كما قال
عليه السلام وقال النور يتبعني واما ذكر سنتهم في
مقابلة سنته لانه نعلم انهم لا يخطئون فيما يستخرجون
من كتابه وسنته او ان بعضها ما اشتهر الا في زمانهم
وليس المراد نفي الخلافة عن غيرهم حتى ينافي قوله
صلى الله عليه وسلم يكون في امتي اثنى عشر خليفة
بل المراد تصويب رايهم وتفخيم امرهم وتفضيلهم
على غيرهم وقيل الخلفاء يشملهم ومن سار سيرهم
واقتفى اثرهم في استخراج الاحكام واذاعة الحق بين
الانام وقال بعض العلماء يقدم ما اجتمع عليه الاربعة
ثم ما اتفق عليه الشيخان لقوله عليه السلام اقتدوا
بالذين من بعدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وله
معنيان احدهما التقليد لمن عجز عن النظر وثانيهما
الترجيح لما ذهبوا اليه عند اختلاف الصحابة
في الامر وقيل هذا في حق المقلد في تلك الازمنة
القريبة من زمان الصحابة واما في زماننا فلا يجوز
غير تقليد الائمة الاربعة ابي حنيفة ومالك والشافعي
واحمد رضي الله عنهم اجمعين لان هولاء عرفت
قواعد مذاهبهم واستقرت احكامها في كتبهم

لان انباعهم حرروها فرعا فرعا فغيرّ ان يوجد
حكم الا وهو منصوص لهم اجمالا وتفصيلا بخلاف
غيرهم فان هذا الهيهم لم يحرروا ولا يعرف منها لانه
قد يكون مشروطا بشروط اخري وكلوها الي فهمها من
قواعدهم فيها عضوا بفتح فتشديد بدا سر من بعض
اذا اخذ شيا بالعض ومنه قوله تعالي ويوم يعض
الظالم علي يديه هذا ومن غريب ما وقع في زماننا
او بعض المتحدثين او المحدثين المعروف بالهنسي
ظنا منه انه اعلم المحدثين بل وهما انه المجتهد
المطلق في الدين روي الحديث بضم العين واوردنا
عليه الاية والقواعد العربية في قضية ما احد
الامر به مع اتفاق الغيبة ايمة اللغة علي الفتح
فاجاب بانه انما عدل عن الفتحة الي الضمة ليرتفع
شبهة المشابهة بالصيغة الماضوية فدفعناه بورود
مد مد امدد وبصيغة الامر والماضي المجهول
علي اشتراك الضمة بناء علي اعتبار القرينة الحالية
او المقالية فيتحقق بعد خلو هذا المدعي من
مناقب الرواية ومراتب الدراية ما يسر الدعوي
وما اعسر المعني بل يدخل بهذا المبني في قوله
عليه السلام من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده
من النار عليها اي علي السنة بالنواجذ جمع ناجذه

لها قواعد يتخرج عليها احكامها فلم يجز تقليدهم فيما حفظ عنهم صح

بالزاد

بالذال المعجمة وهي اربعة من اواخر الاضراس وقد
لا توجد لبعض ويسمى ضرس الحلم لانه ينبت بعد
البلوغ وكمال العقل وقال المصم هو بالذال المعجمة وهو
الانياب وقيل الاضراس انتهى والقصد المبالغة
في شدة التمسك بها والجد في لزومها كفعل من
امسك شيئا بيده ثم يستعين باسنانه عليه استظهارا
للمحافظة لديه ويحتمل ان يكون كناية عن الصبر
علي ما يصيبه من المشقة في المحافظة علي السنة
كما روى الترمذي عن النبي صلي الله عليه وسلم
ياتي علي الناس زمان الصابر فيهم علي دينه كالقابض
علي الجمر واياكم ومحدثات الامور عطف علي قوله
فعليكم للتاكيد والتابيد قال الفاكهاني ومحلاه نصب
منصوب بفعل مضمر والتقدير اياكم باعدوا واتقوا
محدثات الامور والاظهر ان يقال بعدوا انفسكم
عن المحدثات وبعدوها عن انفسكم كما قرر في قوله
اياك والاسد والمعنى اتقوا ولا تقربوها فضلا عن
ان تحدثوها فان كل بدعة ضلالة قال المصم البدعة
ما عمل علي غير مثال سبق انتهى وهي تعريف
لها بحسب اللغة واما في الشريعة فما احدث
علي خلاف الكتاب والسنة واجماع الامة وقيل
احداث ما لم يكن في عهد النبوة وقيل البدعة

زيادة في الدين قربة كانت او معصية فالمراد كل
بدعة سيئة او مكروهة ضلالة لان المم قال
في شرح مسلم هذا عام مخصوص لان البدع خمسة
انواع واجبة كعلم النحو واصول الفقه والكلام و
محرمة كمذاهب المرجئة والمجسمة ومندوبة
كاحداث المدارس والكلام في دقايق الصوفية
ومكروهة كزخرفة المساجد وتزيين المصاحف
ومباحة كالمصافحة عقيب الصبح والعصر
انتهى ولا يخفى ان البدع الواجبة هي الاشتغال
بعلم العربية المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة
كالصرف والنحو واللغة واصول الحديث والفقه والرد
علي المبتدعة انما هي علي الكفاية لحفظ الشريعة
واما تزيين المساجد والمصاحف فلحناف في
كراهته عندنا والمصافحة بعد الصلاة مطلقا
تكره عندنا وقد صرح ابن عبد السلام بان المصافحة
عقيب الصبح والعصر مكروهة لكن قيدها المم
بما اذا صافح من هو معه قبلها اما من لم يكن
معه قبلها فمصافحته مندوبة لانها عند اللقا
سنة اجماعا وكونه خصصها ببعض الاحوال
وفرط في اكثرها لا يخرج ذلك البعض عن كونها
مشروعة فيه انتهى ولعل وجه اطلاق ابن

عبر

188

عبد السلام ان الغالب يكون مصافحتهم بعد
ملاقاتهم اولانهم يعدون هذه المصافحة من
سنن الفراغ من الصلاة ولا ينظرون الي مصافحة
للملاقاة ولهذا ايضا يمحون بعدها ويكتفون بها عن
التسليم معها قال ابن حجر ومن المبلحة التوسع في
لذائذ الماكل والمشارب والملابس وتوسيع الاكمام
ثم قال وقد يختلف العلما في ذلك فيجعله بعضهم
مكروها وبعضهم سنة انتهي وقد سبب ذلك
الي المم ايضا لكن لا يخفي ان القول بالسنية بعيد
عن الطريقة السنية بقي دتطويل الذيول
والاكمام فان كان للخيلا والافتخار محرام والا مكروه
بلا كلام لمخالفة الاحاديث الواردة في هذا المقام
ولو اجري الحديث علي عمومه لم يبعد اذ المعني
كل ما لا يرجع الي اصل دين ولا يساعده دليل شرعي
فهو ضلالة فيطابق حديث من احدث في
امرنا ما ليس منه فهو رد وقد روي البيهقي عن
الشافعي انه قال المحدثات من الامور ضربان احدهما
ما يخالف كتابا او سنة او اثرا او اجماعا فهذه البدعة
الضلالة والثاني ما احدث من الخير لا خلاف فيه
فهذه محدثة غير مردودة وقد قال عمر رضي
الله عنه في قيام شهر رمضان نعمت البدعة

هذه والاضبط ان يقال كل بدعة تزاحم سنة فهي
سيئة وكلما تساعدها فهي حسنة كالنية اللسانية
في العبادات فانها بدعة الا انها مستحبة لانها
تستحضر النية القلبية وتقويها وكجماعة التراويح
فانها توافق صلاته عليه السلام اولا ثم تركها مخافة
ان تفترض علي امته ولم يقوموا بجمعها فهي بدعة
بالنسبة الي ما تركه عليه السلام وسنة باعتبار
اصلها وكونها من سنة احد الخلفا الراشدين ولذا
قال فقهاونا انها سنة موكدة ومن شعاير
الدين وبهذا يظهر وجه تسمية المبتدعة لان
قواعدهم كلها مزاحمة للسنة ابتدعوها وقد
قيل لاهل الحق انهم اهل السنة فانهم اتبعوها
ثم علم ان اصول البدع كما نقل في المواقف سبعة المعتزلة
القايلة بان العباد خالقوا اعمالهم ونفي روية
الله سبحانه وتعالي ويوجب الثواب والعقاب
عليه عز وجل وهم عشرون فرقة والشيعة المفرطة
في محبة علي رضي الله عنه وهم اثنان وعشرون
فرقة والخوارج المفرطة في بغضه المكفرة له
ولمن اذنب كبيرة وهم عشرون فرقة والمرجية
القايلة بانه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع
مع الكفر طاعة وهم خمس فرق والنجارية الموافقة

لاهل

لاهل السنة في خلق الافعال وللمعتزلة في نفي الصفات
وحدوث الكلام وهم ثلاث فرق وللجبرية القايلة
بسلب الاختيار عن العباد فرقة واحدة والمشبهة
الذين يشبهون الحق بالخلق في الجسم والحلول فرقة
ايضا فتلك اثنان وسبعون فرقة كلهم في النار والفرقة
الناجية هم اهل السنة البيضا المحمدية والطرقة
السمحا الاحمدية ولها ظاهر سمي بالشريعة شرعة
للعامة وباطن وسمي بالطريقة منهاجا للخاصة
وخلاصة خصت باسم الحقيقة معراجا للاخص
الخاصة فالاول نصيب الابدان من الخدمة والثاني
نصيب القلوب من العلم والمعرفة والحكمة والثالث
نصيب الارواح من المكاشفة والمشاهدة قال
القشيري امر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة
الربوبية فكل شريعة غير مويد بالحقيقة فغير
مقبول وكل حقيقة غير مويدة بالشريعة فغير
محصول فالشريعة قيام بما امر والحقيقة لما
قضي وقدر واخفي واظهر والشريعة حقيقة
من حيث انها وجبت بامره والحقيقة ايضا شريعة
من حيث ان المعارف به سبحانه وجبت بامره
رواه ابو داود وهو الامام ابو سليمان بن الاشعث
السجستاني كان من فرسان الحديث قيل الين لابي

فالشريعة ؟

لعله شرع

الحديث

داود الحديث كما الين لداود عليه السلام الحديث الحديث
ولد سنة اثنين وسايتين وتوفي بالبصرة سنة خمس
وسبعين وما يتين والترمذي سبق ذكره وقال اي
الترمذي حديث اي هذا حديث حسن صحيح ومر
وجه جمعها وجمعها وهو الموجود في الاصول المعتمدة
وفي شرح ابن حجر حديث حسن وفي نسخة
حسن صحيح هكذا هو في كتاب الاربعين انتهي
ورواه احمد وابن ماجه وابو نعيم وقال حديث
جيد من طريق الشاميين هذا ولفظ ابي داود
قال صلي بنا رسول الله صلي الله عليه وسلم
ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة
ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال
قايل يا رسول الله كان هذا موعظة مودع فماذا تعهد
الينا قال اوصيكم بتقوي الله والسمع والطاعة وان
عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي فسيري
اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفا المهديين
الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ
واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة
ضلالة ولفظ الترمذي نحو هذا لكن بعد ضلالة الغدوة
وفيه وان عبد حبشي وفيه واياكم ومحدثات الامور
فان كل محدثة ضلالة فمن ادرك ذلك منكم فعليه بسنتي

ومسنة

وسنة الخلفا الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجد
وفي بعض الطرق ان هذه موعظة مودع فما تعهد
الينا قال تركتكم علي البيضا ليلها كنهارها فلا تزيغ
عنها الا هالك ومن يعش منكم فسيري اختلافا
كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفا الراشدين
المهديين عضوا عليها بالنواجذ وفي بعضها فان
كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار
اي صاحبها من فاعل ومبتدع وزاد ابن ماجه اخر
الحديث وانما المومن كالجمل الانف حيث ما قيد انقاد
وقيل هذه الزيادة مدرجة وبهذا تبين ان المص رحمه
الله ما اتي بلفظ ابي داود ولا بلفظ الترمذي كما لا وله
جمع بينهما اجمالا ولعله اطلع علي رواية لاحدهما وفق
ما ذكره عنهما **التاسع والعشرون عن معاذ** اي ابن
جبل كما في نسخة **رضي الله عنه قال قلت**
صدر الحديث قال بينما نحن نخرج مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في غزوة تبوك وقد اصابنا الحر فتفرق
القوم فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم اقربهم
مني فدنوت منه وقلت **يا رسول الله اخبرني بعمل**
اي قليل او جليل وسيتبين الشرح جميل فلا يرد ما ذكره
المظهر من انه اذا جعل يدخلني جواب الامر يبقى بعمل
نكرة غير موصوفة وهي لا تفيد **يدخلني الجنة** بالرفع

على انه صفة عملا اما مخصصا وما خذا وكاشفة فان العمل اذا لم يكن بهذه الحيثية كالاعمل في الحقيقة وقيل بالجزم على انه جواب الامراي اخبرني بعمل ان تخبرني به يدخلني الجنة يعني ان الخبر وسيلة العمل والعمل ذريعة للادخال وعلى كل تقدير فاسناد الادخال الى العمل اسناد الى السبب او شبه العمل لكونه سببا المطلوب بالفاعل الحقيقي ولا يبعد ان يكون التقدير يدخلني الله الجنة قال السيد جمال الدين الرواية الصحيحة المشهورة فيه يدخلني بالرفع على انه صفة لقوله بعمل ولا يحسن الجزم على جواب الامر اذ ليس الاخبار سببا الادخال الجنة وقد وجه الجزم على تقدير صحة الرواية به بانه جزاء الشرط محذوف تقديره اخبرني بعمل ان عملته يدخلني الجنة والجملة الشرطية باسرها صفة لعمل او جواب للامر وتقريره ان اخباره صلى الله عليه وسلم لما كان وسيلة الى عمله وعمله ذريعة الى دخول الجنة كان الاخبار سببا في الجملة فعلى هذا يكون الترتيب من باب اقامة السبب الذي هو الاخبار مقام السبب الذي هو العمل لان العمل هو السبب كما هو لا الاخبار لان الاخبار انما يكون سببا للمخاطب اذا كان المخاطب مومنا معتقدا امواقفا كقوله تعالى قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة قال

بلغ مقابلة

ابن الحاجب يتيمموا جواب قل لعبادي يقيموا وما اعترض
عليه من ان الاقامة لسببت لازمة للقول لسبب بشيء
لان الجواب لا يقتضي الملازمة العقلية وانما يقتضي
الغلبة وذلك حاصل فان امر الشارع صلى الله عليه
وسلم المومنين باقامة الصلاة يقتضي اقامة الصلاة
منهم غالبا وباعد بي من النار اي وبعد بي منها
واخرج على صيغة المبالغة للمبالغة في البعد ثم المقصد
دخول الجنة من غير سابقة عقوبة نالوا ولمطلق
الجمعية ولعل تقديم الدخول للاهتمام بحصول الوصول
وللايماء الى غلبة الرجا بناء على الحديث القدسي والكلام
الاشي سبقت رحمتي غضبي هذا وفي كلام اهل
التحقيق ان الجنة جنة الوصول الى معرفة ذات الله
وصفاته وافعاله ومصنوعاته من الملايكة الكروبية
والروحانية وطبقات الارواح العلوية وعالم السموات
وما فيها من الانوار الملكوتية والاسرار الجبروتية بحيث
يصير روح السالك كالمراة المحاذية لعالم القدس وحضرة
الانس واشجارها الملكات الحميدة والاخلاق السعيدة
وثمارها المكاشفات والمشاهدات والاشارات وغيرها
من المواهب اللدنية والمراتب العندية ومن رضي
بالجنة الحسية فهو ابله ومن اعرض عن الحق واشتغل بالخلق
واشتغل من روح المحبة والتربية الى سياسة القهر

والبعد والطرد والحط عن الجهة العلوية الي عالم
النار المعنوية بعذاب نار روحانية نشأت من استيلا
صفات القهر الالهية فيكون اشد واد وم ايلاما
من النار الجسمانية لان حرارتها ابعد لنار روحانية
ملكوتية هي شرر من نار غضب الله بعد تنزلها
في مراتب كثيرة كتنزلها في مرتبة النفس بصورة
الغضب وهي غير متناهية وهذا معنى ما يقال
ان نار جهنم غسلت بالماء سبعين مرة ثم انزلت
الي الدنيا ليمكن الانتفاع بها قال لقد سالت
وفي نسخة سالتني عن عظيم اي شيء عظيم واسر
فخيم او عن عمل عظيم ليطابق السابق واللاحق
او عن عمل عسير لقوله وانه ليسير اي هين على
من يسره الله تعالى عليه اي سهله لديه بالتوفيق له
علي اكتساب الاوامر واجتناب الزواجر تعبد
الله استيناف وقع بيانا لذلك الامر الخطير او
العسير الذي مع التوفيق يسير وهو خبر معناه
امر وعدل عن صيغته تنبيها علي ان المامور
كانه متسارع الي امتثال الامر وهو يخبر عنه
اظهارا للرغبة واشعارا لامر هنذا او التقدير
هو ان تعبد الله ثم حذف ان ورجع الفعل الي
رفعه بناء علي اصله كما قرر في محله والمراد بالعبادة

التوحيد

التوحيد لقوله **ولا تشرك به شيئا** للتاكيد او الاعم
منه ليعم امتثال كل مامور واجتناب كل مامور محذور
والضمير في به اما ان يعود الي الله او الي العبادة والثاني
اعلي لانه اذا لم يشرك في العبادة فلان لا يشرك
بالله اولي وفي بعض النسخ لا تشرك بالله شيئا فالجملة
حالية ثم شيئا يحتمل المصدرية والمفعولية اي شيئا
من الشرك جليا جليا وخفيا او شيئا من الاشيا لقوله
تعالي فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه احدا والعبادة هي الغاية القصوي
من ابداع الخلق وارسال رسل الحق كما يشير اليه
قوله تعالي وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ولما كانت العبادة متوقفة علي المعرفة ومنتجة
لها قال ابن عباس اي ليعرفون وفي الحديث القدسي
كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق
لان اعرف وايضا اذا فسر العبادة بالمعرفة اذا استقام
الحصر في الاية فكلما ازداد معرفة ازداد عبودية
ولا ينفك العبد عن العبادة ما دام حيا لقوله
تعالي واعبد ربك حتي ياتيك اليقين اي الموت
باتفاق المفسرين بل في برزخ عليه عبودية اخري
حين ساله الملكان عن ربه ودينه ونبيه وفي القيمة
يوم يكشف عن ساق ويدعون الي السجود واذا

ادخل الجنة كانت عبودية التسبيح والتحميد مترونا
بانفاسه على وجه التابيد قال تعالى دعواهم
فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر
دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقالوا الحمد لله
الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا
الله وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان
ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من
فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب
والحاصل انها ليست بدار تكليف بل دار تشريف
وفي كلام الصوفية ان العبادة حفظ الحدود
والوفا بالعهود وقطع العلايق ودفع العوايق
والفنا عن مطالعة الخلق الى مشاهدة الحق وله
ثلاث مراتب لانه اما ان يعبده رهبة من العقاب
ورغبة في الثواب وهو المسمى بالعبادة وهذه
لمن له علم اليقين او يعبده تشرفا بعبادته
وتلذذا بطاعته وتسمى بالعبودية وهذا لمن
له عين اليقين او تلذذ بعبده لكونه الها وكونه
عبدا والالوهية توجب العبودية وتسمى بالعبودة
وهذا لمن له حق اليقين والشرك رؤية ضر او
نفع او اعطا او منع ممن سواه واثبات وجود
غير الله ذاتا وصفة وفعلا بل الغفلة عن الله و

وخطور ما عداه كما قال العارف ابن الفارض

ولو خطرت لي في سواك ارادة • على خاطري سهوا حكمت بردتي

ونقيم الصلاة اي المكتوبة من باب عطف الخاص

على العام ان عم العبادة تنبيها على انافتها وشرافة

ما بعدها من قوله وتوتي الزكاة وتصوم رمضان

وتحج البيت فعلم ان دخول الجنة بطريق الاولية

يتوقف على تلك الاعمال الجلية وامثالها من الاحوال

المرضية وهذا الحكم يعم كل مومن وان خص معاذ بالخطاب

لان العبرة بعموم الالفاظ لا بخصوص الاسباب

ثم قال اي بعد ذكر الفرايض المذكورة وامثالها

تنبيها على تاديه النوافل الاتية لكمالها الا ادلك

همزة الانكار دخلت على فعل منفي لتفيد تحقيق

الاخبار اي لا ينبغي لي مع اني مرشد مكمل لغيري

ان لا ادلك على ابواب الخير اي الطريق الموصلة

اليه وفيه ان التشويق الى ما سيذكر قبل ذكره

ليكون اوقع في النفس حال حصوله الخير بدار

فيها كل ما تتمناه النفس وتهواه والمراد انواعه

من جنس عبادة مولاه لان الصوم والصدقة و

التهجد شديد على النفس حاية الشدة فمن

اعتادها بينها عليه صنف من العبادة لان الاعمال

اما مالية او بدنية فالصدقة طاعة مالية والصوم

وصلاة الليل عبادة بدنية نهارية وليلية
ولا يبعد ان يكون الاستفهام للاستعلام وانما
لم يتوقف صلى الله عليه وسلم حتى يقول معاذ
بلى كما في السوالين الاثنين تنبيها على انه لا
ينبغي ان ينتظر تصديقه اهتماما واعتبارا
بمضمون تحقيقه وفي رواية ابن ماجه على
ادلك على ابواب الجنة الصوم بيني وهي الصوم
والصدقة والصلاة في الليل واراد به صوم النفل
لتقدم الفرض الا انه وصف بوصف نعمه وعبره
او بعرض بالاولى كاللام بدل على المضاف اليه او
للعهد الخارجي جنة بضم الجيم اي سترة من
سورة الشهوة في الدنيا ووقاية من النار في العقبي
كالترس فمن كان الصوم جنته يسد طرق
الشياطين في قلبه عن جنته وبعد ازالة ظلمتهم
يرى بنور الغيب خزاين لطايف حكم الصفات
فيستتر بانوارها عن جميع المخالفات والافات
والصدقة اي النافلة تطفي الخطية اي تمحوا
اثرها وتذهب امرها اذا كانت صغيرة متعلقة
بحق الله تعالى واما اذا كانت من حقوق العباد
فيدفع تلك الحسنة الى خصمه عوضا عن المظلمة
واستعير الاطفا لمحو الخطية بقرينة قوله

كما يطفي الما ما مصدرية اي اطفا الما النار في
اثارها بايجاد الله فيهما اذ الاشيا لا تعمل لطبعها
فلا الما يروي ولا الخبز يشبع ولا النار تحرق و لا
الما يغرق والحديث مستفاد من قوله تعالى
ان الحسنات يذهبن السيئات الا من القواعد
المقررة ان الامور المكفرة انما هي للصغيرة من
حقوق الله واما الكبيرة فلا بد لها من التوبة
بشروطها واما الحقوق المتعلقة بالعباد فلا
بد من ارضائهم بعد التوبة وصلاة الرجل اي
الكامل في الرجولية ومن في معناه من الاناث
اذا كانت في مقام العبودية قال تعالى وكانت
من القانتين في جوف الليل كذا في اصلنا المقروء
على المشايخ المعتبرة وفي بعض النسخ من جوف
الليل وادعى الكازروني انه الرواية فيكون من ابتدائية
او تبعيضية ومرادفة ظرفية كما في قوله تعالى
اروني ماذا خلقوا من الارض واطلاق الجوف
مجاز والمراد وسطه او اخره او ثلثاه فيشمل
اوله فيعم صلاة الاوابين والمتهجدين وتحصل
وفضل قيامه بصلاة ركعتين لخبر من قام من
الليل قدر حلب شاة كتب في قوام الليل افضل

اجزا به ماورد عنه صلي الله عليه وسلم انه
افضل الصلاة صلاة اخي داود كان ينام نصف
الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وهو الذي
واظب عليه صلي الله عليه وسلم والمعني ان صلاة
الرجل في الليل من ابواب الخير وتدخل الجنة وتباعد
النار وكذلك يطفي الخطيئة قال البيضاوي
وهو الاظهر وقال الطيبي الاولي ان يقدر الخبر
شعار الصالحين كما في جامع الاصول وفيه انه
لا قرينة لهذا المقدر ولا ماسبق فقدير
قبل الاولي ان يقال حذف الخبر منه اشعارا بان
لها فضلا كثيرا واجرا غزيرا لا يكتنه كنهه ولا يمكن
التعبير عنه اي صلاة الرجل في جوف الليل لا تعلم
نفس ما اخفي لها ولهذا استشهد بالاية
في حقها كما قال الراوي ثم تلا اي قرا النبي صلي الله
عليه وسلم تتجافي جنوبهم قال الراوي حتي بلغ
يعملون اختصارا اي تتنحي وتتباعد وفي اسناد
الفعل الي الجنوب نكتة لطيفة لا تخفي اذ الاصل
يقومون عن النوم ويبعدون جنوبهم عن المضاجع
اي المفارش يدعون ربهم اي يعبدونه ويطلبونه
خوفا من سخطه وطمعا في رحمته ومما رزقناهم

ينفقون

ينفقون في سبيل مرضاته فلا تعلم نفس لا ملك مقرب
ولا نبي مرسل ما اخفي لهم من قرة اعين مما تقر
به اعينهم سرورا من الثواب وقرا حمزة اخفي
بصيغة المتكلم وفي الحديث القدسي كما في الصحيحين
اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر علي قلب بشر واقروا ان شيتم
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ثم قيل
هذا كناية عن الصلاة بين المغرب والعشا وقيل
عن صلاة العشا والصبح بجماعة والجمهور علي ان المراد
بها صلاة التهجد وهو الصلاة بعد القيام من النوم
كما يشير اليه قوله تتجافي جنوبهم عن المضاجع ولانه
وقت اخفا العمل المرتب عليه اخفا الاجر كما قال تعالي
جزا بما كانوا يعملون اي جزوا جزا وفاقا وجا في الخبر
ان الله يباهي الملايكة بقوام الليل في الظلام يقول
انظروا الي عبادي قد قاموا في ظلم الليل حيث لا يراهم
احد غيري اشهدكم اني قد ابحتهم دار كرامتي وقدم
الصلاة علي الزكاة والصوم اولا وعكس ثانيا لان
الاول مسبوق لبيان امر الدين فقدم الاهم فالاهم
والثاني لتكميله فالترقي اولي وفيه ايما الي ان ذلك
الذي موجب لهذا الترغيب اعلم ان ترك قيام الليل
مكروه ففي الصحيحين عن ابن مسعود قال ذكر

١

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل نام حتى
اصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في اذنيه او قال
اذنه ثم قال الا اخبرك براس الامر اي الذي سالت
عنه او باصل امر الدين واساسه المحكم المبين وعموده
اي عماده المتين المعين على تحصيل مقام اليقين
وذروة سنامه بكسر الذال وضمها اي اعلاه
قاله المص وهو موافق لما في القاموس وشرح الشاطبية
وكان قياس امثاله من جذوة واسوة وقدوة
ان يجوز فتحها ايضا والسنام بفتح اوله ما ارتفع
من ظهر الجمل قرب عنقه قلت بلى يا رسول الله
قال راس الامر الاسلام وهو الاقرار بكلمتي الشهادة
الذي عليه مدار الاحكام وهو من باب تشبيه باب
المقلوب مبالغة في تحقيق المرام اذ المقصود تشبيه
الاسلام براس الامر ليشعر بانه من ساير الاعمال
بمنزلة الراس من اعضا الجسد في احتياجه اليه
وعدم بقايه دونه او لانه الطرف الاعلى او لانه
رييس الاعضا وفيه ايما الى ان الايمان بمنزلة الروح
والجنان وعموده اي ما يقوم به الدين ويرتفع به
اساس اليقين كعمود الخيمة وهو الخشب الذي
عليه مدار اعتمادها الصلاة وروى البيهقي عن
عمر مرفوعا الصلاة عماد الدين وزاد الفقيه ابو الليث

السمرقندي

196

السمرقندي فمن اقامها فقد اقام الدين ومن هدمها
فقد هدم الدين ولانتظام العبادات ومناهية البلايا
من صلاحه والحاصل ان العبد مالم يتربكلمة الشهادة
لم يكن له شي اصلا من اثار السعادة واذا اقربهما
حصل له اصل الدين الا انه ليس له كمال وقوة في اليقين
كالبيت الذي ليس له العمود المتين فاذا صلي ودوام علي
صلاته قوي دينه في حد ذاته ولكن ليس له رفعة
وكمال رفعة في صلاته فاذا جاهد حصل له الرفعة
في حالاته والعزة في مقاماته وقد روي ابو داود ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اذا تبايعتم بالعينة
واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد
سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتي ترجعوا الي
دينكم وهذا من فروض الكفاية والصلاة من فروض
الاعيان والاسلام اظهار الايمان فما احسن هذا
الترتيب في معرض البيان ثم الجهاد انواع منها الجهاد
مع الكفار ليكون الدين كله لله الواحد القهار
ومنها جهاد النفس بحملها علي اتباع الاحكام و
المواظبة علي شرايع الاسلام ولا شك راجح الاول
علي الثاني بحكم الاغلب الاكثر وورد في الخبر رجعنا
من الجهاد الاصغر الي الجهاد الاكبر ولان النفس اعدي
عدوك التي بين جنبيك وقد قال تعالي يا ايها

السيئات وذروة
سنامه الجهاد لانه به
رفعة العباد وسلامة
البلاد من ملامة الفساد
م

الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم
غلظة ولان العدو الخارجي يتصور قتله وهذا العدو
الداخلي لا يمكن دفعه ولان الجهاد مع الكفار يكون
في بعض الاوقات وهذا دايما في كل الحالات ومن جميع
الجهات ومنها جهاد القلب بتصفيته عن الاوزار
وقطع تعلقه عن الاغيار ومنها جهاد الروح وهو
بافنا الوجود واستغراقه في بحر وجود الواحد القهار
ثم اعلم ان متن الاربعين على ما في النسخ المعتبرة
والشروح المشتهرة وفق ما قررته في ضمن ما
حررته وقد سقط من اصل الفاكهاني ومن تبعه
مع احتمال انه من سهو الكتاب او من صاحب
الكتاب واعتمد عليه ابن حجر واعترض على المصنف
بانه غفلة منه في كلامه وكانه انتقل نظره من
سنامه الى سنامه وقلد فيه الحافظ ابن الصلاح
فانه لما ذكر الاحاديث التي قيل انها اصول الاسلام
ذكر هذا الحديث في جملتها بالاسقاط المذكور لكن
له عذر ان ابن ماجه ذكره كذلك فلا اعتراض عليه
هنالك لانه لم يلتزم رواية شخص بخلاف المصنف فانه
انما ساق لفظ الترمذي كما سيذكره ويقع في بعض
نسخ المتن ذكر ذلك الاسقاط فيحتمل ان المصنف تنبه
له بعد فالحقه ويحتمل انه من جعل بعض تلامذته

بخصوص ههنا

او غيرهم انتهى وما جوزنا الغلط منه او ممن
نقله عنه مع انه انسب والي مقام الادب اقرب
واي مانع من ان يكون للترمذي روايتان احدهما
موافقة لرواية ابن ماجة مع ان قوله سقط منه ما لا
يتم الكلام بدونه ومع ذلك لم ينتبه له اكثر الشراح ممنوع
لما تقدم من رواية المتون والشروح ولما اقربنفسه
ان رواية ابن ماجة هكذا افلا لعلي انه يتم المرام بدون
ذلك الكلام وهو انه عليه السلام اراد براس الامر
وعموده وسنامه كلها الجهاد ولذا قال بعض الشراح
الجهاد بالقتال لا يساويه شيء من الاعمال ولعله اراد
بها المفروض الكفاية والا فقد ورد انه يوزن مداد
العلماء ودم الشهداء يوم القيمة فيرجح مداد العلماء
على دم الشهداء ومن المعلوم ان اعلى ما في الشهيد
دمه وادنى ما في العالم مداده ولهذا قال الشافعي
طلب العلم افضل من صلاة النافلة مع ان الصلاة
افضل العبادات عنده وروي مرفوعا ما جميع
اعمال البر في الجهاد الا كنقطة في بحر وما جميع اعمال
البر والجهاد في طلب العلم الا كنقطة في بحر وقال ابن
هبيرة في كتابه اجماع الايمة الاربعة اختلفوا في
افضل الاعمال بعد الصلاة فقال الشافعي الصلاة
افضل الاعمال البدنية وقال احمد لا اعلم بعد

الفرايض افضل من الجهاد واما مالك وابو حنيفة
فمذهبهما انه لا شيء بعد فروض الاعيان من اعمال البر
افضل من العلم ثم الجهاد **ثم قال** اي النبي عليه السلام
بعد تكميله جوامع الارشاد وتمهيده قواعد الاعتقاد
فذلك في ضمن كلام جامع تتميما للمراد **الا اخبرك بملاك**
ذلك كله وهو ما به احكام الشيء وقوامه الذي يملك
به ويعتمد عليه في امره واهل اللغة يكسرون الميم ويفتحونها
لكن الرواية بكسرها والاشارة الي ما ذكروا كده بقوله
كله لئلا يظن خلافه المشمول والمعني بما تقوم تلك
العبادات باسرها وقال المظهر ملاك الشيء بكسر الميم
اي مقصوده وخالفه ابن حجر وقال بفتح الميم وكسرها
اعتمادا علي اللغة والدراية لا استنادا بما ثبت في الرواية
قلت بلي يا رسول الله فاخذ اي النبي عليه السلام
بلسانه لقلة مقاصده وكثرة مفاسده ولذا اورد
من ضمن مجاوالبا لتضمين معني التعلق او زايدة
لتاكيد التعدية والمعني امسك لسانك نفسه .
وقيل لسان معاذ **وقال** وفي نسخة فقال وفي اخري
ثم قال وفي بعضها بدون العاطف لكن الرواية علي الاول
كف عليك هذا بضم الكاف وتشديد الفاء المفتوحة
علي انه امر ويجوز ضمها وكسرها بحسب اللغة
ووضع علي موضع عن لانها تاتي بمعني المجاوزة كقول

القايل

198

القايل اذا رضيت علي بنوا قرنيش اي امنع عنك افة
هذا اللسان او ضمن كن معني احبس اي احبس عليك
لسانك والزم شانك عفي الحكمة لسانك اسدك ان
اطلقته افترسك وان امسكته حرسك وكان الصديق
رضي الله عنه يمسك لسانه ويقول هذا الذي اوردني
الموارد ويقول يا ليتني كنت اخرس الا عن ذكر الله و
قيل المعني امنع لسانك عن الشر فلا تتكلم الا بالخير
فان من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر
ذنوبه ومن غلب غلطه او لا يتكلم بما يهجس في نفسه
ويخطر بباله من الوساوس النفسانية والهواجس
الشيطانية فانه غير ماخوذ به مالم يظهر لما روي
ان الله عفي لها وعن امتي ما وسوست به صدورها
مالم تعمل او يتكلم او لا تفوه بما ستره الله عليك فان
التوبة عنه ارجي قبولا والعفو عنه اقرب وقوعا
وفي عدم الاكتفا بالقول واخذ اللسان باليد والاشارة
اليه بهذا دون اسمه تنبيه علي ان امر اللسان صعب
وفي صحف ابراهيم عليه السلام ينبغي للعاقل ان يكون
مقبلا علي شانه حافظا للسانه عارفا باهل زمانه
وافات اللسان كثيرة ممن اراد الاستيفا فعليه بكتاب
الاحيا قلت يا نبي الله وانا اي انعزم علي قولك
لمواخذون بالهمز ويبدل اي معاقبون ومعاتبون

لقطه كهنوم

الشاله

بما نتكلم به اي بجميع ما نتكلم به اذ يبعد ان يكون الراوي
لم يعلم تحقق المواخذة بالكذب والغيبة والبهتان
والنميمة وساير العصيان المتعلقة باللسان والاستفهام
المقدر للاستيناف والتعجب والاستغراب فقال
ثكلتك امك بكسر الكاف الاولى وفي نسخة زيادة
يا معاذ واصل الثكل فقد المراة ولدها كانه دعا
عليه بالموت لسوء ظنه في قوله والموت يعم كل احد
له الفنا فاذا الدعا به كلا دعا او اراد انك اذا كنت
هكذا فالموت خير لك لئلا تزداد سوا في عملك في طول
اجلك والاظهر ان ظاهره الدعا بالموت لكنه غير مراد بل
هذا انما جرت به عادة العرب او للتحريض على التيقظ
في مقام الادب او الاستعظام لما يبكي من المرام بحسب
مقتضى المقام والمعنى فقدتك امك لفقداد راك
المواخذة بذلك مع ظهورها هنالك وهل يكب
الناس بفتح اليا وضم الكاف على ما قاله المصنف والاستفهام
للانكار اي ما يلقي اكثرهم في النار والواو لمجرد الربط
بين الجملتين او للعطف على مقدر اي هل تظن
غير ما قلت وهل يكب الناس فيها على وجوههم
وفيه تجريد اذ الكب لا يكون الا عليه او دفع لارادة
المجاز والمراد الكب على تمامه لا على بعضه كما يستفاد
من قوله او على مناخرهم شك من الراوي وهو

في موضع التعجب

جم

جمع المنخر بفتح الميم وكسر الخاو فتحها ثقبة الانف و
المراد هنا نفس الانف مجازا ولعلهما خصا بالذكر لانهما
اول الاعضا سقوطا **الا حصايد السنتهم** جمع حصيدة
فعيلة بمعنى مفعولة من حصد اذا قطع الزرع
وهذا من قبيل اضافة اسم المفعول الى فاعله اي
محصودات الالسنة والاستثنا مفرغ فانه في الاستفهام
معنى النفي والتقدير لا يكب الناس في النار شي من
الاشيا الا حصايد السنتهم وهي ما يلتقطه من الكلام
القبيح وهو الكفر والكذب والشتم واللعن والقذف
والغيبة والنميمة والبهتان ونحوها وهذا الحكم بطريق
الحصر وارد على الاغلب الاكثر لانك اذا استقريت
لم تجد احدا حفظ لسانه عما يوجب دخوله النار
الا النادر من الابرار شبه اللسان وما يقطع به
من القول بحصد المنجل وما يقطع به من النبات
وهو من بلاغة النبوة التي لا مدخل لاحد من البلغا
حيث شبه اطلاق المتكلم لسانه بما يقتضي الطبع
شانه سوا انه او شانه من غير تمييز بين قبيح القول
وحسنه بفعل الحاصد الذي لا يميز في الحاصد بين شوك
وزرع بل يتناول الكل بمنجله ولذا قال صلى الله عليه
وسلم كفى بالمرء اثما وفي رواية كذبا ان يحدث بكل ما
سمع ثم نسبة الكب الى الحصايد مجازية سببية ولعمرك

ان هذه الخاتمة فاتحة السعادة الكبري كما انه
منها لنسيم الكرامة العظمى لانك اذا نظرت
الى الشريعة لكف اللسان نعم العون علي حفظ
الجنان ففي الحديث المرفوع المتفق عليه ان
العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما لا يلقي لها
بالا يرفعه الله بها درجات وان العبد ليتكلم بالكلمة
من سخط الله ما لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار
ابعد ما بين المشرق والمغرب وفي شعب الايمان
مرفوعا مقام الرجل بالصمت اي ساعة افضل
من عبادة ستين سنة واذا نظرت الى الطريقة
فهو الركن المشار اليه والقطب المدار عليه لانه
اذا سكت اللسان نطق القلب وحصل المسامرة
مع الرب ويمطر عليه سحايب الرحمة بقطرات
النور ويمتلي من الحبور والحبور واذا نظرت الى
الحقيقة فهو انتهاء مراتب السالكين وغاية مقاصد
العارفين ولذا ورد من عرف الله كل لسانه اي عن
ذكر غير الله وهو في مقام المراقبة وكل لسانه عن
الدعوي وهو في مقام الهيبة وكل لسانه عن نشر
حاله وبيان مقامه وهو منزلة صولة المحبة و
عن وصف الله وثنايه وهو مقام الحيرة في المعرفة كما
قال صلي الله عليه وسلم في اقصي الدنو والقربة

لما راي الحق بالحق وفني عن الصفات في الذات
ووجد معني من معاني الفنا لا احصي ثنا عليك
لان ثناوه يصدر عن الحد ونفيه وثنا الخليقة لا
يليق بكمال الالوهية ثم قطع لسان الثنا بعجزا من
التنزيه للاحد بجزا في جلال الابد واضاف
ثناوه تعالي اليه لانه لا يعرف الله الا هو
سبحانه فقال كما اثنيت علي نفسك وقد انشد
الشافعي رضي الله عنه في معني الحديث

احفظ لسانك ايها الانسان
لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه
كانت تهاب لقاءه الشجعان

رواه الترمذي اي في جامعه وقال حديث
حسن صحيح بحذف المبتدا وهو هذا وقد رواه البيهقي
في شعب الايمان باختلاف يسير وعنه الا ادلك علي
راس الامر وعموده وذروة سنامه اما راس الامر
فالاسلام من اسلم سلم واما عموده الصلاة واما
ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله (الثلاثون) عن
ابي ثعلبة الخشني بضم الخا وفتح الشين وبالنون
منسوب الي خشينة قبيلة معروفة جرثوم بن
ناشر بضم الجيم والثا المثلثة واسكان الرا بينهما وفي اسمه
وفي اسم ابيه اختلاف كثير ذكرها المصنف قبل بلوغ الخلاف
اربعين قولا وخشينة بطن من قضاعة رضي الله

انتم

عنه كان ممن بايعه الرضوان تحت الشجرة وضرب
له صلي الله عليه وسلم بسهمه يوم خيبر وارسله
اي قومه فاسلموا نزل الشام ومات سنة خمس
وسبعين ومرويانه اربعون حديثا عن رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال ان الله وفي نسخة
صحيحة زيد تعالي اي تعظم شانه وترفع برهانه
فرض فرايض اوجب احكاما مقدرة مقطوعة
كالايمان والاسلام واركانه الاربعة فلا تضيعوها
بتشديد التحتية المكسورة ويجوز تخفيفها
مع كسر ما قبلها اي لاتتركوها ولا تقصروا
في ادايها ولا تهاونوا بها وقوموا بها ولا
تؤخروها عن اوقاتها والفرض لغة القطع
والتقدير واصطلاحا هو ما يمدح فاعله شرعا
ويذم تاركه قصدا مطلقا ويرادفه الواجب
وهذا عند الشافعي واما عند ابي حنيفة فالفرض
ما ثبت بدليل قطعي والواجب بدليل ظني
قال ابن حجر قد يستنبط منه الدلالة لمذهبنا
ان الفرض والواجب مترادفان فالدلالة للنهي عن
التضييع لايختص بالفرض عنده وهو ما ثبت
بدليل ظني فتفريع فلا تضيعوها علي ما
قبله ظاهر في شموله للقسمين قلت وهو

كذلك

بلغ مقابلة

كذلك عندنا فان الواجب فرض عملا لا اعتقادا
لان الاعتقاد يحتاج الي دليل قطعي يصلح للاعتماد
هذا وعند العارفين هو معرفة الحق التي هي
المقصود من وجود الخلق كما اشار اليه سبحانه
بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
قال ابن عباس اي ليعرفون والمعرفة غالبا
لا تحصل الا بالمجاهدة وهي تزكية النفس عن
ظلمة اخلاقها من الشمايل وتخليتها عن اوصاف
الرذايل وتحليتها بانوار الفضايل كالتوبة و
التقوي والزهد في الدنيا ودوام الطاعة
والاستقامة وساير اخلاق الكرامة والارتقا
من حال الي حال والتصاعد من مقام الي كمال
حتي تتجلي شموس صفات انوار الجلال وتنجلي
طوالع اسرار الجمال ويتولي سلطان الحقيقة
علي ممالك الخليقة وينطوي بايدي سطوات
الجود سرادقات الوجود فما بقي الارض ولا السما
ولا الظلمة ولا الضيا وتلاشي العبد في رتبة
العبدية ونودي بفنا الفنا من عالم البقا فعند
القبلة الحسية وما بقي الا الله فاينما تولوا
فثم وجه الله **وحد** بفتح الحا وتشديد الدال
اي بين وعين **حدود** اي احكاما واوامر

ونواهي وزواجر ولا ينافي شمولها لما قبلها وما بعدها
لان الحكم على الوجه الاعم هو الاتم فيكون تعميما بعد
التخصيص وتخصيصا بعد التعميم مبالغة
في قصد التتميم فلا تعتدوها لا تتجاوزوها
بل قفوا عندها فان قيل كيف جلد عمر في الخمر ثمانين
وانما جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو
بكر رضي الله عنه فيه اربعين قلنا قد قال علي
كرم الله وجهه ان ذلك كله سنة ولعل وجه قوله
عليه السلام اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر
وعمر ولان الناس اكثروا من الشرب زمن عمر
فزاد في جلده تنكيلا وزجرا فيكون سياسة
سنة وقد امرنا بالاقتداء به رضي الله عنه وهذا
لا ينافي قول علي رضي الله عنه لا يموت احد في
حد فاجد في نفسي منه شي الا شارب الخمر فانه لو مات
وديته وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يسنه فانه محمول على ما اذا مات بسبب زيادة
الضرب على الاربعين فانه مورث للشبهة من
حيث ان مرتبة هذه السنة المرضية دون
تلك السنة السنية فهي بمنزلة القطعي والاخرى
في مرتبة الظني هذا ما ظهر لي في مقام هذا المقام
والله اعلم بحقيقة المرام فاندفع قول شارح فيه

اشكال

اشكال قوي لان هذا ان كان سنة فكيف قال العلي اذا
مات ودبته لانه عليه السلام لم ببسنه ولم يكن سنة
فكيف قال وكل سنة انتهي وقد عرفت مجمل الفرق
بين سنة وسنة فان من السنن مايكون بدعة
ويجعل سنة كما قال عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح
نعمت البدعة فلا يكون في مرتبة السنة الثابتة
عن صاحب النبوة وقال في النهاية هي الحدود
محارم الله التي حرمها بالذنوب والاثام لانها تفصل
بين الحلال والحرام فمنه مالا يقرب منه كالفواحش
قال تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها ومنه
مالا يتعدى كالمواريث وتزوج الاربع قال تعالى
تلك حدود الله فلا تعتدوها وخلاصة الكلام في
مقام المرام ان حدود الله ما منع من مخالفتها بعد
ان قدرها بمقادير مخصوصة وصفات مضبوطة
كتعيين الركعات والاوقات وما وجب اخراجها
في الزكاة واتيانها في الحج من عرفات وساير المقامات
وحدود العقوبات ولما كان العامل بها متصرف
في حيز الحق واذا تعداه وقع في حيز الباطل فالمنهي
هو التعدي قال فلا تعتدوها اي فلا تتعدها وتجاوزها
بتركها او لا تجاوزوا ما حد لكم بمخالفة الامور
وموافقة المحظور الا ان الحدود ان لا يقرب

الحد الذي هو الحاجز بين الحق والباطل لئلا يقع
فيه ولذا قال تعالى فلا تقربوها وسياق الحديث
يقتضي تخصيصها بحد الزنا والشرب والسرقة
وامثالها من الاحكام لئلا يقع نوع تكرار في الكلام
ومنه ما روي حد يقام في الارض خير من
مطر اربعين صباحا وخبر الطبراني والبزار
اي احد يجيركم اتقوا النار اتقوا الحدود هذا
وفي كلام بعض الصوفية الكرام ان العبد يتقلب
في جميع الاوقات على الحدود اذ لكل عمل حد
ولكل وقت حد ولكل حال ومقام حد ممن تخطاها
ولو بشيء قليل فقد ضل سواء السبيل وحرم اشيا
كالميتة والدم ولحم الخنزير ونحوها فلا تنتهكوها
اي لا تتناولوها ولا تقربوها وفي الصحاح انتهاك
الحرمة تناولها بما لا يحل وهي عند الطايفة العليا
متابعة الشيطان والهوى والاقبال على الدنيا
والاعراض عن العقبى والغفلة عن المولى اذ يجب
ان ينقلع المحب عن كل مطلوب وينقطع عما سواه
الحق عن كل محبوب ولذا قال من بالحق مصحوب
بحق الهوى يا اهل ودي تفهموا لسان وجود في الوجود عجيب
حرام على قلب تعرض للهوى يكون لغير الله فيه نصيب
وسكت عن اشيا اي لم يحكم فيها بوجوب او حل

203

او حرمة ونحوها **رحمة لكم** مفعول له غير نسيان

اي حال كون السكوت عنها غير نسيان لاحكامها

لا يضل ربي ولا ينسى **فلا تبحثوا عنها** اي لا

تفحصوا عن احوالها ولا تفتشوا عن احكامها

بل احكموا بالبراءة الاصلية والحل في المنافع والحرمة

في المضار في الامور الدينية ثم النهي يحتمل اختصاصا ~~صح~~

بزمانه عليه السلام لقوله ~~عليه السلام~~ تعالى لا تسألوا

عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين

ينزل القرآن تبد لكم الاية وذلك ان السؤال قد

يكون سببا لنزول شدة الحال بايجاب او تحريم

في المال ولذا قال صلى الله عليه وسلم لمن سأله

ايجب الحج في العمر مرة او في كل سنة لو قلت نعم

لوجبت ولما استطعتم والحديث ان اعظم المسلمين

في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم

لاجل مسألته فقد دل على ان ثم اشياء باقية

على اصل الاباحة وقد يعرض لها التحريم بالوساطة

وقال بعضهم دل على ان ثم اشياء لم يذكر احكامها ولا

احكام لها ولذا توقف بعض العلماء في حكم الاشياء ويحتمل

ابقاؤه على عمومه لان كثرة البحث والسؤال عما لم

يذكر في الواجبات فقد توهم اعتقاد ايجابه او تحريمه

وقد صح هلك المتنطعون قالها ثلاثا والمتنطع م

ولا في الحرمات تم

بالتعمق م

ابا حث عن مالا يعنيه ومن ثم قال ابن مسعود
اياكم والتنطع اياكم والتعمق وعليكم بما كان
عليه الصحابة رضي الله عنهم وفيه دليل على انه
لا حكم قبل ورود الشرع قيل وهو الاصح وقيل الاصل
الحظر وينسب الى ابي حنيفة والشافعي واكثر
المتكلمين وقيل الاباحة وهو الاظهر لقوله تعالى
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقد خص منه
ما فيه المضرة شرعا وقد حكى بعضهم الاجماع على
ذلك ثم اعلم ان الله تعالى تجلى لعامة عباده
بافعاله والايه المنبثة في ارضه وسمايه وللخواص
اصفيايه العظمى ولاعظم انبيايه بذاته وحقايق
صفاته الحسنى وخصه بذلك دون غيره من قرنايه
رحمة لهم غير سبحانه لعالمهم اذ مقام عظيم عند
عظمته الاكل زل وفي جنب عزته ذل وقل ولا استفهام
كبير دون كبريايه الا هام وحام كما في الحديث القدسي
والكلام الانسي لن يراني حي الا مات ولا يابس الا تدهده
ولا رطب الا تفرق وانما يراني اهل الجنة الذين لا تموت
اعينهم ولا تبلى اعيانهم فلذا قال فلا تبحثوا عنها
اي لا تتفكروا فيها فان الباب الى وصول معرفة كنه
الذات مردود والطريق الى معرفة كنه الصفات
مسدود وقال تعالى ولا يحيطون به علما ليس

صفاته م

حصول م

كمثله شي وهو السميع البصير ففيه الجمع بين بعصوم
التشبيه والتنزيه وقال العارفين ما خطر ببالك
فالله ما ولا ذلك د في الحديث تفكروا في الا الله
ولا تتفكروا في ذات الله شعر
العجز عن درك الادراك ادراك والبحث عن سر ذات
الرب اشراك حديث حسن وصححه ابن الصلاح حبان
وحسنه ايضا الحافظ ابو بكر بن السمعان
في اماليه رواه الدارقطني وغيره كالبزار
واسناده صالح والحاكم وصححه ولفظها عن ابي
الدردا ما احل الله في كتابه فهو حلال وما حرم
فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من
الله عافيته فان الله لم يكن ينسى شيا ثم تلي هذه
الاية وما كان ربك نسيا ومن زعم وقفه علي
ابي ثعلبة فقد ابعد ولذا قال الدارقطني الاشبه
بالصواب المرفوع وهو الاشهر وكابي نعيم ولفظه
عن ابي الدردا يرفعه ما احل الله في كتابه فهو
حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه عافيه
فاقبلوا من الله عافيته وفي رواية انه قال اتركوني
ما تركتكم فاذا حدثتكم فخذوا عني فانما هلك الذين
من قبلكم بكثرة مسايلهم واختلافهم علي انبيايهم
وان الله سبحانه لما ارسل رسوله وانزل عليه

كنا به وامر بتبليغه الي الامة قال صلي الله عليه
وسلم ان الله تبارك وتعالي امركم باشيا فامتثلوها
ونهاكم عن اشيا فاجتنبوها وسكت لكم عن اشيا
رحمة لكم منه فلا تسالوا عنها وذلك كله للرفق بالخلق
ولذا قال قوم لا يجوز سوال العلما في نازلة الابعد
وقوعها وتمسك الظاهرية بهذ الحديث للاقتصار
علي النصوص الظاهرة ورد القياس باسوا عنها
الا الجلي لان القياس وهو الحاق المسكوت عنه بالمنطوق
بحكمة في حكم البحث عنه وقد نهينا عن البحث
عما سكت عنه فيكون مردودا عملا بقوله عليه
السلام كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد ورد عليهم
بان هذ الاستدلال ظني ودليله العمل بالقياس
قطعي قال الامام حجة الاسلام السكوت عما تكلم فيه
السلف جنا والكلام فيما سكتوا عنه عنا الحادي
والثلاثون عن ابي العباس سهل بن سعد
الساعدي اي الانصاري كما في نسخة كان اسمه
حزنا فسماه النبي صلي الله عليه وسلم سهلا هو
اخر صحابي مات بالمدينة سنة احدي وتسعين
وهو ابن مائة سنة وقد احصن سبعين امراة
روي له مائة حديث وثمانون حديثا رضي الله
عنه كان الاولي ان يقال رضي الله عنهما كما في نسخة

لكن

بلغ مقابلة

لان

205

لانه باه صحابي ايضا قال جاء رجل الى النبي صلي
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل
اي ارشدني الى عمل جامع للفضايل ومانع عن
الرذايل اذا عملته احبني الله بارادة الرحمة
والمثوبة واحبني الناس بارادة المنفعة والشفقة
والجملة الشرطية صفة عمل والرواية في احبني بفتح
التحتية ويجوز اسكانها فقال ازهد في الدنيا
اعرض عنها ولا تبال باقبالها وادبارها ولا تتصرف
فيها الا بما يعنيك ويعينك على التعظيم لامر الله
والشفقة على خلق الله ومن اشعار الامام الشافعي
ايا نفس يكفيك طول الحياة • اذا ما قنعت ورب الفلق
رغيف بعود يجي يابس • وماء روي ولبس خلق
وخفش كلبك جد رانه • تماد العنا وماذا القلق
والدنيا عبارة عن الاعيان الثابتة وهي ارض وما
عليها من المواليد الثلاثة وهي الجمادات والنباتات
والحيوانات مالانسان فيها حظ ولذة مالية او
جاهلية وله في صلاحها شغل لحظة او لحظ غيره
فيدرك فيه الحرف والصناعات والزهد عبارة عن عزوف
النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لاجل الاخرة خوفا
من النار او طمعا في الجنة او ترفعا عن الالتفات
الى ما سوى الحق ولا يكون ذلك الا بعد شرح الصدر

بنور اليقين ولا يتصوف ذلك ممن ليس له مال ولا جاه و
ثمرته القناعة من الدنيا بقدر الضرورة من زاد طريق
اليقين وهو مطعم يدفع الجوع وملبس يستر العورة
ومسكن يصونه عن الحر والبرد واثاث يحتاج علي ما
ذكره الامام حجة الاسلام وفي المنازل ما حاصله
من المرام الزهد اسقاط الرغبة في الشي عنه بالكلية
وهو علي ثلاثة مراتب الزهد في الشبهة بالحذر
عن معتبة الحق عليه ثم الزهد فيما زاد علي بلاغ المعاد
من القوت باغتنام التفرغ الي عمارة الوقت بالاشتغال
بالمراقبة ثم الزهد في الزهد باستحقار ما زهدت
فيه بالنسبة الي عظمة الرب واستوا الزهد وعدمه
عنده والذهاب عند اكتساب اجر تركها ناظرا
بعين الحقيقة الي وحدانية الفاعل الحق مبتنيا هذ
تكرف الله في العطا والمنع والاخذ والترك انتهي وعن
الامام احمد بن حنبل انه قال الزهد علي ثلاثة اوجه
ترك الحرام وهو زهد العوام وترك فضول الحلال وهو
زهد الخواص وترك كل ما هو شاغل عن الله وهو زهد
العارفين وتوضيحه ان الزهد هو الاعراض عن الشي
لاستصغاره وارتفاع الهمة عنه لاستحقاره ماخوذ
من قولهم شي زهيد اي قليل وفي خبر انك لزهيد
وفي اخر افضل الناس مومن مزهد اي قليل المال

تصرف

وهو

وهو باعتبار الحكم انواع احدها الزهد في الحرام وهو
الزهد الواجب على عامة الانام والثاني الزهد في
الشبهة والاشبه وجوبه لانه وسيلة الى ابتدا الوقوع
في الحرام وقد قال عليه السلام من وقع في الشبهات
وقع في الحرام واجتناب الحرام واجب ووسيلة الواجب
واجبة فالزهد في الشبهات ايضا واجب والثالث
الزهد فيما عدا الضرورة من المباحات وهو المراد
من هذا الحديث ظاهرا وهو زهد الخواص العارفين
بالله تعالى الرابع الزهد فيما سوى الله عز وجل من
دنيا وعقبى فلا قصد لصاحب هذا الزهد الا القرب
من المولى وهو زهد المقربين هذا وقد قال تعالى
قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى فلا تغرنكم
الحياة الدنيا وقد روي عن بعض السلف انه لو كانت
الدنيا لولوة تفنى والاخرة خزفة تبقى لكان للعاقل ينبغي
ان يوثر ما يبقى على ما يفنى فكيف والامر بالعكس
لان الخسيس هو الفاني والنفيس هو الباقي كما
لنا ان لا نغفل ما يراد بنا وفي حديث رواه الترمذي
وابن ماجه مرفوعا الزهادة في الدنيا ليست
بتحريم الحلال ولا باضاعة المال لكن الزهادة في الدنيا
ان لا تكون في يديك اوثق مما في يد الله وان تكون

في ثواب المصيبة اذا انت اصبت بها ارغب فيها
لو انها بقيت لك ورواه احمد موقوفا علي ابي مسلم
الخولاني بزيادة وان يكون ما دحك وذامك في الحق
سوا وقال الفضيل اصل الزهد الرضا عن الله يعني
وهو موجب للرضا بالقضا والاعراض عن دار الفنا
والاقبال علي دار البقا واللقا وعن علي كرم الله وجهه
من زهد في الدنيا هانت عليه المصايب وقيل لـ
دنيا كل انسان بحسب حاله حتي ان الكلام الفقيه
بين طلبته وكلام الشيخ بين تلامذته دنيا الشبه
اليهما الا اذا قصد ابه وجه الله تعالي ولذا قيل
اخر ما يخرج من راس الصديقين محبة الجاه اي
الجاه الاخروي وقيل الزهد في الرياسة اشد منه
في الذهب والفضة وقال سفيان الثوري الزهد
في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا بلبس
العبا ومن دعايه اللهم زهدنا في الدنيا ووسع
علينا منها ولا تزهدها عنا فترغبنا فيها وفي حديث
مرسل عن الضحاك رواه ابن ابي الدنيا قيل يا رسول
الله من ازهد الناس فقال من لم ينس القبر والبلي
وترك زينة الدنيا واثر ما يبقي علي ما يفني ولم يعد
غدا من ايامه وعد نفسه من الموتي وقال ابو

عثمان

عثمان الزهد في الدنيا ان تتركها ولا تبالي من
اخذها وقال الجنيد سمعت السري يقول ان الله
سلب الدنيا عن اوليائه وحماها عن اصفيائه واخرجها
من قلوب احبابه لانه لم يرضها الا لاعدائه يعني
لقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاية
وقيل الزهد مستفاد من قوله تعالى لكيلا تأسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم فالزاهد لا يفرح من
الدنيا بموجود ولا يتأسف عليها في مفقود و
التحقيق ان المحب للدنيا ذمه الله تعالى انما هو
الذي يلهيه الاغترار من الباقية ويشغله حياته
العاجلة عن السعي للدار الآجلة بخلاف من كانت
الدنيا معينة على سلوك طريق العقبى وسبيل
محبة المولى وقد جمع ابو سليمان الداراني انواع الزهد
كلها في كلمة فقال هو ترك ما شغلك عن الله ثم اعلم
ان الذم الوارد في الكتاب والسنة للدنيا ليس
راجعا لزمانها وهو الليل والنهار لان الله تعالى
جعلهما خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ولا
لمكانها وهو الارض لان الله تعالى جعلها لنا مهادا
ولا لما اودعه الله فيها لانه كله من نعمه سبحانه
قال تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وانما
هو راجع الى الاشتغال بما فيها عما خلقنا لاجله

الغافلة عن الاعراض ...

من عباده تعالى كما قال وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون وصح عن ابن عمر لا يصيب احد من
الدنيا شيا الا نقص من درجاته عند الله تعالى
وان كان عليه كريما ويؤيده حديث ربها سبة في
الدنيا عارية في العقبى وروى الترمذي ان الله
اذا احب عبدا حماه الدنيا كما يظل احدكم يحمي
سقيمه الما ورواه الحاكم ولفظه ان الله ليحمي عبده الدنيا
وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب
تخافون عليه وروى مسلم الدنيا سجن المومن
وجنة الكافر بالنسبة الى ما اعد الله لهما من النعيم
المقيم والعذاب الاليم ومقتضى التشبيه ان المومن
يكرهها والكافر يحبها فمن احبها فليس بمومن
كامل لعدم زهده فيها بل نقل المحاسبي انهم كانوا
يزهدون في الحياة فيها وهذا لا يصح الا لموفق قد
لاح له معالم الاخرة لما اشتاق الى لقا مولاه وغلب
شيطانه وهواه فعزفت نفسه عن الدنيا وتقمص
بلباس التقوى فمثل هذا تكون الدنيا له سجنا ومقاسا
فيها هما وحزنا لكن المومن صابر على حكم الله وراض
بما قدره وقضاه الى منتهى اجله في هذا الباب وقد
قال تعالى لكل اجل كتاب واختلف هل طلب الموت
افضل اشتياقا الى اللقا او ارا البقا طلب

الحياة

قال في القاموس عزفت نفسي عنه تعزف عزوفا زهدت وانصرفت عنه بالعين المهملة قبل الزاي او بمعنى ملته
٥١

208

الحياة لزيادة الطاعة والعبادة والدعا والثنا والامتثال
التسليم في مقام الرضا كما ورد في الدعا اللهم احيني ما
كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا
لي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت
راحة لي من كل شر وقد قال تعالى ليبلوكم ايكم احسن
عملا قال بعض السلف اي من هو ازهد في الدنيا وارغب
في العقبى وقال بعضهم اكثر ذكرا للموت والبلى وعن
ابن مسعود قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو مضطجع وقد اثر الحصير في ظهره فقلت لو تمت
يا رسول الله على ما هو الين من هذا فقال ما لي وللدنيا
انما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح
وتركها وعن عمر انه دخل يوما على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو على حصير قد اثر في جنبه فبكى
عمر فقال ما يبكيك يا عمر فقال ذكرت كسرى وقيصر
عدوي الله في الخز والعز وانت رسول الله وخيرته
من خلقه على هذا فقال افي شك انت يا عمر
اما ترضى ان يكون لهم الدنيا ولنا الاخرة وفي خبر احمد
والنسائي حبب الي من دنياكم النسا والطيب والطعام
فاصاب من النسا والطيب ولم يصب من الطعام و
روى الحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال نعمت
الدنيا لمن تزود منها لاخرته حتى يرضى ربه وبيست

الدنيا لمن صدرت به عن اخرته وقصرت به عن
رضى ربه وفي حديث حارثة عزفت نفسي عن
الدنيا فاستوى عندي حجرها ومدرها وقال
الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا
احاسب بها في الاخرة لكنت اتقذرها كما يتقذر الجيفة وقد ورد
مرفوعا ان الله لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا
وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروى البزار عن ابي
الدرداء قال مر النبي عليه السلام بدمنة قوم
فيها سخلة ميتة قال ما لاهلها فيها حاجة قالوا
يا نبي الله لو كان لاهلها فيها حاجة ما نبذوها
قال فوالله للدنيا اهون على الله من هذه السخلة
على اهلها وقد ورد ان الدنيا مزبلة فلا يدخل احدكم
قلبه في المزبلة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال له ذات يوم يا ابا هريرة الا اريك
الدنيا جميعا قال بلى يا رسول الله قال فاخذ بيدي
واتى واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها روس
الناس وعظام الدواب وعذرات وخروق فقال
لهم ترون هذه الروس كانت تحرص حرصكم و
تامل املكم ثم قد عادت عظاما بلا لحم ثم هي بينة فانية
رمادا او رفاتا وهذه عظام دوابهم التي كانوا
ينتجعون عليها الافاق وهذه الخروق رياشهم

ولباسهم

209

ولباسهم وهذه العذرات الوان اطعمتهم تقذفوها
في البطون فعادت يتحاماها الناس فمن كان
باكيا فليبك على هذه مخابر حتى اشتد
بكاونا وقد روي ان ابا بكر كان يكثر في خطبته
مالمرء والتكبر يبخل احدكم الخلا كرتين ويغسل
الخرء مرتين امايرى ماخرج من انفه وحلقه
وما يجمع من امعايه اما يعرف المرء قدره
قال حتى كان يقذر الينا انفسنا وقد روي
في حديث معاذ ان المرء اذا قعد في خلوة بعث اليه
ملك يعكس برقبته حتى يرى ما يخرج من
معقدته ليكون له نظر عبرته الى عاقبة لذته
وقد قال بعض السلف انظروا الى الناس في
اعيادهم هل يرون فيها الا خرقة تبلى وجسدا
ياكله التراب في دار البلوى والحاصل ان كمال الزهد
هو ان تنفر نفس السالك عن الدنيا وما فيها
من اللذات والشهوات كما تعاف النفس السالمة
عن الالحاح مشاهدة القاذورات ومقابلة
النجاسات وجاء في الحديث الحسن الدنيا
ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه
وعالما ومتعلم وفي رواية الا ما ابتغي به وجه الله
وفي خبر الحاكم ما الدنيا في الاخرة الا كما اذا ادخل

احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع منه فهو الدنيا
بحيك الله مجزوم على انه جواب الامر ومرفوع
على الاستيناف كذا ذكره شارح والظاهر الاول وكذا
الرواية على ما صرح به الكازروني وفيه اشارة الى
ان الزهد من المقامات العلية والحالات البهية
لانه جعل سببا لمحبته تعالى ومفهومه ان محبة الدنيا
سبب لبغضه سبحانه فانه يحب من اطاعه ومحبة
الدنيا ومحبة المولى لا يجتمعان لقوله عليه السلام
كما رواه احمد وابن حبان من احب اخرته اضر
بدنياه ومن احب دنياه اضر باخرته فاثروا
ما يبقى على ما يفنى وشبههما ايضا بالضرتين
وبالكفتين ولان حب الدنيا راس كل خطيئة
وبغضها راس كل عبادة ولان القلب بيت الرب
وهو اغنى الشركاء لان له العظمة والكبرياء والمراد
بذم الدنيا محبتها المانعة من سلوك طريق المولى
ولهذا قال عليه السلام نعم المال الصالح للرجل
الصالح يصل به رحما ويصنع به محمودا ولذا شبه
العارف الرومي مال الدنيا بماء البحر ولعل ماخذه
قوله سبحانه انما الحياة الدنيا كماء والسالك كالسفينة
فان دخل الماء فيها اغرقها وان كان ماحولها
ارساها واجراها وجاء في اثر اذا كان يوم القيامة

جمع

جمع الله الذهب والفضة كالجبلين العظيمين
ثم يقول هذا مالنا عاد الينا سعد به قوم وشقي
به اخرون وازهد فيما عند الناس من المال والجاه
يحبك الناس لان من نازع انسانا في محبوبه
كرهه وقلاه ومن لم يعارضه فيه احبه واصطفاه و
من كلام الشافعي
ومن يا من الدنيا فاني طعمتها وسيق الي عذبها وعذابها
فما هي الا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها
وقال بعضهم تركت الدنيا لقلة غنايها وكثرة عنايها
وسرعة فنايها وخسة شركايها واخرج الطبراني
وغيره خبرا ازهد فيما في ايدي الناس تكن غنيا
يعني بما في خزاين الرب وقال الحسن لا يزال الرجل
كريما على الناس ما لم يعطما في ايديهم واذا اعطى
ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وبغضوه
وكان عمر رضي الله عنه يقول في خطبته ان الطمع
فقر وان اليأس غنى وسال بن سلام كعبا بحضرة
عمر رضي الله عنهم ما يذهب بالعلم من قلوب
العلما بعد ان حفظوه وعقلوه قال يذهبه
الطمع وشره النفس وتطلب الجاه الى الناس
وقال اعرابي لاهل البصرة من سيدكم قال

فلم ارها الا غرورا وباطلا
كما لاح في ظهر الفلاة سرابها

الحسن قال بم سادكم قالوا احتاج الناس الى علمه
واستغنى هو عن دنياهم فقال ما احسن هذا وقال
ابو ايوب السجستاني لا ينبل الرجل حتى يعف عما
في ايدى الناس ويتجاوز عما يكون منهم والمهى ه
المهى لا يتعلق بحبهم ولا ببغضهم كما قال قايله
وما الزهد الا في انقطاع العلايق وما الخلق الا في وجود الحقايق
وما الحب الا حب من كان قلبه عن الخلق مشغولا برب الخلايق
ثم المحبة الالهية هي ارادة المثوبة فهي صفة ذاتية
او نفس الاثابة فهي صفة فعلية وقد يكون محبة
العبد له سبحانه لما ابداهم واولاهم من نعمه واحسانه
واليه الاشارة في قوله عليه السلام احبوا الله لما
يغذوكم به من نعمة واليه الايما في قوله تعالى فليعبدوا
رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من
خوف ثم الاحسان في الحقيقة الا الله لانه خالق
المحسنين واحسانهم فهو الحقيق بالمحبة دون
من سواه وقد ورد جبلت القلوب على حب من
احسن اليها ومن محبته محبة من احبه من
نبي وملك وولي ونحوه فقد ورد في الدعا اسالك
حبك وحب من يحبك وحب من يقربني الى حبك
ومن محبته محبة طاعته والاجتناب معصيته
ولقد احسن من قال من ارباب الحال

نعم ثم

نوحي

تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا اسنا لي القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

ولذا قال سهل التستري المحبة معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وقال ابو علي الروذباري المحبة الموافقة وقال سمنون المحب ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والاخرة لانه عليه السلام قال المرء مع من احب فهم مع الله تعالى ابدا وقال بعض العارفين مساكين اهل الدنيا خرجوا منها وما نالوا طيب ما فيها قيل وما اطيب ما فيها قال محبة الله والانس به والشوق الى لقائه والتنعم بذكره وطاعته وشكره وقال احمد الجريري اوقات اوقات اقول فيها ان كان اهل الجنة في مثلها انهم لفي عيش طيب وقال سمنون المحب

وكان فؤادي خاليا قبل حبكم وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هواك اجابه فلست اراه عن فنائك يبرح
بليت ببعد منك ان كنت كاذبا وان كنت في الدنيا بغيرك افرح
وان كان شي في البلاد باسرها اذا غبت عن عيني لعيني يملح
فان شئت واصلني وان شئت لا تصل فلست ارى قلبي لغيرك يصلح

وله ايضا

وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرني

وقال الاستاذ ابو القاسم القشيري في رسالته

ماحاصله ان المحبة منه للعبد ارادته لانعام
مخصوص عليه كما ان رحمته ارادته مطلق الانعام
فالمحبة اخص من الرحمة وهي اخص من الارادة فارادته
تعالي وان كانت صفة واحدة الا انها تتفاوت
بحسب تفاوت متعلقاتها فعند تعلقها بالعقوبة
تسمى غضبا وبعموم النعمة رحمة وبخصوصها
محبة ومن العبد لله تعالي حالة يجدها في قلبه تضعف
عنه العبارة وتلطف عنه الاشارة وقد تحمله
تلك الحالة علي تعظيمه وايثار رضاه وقلة الصبر عنه
مع الاستيناس بدوام ذكره له بقلبه وليست
ميلا ولا اختلاطا كيف وحقيقة الصمدية
مقدسة عن اللحوق والاحاطة والمحب بوصف
الاستهلاك في المحبوب اولى منه بوصف الاختلاط
ليس لها وصف ولا حد اوضح ولا اقرب للفهم من لفظ
المحبة انتهي ولما نقل القرطبي هذا وذكر معه عن
بعض ارباب القلوب في محبة العبد لله سبحانه
حيث فسرها بانها الميل الدايم بالقلب الهايم
قال فهولا قد صرحوا بان محبة العبد لله ميل
وتوقان وحال يجدها في نفسه من نوع ما يجده
في محبوباته المعتادة وهو صحيح لان النفوس
مجبولة علي الميل الى احسن الجمال والكمال فبقدر

ما ينكشف من ذلك يكون الميل والتعلق هنالك
حتى ربما يفضي الى استيلاء ذلك المعنى عليه بحيث
لا يصبر عنه ولا يشتغل بغيره وذلك الحسن اما
حسي كالصورة الجميلة الانسانية المشتهاة لنيل
اللذة وهذا قطعي الاستحالة في اللذات
الجسمانية واما معنوي كمن اتصف بالعلم و
الحلم والكرم وحسن الخلق فهذا مجبول اليه النفوس
الفاضلة والقلوب الكاملة ميلا عظيما فترتاح لذكره
وتهتز لسماع احواله وتتشوق لمشاهدته وتلتذ
بمطالعة ملاحظته لذة روحانية لا جسمانية
كما نجد عند ذكر الانبياء والاولياء والعلماء والشهداء
والاسخياء من الميل والرقة الانسية وان لم نعرف
صورهم الحسية وهذا كلام لا يرده منصف ولا
ينكره الا متعسف فيتضاعف ذلك الميل بوصول
بر واحسان من المتصف بذلك الجمال المعنوي
الى ان يستغرق فيه جملة باله ويذهل عن جميع
اشغاله واحواله فاذا كان هذا في حق من جماله
وكماله مشوب بنقصه وزواله فمن لا يعرض
لكماله زوال مع انعامه الذي لا يحصى اولى بذلك
الميل واحق بذلك الحب وليس ذلك الا لله تعالى
وحده ثم خصه بالكمال المطلق والجمال المحقق

الجسمانية م

على سايرمن خلق وهو محمد صلى الله عليه وسلم ممن
تحقق بذلك كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما
فتاهب للقايهما واتصف بما يرضيهما واجتنب ما
يسخطهما فاقبل عليهما واعرض عما سواهما الا باذنهما
انتهى وقد قيل من سمي باسم الزهد فقد سمي بالف
اسم محمود وح هذا ما للزاهد من راحة القلب والقالب
في الدنيا والاخرة لحائزها وهم الملوك على الحقيقة كما قال
قايلهم ارى الزهاد في روح وراحة قلوبهم عن الدنيا مزاحة
اذا ابصرتهم ابصرت قوما ملوك الارض سيمتهم سماحة
وهم العقلا لا يثارهم البقا على الفنا وكم بين من شغله
الله وبين من شغله هواه تتشاغل قوم بدنياهم
وقوم تخلوا بمولاهم والزمهم باب مرضاته وعن
ساير الناس اغناهم حديث حسن رواه ابن
ماجه وهو ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني
صاحب السنن وماجه امه ولد سنة تسع
وثمانين ومات سنة ثلاث وسبعين ومايتين
وغيره كالعقيلي وابن عدي وابن ابي حاتم والخطيب
باسانيد حسنة اي لغيرها لا لذاتها لان
في سندها من طعن فيه جماعة من المحدثين
كاحمد وابن معين وابو زرعة وابي حاتم وابن
عدي الا ان ابن حبان ذكره في الثقات فالحسن
لتعدد

لتعدد طرقه في الروايات ففي الجامع الصغير
رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه
والبيهقي في شعبه كلهم عن سهل بن سعد هذا وفي
رواية مرسلة ان رجلا قال يا رسول الله دلني على
عمل يحبني الله عليه ويحبني الناس عليه فقال
اما العمل الذي يحبك الله عليه فالزهد في الدنيا
واما العمل الذي يحبك الناس عليه فانظر الى هذا
الحطام فاطرحه اليهم واخرجه ابن ابي الدنيا
ايضا ونقل غير واحد من الشراح عن الاربعين
الودعانية زاد بعض محققيهم قوله الموضوعة
خبر ارغب فيما عند الله يحبك الله وازهد فيما
في ايدي الناس يحبك الناس ان الراغب في الدنيا
يتعب قلبه وبدنه في الدنيا والاخرة ليجيئن اقوام
يوم القيامة بحسنات كامثال الجبال فيؤمر بهم
الى النار فقيل يا نبي الله اوهم مصلون قال كانوا
يصلون ويصومون وياخذون وهنا من الليل للاجم
لكنهم كانوا اذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه انتهى
ولا يخفى انه صحيح المعنى وان كان ضعيف المبنى
ونقل بعضهم خبر ايها الناس اتقوا الله حق
تقاته واسعوا في مرضاته وايقنوا من الدنيا
بالفنا ومن الاخرة بالبقا واعملوا لما بعد الموت

فانكم بالدنيا ولم تكن وبالاخرة ولم تزل ان من في
الدنيا ضعيف وما فيه عارية وان الضعيف مرتحل
والعارية مردودة والدنيا عرض حاضر ياكل منها
البر والفاجر والدنيا مبغضة لاولياء الله تعالي محببة
لاهلها فمن شاركهم في محبوبهم بغضوه وروي
احمد والترمذي وابن ماجه من كانت الاخرة همه
جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا
وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه شتت الله
شمله وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من
الدنيا الا ما قدر له وفي الدعا الوارد اللهم لا تجعل
الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا وروي الترمذي
لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة
ما سقي كافرا منها شربة ما واختلف العلما في ان
طلبها لفعل الخير افضل او تركها من اصلها اكمل
والثاني اشهر واظهر لقول عيسي عليه السلام
يا طالب الدنيا لتبر   تركك للدنيا ابر
ويويده قوله تعالي في ذم من يريد الدنيا لتحصيل
البر في الغيبي منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد
الاخرة قال ابن مسعود ما كنت اظن ان احدا
من الصحابة يحب الدنيا حتي نزلت هذه الاية
ولما قرايت هذه الاية عند الشبلي قال اهوا بن من

ترك

يريد الله وقد اجبت عنه بلسان العبارة وببيان
الاشارة في الجمالين حاشية الجلالين ثم اعلم ان مدار
الزهد على عزوف النفس عن الدنيا وشهواتها وهذا
امر يتعلق بالقلب ولا يطلع عليه غير الرب ولذا قال
ابو سليمان لا نشهد لاحد بالزهد لانه في القلب
وقيل لبعض السلف من معه مال هل هو زاهد فقال
نعم ان لم يفرح بزيادته ولم يحزن بنقصه والاظهر
ان الزهد يتصور ممن ليس له مال ولا جاه لان الزهد
حال وارد من توفيق الرب حال في القلب بمنعه
عن طلب دنياه ومتابعة هواه سرا وجد في حال
الفقد او عرض بعد الوجد نعم من علامته الزهد
سبق القدرة على وجود الدنيا ولذا لما قيل لابن
المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ
جاءته الدنيا راغمة فتركها واما انا ففيما زهدت
انتهى ولا يخفى ان هذا احتمل ان يكون منه تواضعا
وانصافا في المقابل ويراد به كتمان السر واخفا
الحال او يشير الى ان الوجود شرط الكمال كما حصل
لابراهيم بن ادهم ترك الجاه والمال ثم الوجود اما
حقيقي واما عرضي وتقديري بحيث انه لو عرض
عليه الجاه والمال ما مال عن الحال بالانتقال الى مقام
النقص والزوال واما ما نقله بن حجر عن كثير

من السلف من ان عمر بن عبد العزيز كان ازهد
من اويس فلعله محمول على ما قررناه والا فعمر
ابن عبد العزيز احتار الجاه الذي هو وسيلة الى
المال ولذا هجره بعد توليته كثير من العلما والصلحا
وارباب الكمال واويس قد بالغ في قلة المال وخمول
الحال حيث اختار رعي الجمال في طريق الحج وكان عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه كل سنة ينشد عنه ولم
يات الخبر سنة الا انه دل عليه انه في نواحي عرفات
فركب هو وعلي رضي الله عنهما فراياه يصلي والجمال
ترعى ثم اجتمعا معه وتبركا به وطلبا منه الدعا
بالمغفرة وعرض عليه عمر النفقة والكسوة فاباهما
ثم اختفى عن الناس خوفا من الشهرة والاستيناس
فهو في قرنه لاشك انه ازهد الزاهدين ولذا
ورد في حقه انه خير التابعين هذا وقد قيل
ان عيسى عليه السلام كان ازهد الانبيا وانه
يجوز ان يكون خصلة في المفضول لا يوجد مثلها
في الفاضل وفيه بحث لان نبينا صلى الله عليه
وسلم عرضت عليه الدنيا جذا فيرها فلم يلتفت
اليها وما زاغ بصره وما طغى لديها ففي كتاب
الشفا وغيره ان جبريل عليه السلام قال له
ان الله يقول لك اتحب ان اجعل لك هذه الجبال

ذهبا

215

ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة
ثم قال يا جبريل ما لي وللدنيا الدنيا دار من لا
دار له ومال من لا مال له وقد يجمعها من لا عقل له فقال
له جبريل ثبتك الله بالقول الثابت وفي رواية
اخرى اريد ان اجوع يوما فاصبر واشبع يوما
فاشكر وذلك لانه كان مظهرا للكمال الجامع بين مظا عبي
الكمال والجمال معتدلا في الاحوال متوسطا من الخوف
والرجا كما يقتضيه مقام الرضا بالقضا وعيسى
عليه السلام كان الغالب عليه الخوف ولذا كان يمتنع
عن كثير من متمتعات الحلال وايضا كان مبعوثا
الى جمع محصور من باب الجاه والمال فاظهر كمال
الزهد فيهم ليتبعه وابه ولذا اظهرت الرهبانية
فيهم لكنهم ابتدعوها وما رعوها حق رعايتها واما
نبينا صلى الله عليه وسلم فكان مبعوثا لعامة
الخلق وهو الرحمة للعالمين وقد امر الحق له ان يقول
للخلق قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
فاختار طريقا جامعا ومسلكا واسعا يسع الخلق
كلهم ان يتبعوه صغيرهم وكبيرهم وضعيفهم
وقويهم وغنيهم وفقيرهم وملوكهم وصعلوكهم
فتارة كان ياكل خبز الشعير اليابس والتمر
الردي واخرى ياكل الرطب الجني والعيش الطري

وتارة يلبس الثوب الفاخر واخري يلبس الكسا
الخلق الطاهر وتارة يرقد علي السرير وفرايش
الثياب وتارة يضطجع علي الحصير او التراب وتارة
يلبس القلنسوة مع العمامة واخري يكتفي بالقلنسوة
وتارة يجعل لها عذبة واخري بغير علامة و
تارة يركب الخيل والابل واخري يركب الحمار وربما
يردف وتارة يمشي منفردا واخري مع جماعة
وتارة يصوم حتي يظن انه لا يفطر واخري
يفطر حتي يظن انه لا يصوم وكذا في صلاة
الليل تارة يصلي حتي يظن انه لا يرقد واخري
ينام حتي يظن انه لا يصلي ومع هذا ما احيا
الليل كله ورمان قدعن صلاة التهجد فادا ها في
النهار وسا ذلك كله الا تسهيل الملة وتصونا لمتابعة
جميع الامة وتارة يعطي عطا الملوك استغناء عن
الحق واخري يقترض من يهودي اظهارا للافتقا ر
وتواضعا مع الخلق كل ذلك ليكون شريعته سهلة
وطريقته سمحة لا عوج فيها ولا حرج ولذا قال
عليه السلام ليذكرن الله اقوام في الدنيا علي الفرش
الممهدة يدخلهم الدرجات العلي وفيه دليل
علي ان الملوك والامرا ومن يجري مجراهم من الاغنيا
لا يمنعهم حشمتهم وتنعمهم عن ذكر الله تعالي

216

وهم في ذلك ماجورون في الدنيا شبعهم في الاخرى
ونحو ذلك مما فيه بيان الطريقة الاولى والاحرى
مع ان شرط صحة التنعم استعمال المباحات دون
المحرمات والشبهات كما قال تعالى قل من حرم
زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق
اي المستلذات من الحلالات فهذا كله يدل على ان
الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر ومن خالفه
فهو المكابر وان كان من الاكابر والله سبحانه اعلم
بالظواهر والسرائر وانما اطنبنا الكلام في هذا
المقام لان الزهد في الدنيا امرهم من انواع المرام
ويحتاج اليه الخاص والعام في تفاصيله من الاحكام
ولنختم بالدعا الوارد عن سيد الانام وهو اللهم
فكما رزقتني ما احب فاجعله قوة لي فيما تحب وما
زويت عني ما احب فاجعله فراغا فيما تحب رواه
الترمذي الثاني والثلاثون عن ابي سعيد سعد
ابن مالك بن سنان بكسر اوله الخدري بضم
المعجمة وسكون الدال المهملة نسبة الى بني
خدرة قبيلة من الانصار رضي الله عنه
ينبغي ان يقال كما في نسخة صحيحة لان اباه صحابي
ايضا من شهد احدا وابو سعيد هذا من
نجباء الانصار وكبرائهم ومن حفاظ الصحابة

وعلمائهم روي له الف ومائة وسبعون حديثا وقد
روي عنه جماعة من الصحابة والتابعين توفي بالمدينة
سنة اربع وسبعين ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا ضرر بفتحتين ولا ضرار بالبناء على الفتح
فيهما رواية ويجوز خمسة اوجه رواية زيد في بعض
النسخ في الاسلام قال المصنف لا ضرر بفتح الضاد المعجمة
ولا ضرار بكسر الضاد المعجمة انتهى فهما مصدران من
ضره وضاره بمعنى وهو خلاف النفع على ما في الصحاح
وقال صاحب النهاية الضرر والضر ضد النفع اي لا يضر
الرجل اخاه فينتقص شيئا من حقه والضرار فعال منه اي
لا يجازيه على اضراره بادخال الضرر عليه فالضرر فعل
الواحد والضرار الاثنين او الضرر ابتداء الفعل والضرار
الجزاء عليه وقيل الضرر ما تضر به صاحبك وتنتفع به
والضرار ان تضره من غير ان تنتفع به يعني فالمغالبة
للمبالغة وقيل هما بمعنى والتكرير للتاكيد انتهى كلام
النهاية وقيل الضرر ان يضر من لم يضره والضرار ان يضر
من يضره اي ليس من ديننا ان نبتدي احدا بضرر
وذلك يشمل ضر نفسه وضر غيره وقيل الضرر الحاق
مفسدة بالغير مطلقا والضرار الحاق مفسدة به
على جهة المقابلة ان يقصد كل منهما ضرر صاحبه ويروى
في هذا الحديث ولا اضرار بزيادة همزة في اوله وهو

مصدر

مصدرا ضربوا ضرارا او الحق به ضررا فهو بمعنى
الضرر قال ابن الصلاح وهذه الرواية على ألسنة
كثير من الفقهاء والمحدثين ولا صحة لها لكن انتصر
لها بعضهم بأنها جاءت في بعض روايات ابن ماجه
والدارقطني وفي بعض نسخ الموطأ وقيل المعنى
لا لحوق ضرر شرعا إلا لموجب خاص أما التقييد
بالشرع فلأن الضرر بحكم القدر الإلهي لا ينتفي
وأما استثناء لحوق الضرر لموجب خاص فلأن الحدود
والعقوبات ضرر لاحق بأهلها وهو مشروع بالإجماع
انتهى وخبر لا محذوف أي في ديننا وشريعتنا و
الأظهر أن هذا نفي معناه نهي كقوله تعالى لا ريب
والمعنى لا تضروا أنفسكم ولا غيركم ولا تضاروا
الناس بما فعلوا معكم إلا بإذن الشرع لكم من غير
تعد عن الحد منكم كما قال تعالى فإن عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء سيئة سيئة مثلها
وظاهر الحديث تحريم سائر أنواع الضرر إلا لدليل
لأن النكرة في سياق النفي تعم وإنما انتفى الضرر
فيما عدا ما استثني لقوله تعالى يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر يريد الله أن يخفف عنكم
وما جعل عليكم في الدين من حرج وقوله عليه

بعثت بالحنيفية السمحا السهلة ونحو ذلك من
النصوص المصرحة بان وضع هذه الملة على تحصيل
النفع والمصلحة وصح ان دماكم واموالكم واعراضكم حرام
عليكم بعضكم على بعض وصح ايضا حرم الله من المومن
دمه وماله وعرضه وان لا يظن به الا خيرا وكل ما جا
في تحريم الظلم من الكتاب والسنة دليل على تحريم المضرة
وقد جا فيما النهي عن المضارة وغيره ان العبد ليعمل
بطاعة الله ستين سنة ثم يحضره الوصية فيضار
في الوصية فيدخل النار ثم تلى من بعد وصية يوصي
بها او دين غير مضار الى قوله ومن يعص الله ورسوله
ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها ومنها
ان في الرجعة قال تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا
ومنها في العدة قوله تعالى ولا تضاروهن لتضيقوا
عليهن ومنها في الرضاع قال تعالى لا تضار والدة
بولدها ولا مولود له بولده واما قوله عليه
السلام في الخبر الصحيح لا يمنع احدكم جاره ان يضع
خشبة في جداره فالظاهر انه من باب مكارم
الاخلاق بمعنى لا ينبغي ان يمنع لانه يجوز له
كرها ان يضع كما قاله جماعة منهم الشافعي رحمه
الله في القديم ورجع عنه في الجديد حيث قال
ليس ذلك لحديث لا ضرر ولا ضرار مع حديث لا يحل

في صور خاصة منها
في الوصية فقد اخرج
الترمذي م

مال

مال امري مسلم الا عن طيب نفس وقد يعد ابن
حجر في تجويز رجع الضمير المجار في جداره يعني
جدار نفسه كان مثل هذا الاحتمال لا يخطر
ببال اهل الكمال والحاصل ان مذهب ابي حنيفة
والكوفيين عدم الوجوب وقال احمد وابو ثور واصحاب
الحديث بالايجاب لظاهر الحديث والله اعلم بالصواب
واما المسايل ونحوه مخصوص من عموم هذا الحديث
ولما اراد دفع ضرره لا قصد ضرره وزبدة المرام في
هذا المقام انه ينبغي لسالك طريق الحنفاء ان يعاشر
الخلايق ويسلك في مصاحبتهم احسن الطرايق
واذا اعتدي عليه احد لا يكافيه وان استطاع سبي
فلا يقابله ولا يساويه بل يتشبث باذيال الكظم
والاغماض ويعتصم بحبل الله في العفو والاعراض
حتى يستعبد القلوب باحسانه ويستميل النفوس
الى استنانه ويكتسب المحبة في الله المحمودة في الشرايع
التي هي من افضل القرب والذرايع الباعثة للاجتماع
في الجوامع لاستنزال الرحمة الالهية والبركات لنشوء بح
ولذا نقل في عوارف المعارف ان ارتفاع الاصوات
في بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات
يحل ما عقدته الافلاك الدايرة حديث حسن
رواه ابن ماجه ابي عن ابن عباس وعن عبادة كذا في

الجامع الصغير وفي اطلاق الحصر ايهام انه
رواه عن ابي سعيد ولعله وجد رواية عنه ايضا
قيل وفي اسنادهما ضعف وانقطاع والدارقطني
اي من طريق ضعيفة عن ابن عباس واخرج
كذلك عن عائشة واخرج عن ابي هريرة لكن مع
شك فيها وغيرهما كالحاكم في المستدرك وقال
صحيح على شرط مسلم والبيهقي من حديث
ابي سعيد والطبراني مرسلا وابن عبد
البر من طريق كثير بن عبد الله وكثير هذا صحح
حديثه الترمذي ويقول البخاري في بعض
احاديثه هو اصح حديث في الباب وحسن حديثه
الحزامي وقال خير من مراسيل ابن المسيب وكذا
حسنه ابن ابي عاصم مسندا هو ما اتصل
اسناده سواء كان مرفوعا او موقوفا ورواه
مالك اي ابن انس الاصبحي صاحب المذهب
ولد سنة ثلاث وتسعين وحمل به في البطن
ثلاث سنين ومات بالمدينة سنة تسع و
سبعين ومائة وله اربع وثمانون او وتسعون
سنة في الموطا بضم ففتح فتشديد بدونه مهملة
مفتوحة فهمزة والكتاب مشهور عن عمرو
ابن يحيى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

مرسلا

مرسلا وهو ان يقول تابعي قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كذا و فعل كذا وهو اصطلاح المحدثين
او عدل غير صحابي وهو اختيار الاصوليين فقيل
يحتج به مطلقا وهو مذهبنا وعليه الجمهور كما ذكره
الامام ابن الهمام وقيل يرد مطلقا وقال الشافعي
يقبل ان اسنده غيره او يرسله اخر وعلم ان
شيوخهما مختلفة وان يعضده قول صحابي او يعلم
انه لا يرسله الا يرويه عن عدل وقيل ان كان الراوي
من ائمة الحديث قبل والا فلا وهذا هو المختار على
ما ذكره بعضهم فا سقط اي مالك او يحيى ابا
سعيد قال ابن عبد البر لم يختلف عن مالك
في ارساله ولا يسند من وجه صحيح يعني عنه
مطلقا والحاصل وله طرق ان للحديث او الحديث
مالك اسانيد كثيرة ضعيفة بعضها بعض
وفي اخرى يتقوى بعضها بعضا من التقوية
قال ابن الصلاح اسنده الدارقطني من وجوه
متصلا وقال حديث حسن وقال مرة اسنده
من وجوه ومجموعها يقويه ويحسنه وقد نقله
جماهير اهل العلم واحتجوا به فقد قال ابو داود
الفقه يدور على خمسة احاديث وعد هذا
منها فهو عنده غير ضعيف انتهى وممن اسند

يتقوى بفتح اليا والواو
وفي نسخة يتقوى صح

به احمد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ضرر
ولا ضرار بل اسنده السيوطي في جامعه الصغير
الى مسند احمد عن ابن عباس مرفوعا والحاصل
ان طرق هذا الحديث كثيرة وقد قيل في بعضها
انه صحيح فلا اقل من ان يكون حسنا لغيره فيجوز
الاحتجاج به حيث انضم بعضها الى بعض
فان الكثرة تفيد القوة حتى قال الشافعي على
ما نقله ابن حجر في تخليتين نجستين اذا ضمت
احداهما الى الاخرى صارتا طاهرتين وهو فرع
غريب من اصل عجيب وهذا وفي بعض طرقه
المسندة من طريق عمرو بن يحيى بعض الفوائد
الزائدة ولفظه لا ضرر ولا ضرار من ضار ضاره الله
به ومن شاق شاق الله عليه وفي رواية انه
صلى الله عليه وسلم لعن من ضار مسلما او ما
كره وفي اخرى عن ابي بكر رضي الله عنه ملعون
من ضار مومنا او مكر به قال ابن عبد البر وسنده
وان ضعف لكنه يجاف عقوبة من جاوزه
فانه موافق للقواعد انتهى والمراد بالقواعد
القواعد الشرعية او الاصول بطرا المتقدمة
واما تضعيف ابن حزم لحديث الكتاب وقوله
فيه انه واه محمول على سنده وفق ما عنده

مع قطع النظر عن سائر طرقه والا لزم مخالفته
لاية لحديث الثالث والثلاثون عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لو يعطى الناس بصيغة المجهول
والمفعول الثاني محذوف بقرينة الجزا اي سؤال
الناس ودماهم بدعواهم اي بمجرد دعائهم من
غير تصديق المدعى عليه او بينة المدعي لادعى
رجال اي ناس كما في رواية واورد بصيغة الجمع لفظا
ومعنى لعلا ما باقدام غير واحد منهم على الخصومة
والتنكير لقصد الاشاعة اموال قوم ودماءهم
فيفضي الى الهرج والمرج ويقتضي في الدين
نوعا عظيما من الحرج واخرت الدما في هذه
الاية الرواية للترقي الى الكمال ولان خصومة
الاموال اكثر فيما بين الرجال ولان الغرض غالب
من خصومات الدما حصول المال لا سيما اذا كان
المدعون فقرا في الاحوال ثم لفظة لو للدلالة على
ان انتفا الثاني في الخارج بسبب انتفا الاول وقد يستعمل
للدلالة على ان الجزا لازم الوجود في جميع الازمنة
اذا كان الشرط مما يستبعد استلزامه للجزا ويكون
نقيضه انسب بالاستلزام نحو حديث نعم
العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهذا

عند اهل العربية واما عند المنطقية فلو للدلالة
على ان العلم بانتفا الثاني علة العلم بانتفا الاول من
غير التفات الى ان علة انتفايه في الخارج ما هي
نحو لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا والقوم وان
خص بالرجال لغة كما يدل عليه قوله سبحانه لا يسخر
قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نسا من
نسا عسى ان يكن خيرا منهن الا ان المراد ههنا
الجماعة من الرجال والنسا كما قال تعالى كذبت قوم
نوح المرسلين اما بالاطلاق الشرعي واما بالتغليب
العرفي او اقتصر في الحديث عليهم لانهم قوامون
على النسا وقايمون لهن ايضا في دعواهم لكن
البينة الرواية بتخفيف لكن لكن يجوز تشديدها
وهي فعيلة من البيان وهي ما ثبت به الدعوى
باعتبار افادته للبيان وتسمى حجة باعتبار انه
يغلب به على الخصم فان قيل لكن معناها الاستدراك
وهي انما يكون بين نفي واثبات نحو ما قام زيد
لكن عمرو قام وزيد قام لكن عمرو لم يقم وليست
لكن ههنا كذلك اذ بعدها اثبات ولا نفي
هنالك اجيب بانها كذلك في المعنى اذ معنى
قوله لو يعطى الناس بدعواهم لا يعطى
الناس بدعواهم المجردة لكن بالبينة وهي

على

بلغ مقابلة

221

على المدعى وهو المكلف الملتزم للاحكام الذي يذكر
امرا يخالف الظاهر والمدعى على عكسه ولذا جعل
البينة على المدعى لانها اقوى من اليمين التي جعلت على المنكر
لينجبر ضعف جنب المدعى بقوة حجته وضعف
حجة المنكر بقوة جنبته وهذا معنى قوله واليمين
على من انكر اى ان لم يكن للمدعى بينة وتفصيل
عدد البينة في كل قضية محله كتب الفقهية
ادعى الشافعية جوازها بالشاهد الواحد
واليمين وانكره الحنفية وقد قال ابن المنذر اجمع
اهل العلم على ان البينة على المدعى واليمين على
المدعى عليه وقد قال بعض العلماء ان المراد بفصل
الخطاب في قوله تعالى واتيناه الحكمة وفصل
الخطاب هو البينة على المدعى واليمين على من
انكر وقال المص في شرح مسلم هذا الحديث
قاعدة شريفة من قواعد الدين ودلالة
على مذهب الشافعى حيث قال اليمين متوجه
على المدعى عليه سواء كان بينه وبين المدعى
عليه بينة معرفة ومداينة ام لا خلافا لمالك
واصحابه والفقهاء السبعة انتهى وكان حقه
ان يقول على مذهب الجمهور فان الشافعى
احد يقول من قبله في هذه القاعدة

هذا م

الا انه اخترع هذه الفايدة ثم خالفه شيخه
وتبع غيره ثم حجة المالكية وفقها المدينة النبوية
ان درء المفسدة ورعاية المصلحة التي هي
من القواعد الدينية يقتضي ان يشترط
المخالطة فيما بينهما لئلا يبتذل السفها اكابر
الفقها مرارا في اليوم الواحد من دعوى
الاشيا ما يحلفونهم علي قصد اهانتهم وابتذال
حرمتهم لعداوة كامنة فيما بينهم او ليبذلوا
لهم شيا ليتخلصوا به منهم قالوا وبه قضي
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ثم الفقها
السبعة وسعيد بن المسيب وعروة بن
الزبير والقاسم بن محمد وعبد الله بن عبد الله
ابن عتبة بن مسعود وخارجة ابن زيد وسليمان
ابن يسار وابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن
هشام ثم اعلم انه وقع اجماع العلما علي استحلاف
المدعي عليه في الاموال واختلفوا في غير ذلك
فذهب الشافعي واحمد وابو ثور الي وجوبها
علي كل مدعي عليه في حد او طلاق او نكاح او عتق
اخذا بظاهر عموم هذا الحديث فان نكل حلف
المدعي وثبت دعواه وقال ابو حنيفة واصحابه
يحلف علي الطلاق والنكاح والعتق وان نكل لزمه
ذلك

ذلك وقال الثوري والشعبي وابو حنيفة لا يستحلف
في الحد وهو السرقة وبه قال مالك كذا ذكره بعض
الشراح وقال بعض العارفين وفي الحديث اشارة
الى ان كل دعي لا بد ان يكون لها معنى وكل حال
ومقام لا يقبل الا باتباع الشرع الاسنى فمن اراد
ان يسلك بقدم العقل القاصر والفهم الفاتر
بساط سرادقات العرفان او يرتقي من حضيض
النقصان الى ذروة الايقان بدون اتباع الرسول
فهو مريد شيطان مريد مخذول حديث
حسن وكلام احمد وابي عبيدة ظاهر في انه
صحيح عندهما وكان المص تنزل وقال انه اقل
مراتبه حسن لاحتمال انه صحيح لغيره عندهما
او حسن باعتبار سند رواه البيهقي الظاهر
بسنده في شعبه وهو الامام ابو بكر احمد بن
الحسين صاحب التصانيف الجليلة ولد سنة
ومات
اربع وثلاثين وثلاثمائة بنيسابور سنة ثمان
وخمسين واربعمائة وغيره اي وغير البيهقي
هكذا اي بهذا اللفظ المذكور على المنهج المسطور
وبعضه في الصحيحين اي بعض هذا الحديث
الصادق باكثره في الصحيحين البخاري ومسلم
وكذا في مسند احمد وسنن ابن ماجة بلفظ

لو يعطي الناس بدعواهم لادعي ناس دما رجال
واموالهم ولكن اليمين علي المدعي عليه وفي رواية
للشيخين قال ابن ابي مليكة كتب ابن عباس ان
النبي صلي الله عليه وسلم قضي ان اليمين
علي المدعي عليه وقول الاصيلي لا يصح مرفوعا
مردود بتصريحهما بالرفع فيه من ابن جريج
وقد رفعه ايضا ابو داود والترمذي قال المصم
واذا صح رفعه بشهادة البخاري ومسلم وغيرهما
لم يضره من وقفه ولا يكون ذلك تعارضا ولا اضطرابا
لان الراوي قد يعرض له ما يوجب السكوت
عن الرفع من خوف نسيان او اكتفا بعلم السامع في
معرض البيان مع ان زيادة الثقة مقبولة
فالمرفوع مقدم علي الموقوف في حكم المرفوع و
كان الاظهر ان يذكر المصم رواية الشيخين في الاصل
اولا ثم يقول وزيادة البيهقي وغيره بسند ه
حسن او لفظهم لكن البينة علي المدعي واليمين
علي من انكر فقد روا اخرجه الاسماعيلي في صحيحه
بلفظ لو يعطي الناس بدعواهم لادعي رجال
دما قوم واموالهم ولكن البينة علي الطالب
واليمين علي المطلوب الرابع والثلاثون عن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت

علي ان مثل هذا الموقوف في حكم م

الحديث

رسول

223

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى
منكم منكرا يحتمل انه من روية العين ثم يقاس عليه
ما لم يره لان المقصود دفع مفسدة المنكر ولا فرق
بين ابصره او علمه ولم يره ويحتمل انه من روية
القلب اي من علم منكرا فهو اعم مما ابصره او علمه
وهو اشبه في المنقل وان كان لفظ راى ظاهرا في
البصر والمنكر ما انكره الشرع وكرهه ولم يرض به
والمراد به الحرام والمكروه وفي معناهما ترك الفرض
والسنة المؤكدة والخطاب للامة عامة دون
الصحابة خاصة لقوله كنتم خير امة اخرجت
للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ومن
تبعيضية اشارة الي فرضية الكفاية كما قال تعالى
ولتكن منكم امة يدعون الي الخير ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر فليغيره امر ايجاب كما اطبق
عليه الكتاب والسنة واجماع الامة ولا يعتد بخلاف
الرافضة ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة
بيده فيه دليل علي ما ذهب اليه الشافعي وابو
يوسف ومحمد من جواز كسر الات الملاهي واراقة
الخمور خلافا لابي حنيفة رحمه الله ولعله نظر
الي انه تضييع المال فان لم يستطع اي التغيير
بيده فبلسانه اي فليغيره بلسانه بان يمنعه

بقوله فان لم يستطع اي التغيير بلسانه ايضا فبقلبه
اي فلينكر به قال المص معناه فلينكره بقلبه يعني
لم يرض به وينكر علي مرتكبه انتهى والتحقيق ان
كفاه فليقتصر علي انكار قلبه قال ابو حنيفة الامر معناه
بالمعروف والنهي عن المنكر باليد موكول الي الامرا
والولاة لقدرتهم وليس لغيرهم الا باللسان وفي
خزانة المفتيين ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
باليد علي الامرا وباللسان علي العلما وبالقلب علي
العوام ويشير الي ذلك ما في نفس الحديث من قيد
الاستطاعة ويدل عليه قوله تعالي لا يكلف الله
نفسا الا وسعها فمن وجب وفعله ولم يمتثل المخاطب عليه صح
فلا عتب عليه بعد ذلك لعدم تقصيره هنالك
حيث ادي ما عليه وما عليه ان لا يقبل منه كما
يشير اليه قوله تعالي وما علي الرسول الا البلاغ
لكن انما يجب بشرط ان يكون الشخص عالما بما
يامر وينهي وان يبتدي بالرفق واللين ثم بالاشد
فالاشد علي سبيل التدريج لقوله تعالي ادع الي
سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ولقوله
عليه السلام الدين النصيحة فالنصيحة مقدم
علي الفضيحة فقد قال الشافعي من وعظ اخاه
سرا نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد

فضحه

224

فضحه وشانه ولانه ربما ينفع الملاينة واللطف
في موضع لا ينفعه فيه الغلظة والعنف قال تعالى
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ولا يشترط
في الامر والناهي ان يكون كامل الحال ممتثلا بما يامر
به مجتنبا عما ينهى عنه لان الواجب عليه شيئان فاذا
قام باحدهما دون الاخر جاز والاكمل ان يكون عاملا ليكون
تاثيره كاملا وعليه يحمل ما ورد عظ نفسك فان
اتعظت فعظ الناس ولذا قيل

وغير تقي يامر الناس بالتقى • طبيب يداوي الناس وهو مريض

وقيل ايضا

لا تنه عن خلق وتاتي مثله • عار عليك اذا فعلت عظيم

واما قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
فالانكار منصب على النسيان لا على الامر بالبر
من الايمان والاحسان وفي رواية وهو اضعف
الايمان وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل
وانما يكون اضعفه لانه لم يبق وراء هذه المرتبة
مرتبة اخرى له كما قال القرطبي وذلك اي
انكاره بقلبه وكراهته بانفراده اضعف الايمان
اي اضعف زمانه ومكانه او خصاله وقال المحم
اي اقله ثمرة يعني وادناه نتيجة ممن لم يغير

المراتب مع القدرة كان من العاصين ومن تركها
بلا قدرة او يرى المفسدة اكثر من المصلحة ويكون
منكرا بقلبه فهو من المومنين حيث ما اثار فتنة
نايمة بين المسلمين ولهذا قيل هذا زمان السكوت
وملازمة البيوت والقناعة بالقوت الى ان يموت
فان قيل اذا رضي بالمنكر بقلبه ولم يكرهه هل يكفر
بذلك ام لا قلنا ان رضي معتقدا جوازه فهذا يتضمن
تكذيب الشرع في تحريمه وهو كفر وان رضي به لغلبة
الشهوة والهوى ومقتضى الطبع مع اعتقاد تحريمه
فهو فسق لا كفر هذا وقد قال المص في شرح مسلم
الامر هنا للوجوب وهو محمول على ما اذا كان المنكر
حراما فانه حينئذ وجب الزجر عنه اذ لو كان مكروها
لم يجب بل يندب وكذا الامر بالمعروف تبع لما يومر
به فان وجب فواجب وان ندب فمندوب ولم يتعرض
له في الحديث لان النهي عن المنكر شامل له اذ النهي
عن الشيء امر بضده وضد المنهي اما فرض او واجب
او سنة والكل معروف ثم اعلم ان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فرض كفاية ان علم به اكثر من واحد
والا فهو فرض عين على من راه فقد ورد انه صلى
الله عليه وسلم قال انا مرون بالمعروف وننهون

225

عن المنكر او ليعمكم الله بعذاب من عنده ومنه
قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة وفي حديث اخر ان الله لا يعذب العامة
بعمل الخاصة ولكن اذا عمل المنكر جهارا استحقوا
العقوبة كلهم ثم اعلم ان كلا منهما لا يوثر هنالك
ستسقط عنه الوجوب عند اكثر العلما بل بعضهم ادعى
الاجماع على ذلك ويشير اليه قوله تعالى فذكر ان
نفعت الذكرى ويدل عليه قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
وقد سيل عنها صلى الله عليه وسلم فقال ايتمروا
بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا
مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي
راي برايه ورايت امرا لا بد لك به فعليك بنفسك
واياك وامر العام فان من ورايكم اياما الصبر
فيهن مثل القبض على الجمر للعامل يوميذ كاجر
خمسين اما انكار المنكر بالقلب فهو فرض عين
على كل احد لقدرته عليه ومن ثم قال ابن مسعود
هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر واما
ما ورد من ان الله يوتى بالرجل يوم القيامة فيقول
الله تعالى له ما منعك اذ رايت كذا وكذا ان تنكره
فيقول خشيت الناس فيقول الله اياك كنت

احق ان يخشى فالمراد بالخشية فيه مجرد رعايتهم
مع القدرة على ازالة معصيتهم اذ لو وجب الانكار
مطلقا ولو قتل المنكر كما قال بعض العلما لما ثبت
قوله عليه السلام فان لم يستطع وكذا قوله عليه
الصلاة والسلام ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي
ثم قدروا على ان يغيروا فما غيروا الا يوشك ان يعمهم
الله بعقاب زاد ابو داود قبل ان يموتوا فاذا جاز التلفظ
بالكفر عند الخوف حالة الاكراه كما في قوله سبحانه
وتعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره و
قلبه مطمئن بالايمان الاية فبالاولى ان يجوز ترك
الانكار عن المعصية عند الخشية لان قبح القتل
اكثر من تركه نعم لو فعل ما يجره الى قتله فهو ماجور
بفعله كما يستفاد من قوله تعالى ومن الناس
من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله روي
ان عمر رضي الله عنه سمع انسانا يقرا هذه
الاية فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل
يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل ومن قوله
سبحانه ويقتلون الذين يامرون بالقسط من
الناس ولقوله وامر بالمعروف وانه عن المنكر
واصبر على ما اصابك ثم لا انكار في المختلف فيه
بناء على ان كل مجتهد مصيبا والمصيب واحد

الا

226

الا ان المخطي غير متيقن لتامع ان الاثم موضوع
عنه وعن من تبعه كما قال بعض علمائنا من تبع عالما
لتي الله سالما وذلك لعموم قوله تعالي كما سيالوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون لكن الاولي ان يخرج
عن عهدة الخلاف بان يامر وينهي بالرفق دون
الاعتساف من باب النصيحة لا علي وجه الفضيحة
وعلي الامام ان ينصب محتسبا للامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وليس له علي الاصح ان يحمل الناس
علي مذهبه سوا كان مجتهد او مقلدا لخلم يزل
الخلاف بين الصحابة والتابعين وينهي عن
تصدر تدريس او افتا او وعظ بلا اهلية وينهي
من كان واقفا مع امراة بشارع غير مطروق
بالذهاب ويقول له ان كانت اجنبية كما تق الله
في المعصية وان كانت محرمك فصنها عن موقف
التهمة ويحرم البحث والتفحص قال تعالى
ولا تجسسوا رواه مسلم وكذا الامام احمد
في مسنده والاربعة في سننهم الا ان مسلما
رواه بسنده عن طارق بن شهاب قال اول
من بدا بالخطبة يوم العيد مروان فقام اليه
رجل فقال الصلاة قبل الخطبة فقال قد ترك
ما هنالك فقال ابو سعيد الخدري اما هذا

فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من راى منكم منكرا فليغيره بيده
الحديث كان قلت ظاهر الحديث بايراد الفا التعقيبية
يفيد ان ابتدا الاحتساب يكون باليد عند القادر
في هذا الباب ثم باللسان على وجه النصيحة للاحباب
ثم بالقلب عند العجز عنهما وهو بنافي ظاهر قوله تعالى
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فانها
يقتضيان التدريج في النصيحة بان يامر وينهى
اولا باللسان ثم عند عدم النفع به يعالج الدفع بالاركان
وقد ورد ايضا من امر بمعروف فليكن امره في
ذلك بمعروف قلت المراد في الحديث بيان مراتب
قوة ارباب الاحتساب فاعلاهم من يقدر باليد
وساير الاركان واوسطهم من لم يستطع الا باللسان
وادناهم من لم يقدر الا بانكار الجنان كما يدل
عليه قوله وذلك اضعف الايمان اى اضعف اهله
واما باعتبار ترتيب الانكار فلا شك انه اولا ينكر
بقلبه وهذا فرض عين كما قرر في محله ممن قال انه
للعوام مراده العامة او اكتفاؤه انما هو في حق
العوام ثم ينكر بلسانه ان كان قادرا عليه سوا يكون
من العلما او في معناهم من الاوليا ثم عند عدم
نفعه بلسانه ينكر بيده ويزيله سوا كان من

الامرا

الامراء في معناهم من الاقوياء اذ لم يترتب عليه
المفسدة بين الاعداء والاحباء وهذا ما ظهر لي
في هذا المقام ولم ار من تعرض له من الشراح الكرام
والله سبحانه اعلم بحقيقة المرام ويؤيده ما روي
ان رجلا من اصحاب النبي عليه السلام وقع في الشام
وابتلي بشرب المدام فبلغ الخبر الى امير المومنين عمر
فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير فتاب الرجل
منها ونزع بالفعل عنها وذكر ابن ابي الدنيا عن ابن
عباس يرفعه قال ياتي على الناس زمان يذوب
فيه قلب المومن كما يذوب الملح في الماء قيل بم يا رسول
الله قال مما يرى من المنكر لا يستطيع تغييره قلت
قال محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة
اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا قد كنتم
تامروننا باشياء عملنا بها فدخلنا الجنة بها قالوا
كنا نامركم بها ونخالفكم الى غيرها وفي الصحيح انه
عليه السلام راى في النار قوما يدورون كما يدور
الرحى فقال يا جبريل من هولاء فقال كانوا يامرون
بالمعروف ولا يفعلونه وينهون عن المنكر ويفعلونه
وفي الصحيح ايضا يلقى العالم في النار فتندلق

اقتابه فيقال له لم ذلك فيقول كنت امر بالمعروف
ولا افعله وانهي عن المنكر وافعله ثم اعلم ان اعجب
ما في زماننا هذا ان الذين تظن بهم العلم والدين
ممن يتعين عليهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
هم بانفسهم ملتبسون بذلك شي اصلا وفرعا يجب
انكارها عليهم عرفا وشرعا لكن كما قيل شعر
بالملح يصلح ما يخشى تغيره فكيف بالملح ان حلت به الغير
ولقد احسن من قال من ذوي الحال
هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود
ان دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
هل تدرون فيما سخط الله تعالى على بني اسرائيل
قالوا الله ورسوله اعلم ان الرجل منهم كان يرى الرجل قال ص
منهم على معصية فينهاه بعض النهي ثم يلقاه فيضاحكه
ويواكله ويشاربه كانه لم يره على معصية حتى كثر
ذلك منهم فلما علم الله ذلك منهم ضرب بقلوبهم على
بعض ثم لعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفسي
بيده لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن
على يد الظالم او ليضربن الله بقلوب بعضكم بعضا
على بعض ثم يلعنكم كما لعن من قبلكم انتهى وقد

228

قال تعالي كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبيس
ما كانوا يفعلون وقال تعالي لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبيس
ما كانوا يصنعون هذا وقد قال ابن مسعود
بحسب المرا اذا راي منكرا لا يستطيع تغييره
ان يعلم الله من قلبه انه له كاره قال القرطبي
ويروي عن بعض الصحابة انه قال ان الرجل
اذا راي منكرا لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث
مرات اللهم هذا منكر فاذا ادي ذلك فقد فعل
ما عليه يعني من اظهار الانكار فان الاكتفا بمجرد
انكار القلب ليس من شان علما الاكابر فان ما
لا يدرك كله لا يترك كله فحيث عجز عن انكار المنكر
بالنسبة الي صاحب الشر فينبغي له ان يذكر عنده
غيره ليتسبع الانكار وا قل فايدته ان يعلم الناس
وصاحب المنكر فان الناس لو اجتمعوا علي السكوت
في كل قضية لما حصل التمييز بين المعروف والمنكر
في الامور الدينية بالنسبة الي السفها بل وظنوا
ان ما فعله العلما ليس من المنكر مع انه انكر من
كل منكر فتدبر ولهذا ورد ويل للجاهل مرة وويل
للعالم سبع مرات وصح ان من اشد الناس عذابا
يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه وقد قيل

المنكر
الدينية

فساد العالم بفساد العالم وسببه ان السفها اذا
راوا العلما حريصا علي جمع المال ولو من الحلال
اقتدوا به ووقعوا في ارتكاب الشبهة بحسب
المال واذا راوه يرتكب الشبهات وقعوا في المحرمات
واذا راوه انه لايجتنب المحرمات وقعوا في الكفر
بنا علي ظنهم لولا انه جايز هذا عنده لما فعله ولم
يعلم هذا المسكين انه مقول بلسان الحال الحلال
ما حل لنا والحرام ما حرم منا والحاصل ان هذا الزمان
قد كثر فيه العصيان وظهر من اهله الطغيان حتي
امتنع فيه اظهار الانكار باللسان وهذا معجزة
عظيمة لنبي اخر الزمان فقد روي ابن ماجة
عن انس ابن مالك رضي الله عنه قال قيل يرسول
الله متي يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال
اذا ظهر فيكم ما ظهر في الامم قبلكم قلنا يرسول
الله وما ظهر في الامم قبلنا قال الملك في صغاركم
والفاحشة في كباركم والعلم في رذايلكم يعني
في تجاركم وقيل كل بلدة فيها اربعة فاهلها معصومون
من البلا امام عادل لا يظلم وعالم علي سبيل الهدي
ومشايخ يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ونسا مستورات لايتبرجن تبرج الجاهلية
الاولي انتهي وقد ظهر الفساد في البر والبحر

فيما بين العباد حتى في خير البلاد والله رؤوف
بالعباد وقال رجل لابن عباس اني اريد ان امر
بالمعروف وانهى عن المنكر قال او بلغت ذلك قال
ارجوا قال فان لم تخش ان تفتضح بثلاثة احرف
في كتاب الله عز وجل فافعل قال وما هي قال قوله
تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
احكمت هذه الاية قال لا قال فالحرف الثاني
قال قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون احكمت هذه الاية
قال لا قال فالحرف الثالث قال قول العبد الصالح
شعيب عليه السلام وما اريد ان اخالفكم الى ما
انهاكم عنه احكمت هذه الاية قال لا قال فابدا بنفسك
انتهى والايات الثلاث مختلفات المبنى متحدة
المعنى وقد قيل ان ظاهر قوله تعالى عليكم انفسكم

يعني ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان المعنى الزموا انفسكم

ولكنه محمول على ما سياتي من اخر الزمان
كما سبق في الحديث من البيان مع ان التحقيق
في معنى الاية انكم اذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم
تقصير غيركم ومن ثم قال ابن مسعود ان من اكبر
الذنب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول
عليك بنفسك ويؤيده قوله تعالى واذا قيل له
اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم

او محمول علي العاجز عنهما بسبب عدم العلم بهما
او عدم انتهابه عنهما حيث يجب عليه اولان
يعالج نفسه في القيام بحقهما او بالنسبة الي المستغرق
في لجة الوجود المطلق بدوام شهود الحق وغيبته
عن احوال الخلق او المتحير في بحر الوحدة الذاهل
عن مشاهدة الكثرة او الواقع في قضا القضا في عالم
التقدير الذي لا يتصور فيه التبديل والتغيير كما قال
قايلهم لا تنكر الباطل في طوره فانه بعض ظهوراته
او في عالم الفنا فلا يتصور منهم الانكار كما قال بعضهم
ليس في الدار غيره ديار علي ان هذا كله مقام ناقص
بالنسبة الي مقام جمع الجمع الذي هو حال الانبيا و
خلاصة الاوليا والاصفيا حيث لا يمنعهم شهود
الوحدة عن وجود الكثرة ولا ظهور الكثرة عن
نور الوحدة فيعطون كل ذي حق حقه فيامرون
بالمعروف الذي هو عرفه الله وينهون عن المنكر
الذي انكره الله وان كان الكل جار علي حسب ما
قدره وقضاه ثم ان اهم شروط الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ان يكون صاحبه مخلصا في فعله
طالبا اظهار دين الله واعلا كلمته واطاعة امره
في بريته دون الريا والسمعة والحمية لنفسه وطبيعته
فانما ينصر ويزول به المنكر اذا كان صادقا في مقام

الاخلاص مواعظنا قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت اقدامكم واما ما روي عن ابي هريرة مرفوعا
مروا بالمعروف وان لم تعملوا به وانهوا عن المنكر
وان لم تنتهوا عنه فقد سبق بيحث بيانه وان شرط
العمل لرفعة شانه وسبب تاثيره في مبدانه
ويمكن ان ينال المعنى وان لم تعملوا بكله ولم تنتهوا
عن جميعه فان من يكون خاليا عن ترك معروف
وفعل منكر فهو عزيز الوجود فلو شرط ذلك لتعطل
هذا الحكم بالكلية هنالك ومن ثم قال عبد الله بن
المبارك اذا وصف لي رجل له علم الاولين والاخرين
لا اتاسف على فوت لقايه واذا سمعت رجلا له
اداب النفس اتمنى لقاه وهذا كما قال قايلهم
اتمنى على الزمان محالا ان ترى مقلتاي طلعة حر
فان الحر من لا يسترقه دنياه ولا يستعبده هواه
ومما يويد كلام ابن المبارك قوله تعالى ان اكرمكم عند
الله اتقاكم حيث لم يقل اعلمكم واغناكم وقوله سبحانه
ليبلوكم ايكم احسن عملا لا ايكم اعلم وازين املا ومن
ثم جاء في تفسيرها ازهد في الدنيا وارغب في العقبى
وقد رايت في الغنية القطب الرباني عبد القادر الجيلاني
تفصيلا حسنا فاحببت ان اذكره هنا وهو ان ما
يومر به وينهى عنه على قسمين احدهما ظاهر

من المعروف كوجوب صلاة الخمس وصوم رمضان
والزكاة والحج ونحوهما ومن المنكر كتحريم الزنا وشرب
الخمر والسرقة وامثالها فهذا القسم يجب انكاره
علي العامة كما يجب علي الخاصة والقسم الثاني ما لا يعرفه
الا الخواص مثل اعتقاد ما يجوز علي الباري عز وجل
وما لا يجوز فهذا يختص بالعلما انكاره علي السفها
انتهي ولا يبعد ان يكون معني قوله في الحديث
فبقلبه اي فليغيره بهمة قلبه وتضرعه لربه
لان همة الرجال تهد الجبال وقد روي ان بعض الاوليا
سمع صوت جماعة من اهل اللهو والغنا فقال اللهم
كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الاخرة فتاب
الله عليهم ورجعوا علي ما لديهم واحسن الله اليهم
الخامس والثلاثون عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تحاسدوا
بفتح التا والسين واصله لا تتحاسدوا فحذف احدي
التايين تخفيفا وكذا قوله ولا تناجشوا ولا تباغضوا
ولا تدابروا والمعني لا يحسد بعضكم بعضا و
الحسد تمني زوال النعمة عن الغير مطلقا وقد يستعمل
بمعني الغبطة وهي تمني حصول ما لاخيه من
النعمة من غير ان تزول عنه او تحول وعليه يحمل
حديث لا حسد الا في اثنتين وهي قد تكون
واجبة

واجبة اذا كانت علي نعمة دينية واجبة كالايمان
ومندوبة كتشهير العلم بالتصنيف والتدريس
والشهادة في سبيل الله والموت في بلد رسول الله
صلي الله عليه وسلم وامثاله وسباحة في الامور المباحة
واما الحسد فمذموم شرعا وعقلا ففي الكتاب
ام يحسدون الناس علي ما اتاهم الله من فضله
وفي الحديث اياكم والحسد فان الحسد ياكل الحسنات
كما تاكل النار الحطب رواه ابوداود والحاكم وغيرهما
وهو اول ذنب عصي الله به فان ابليس بحسده لادم
اخرجه من الجنة ولتكبره عليه ما سجد له ثم ما يعرض
منه في الخاطر من غير ان يكون له قرار معفو عنه ولذا
ورد اذا حسدت فلا تبغ اي لا تحققه بالبغي وهو
عقد القلب عليه ودوام التوجه اليه ومنه قوله
تعالي ومن شر حاسد اذا حسد اي اذا تقرر
لديه هذا ومن قواعد الدين علي مذهب اهل السنة
خلافا للمعتزلة ان السيئة لا تمحو الحسنة الا ان
كانت كفرا فتلك لا تبقي خيرا بل ان الحسنة تمحوا
السيئة كما قال تعالي ان الحسنات يذهبن السيئات
ولعل الحكمة في ذلك غلبة فضله علي عدله كما يشير
اليه الحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي
فقوله عليه السلام ان الحسد ياكل الحسنات

يحتاج الى تاويل والاظهر ان يقال الحسد يحمل
الحاسد على افعال واقوال بالنسبة الى المحسود
من السيات فيعطي له من الحسنات يعملها الحاسد
من الطاعات والعبادات وعن ابن مسعود رضي
الله عنه ان النبي صلي الله وسلم قال ثلاث هن اصل
كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن اياكم والكبر
فان ابليس حمله الكبر علي ان لا يسجد لادم واياكم
والحرص فان ادم حمله الحرص علي ان اكل من الشجرة
واياكم والحسد فانه ما قتل بني ادم احدهما الاخر
الا الحسد وقال بعضهم الحاسد هو الجاحد لانه
لا يرضي بقسمة الواحد وعن معاوية كل انسان
اقدر علي ان ارضيه الا الحاسد فانه لا يرضيه الا
زوال النعمة ولذا قيل

كل العداوة قد يرجى ازالتها الا العداوة من عاداك من حسد

وعن عمر بن عبد العزيز ما رايت ظالما اشبه بمظلوم
من الحاسد غم دايم ونفس متتابع قيل وله اربع
مراتب احدها ان يحب زوال النعمة عن صاحبها
وان لم يحصل له وهي اخبث او زوالها عنه اليه وهي
اخف اولا يشتهي زوالها بل يشتهي مثلها فان
عجز عنه احب زوالها لئلا يظهر التفاوت بينهما
اولا يحب زوالها وهو المعفو عنه ان كان في امر

الدنيا وسبب الهوان كان في امر المعشي وما
قبله مذموم من وجه غير مذموم من وجه
اخر فتدبروا منشاوه العداوة والبغضا كما في
السفها والنفرز كما في الاغنيا وحب الرياسة
كما في الامرا والمشايخ والعلما وعلاجه ان يعلم ان الكل
بالقدر والقضا ويجب على العبد القناعة بالقسمة
في مقام الرضا وان يتذكر مضاره من سخط الله
تعالي والهم اللازم والغم الدايم وانه لا يضر المحسود
بل ينفعه حال الوجود ولا يضره في مقام الشهود
قال تعالي قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات
الصدور وان ياتي بالاحوال المتضادة لمقتضيات
الحسد والعداوة بل يمدح المحسود ويتواضع
له حتي يصير المحسود محبوبا ومحبا له قال
تعالي ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك و
بينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين
صبروا وما يلقاها الا ذوا حظ عظيم وانشد

اذا ما شيت ان تحيا حياة حلوة المحيا
فلا تحسد ولا تبخل ولا تحرص على الدنيا

ومن كلام ابي الطيب

واظلم اهل الارض من كان حاسدا لمن بات في نعمايه يتقلب
ومن كلام اهل الحكمة ان الحسود لا يسود وانشد

كيده

بعضهم دع الحسود وما يلقاه من كمده كفاك منه لهيب النار في

ثم التناجش تفاعل من النجش وهو اثارة الصيد

والمراد هنا اثارة بعضهم بعضا بالفتنة او رفع ثمن

المعروض على البيع وهو غير راغب فيه ليخدع

غيره ففي الحديث من غشنا فليس منا والمكر

والخداع في النار وقيل من النجش بمعنى التنفير

اي لا ينفر بعضكم بعضا بان يسمعه كلاما يكون

سببا لنفرته او يعمل شيئا يحصل له التنفر منه

بسوء عشرته وهذا اعم وفي المعنى اثم وعق له

ولا تباغضوا اي لا يبغض بعضكم بعضا والمعنى

اي لا تشتغلوا باسباب العداوة والمحبة مما لا

احتيار فيه قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع

بينكم العداوة والبغضا في الخمر والميسر وفي الحديث

تهادوا تحابوا وروي تصافحوا فانه يذهب الشحنا و

روي الترمذي تهادوا فان الهدية تسل السخيمة

وقيل المعنى لا توقعوا العداوة بين المسلمين

فيكون نهيا عن النميمة وامثالها مما يوقع الفتنة

ثم البغض قد يكون واجبا قال تعالى لا تتخذوا

عدوي وعدوكم اوليا وقد يكون ندبا ومنه قوله

عليه السلام من احب لله وابغض لله واعطى

لله ومنع لله فقد استكمل ايمانه وفي خبر مسلم

اذ العداوة صح

الصلاة وح

والذي

والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تومنوا
ولا تومنوا حتى تحابوا وقوله لا تدابروا اي لا
تتكلموا في ادبار غيركم بالغيبة اي لا تقاطعوا
لانهم اذا فعلوا ذلك اعرض كل عن صاحبه وولي
دبره والاول اولى لان التقاطع مندرج في التباغض
ومفهوم منه بطريق الاولى وقيل المعنى لا تولوا
ادباركم اشتغالا بل ابسطوا وجوهكم استقبالا
ثم لا يجوز الهجران في الكلام اكثر من ثلاثة ايام الا لعذر
من جهة الاسلام قال الخطابي هذا اذا كان
بعتاب او جفا وما اشبه ذلك من باب الاخلاق
واما اذا كان لمعصية فيجوز نعم التباغض لا يستلزم
التدابر لان المتداعيين قد يتوافقان ولا
يتفارقان والتدابر لا يستلزم التباغض لان
المتدابرين لمصلحة قد يتحابان ولا يبع بعضكم
علي بيع بعض بان يدعوا المشتري قبل لزوم
البيع الى الفسخ ويبيع منه مثله بارخص
من ثمنه او اجود منه بثمنه وذلك حرام لما فيه
من الايذا الموجب للعداوة والبغضا ومثله
الشري علي الشري بان يقول للبايع في زمن
الخيار افسخه وانا اشتريه منك باغلى وهذا
نحريم للسوم علي سوم غيره كما في رواية مسلم

والخطبة على خطبة اخيه كما في الصحيحين **وكونوا**
عباد الله اي عبيده **اخوانا** خبر اخر لكان او عبادا
لله منصوب على الاختصاص والمدح او على انه
منادى حذف حرف ندائه والمعنى انتم مستوون
في كونكم عباد الله وملتكم واحدة في سبيل الله و
التحاسد والتباغض والتدابر منافية لحالكم
فالواجب ان تعاملوا معاملة الاخوة والمعاشرة
بالتلطف والمودة والمعاونة على البر والنصيحة و
يفهم من الحديث ان الحاسد ليس عبد الله بمعنى
انه لا يقوم بما يجب على العبد من امتثال امر المولى
ولو روي بتنوين عبادا يكون لام لله للاختصاص
في مقام الاخلاص لكان له وجه وجيه في المعنى
كما قرى بهما في قوله تعالى كونوا انصارا لله **المسلم**
اخو المسلم اي كاخيه لانه يجمعهما دين واحد في المرتبة
الدينية كما يجمعهما اب واحد في الاخوة النسبية بل
الاخوة الدينية اعظم من الاخوة الحقيقية لان ثمرة
هذه دنيوية فانية ونتيجة تلك اخروية باقية
كما يشير اليه قوله سبحانه يوم يفر المرء من اخيه
وقوله تعالى يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
وهذا الحديث مستفاد من قوله تعالى انما المؤمنون
اخوة وكلاهما من باب التشبيه البليغ وفي الصحيحين
جاء ما هو ابلغ في هذا المعنى حيث قال صلى الله

امتثال

عليه وسلم مثل المومنين في توادهم وتعاطفهم
وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو
تداعى له ساير الجسد بالحمى والسهر وروى ابو
داود المومن مراة المومن اخو المومن يكف عنه
ضيعته ويحوطه من ورايه وروى الترمذي
ان احدكم مراة اخيه فان راى به اذى فليمطه
عنه فالجملتا استيناف وفيهما استعطاف كانه قال
انما هو اخوك او اساذك وابوك وكذا قوله لا يظلمه
استيناف الا انه لبيان وجه التشبه لان من حق
الاخ ان لا يدخل عليه ضرا في نفسه او دينه او
ماله فان ذلك من قطع الارحام وهو ينافي اخوة
الاسلام بل الظلم على الكافر حرام قيل الظالم
يحط اولا عن رتبة النبوة والامامة والولاية
لانه لا عهدي الظالمين وثانيا عن مزيد السلطة
بيت الظالم خراب ولو بعد حين وثالثا عن نظر
الخلق جبلت القلوب على حب من احسن اليها
وبغض من اساء عليها ورابعا عن نظر رب العالمين
الا لعنة الله على الظالمين وخامسا عن حظ نفسه
ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولا يخذله بفتح اليا
واسكان الخا وضم الذال المعجمة قال المهم اي لا يترك
نصرته واعانته اذا استعان به

في دفع ظلم ونحوه اذا لم يكن له عذر شرعي في
تركه قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وفي
الحديث انصر اخاك ظالما بان يكفه عن ظلمه
كما في رواية البخاري او مظلوما بان تدفع عنه
من يظلمه وروى ابو داود ما من امرء مسلم
يخذل امرا مسلما في موضع ينتهك فيه حرمته
وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله في موضع
يحب نصرته وروى احمد من اذل مسلما فلم ينصره
وهو يقدر على ان ينصره اذله الله على روس
الخلايق وروى البزار من نصر اخاه بالغيب
نصره الله في الدنيا والاخرة ولا يكذبه بفتح
اليا واسكان الكاف ذكره الحمصي وقال السيد جمال
الدين هذه اللفظة ليست في مسلم وفي كثير من
النسخ في اصل النووي قيل عدم وجودها في مسلم
مسلم واما في اصل النووي فلا لتعرضه في باب
الاشارات بتصحيح هذه اللفظة فبناء على هذا
قوله رواه مسلم مشكل ودفعه بعضهم انه في كثير
من نسخ الاشارات لم يذكر هذه اللفظة فيزول
الاشكال بالكلية والله اعلم بحقيقة الحقيقة
فالصواب ترك هذه الكلمة من المتن كما في اصل
الكهاني ولعلها وقعت في غير رواية مسلم

لكن

235

لكن ايرادها في ذيل رواية غير مسلم ومن العجب
ان ابن حجر ذهل عن تحقيق هذا الخبر وتبع غيره
في ايراده اثنا الاثر والمعنى لا تخبره بامر على خلاف
الواقع لغير مصلحة اذ منها السادح او من
غير ضرورة ملجية اليه ثم الكذب من اشد الاشيا
ضررا والصدق اشدها نفعا قال تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
وفي الصحيح ان الصدق يهدي الى البر والبر
يهدي الى الجنة وان الكذب يهدي الى الفجور
والفجور يهدي الى النار ولا يزال الرجل يصدق
حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال الرجل
يكذب حتى يكتب عند الله كذابا ولا خلاف
ان الكذب حرام واجازه بعض العلما في الحرب
والاصلاح بين الناس وعلى الزوجة وفي دفع
الصايل عن المسلم بغير حق واجب ولا يحقره
بفتح اليا وسكون الحا المهملة وكسر القاف اي لا
يستحقر شانه بذكر العيب الذي شانه ولا يستحقر
بدا اراه فقير الحال كسير البال فعن ابن مسعود
رضي الله عنه انه قال البلا موكل بالمنطق لو
سخرت من كلب خشيت ان احول كلبا وروي
بضم اوله وسكون الخا المعجمة وكسر الفا اي لا يغدر

عهده ولا ينقض امانة قال القاضي عياض و
الصواب المعروف هو الاول وهو الموجود في
غير كتاب مسلم ويويده رواية ولا يحتقره ثم
الاحتقار ناشئ من التجبر والاستكبار ففي خبر
مسلم الكبر بطر الحق وازدرا الناس وفي رواية
لاحد سفه الحق وازدرا الناس اي جهله بالحق
واحتقاره بالخلق مع انه مامور بتعظيم امر الله
والشفقة علي خلق الله وفي رواية لا يعد الناس
فلا يراهم شيا وهذا ما ينافي قوله صلي الله عليه
وسلم لا يكمل ايمان احدكم حتي يكون الناس عنده
كالاباعد فان المراد به ان لا يري منهم ضرا ولا نفعا
ولا عطا ولا منعا بل يستغرق في بحر شهود
الوحدة فانيا عن الخلق باقيا بالحق ثم مفهوم
الكلام انه يحقر من يكن في دين الاسلام
لقوله تعالي ومن يهن الله فما له من مكرم
واما ما يفعله العاقل من الجاهل والعدل
من الفاسق فليس ذلك احتقار العين
المسلم وذاته وانما ذلك لما عرض له من
سوصفاته فهي تحارق الجاهل جهله والفاسق
فسقه تقين الانتقال الي الاحتقار به و
الرفع لقدره التقوي ههنا استيناف

يبين

ببين ان المسلمين في مرتبة واحدة وان كان اكرمهم
عند الله اتقاهم لان التقوي امر باطني لا يعلمه
الا المولي فالمدار علي مابه الاشتراك الظاهري
فربما رايي ذا عاهة في بدنه او لثغة في لسانه
او سوادا في جسده او اعمي او اعور او اعرج
او قصيرا او طويلا وامثال ذلك فلا ينظر اليه
بعين المنقصة فلعله اخلص ضميرا واتقي باطنا
واتقي سرا ممن هو علي ضد صفته فيظلم
نفسه بتحقير من وقره الله ورزقه انسه
والمعني محل التقوي هو القلب الذي في الصدر
فهو في غاية من الستر والتحقيق ان مادة
التقوي في القلب لان حقيقة التقوي اجتناب
المحظورات وامتثال المامورات ومادتها
خوف الله ومراقبة في الحالات الحاملة له
علي مداومة الطاعات فمن كان في قلبه
التقوي من جانب الحق فلا يوجد منه الظلم
والتحقير للخلق او المراد ان التقوي اذا كان
محله القلب ولا يطلع عليه غير الرب فلا يجوز
لاحد ان يحكم بعدم تقوي مسلم حتي يحقره
وهذا كما قال تعالي ومن يعظم شعائر الله
فانها من تقوي القلوب وكما ورد ان الله لا ينظر

الي اجسامكم ولا الي صوركم ولكن ينظر الي قلوبكم
وفي رواية ان الله لا ينظر الي صوركم واموالكم ولكن
ينظر الي قلوبكم واعمالكم وفي اخري لا ينظر الي صوركم
واعمالكم ولكن ينظر الي قلوبكم واحوالكم وقد ورد
ان القلب بيت الرب وفي الصحيحين الا اخبركم
باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم علي
الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل متكبر
وفيهما ايضا تحاجت الجنة والنار فقالت النار
انا اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين زيد في رواية
احمد والملوك والاشراف وقالت الجنة لا يدخلني
الا ضعفا الناس وسقطهم وفي رواية احمد
الفقرا والضعفا المساكين فقال للجنة انت
رحمتي ارحم بك من اشا من عبادي ومفهومه
انه قال للنار انت نقمتي انتقم بك من اشا من
عباكري واعذب بسببك من اشا من عبادي
وفي صحيح البخاري مر رجل علي رسول الله
صلي الله عليه وسلم فقال لرجل جالس عنده
ما رايك في هذا قال رجل من اشراف الناس
والله حري ان خطب ان ينكح وان شفع ان
يشفع فسكت صلي الله عليه وسلم ثم مر برجل
اخر فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم

ما رايك في هذا الرجل قال يا رسول الله هذا رجل
من فقرا المسلمين هذا حري ان خطب ان لا ينكح
وان شفع ان لا يشفع وان قال ان لا يسمع لقوله
فقال صلي الله عليه وسلم هذا خير من ملي
الارض من مثل هذا كهذا دليل صريح عن نقل
صحيح علي ان الفقير الصابر افضل من الغني
الشاكر عمم الحكم ولم يفرق بين المنفق وغيره **ويشير**
الي صدره قايله ابو هريرة وفاعله ضمير النبي
صلي الله عليه وسلم والعدول عما يقتضيه
الظاهر وهو الماضي الي المضارع لاستحضار تلك
الحال في نظار ارباب الكمال **ثلاث مرار** بكسر
الميم اي مرات للاهتمام لشانه والاعتنا ببيانه
والاقرب انه ظرف متعلق بقوله التقوي لما ثبت
في شمايله عليه السلام انه اذا تكلم تكلم ثلاثا
والانسب ان يكون متعلقا بهما حتي يكون كل
من القول والفعل ثلاثا وفيه غاية المبالغة
وعلي كل تقدير قالوا في قوله ويشير للحال هذا
وقال بعض ارباب الكمال معناه ان حقيقة
التقوي في صدري وفروعها في قلب غيري
لانه محل عين الجمع ومراة كشوف الغيب كما قال
انا اعلمكم بالله واخوفكم منه بين ان من زاد

حيث م

بلغ مقابلة

معرفة الله زاد خشيته وتقواه ومن المعلوم
انه ليس في الكونين اعرف منه وقد ورد ولكل شي
معدن ومعدن التقوي قلوب العارفين لان
العارف غايب في عظمة الله وقدرته سابق الي
لقايه ورؤيته هايم في ساحة محبته تجري
عيون التقوي من بحار معرفته من روحه الي
قلبه ومن قلبه الي صورته وسرته معدن التوحيد
ومنبع التفريد لان الحق سبحانه تجلي فيه بنعت
القدم بعد ما اوجده من فضا العدم وروحه
معدن المعرفة لان الحق تعالي تجلي بوصف البقا
فيها وقلبه معدن التقوي والخشية لانه عز
وجل تجلي فيه بوصف الكبريا والعظمة فالتوحيد
من عين القدم والمعرفة من عين البقا والتقوي
من عين الكبريا بحسب امرءٍ من الشر قال
المم هو باسكان السين المهملة اي يكفيه
من الشر انتهي والبا زايدة والمراد بالشر
الجنس اي كافيه من خلال الشر ورورذايل
الاخلاق في الصدر وهو مبتدا خبره ان
يحقر اخاه المسلم بالنصب صفة لاخاه وكرر
لتاكيد حرمة الاسلام عند الله ولما كان هنا
مستشا سوال وهو ان يقال حكم التحقير ماذا
احرام

احرام ام حلال ثم قال كل المسلم على المسلم حرام
دمه وماله وعرضه اي حسبه ونسبه
فكل المسلم مبتدا وفيه رد على من زعم ان كل لا
يضاف الا الى نكرة خبره حرام وما بعده بدل
على كل وجعل الثلاثة كله وحقيقته لشدة
اضطراره اليها اما الدم فلان به حياته
واما المال فمادة الدم وهو مادة حياته وعدة
حركاته وسكناته والعرض به قيام صورته و
تظاهر هيبته واقتصر عليها لان ما سواها متفرع
عليها وراجع اليها والتقد بإراقة دمه واخذ
ماله وهتك عرضه ولكون حرمتها هي الاصل
والغالب لم يحتج الى تقييدها بما اذا لم يعرض
ما يبيحها شرعا كالقتل قودا واخذ مال المرتد
فيسا وي توبيخ المسلم تعزيرا وقوله في رواية
الاكتفا لمزيد الايضاح والبيان في شانها وهذا
عند ذلك الحديث والمقصد الاهم منه وما سبق
كالتمهيد له فيجب على كل مسلم ان لا يقع في
عرض اخيه بالغيبة والطعن والقذف والشتم
والغمز واللمز والتجسس عن عوراته وافشا
اسراره فقد روى احمد لا تؤذوا عباد الله
ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فانه من طلب

عورة اخيه المسلم طلب الله عز وجل حتى يفضحه
في بيته واخذ بعض الصحابة حبل اخر مفزع فقال
صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يروع مسلما
رواه ابو داود وروى احمد وابو داود والترمذي لا ياخذ
احدكم عصا اخيه لاعبا جادا اي لا ياخذ متاعه
بفظه لانه حبيبه وان كان لاعبا في مذهب السرقة
هو جاد في ادخال الاذى والروع عليه وفي الصحيحين
وغيرهما لا يتناجى اثنان دون الثالث فان ذلك يحزنه
وفي رواية فان ذلك يوذي المومن والله يكره
اذى المومن وهذا مستفاد من قوله تعالى
انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا و
ليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل
المومنون ثم يرى التفضل لكل احد على نفسه
اما الصغير فلانه لم يعص الله وهو قد عصى
واما الكبير فلانه اسبق ايمانا واكثر طاعة واحسانا
والعالم لعلمه وفضله والجاهل لانه عصى بجهله
فحجة الله عليه اوكد والكافر فلان العاقبة غير
معلومة ثم المراد بالعرض ما يجب او يستحب شرعا
رعايته وحمايته لا العصبية العرفية والحمية
الجاهلية التي اعتادها اكثر العامة فيصرفون
المال لطلب الجاه والمنزلة في قلوب الخلق اذ هو

من

بفضله

239

من الهوي المتبع المهلك لكثير من الناس فما هلك
الناس الا الناس ولو نصف العلما لعلموا ان اكثر
ما هم فيه من العلوم والعبادات فضلا عن الرسوم
والعادات مايحملهم عليها الا مراعات الخلق لا مراعات
الحق قال يحيي بن معاذ الرياسة سياد ين ابليس
ينزل فيها هو وجنوده بانواع من تلبيس
رواه مسلم ورواه الترمذي بلفظ المسلم
اخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله كل المسلم
علي المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوي ههنا
بحسب امري من الشر ان يحقر اخاه المسلم وفي
الصحيحين لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا
وكونوا عباد الله اخوانا وله طرق اخري السادس
والثلاثون عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال من
نفس بتشديد الفا اي فرج وازال وفي الجملة
عن مومن وفي نسخة عن مسلم اي منقاد ولو ذميا
بماله او بجاهه او اشارته او اعانته او بنظارته او
وساطته او دعايه وشفاعته كربة بضم اوله
اي خصلة يحزن بها والكربة ما يأخذ النفس
من الغم في اصل اللغة من كرب الدنيا بضم ففتح
جمع كربة اي بعض كربها وكربة مبتداة من

لوم

من كربها والمعنى هما واحدا من همومها اي هم
كان صغيرا او كبيرا من غرضه وعرضه وعدده
وعدده نفس الله عنه كربة اي عظيمة من كرب
يوم القيامة التي لا تحصي لان الخلق كلهم عيال
الله وتنفيس الكرب احسان لهم وللحسان وما جزا
الاحسان الا الاحسان وليس هذا منافيا
لما ثبت من تضاعف الحسنات على ان كربة من
كرب القيامة ولو كانت صغيرة تساوي عشرا
او اكثر من كرب الدنيا ولو كانت كبيرة وفي رواية
الطبراني من نفس عن مومن نفس الله عنه
كربة يوم القيامة ومن ستر على مومن ستر الله
عورته ومن فرج عن مومن كربة فرج الله عليه
كربته هذا ابدل على ما قال بعضهم من ان
التفريج اعظم من التنفيس وجزا التفريج
التفريج فعلم من ذلك فضل قضا حوايج المسلمين
ونفعهم في كل حالة بما تيسر من علم او مال
او جاه او اشارة او دلالة او اغاثة او اعانة
او دعوة او شفاعة وقد جا في الاثر الخلق عيال الله
واحبهم الى الله ارفقهم بعياله ومن المعلوم ان
المراد بكربة الدنيا ما هي جايزة غير محرمة
فان كانت محرمة لا يجوز تفريجها ولا تنفيسها ثم

بين

240

قيل لفظ من تنبيه العموم لكنه خص بالمسلم لان الكافر لا ينفس عنه في الاخرة وفيه بحث اذ لا يبعد ان يخفف عنه كربة في العقبي جزا لما فعله بالمومن من الاحسان في الدنيا كما روي من تخفيف عذاب ابي طالب مطلقا حيث كان يحمي سيد الانبيا والاصفيا عن ضرر الاعدا وتخفيف عذاب ابي لهب ليلة الاثنين حيث اعتق جارية بشرته بولادة سيد الاصفيا وهذا الاينافي قوله تعالي لا يخفف عنهم من عذابها الا ان معناه لا يرفع عنهم او ما تقرر من عقوبتهم في بدايتهم لا ينقص في نهايتهم ومن يسر علي معسر وهو من كربه الدين وتعسر عليه قضاوه بالانظار او بالابرا كلا او بعضا كذا قاله الشارح والاظهر ان يراد بالمعسر المفتقر وهو مطلق الفقير فالمعني سهل عليه امره بالهبة والصدقة والقرض والعارة ونحوها بل الشامل الي المحتاج الي تعليم العلم او العمل او الارشاد الي طريق السداد يسر الله عليه اي اموره ومطالبه في الدنيا والاخرة والاحاديث في فضل التيسير علي المعسر المديون كثيرة منها خبر مسلم من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر او يضع

عنه وخيره ايضا من انظر معسرا او يضع عنه
اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وخبر احد
من اراد ان يستجاب دعوته ويكشف كربته
فليفرج عن معسر ولا يخفى ان المعسر صاحب
الكربة هو المريد المحتاج الى قطع العقبات
الظلمانية والمنازل النورانية كما اشتهر عن
الكناني ان بين العبد والحق الف مقام من نور
وظلمة ويتلقاه الوساوس ويستقبله الهواجس
فعلى شيخه ان ينفس كربة الوساوس عنه
بامره بترك المبالاة بها والتامل في الحجج العقلية
وان استاهلها وباستدامة الذكر والابتهال
الى الله في رفعها ويسهل عليه سوا الطريق
ويذيقه حلاوة التحقيق حتى يسطع في قلبه
انوار اقمار الوصول ويطلع في سره اثار شموس
الحصول ومن ستر مسلما اي بدنه بالالباس
او عيوبه عن الناس باخفايه وذب غيره عن
اغتيابه اذا كان من حقوق الله تعالى كالزنا
وشرب الخمر وشبههما دون حقوق الناس
كالقتل والسرقة ونحوهما فان الستر هنا حرام
والاخبار به واجب عن الانام وليس هذا
من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة

المحتمة

الحكمة وهذا اذا كان ممن ليس معروفا بالفسا
بان يكون من ذوي الهيئات لقوله عليه السلام
اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم الا الحدود كما رواه
احمد والبخاري في تاريخه وابو داود عن عايشة
مرفوعا واما المعروف فيه فيستحب ان ترفع
قصته الي الوالي قال المص في شرح مسلم ولو راه
في معصية ينكرها بحسب القدرة فان عجز
يرفعها الي الحاكم اذا لم يترتب عليه مفسدة
ستره الله في الدنيا والاخرة بالمعنيين
المذكورين وفي رواية للطبراني من ستر
علي مومن عورته ستر الله عورته واخرج
ابن ماجه من ستر عورة اخيه المسلم ستر
الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة
اخيه كشف الله عورته حتي يفضحه بها
في بيته وروي احمد وابو داود والترمذي
يا معشر من امن بلسانه ولم يدخل الايمان
في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم
فان من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته
ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته هذا
وفي الحديث اشارة لمن وقف علي شي من
مقامات اهل العرفان وكرامات ذوي

الايمان ان يحفظ سره ويكتم عن غيره امره لان
صدور الاحيار قبور الاسرار اذ كشف الاسرار
علي الاغيار يسد باب العناية وبوجب الحرمان
والغواية من اطلعوه علي سر فباح به لم يامنوه
علي الاسرار ما عاش والله في عون العبد اي
اعانته وهذا ابلغ من ان يقال والله يعينه في كذا اذا
المعنى ان الله يوقع العون في العبد ويجعله مكانه
والمراد من عونه تعالي تيسير قضا حاجته مثل
ما اعان العبد لارباب الفاقة اوغير مثله اما
بواسطة خلقه واما بغير واسطة بل من محض
فضله ما كان العبد اي مدة دوام كونه وفي نسخة
ما دام العبد في عون اخيه بقلبه او بدنه او ماله
او جاهه عونا واجبا او مندوبا او مباحا دون
ما هو حرام او مكروه لانه لا يتعاون فيه قال
تعالي وتعاونوا علي البر والتقوي ولا تعاونوا علي
الاثم والعدوان وروي احمد من كان في حاجة اخيه
كان الله في حاجته وفي رواية الطبراني افضل
الاعمال ادخال السرور علي المومن كسوت عورته
واشبعت جوعته او قضيت له حاجة وورد
من سعي في حاجة اخيه المسلم قضيت له اولم
تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

ذكتبن

وكتب له براتان براءة من النار وبراءة من النفاق
وامر الحسن ثابتا البناني بالمشي في حاجة فقال
انا معتكف فقال له يا اعمش اما تعلم ان مشيتك
في حاجة اخيك المسلم خير لك من حجة بعد
حجة ولعل مراده انا نريد الاعتكاف لقوله
تعالى لا تبطلوا اعمالكم او كانت الحاجة ضرورية
والاعتكاف سنة او فريضة غير فورية ويمكن
تداركه بالقضا كما اذا وقع استغاثة احد الابوين
للولد المصلي فانه يقطعها ثم يقضيها وقد روي
ايضا ان خباب بن الارت خرج في سرية فكان
صلى الله عليه وسلم يحلب عنز العياله فتملا
الجفنة حتى تفيض زيادة عن حلابها فلما قدم
وحلبها عاد الى ما كان وكان ابو بكر رضي الله عنه
يحلب للحي اغنامهم فلما استخلف قيل الا تحلبها
قال بلى واني لارجو ان لا يغيرني ما دخلت فيه
عن شي كنت افعله وذلك لان العرب كانوا يستقبحون
حلب الشاة ويستنكفون عن مثل هذه الاشيا
وكان عمر رضي الله عنه يتعاهد الارامل ويستقي
لهم الما بالليل وراه طلحة داخلا بيت ليلا فدخل
نهارا فاذا هي عجوز عميا مقعدة وقال ما يصنع
هذا الرجل عندك قالت له منذ كذا وكذا يتعاهدني

بما يقوم بي من البر وما يصلح شاني ويخرج الاذي
عني ويتم لي بيتي فقال طلحة تكلمتك امك يا طلحة
اعثرات تتبع ولما فرغ من الحث علي الشفقة علي
خلق الله اتبعه بما ينبي عن التعظيم لامر الله
لان العلم وسيلة العمل فقال ومن سلك طريقا
تنكيره للشيوع اي من تسبب باي سبب
كان من مفارقة الاوطان والمسافرة الي البلدان
والانفاق في تحصيل هذ الشان والمجاهدة
في مكان وزمان يلتمس فيه اي يطلب
ذلك السلوك او المسلك علما شرعيا اذا نوي
به وجه الله تعالي قال المص رحمه الله تعالي عادة
العلما تقييد هذه المسيلة بهذا الشرط مع
انه شرط في كل عبادة لكونه قد يتساهل فيه
بعض الجاهلين ويغفل عنه بعض المبتدعة
الغافلين انتهي وكانهم ارادوا ان تطرق العلم
للعلم اكثر من تطرقه لسائر العبادات فاحتيج
للتنبيه فيه علي الاخلاص للاعتنا بشانه من
بين الطاعات ثم العلم الشرعي هو علم القران
والحديث والفقه واصوله وما يتعلق به وما
يتوقف عليه حصوله كعلم اللغة والصرف
والنحو والمعاني قدر الحاجة لا الخارج عن العلم

الشرعي

الشرعي كالفلسفة من منطق والهي وطبيعي
ورياضي الا اذا فرغ عن العلوم الشرعية واراد
بتعلمها رد المذاهب الردية ودفع شبههم
الدينية ومهمات في ذلك تصحيح النية و
تخليص الطوية وهذا القول عامة مشايخ
الشريعة كالحليمي في شعب الايمان وغيرهم وقد
الف شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطي
رسالة في حرمة المنطق فعليك بها سهل
الله له به اي يسر الله له بسبب ذلك السلوك
او الالتماس او العلم او الطريق وهو الاظهر
لقوله طريقا الى الجنة ليكون جزاء وفاقا كالتنفيس
بالتنفيس والستر بالستر والعون
بالعون وقد اخرج الترمذي ايما مومن اطعم مومنا
طعم مومنا على جوع اطعمه الله يوم القيامة من ثمار
الجنة وايما مومن سقى مومنا على ظما سقاه الله
يوم القيامة من رحيق مختوم وايما مومن كسا
مومنا على عري كساه الله من خضر حلل اهل
الجنة ويحمل هذا كله حديث انما يرحم الله من
عباده الرحما ارحموا من في الارض يرحمكم من في السما
ثم من جملة طريق العلم تقديم العمل بالعلم لقوله
تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا

ولقوله عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم
يعلم هذا والعلم نور في قلب المومن مقتبس من
مصباح الكلمات المحمدية والافعال والاحوال الاحمدية
يهتدي به الي الله وصفاته وافعاله واحكامه فان
حصل بواسطة البشر فهي كسبي والا فهو العلم
اللدني المنقسم الي الوحي والالهام والفراسة فالوحي
لغة اشارة بسرعة واصطلاحا كلام الهي يصل
الي القلب النبوي فما نزل مبناه ومعناه من الحال
الله لا يكون الا بواسطة جبريل فهو الكلام الالهي
وما نزل معناه علي الشارع فعبر عنه بكلامه
فهو الحديث النبوي وهذا قد يكون بغير واسطة
في محل الشهود كما قال فاوحي الي عبده ما اوحي
وقد يكون بواسطة نزول الملك اي بنزوله من
الصورة الملكية الي الهيئة البشرية وتحقيقه
ان المعلم الحقيقي هو الحق فعلم اولا محمدا بواسطة
جبريل عليه السلام وثانيا اصحابه بواسطة
محمد صلي الله عليه وسلم وثالثا التابعين
بواسطة الصحابة وهلم جرا رضي الله عنهم
اجمعين وقد يكون بنفثه في قلبه بان يلقي معناه
من غير ان يتمثل بصورة ومنه قوله عليه السلام
ان روح القدس نفث في روعي والالهام لغة

الابلاغ

الا ببلاغ وهو علم حق يقذفه الله من الغيب في
قلوب عباده قال تعالى قل ان ربي يقذف بالحق والفراسة
علم ينكشف من الغيب بسبب تفرس اثار الصورة
ومنه قوله تعالى ان في ذلك لايات للمتوسمين اي
المتفرسين وفي الحديث اتقوا فراسة المومن
فانه ينظر بنور الله فالفرق بين الالهام والفراسة
انها كشف الامور الغيبية بواسطة تفرس
الاثار الصورية والالهام كشفها بلا واسطة
والفرق بين الالهام والوحي انه تابع للوحي من
غير عكس ثم علم اليقين ما كان من طريق النظر
والاستدلال وعين اليقين ما كان بطريق الكشف
والنوال وحق اليقين ما كان بتحقق الانفصال
عن لوث الصلصال لورود رايد الوصال وما اجتمع
قوم في بيت من بيوت الله بكسر الباء وضمها
جمع بيت اي مسجد او مدرسة او رباط او زاوية
ولهذا لم يقل من المساجد وفي رواية المصابيح في
مسجد من مساجد الله والاضافة للتعظيم
بسبب ما يوجد فيه من ذكر الكريم ولذا استثنا
منها الاماكن المستقذرة كالحمام والمزبلة
ولعل الحديث مستفاد من قوله تعالى في بيوت
اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها

بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله واقام الصلاة وايتا الزكاة يخافون يوما
تتقلب فيه القلوب والابصار الاية يتلون
كتاب الله اي حال كونهم يقرونه وليس
المراد بتلاوته اجرا مبانيه من غير تصور
معانيه ومتابعة ما فيه ومخالفة ما ينافيه
بل لا بد ان يقرا العبد انه يقرا على الله
واقفا بين يديه وهو ناظر اليه بل يشهد
بقلبه كان ربه يخاطبه بل يستغرق في شاهده
المتكلم غير ملتفت الى غيره سامعا منه ليكون
داخلا في قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب
يتلونه حق تلاوته وقد سيل الامام الصادق
عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا
عليه فلما سري عنه قال ما زلت اردد الاية
على قلبي حتى سمعتها من ربي فلم يثبت
جسمي لمعاينة قدرته ثم تتكر فيما يتعلق بذات
الله وصفاته وافعاله ومصنوعاته ويقتبس
معرفة الجلال والعظمة وفيما يتعلق باهلاك
الاعدا ويقتبس معرفة العزة والقهر والاستغنا
وفيما يتعلق بحال الانبيا ويقتبس معرفة
اللطف والفضل والبها وفي الاية الدالة على

التكاليف

245

التكاليف والارشاد ويقتبس معرفة الحكم فيعمل بمقتضاه في امر المعاش وزاد المعاد و يتدارسونه بينهم شامل لجميع ما يناط بالقرآن من التعليم والتعلم وتدارس بعضهم على بعض والاستكشاف والتفسير والتحقيق في مبناه ومعناه الا نزلت عليهم السكينة فعيلة من السكون للمبالغة اي ما يسكن اليه القلب من الطمانينة والوقار والثبات والاصطبار والذوق والشوق الى الرب وصفا القلب و نزول الانوار ينزلون لتسكين الرعب في القلب الانسية وذهاب اثار الظلمات النفسية فلا ينزعجون عن المطالب الاخروية بسبب حدوث العوارض الدنيوية وقيل هي جماعة من الملائكة وقال المم في شرح مسلم المختار انها شي من مخلوقاته تعالى فيه طمانينة ورحمة انتهي وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في مجلس فرفع بصره الى السماء ثم طاطا بصره ثم رفعه قيل فقال ان هولا القوم كانوا يذكرون الله يعني اهل مجلس امامه فنزلت عليهم السكينة يحملها الملائكة كالقبة فلما دنت

منهم تكلم منهم رجل بباطل فرفضت عنهم وهو
يناسب قوله تعالى فيه سكينة من ربكم ورحمة
بقية مما ترك ال موسى وال هارون تحمله الملايكة
وغشيتهم الرحمة اي غطتهم وحفتهم
الملايكة احدقتهم واحاطت بهم الى السما
الدنيا على ما في الصحيحين وفي رواية لاحمد
علا بعضهم على بعض حتى يبلغوا العرش
فيسمعوا منهم الايات ولا يخطوتهم من الافات
ويصافحونهم ويبالغون في ثنايهم ويومنون
على دعايهم كال ابن حجر تبعا للفاكهاني واختيار
القاضي ان السكينة هنا الرحمة مردود لعطفها
عليها المقتضي للمغايرة في قوله وغشيتهم
الرحمة وهو مدفوع بان المغايرة حاصلة فيما
بين الفعلين المتعاطفين لان النزول مغاير
للغشيان باعتبار الوصول والحصول كما قال
بنفسه اي شملتهم من كل جهة لاستيعابها
نعم يلزم انه وقع الظاهر موقع المضمر وهو
كثير في القران والخبر فتدبر ثم الرحمة المراد
نفع العبد فهي صفة ذات او انعامه او
احسانه فهي صفة فعل وذكرهم الله اي اثنى
عليهم لقوله تعالى فاذكروني اذكركم فيمن عنده

اي

اي من الملا الاعلي او الطبقة الاولي من الكروبيين
والروحانيين وارواح الانبيا والمرسلين
والشهدا الصالحين مباهاة بهم من بين المومنين
واظهار الحالهم من بين المحسنين والمراد عندية
المكانة والقربة لا المكان والمساحة شبههم في
كرامتهم عليه بمن يكون عند الملوك من المقربين
لديه وفي الحديث القدسي والكلام الانسي
من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني
في ملاء ذكرته في ملاء خير منه وفي صحيح مسلم
ان لاهل ذكر الله اربعا نزل عليهم السكينة
وتغشاهم الرحمة وتحف بهم الملايكة ويذكرهم
الله فيما عنده وفي الجملة يدل الحديث علي
فضيلة الاجتماع علي تلاوة القران بطريق
المدارسة لا علي سبيل المخالطة كما يفعله الجهلة
من الازهرية مع زيادة الانغام الموسيقية
فانه منكر عند العلما الدينية وكذا علي اجتماع
حلقة الذكر لكن بشرط عدم رفع الصوت
بحيث يشوش علي نحو المصلين الطايفين و
غيرهم فانه مكروه في الدين وفي الصحيحين
ان لله ملايكة يطوفون يلتمسون اهل الذكر
كان وجدوا قوما يذكرون الله تعالي تنادوا

في الطرق م

هلموا الي حاجتهم قال فيحفونهم باجنحتهم الي
السما الدنيا الحديث بطوله فيقول الله تعالي
للملايكته اشهدكم اني قد غفرت لهم فيقول
ملك من الملايكة فيهم فلان ليس منهم انما جا
لحاجة فيقول هم الجلسا لا يشقي بهم جليسهم
وفي صحيح مسلم انه صلي الله عليه وسلم خرج
عن حلقة من اصحابه فقال ما اجلسكم قالوا نذكر
الله عز وجل ونحمده لما هدانا ومن علينا به فقال
الله ما اجلسكم الا هذا قالوا الله ما اجلسنا
الا ذلك قال اما اني استحلفكم تهمة لكم
وانه اتاني جبريل فاخبرني ان الله يباهي بكم
الملايكة وروي الحاكم عن سلمان انه كان في عصابة
يذكرون الله فمر بهم رسول الله صلي الله عليه
وسلم فقال ما كنتم تقولون فاني رايت الرحمة
تنزل عليهم فاردت ان اشارككم فيها وروي البزار
بلفظ ان لله سيارة من الملايكة يطلبون
حلق الذكر فاذا اتوا عليهم حفوا بهم الحديث
وفيه فيقولون ربنا اتينا علي عباد من عبادك يعظمون
الايك ويتلون كتابك ويصلون علي نبيك ويسلونك لاخرتهم ودنياهم
لاخرتهم ودنياهم فيقول تبارك وتعالي غشوهم
برحمتي وكان صلي الله عليه وسلم احيانا يامر
من

247

من يقرا القران في المسجد يسمع قرانه وكان عمر
يامر من يقراوه عليه وعلي اصحابه يسمعون هذا
وبلسان الاشارة بيوت الله عبارة عما يذكر فيه
الحق من النفس والقلب والروح والسر والخفي
فذكر بيت النفس الطاعة والعبادة وذكر بيت
القلب التوحيد والمعرفة وذكر بيت الروح الشوق
والمحبة وذكر بيت السر الشهود والمراقبة وذكر
بيت الخفي بذل الوجود وترك الموجود وقوله
الا نزلت الخ مشير الي ثمرات التلاوة من الانس
بالله والحضور مع الله والغيبة عما سواه و
تمثل الانبيا والملايكة والارواح المقدسة في
صور لطيفة والصعود من حضيض بعد
البشرية الي ذروة الملكوت الاعلي والدخول
تحت الفنا والفرح بتحقيق البقا والتبري عن الناسوت والتقرب م
من اللاهوت وهذا مقام يضيق عن بيانه
نطق النطاق ولا يسمع اعلانه في ظروف
الحروف
وان قميصا خيط من نسج تسعة وعشرين حرفا عن معانيه قاصر
قال ابو سعيد الخراز اذا اراد الله تعالي ان يوالي
عبدا من عبيده فتح عليه باب ذكره فاذا استلذ
بالذكر فتح عليه باب التقرب ثم رفعه الي مجلس

الانس ثم اجلسه علي كرسي التوحيد ثم رفع عنه
الحجب الظلمانيه والنورانية وادخل دار الفردانية
وكشف له الجلال والعظمة الصمدانية فبقي بلا هو
فحينئذ صار العبد زمنا قد بري من دعاوي نفسه
فصار عنها فانيا في حفظه سبحانه باقيا ومن بطا
به عمله بتشديد الطا والبا للتعدية كما في قوله
لم يسرع به نسبه من الاسراع والمعني من جعله
بطيا واخره عمله السيي في مقام العبادة عن بلوغ
درجة السعادة لم يتقدم نسبه اليها لان الاسراع
الي سعادة قرب الرب انما هو بالعمل الصالح وحسن
الادب لا بالنسب ولا بالحسب اذ امثال ذلك انما
يعتبر في الدنيا واما في العقبي فاكرمكم اهل التقوي
كما قال تعالي فلا انساب بينهم يوميذ ولا يتسالون
ولذا قال عليه السلام لرجل تعلم انساب الناس
علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال عمر رضي الله عنه
تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم في
الحديث من قوله صلي الله عليه وسلم يا صفية
عمة محمد يا فاطمة ابنة محمد ايتوني يوم القيامة
باعمالكم لا بانسابكم فاني لا اغني عنكم من الله
شيا ونقل عن ابي يزيد قدس الله سره ان مريدا
له تبع خطاه من خلفه فقيل عليه فابلاوا الله

لو سلخت جلداي يؤيد وليستدم تنل مثقال
خردل من مقاماته مالم تخل معاملاته وانشد
مابال نفسك ترضى ان تدنسها وثوب جسمك مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس
رواه مسلم بهذا اللفظ اي بهذا الاسلوب
من اوله الى اخره وقال ابن مسعود يامر الله بالصراط
فيضرب على جهنم فيمر الناس على قدر اعمالهم
زمرا زمرا اوايلهم كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كمر
الطير حتى يمر الرجل مشيا وحتى يمر اخرهم
يتلبط على بطنه فيقول يا رب لم بطات
بي فيقول اني لم ابطا بك انما بطا بك عملك فليتنبه
متنبه ان كان راقدا وليقم جيدا ان كان قاعدا
السابع والثلاثون عن ابن عباس رضي الله
عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما يروي اي حال كون ذلك المروي داخلا
فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى اي تكاثر
خيره واحسانه وتعظم شانه وبرهانه وظاهره
انه من الاخبار القدسية وان الله تكلم بجميع
ما فيه من الاسرار الانسية وليس كذلك
بل المراد فيما يرويه يحكيه عن فضل ربه او حكمه
كما يدل عليه ما بعده قيل والاظهر انه حديث

قدسي وكلام النبي الا انه صلي الله عليه وسلم
تارة روي عنه عز وجل بالمبني كما في بعض طرق
هذا الحديث في الصحيحين ما هو صريح في هذا
المعني وهو يقول الله عز وجل اذا اراد عبدي
ان يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتي يعملها فان
عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها من اجلي فاكتبوها
له حسنة وان اراد ان يعمل حسنة فلم يعملها
فاكتبوها له بعشر امثالها وان تحدث بان
يعملها سيئة فانا اغفرها ما لم يعملها فاذا عملها
فانا اكتبها له بمثلها وتارة روي عنه سبحانه
بالمعني كما في هذا المبني قال ان الله كتب اي
قدر في سابق علمه او امر الحفظة بكتبها في
اللوح المحفوظ من عنده والمعني اثبت الحسنات
اي ما يتعلق به الثواب والسيات اي ما يستحق
فاعله العقاب ثم بين ذلك اي ما ذكرها للكرام والمعني
بين مقدارها وعين مبلغها للسفرة الكرام بان
بعضها او هو الحسنات يجازي بعشر او سبعين
او سبعمائة الي غير ذلك بطريق الفضل وبعضها
وهو السيات لا يجزي الا بمثلها علي سبيل العدل
او بينة فيما انزله من كتابه او بين النبي عليه السلام
ذلك الابهام بما بعده من الكلام فيكون قوله

غ

ثم بين ذلك من كلام الراوي وقوله فمن هم بحسنة
اي اراده من كلام النبي عليه السلام والفاء
تفصيلية لان ما قبلها قضية اجمالية لا يفهم
منها ان الكتابة على اي الكيفية اي فمن قصدها
وارادها وعزم عليها وترجح عنده فعلها فلم
يعملها لمانع عنها وباعث على تركها كتبها الله
عنده حسنة بالنصب على انها مفعول ثان
باعتبار تضمن معنى التصيير او حال موطئة
موصوفة بقوله كاملة وذلك لان الهم بالحسنة
قصد للخير فيكون خيرا ولذا ورد نية المومن
خير من عمله واما ارادة الشر وان كانت سيئة
لكنه يدفع بكف النفس عنها وهو حسنة و
تقييدها بكاملة لدفع توهم ان مجرد الهم بها
يوجب نقصان ثوابها وفيه دلالة على ان مراتب
المثوبة مختلفة ولو كانت شاملة هذا وفي رواية
لمسلم اذا تحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا اكتبها
له حسنة اي اذا خطر بباله وعلم الله بحاله انه
ارادها ان يكون من جملة اعماله ويؤيده الخبر
الاخر من هم بحسنة فلم يعملها فعلم الله انه اشعرها
قلبه وحرص عليها كتبت حسنة وان هم بها
اي اهتم بها واعتنى بشانها فعملها كتبها الله

عنده عشر حسنات اي متصاعدة الي سبعماية ضعف اي مثل الي اضعاف كثيرة تفضلا منه
لاهل الايمان واحسانا لارباب الايقان وهذه
المراتب بحسب تفاوت العمل في المناقب اخلاصا
في بابه ومراعاة لشرائطه وادابه والاحكام الثلاثة
مستفادة من ايات الثلاثة وهي قوله تعالي من
جا بالحسنة فله عشر امثالها وقوله مثل الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت
سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة وقوله
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له اضعافا كثيرة قال السدي ان هذا التضعيف
لا يعلم احدكم هو وما هو وانما ابهم الله تعالي
لان ذكر المبهم في باب الترغيب اقوي من ذكر
المحدود ثم خص حسنات الحرم كل واحدة بماية
الف حسنة وهو مندرج تحت قوله والله يضاعف
لمن يشا وكذا افضل الصوم لانه سبحانه قال
الا الصيام فانه لي وانا اجزي به فيدل علي ان
تقدير مضاعفة ثوابه لا يعلمه احد الا هو
لانه من افضل انواع الصبر وانما يوفي الصابرون
اجرهم بغير حساب وقد قال المحوان التضعيف
بعشرة لا بد منه بفضل الله ورحمته ووعده

الذي

الذي لا يخلفه والتضعيف بسبعمائة فاكثر انما يحصل
لبعض الناس على حسب مشيئته واخرج ابو
حبان في صحيحه لما نزل مثل الذين ينفقون اموالهم
الاية قال صلى الله عليه وسلم رب زد امتي فنزل
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وروى
احمد ان الله ليضاعف الحسنة الفي الف حسنة
ثم تلا ابو هريرة رواية وان تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه اجرا عظيما ومن هنا قال عمر رضي الله
عنه لو وجدت لي حسنة لكفتني لانه سبحانه يقول
وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا
عظيما فمن يقدر قدره وروى ابو داود ان الصلاة
والصيام والذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله
سبعمائة ضعف مع ما ورد في حديث ابن ابي حاتم
من ارسل نفقة في سبيل الله واقام في بيته فله بكل
درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل
الله فله بكل درهم سبعة الاف درهم وروى الترمذي
من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده
لا شريك له الى اخره كتب الله له الف الف حسنة
ومحا عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة
ومن هم بسيئة فلم يعملها اي من خوف الله او لاجل
رضاه كما ثبت في الحديث القدسي الذي رواه مسلم

بما اي تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من
جرّاي اي من اجلي كتبتها الله عنده حسنة
كاملة لانه انما تركها بعد ان هم بها مراقبة
لله وحذرا من عقوبته في دنياه واخراه مع
القدرة عليها وبقا الميل اليها لا ان هم بها
ولم يعمل لعجزه عنها او عدم عزمه عليها قال
العلما حمل هذا على من لم يوطن نفسه عليها
وانما ذلك تفكر لها بلا استقرار عنها فيكتب له
حسنة بالاعراض عنها وكراهة خطورها فيها
ولا يبعد ذلك من فضل الله سبحانه مع انه
قد تقرر انه في جانب الحسنة لا بد من العزم عليها
قالوا واما من عزم بقلبه على السيئة ووطن
نفسه عليها ثم في عزمه واصراره فان نفس العزم
والاصرار معصية فيكتب معصية ثانية وان تركها
حسنة كانت كذا قالوا ولكن يشكل بقوله وان
هم بها فعلمها كتبها الله سيئة واحدة لان
ظاهره انه لم يكتب عليه حينئذ الا معصية واحدة
اللهم الا ان يقال يريد الهمين وعلى كل تقدير يدل
الحديث على انه لا مضاعفة في السيئة كما هو صريح
في الاية حيث قال تعالى فلا يجزى الا مثلها
بصيغة الحصر للمبالغة ووقع في اصل ابن حجر

واحدة واذا عملها كتبت معصية صح

كتبت

[illegible]

كتبت سيئة واحدة وهو مخالف للاصول المعتمدة
واما ما ورد عن ابن عباس من ان السيئة في الحرم
تتضاعف فمحمول علي المضاعفة في الكيفية لا في
الكمية جمعا بينه وبين الايات القرانية والاحاديث
النبوية وهذا معني قول قتادة في قوله تعالي فلا
تظلموا فيهن انفسكم فان الظلم في الاشهر الحرم
اعظم خطيئة ووزرا وكذا ما في حديثين
ضعيفين ان السيئة تضاعف في رمضان وقال
مجاهد تضاعف السيئة بمكة كما تضاعف الحسنة
وقال ابن جريج بلغني ان الخطيئة الواحدة فيها
بحسب الكيفية تقاوم مائة خطيئة في غيرها
باعتبار الكمية وعلي هذا يحمل ما حكي انه قيل
لاحمد في شيء في الحديث ان السيئة تكتب
باكثر من واحدة قال لا ما سمعنا الا بمكة لتعظيم
البلد وكذا نقل عن اسحاق وقد يكون مضاعفة
السيئة في الكيفية باعتبار عظمة فاعلها وعليه
يحمل قوله تعالي يا نساء النبي من يات منكن
بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين
وذلك لان من عصي السلطان علي بساطه
اعظم جرما ممن عصاه علي بعد منه ومنه
حديث ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات

بمعنى انها تقاوم مائة خطيئة في غيرها يعني ان الخطيئة

وقد صح اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم
لم ينفعه الله بعلمه ثم المحققون علي ان العزم مواخذ
به وخالف بعضهم ونسب الي الشافعي وابن عباس
وعد انه من الهم المرفوع تمسكا بقول اللغويين
من ان الهم بالشي العزم عليه وهو مستمسك
ضعيف في غاية من السقوط لان اللغوي
لا تنزل الي هذه الدقايق التي نظر اليها ارباب
الحقايق ومما يويد الجمهور حديث اذا التقي
المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار
قيل ما بال المقتول قال كان حريصا علي قتل
صاحبه فتقييده انه لو اراد دفعه عن نفسه
لا يكون شريكا له في اثمه وكذا يقويهم الاجماع
علي المواخذة باعمال القلوب كالحسد والحقد
وحب الدنيا وامثالها وعليه حمل ابن عباس قوله
تعالي وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم
به الله نعم العزم علي الكبيرة وان كانت سيئة
فهو دون الكبيرة المعزوم عليها ولا ينافي ما تقرر
ما روي عن الحسن في الحسد وعن سفيان
في سوء الظن بالمسلم انه اذا لم يصحبه قول
او فعل فهو مغفور لان ذلك علي ما يجده الشخص
من نفسه باعتبار جبلته مع كراهته ودفعه
عنها

محمود

عن نفسه بقدر مكنته وذكر السبكي انه يواخذ
بالهم بالمعصية في حرم مكة دون غيرها عن ابن ورويص
مسعود موقوفا مرة ومرفوعا اخرى قيل والموقوف
اصح ونقله بعض اصحاب احمد عنه ولعل ماخذهم
من قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من
عذاب اليم وقال بعض الصوفية انما كان العشرة
اقل درجات الثواب لان الحسنة تصدر بظهور
القلب والسيئة بظهور النفس فاقل درجات
ثوابها انه يصل صاحبها الي مقام القلب الذي
يتلوا مقام النفس في الارتقا تلو مرتبة العشرات
للاحاد في الاعداد ومن عمل سيئة فلا تكتب الا
واحدة لانه لا مقام ادون من مقام النفس
فينحط اليه فبالضرورة جزاوه في مقام
النفس بالنيل وهو حصول هيئتها ومن هنا
يعلم ان الثواب من باب الفضل فانه يتنور استعدا ده
ويزداد قبوله لفيض الحق فيقوى علي اضعاف
ما عمل ويكتسب بها اجورا متضاعفة الي غير
النهاية بازدياد القبول عند عمل كل حسنة وزيادة
الفيض عند زيادة القبول وزيادة القدرة عليها
عند زيادة الفيض الي ما لا يعلمه الا الله كما قال
والله يضاعف لمن يشا وان العقاب من باب

العدل المقتضي للمساواة ومن قعل بالنفس
اذا لم يعف عنه يجازي بالنفس والسيئة والحسنة
المذكورتان من قبيل الاعمال لا الاشخاص والاقرب
سببية من شخص تعادل حسنة من غيره كما قال
بعض العارفين حسنات الابرار سيئات المقربين
اذ سيئاتهم بوجود القلب ورب سيئة توجب
حجاب الابد كالشرك هذا وقال الطحاوي والطبري
في هذا دليل على ان الحفظة يكتبون اعمال القلوب
خلافا لمن قال انها لا تكتب الا الاعمال الظاهرة انتهى
وفيه نظر اذ ليس في الحديث تصريح بان الحفظة
يكتبونها رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما
اي جامعيهما بهذه الحروف اي بهذه الالفاظ
المنقولة عنهما بعينها الا انه رواية بالمعنى لما
فيهما وفي رواية لمسلم بعد واحدة او محاها الله
ولا يهلك على الله الا هالك وتوضيحه ما قال
ابن مسعود ويل لمن غلب احاده عشراته وجاء مرفوعا
هلك من غلب واحدة عشرا فانظر هي من النظر
بمعنى اعمال الفكر ومزيد التدبير فتامل واعتبر
وفقني الله اي اخذ ربي الله على الطاعة بخلق
قدرته في واياك وبدا بنفسه لقوله حكاية عن
انبيائه وتعليما للاصفياء رب اغفر لي ولوالدي
والمومنين

الحديث

يا اخي اي في الدين وهو نداء تعطف وشفقة وتلطف

وللمومنين والمومنات ولقوله عليه السلام ابدا
بنفسك ثم ادرج ابن حجر فيها من هو عمن لقيها
من احبابه واصدقايه فالنون للجمع لا لعظمة نفسه
بنا على ما وقع في اصله وهو خلاف ما عليه المتون
المقررة والاصول المعتبرة وعلى كل تقدير فيه رد
على ما احدثه بعض ظرفا زماننا فانه اذا قيل
لهم تقبل الله منكم يقولون وبدا بكم الى عظم لطف
الله بكسر العين وفتح الظا على ما في الاصول
المعتمدة وفي اصل ابن حجر الى عظيم لطف الله
قال في الكشف اللطف هو اجرا القضا على وفق
الارادة وايصال نفع فيه نوع من الدقة وقال
الغزالي اللطيف من يعلم دقايق المصالح وغوامضها
وما لطف منها ثم يسلك في ايصالها الى المصلح
سبيل الرفق بها وتامل بعقده الالفاظ اي النبوية
الصادرة من المشكاة المصطفوية ومنبع
الحكمة الاحدية ومادة الحياة الابدية فقوله
وفي نسخة وقوله اي ومن جملة ما ينبغي تامله
في الحسنة عقده فانه اشارة الى الاعتنا بها
اي الى مزيد الاهتمام فيها والاعتبار في شانها
فاذا جرا العقدية على المعنى اللغوية محال على الله
سبحانه لتقدسه عن المكان فالمراد عقدية الرتبة

وقريبة المنزلة كقوله تعالى ان المتقين في جنات
ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر وقوله
اي ومن جملته قوله كاملة للتوكيد اي فانه صفة
موكدة للتاييد وشدة الاعتنا بها وقال
في السيئة التي هم بها ثم تركها كتبها الله عنده
حسنة كاملة فاكدها بكاملة اي اعتنا بتركها
وان عملها اي قال وان عملها كتبها الله سيئة واحدة
فاكد تقليلها دفعا لتوهم الزياد فعليها بواحدة
بالنصب على الحكاية وهو الاولى في الحديث والاية وبالجر
على العمل الا ان العمل يتعين في قوله ولم يوكدها
بكاملة اذ ليس هناك حكاية وفي هذه كله اشارة
الى ان مقام الفضل اوسع من مقام العدل كما دل
عليه قوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا
فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي
ولا يهلك على الله الا هالك والحاصل ان لفظ الحديث
ومبناه طابق معناه في افادة فضل الله بتضعيف
الحسنات وتكميلها والاعتنا بها واعزاز السيئات
وتقليلها المسامحة تعالى عباده في المعاملة
تضعيفا في الجبر وتخفيفا في الشر لطفا لهم و
تفضلا بهم ولله در من قال من ذوي الاحوال
يا خالق الخلق يا من لا شريك له طوبى لمن عاش بين الناس مهمول

ابي

اني لاعجب ممن قد راي طرفا . من فرط لطفك ربي كيف ينساك
والله ما فرحت روحي ولا انست . في الدهر ما بقيت الا بذكراك
وكيف ما تنسي روح العارفين وان . دام السرور لهم الا بلقياك

فلله اي دون ما سواه الحمد اي جميع انواعه اذ لا يستحق الحمد ما سواه لان الحمد تعريف المحمود بنعت الكمال من صفات الجلال والجمال والحمد ثابت له سوا حمد او لم يحمد لانه محمود في ازل الازل والمنة اي جنس النعمة لقوله تعالي وما بكم من نعمة فمن الله . او المعني له الحمد في الاولي والاخري والمنة العظمي في شهادة الكلمة العليا ومتابعة طريقة المصطفي سبحانه مفعول مطلق اي انزهه عن نقصان في شانه وفي نسخة زيادة وتعالي اي تعظم سلطانه وظهر برهانه لا نحصي ثنا عليه اي لا نقدر معاشر الانام ولا نطيق علي القيام بحق ثنايه وذكر جميل ذاته وصفاته وافعاله واسمايه ولا نحصر جميع ثنايه اذ الحول البشري قاصر عن استقصايه كما قال تعالي وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تطيقوها فكيف القيام بشكرها والخروج عن عهدة ذكرها وعنه تلميح الي قوله عليه السلام لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت علي نفسك ايما الي عجز البشرية عن القيام بحق العبودية وعن معرفة النعوت

الربوبية وقد ورد فيمن قال يا ربنا لك الحمد
كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك ان
الله يقول للملايكة دعوا الي هذه الكتابة فانكم
تعجزون عن احصا ما يقابلها من المثوبة وبالله
اي بتيسيره لا بغيره التوفيق اي توفيق التحقيق
والاستقامة علي سوا الطريق وختم به لغرض
فقره في جميع اعماله واحتياجه في كل احواله
الي الاسعاد الرباني والامداد السبحاني الثامن
والثلاثون عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان
الله تعالي قال من عادي لي وليا من المعاداة
ضد الموالاة والولي ضد العدو وهو فعيل اما
بمعني مفعول وهو من يتولي الله امره وحفظه
علي التوالي فلا يكله الي نفسه لحظة قال تعالي
وهو يتولي الصالحين واما بمعني فاعل وهو
من يتولي عبادة الله وطاعته ويتوالي عليه
من غير تخلل بمعصية وكلا الوصفين شرط في
الولاية كما ذكره القشيري فالوصف الاول غالب
علي المجذوب المراد والثاني علي السالك المريد
والله يجتبي اليه من يشا ويهدي اليه من ينيب
والا ظهر ان المراد بالولي هنا المومن المتقي قال

تعالى ان أولياؤه الا المتقون وقال الا ان اولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا
يتقون وتحقيقه ان يقال هو من يتولى الله بذاته
امره فلا تصرف له اصلا اذ لا وجود له ولا ذات
ولا فعل ولا وصف فهو الفاني بيد المولى يفعل
به ما يشاء حتى يمحو رسمه واسمه وعينه واثره
ويحييه بحياته ويبقيه ببقائه والتركيب يدل على
القرب فكانه قريب منه لاستدامة عبادته
واستدامة طاعاته اولا ستغراقه في بحر معرفته
ومشاهدة طلعة عظمته والاظهر ان المراد بالولي
الكامل من جمع بين قرب الفرائض والنوافل
وان ادنى ما يطلق عليه من تقرب اليه بالفرائض
من امتثال الاوامر واجتناب الزواجر وقوله
لي حال من قوله وليا قدم عليه لتنكيره وجعله
ظرف لغو ولو قال به ابن حجر فتدبر وآذا صيغة
المفاعلة للمبالغة ولا يبعد ان يكون للمغالبة
والمعنى من اذى وفي رواية من اهان واحدا
من اوليائي **فقد آذنته بالحرب** بهمزة
ممدودة اي اعلمته بانه محارب لي ذكره المص
ويؤيده ما وقع في بعض الروايات فقد بارزني
بالحرب او بالمحاربة وقال بعضهم اي اعلمته باني

محارب له اي مقاتل له مقاتلة المحارب له وهو
البلغ وفي رواية بدل هذا فقد استحل محارمي
وفي اخري فقد استحل محاربتي وفي اخري فقد اذي
الله ومن اذي الله فيوشك ان يا خذه ففي الحديث
تسلية للاصفيا عن معاداة الاعدا وتحذير للاعدا
عن ايذا الاوليا وترك حرمتهم وتنبيه علي تعظيم
شانهم وحفظ قلوبهم ودفع كربتهم لما في مفهومه
حيث جا في معاداة الولي عظيم الوعيد يكون في موالاته
حسم القرب والتاييد الاقرب كما قيل
وكم لله اشراف البرايا لهم قدر عظيم بالكرامة
فمن والاهم حقا وصدقا كرامته الشفاعة في القيامة
ثم اعلم ان جميع المعاصي محاربة الله عز وجل
ولذا قال الحسن يا ابن ادم هل لك بمحاربة الله
من طاقة فان من عصي الله فقد حاربه الا ان كلما
كان الذنب اقبح كان محاربة الله اشد واصرح ولذا
سمي اكل الربا وقطاع الطريق محاربين لله ورسوله لعظيم
ظلمهم لعباده وسعيهم بالفساد في بلاده هذا
اول من عادي وليا من اوليائه ابليس فانه عادي
اول نبي من انبيائه واستمرت هذه العداوة بين
الذرية وقد حكي ان بعض الاكابر من الملوك وقف
علي جمع من الصوفية فقال من انتم فقال نحن قوم
من

256

من احبابي بدنياه ومن ابغضائي بعقباه فقال
انا ما قدر علي محبتكم ولا عداوتكم وذهب وتركهم
وما تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما افترضت
عليه التقرب طلب القربة واخذ المثوبة والبا في
بشيء سببية واحب صفة شيء افعل وهو بمعني
المفعول فهو منصوب وفي نسخة مرفوع علي
تقدير هو احب وما الثانية موصوفة او موصولة
والعايد محذوف اي مما افترضته عليه والفرض
اعم من ان يكون فرض عين او كفاية ودخل فيه
الواجب علي مصطلحنا لانه فرض عملا لا اعتقادا
ولهذا تعاقب الحنفية في نحو الوتر وركعتي الطواف
اكثر من الشافعية لاختلاف معتقدهم في القضية
والمعني بوسيلة عملا احب الي من الذي فرضته عليه
اي وسايل القرب كثيرة ووسايلها مختلفة واحبها
الي اداء الفرايض ومراعاة ساير تكاليف الاحوال
اذ هي الامانة المعروضة علي السموات والارض
والجبال وفي رواية بدل هذا ابن ادم انك لن تدرك
ما عندي الا باداء ما افترضت عليك قال العلماء وذلك
لان الذي فرضه الله علي عبده هو اختياره تعالي
والذي يتنفل به العبد اختياره لنفسه فينبغي
للعبد كمال الاهتمام بامر الفرايض والقيام

والمعني ما تطلب عبد القربة مدخني
والمثوبة من عنايتي ص

وسراتها ٢

بتحسينها الا كما يفعله العامة من تضييع الفرايض
بالتقصير في شرايطها وتكميل اركانها والاتيان
بسننها واداب بها ثم تكثير النوافل والاذكار
والاوراد والتلاوة وكثرة الطواف وامثالها وما
يزال عبدي يتقرب وفي رواية يتحبب الي
بالنوافل اي بالزوايد على الفرايض فيشمل السنن
الموكدة وفي اخرى يتنفل ويترقى من مقام
الى اخر حتى احبه اي حتى املا قلبه من
معرفتي فاشرقت عليه انوار ولايتي بسبب
الجمع بين فرايضي ونوافل طاعتي والشان
كل الشان في محبته سبحانه للعبد دون محبة
العبد له تعالى وان كانت الثانية نتيجة للاولى
كما يشير اليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه وفي
الصحيحين عن ابي هريرة مرفوعا اذا احب
الله عبدا دعى جبريل فقال يا جبريل اني
احب فلانا فاحبه قال فيحبه جبريل ثم
ينادي في السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه
فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض
الحديث فاعلى بها مرتبة واعظم بها منقبة
ولعل الحديث مستفاد من قوله تعالى ان
الذين امنوا وعملوا الصلحات سيجعل لهم

الرحمن

مبتورم

257

الرحمن وذا ماخوذ من قوله سبحانه قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فالمحبة على
قدر المتابعة في الفرض والسنة هذا ومن
افضل النوافل تلاوة القران لما روي الترمذي
ما تقرب العباد الي الله عز وجل بمثل ما خرج
منه اي ظهر منه يعني القران ولذا قال عثمان
لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم وقال
بعض العارفين لمريد احفظ القران قال لا فقال
واغوثاه بالله ومريد لا يحفظ القران فبم يتنعم
فبم يترنم بما يناجي ربه ثم ساير الاذكار فقد اخرج
البزار عن معاذ قلت يا رسول الله اخبرني
بافضل الاعمال واقربها الي الله عز وجل قال
ان تموت ولسانك رطب بذكر الله وكفى فضلا
بشرفه قوله فاذكروني اذكركم ومن جملتها
الحب في الله والبغض له في الله فقد اخرج
احمد لا يجد العبد صريح الايمان حتى يحب لله
ويبغض لله فاذا احب لله وابغض لله فقد
استحق الولاية وفي رواية من احب لله وابغض
لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان
وروي ابو داود ان لله اناسا ما هم بانبيا ولا
شهدا يغبطهم الانبيا والشهدا يوم القيامة

بمكانهم من الله عز وجل قالوا يا رسول الله من
هم قال قوم كانوا يتحابون بروح الله علي غير ارحام	هم ص
بينهم ولا احوال يتعاطونها فوالله ان وجوههم
لنور وانهم لعلي منابر من نور لا يخافون اذا خاف
الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلا هذه
الاية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
ولقد اغرب ابن حجر حيث قال عد التوكل و
الرضا من التطوعات الباطنة وغفل عن كلام
الاكابر الايمة انهما من الفرايض العينية المتعينة	من ص
علي كل احد من سالكي الطريق الاخروية
وفي الاحيا ذكرها علي وجه الاستيفا **فاذا احببته**
اي حبا كاملا وقربته قربا كاملا **كنت** اي
صرت حينيذ بمعني ظهرت **سمعه الذي**
يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش
بها بفتح الطا الثانيا وكسر الطا هو الرواية و
موافق للاية وهي قوله تعالي يوم نبطش البطشة
الكبري ويجوز ضم الطا وكذا ضم اوله وكسر
ثالثه في اللغة فقول ابن حجر بفتح اوله وكسر
ثالثه وهم ليس في محله باعتبار لمه **ورجله**
التي يمشي بها وفي رواية وفواده الذي
يعقل به ولسانه الذي يتكلم اي حافظ حواسه

وجوارحه

وجوارحه فلا يسمع ولا يبصر ولا ياخذ ولا يمشي
الا فيما ارضى ولحب ويتقلع عن الشهوات ويستغرق ق
في الطاعات وقريب منه قول الخطابي معناه
توفيقه في الاعمال التي يباشرها بهذه الاعضا
يعني ييسر عليه فيها معاملة سبيل ما يحبه
ويعصمه عن مواقعة ما يكرهه من اصغا الى
اللهو بسمعه ونظر الى ما نهى عنه ببصره وبطش
ما لا يحل بيده وسعى في باطل برجله وقال
التوربشتي اجعل سلطان حبي غالبا عليه
حتى يسلب عنه الاهتمام بشي غير ما يقربه الي
فيصير متخليا عن اللذات متخلعا عن الشهوات
متى ما يتقلب واين ما يتوجه لقي الله بمراى
فيه وسمع منه وياخذ حب الله بمجامع قلبه
فلا يسمع ولا يرى ولا يفعل الا ما يحبه ويكون له
في ذلك عونا ويدا ووكيلا يحمي جوارحه وحواسه
وقيل المراد كنت اسرع الى قضا حوايجه من
سمعه في الاستماع وبصره في النظر ويده في اللمس
ورجله في المشي وقيل كنت مسموعه ومبصره
اي يكون مسموعه اسمي وذكري وكلامي فلا
يلتذ ولا يستانس الا به ومبصره عجايب ملكوتي
وصنايع جبروتي يستدل بها على وجوب وجود

ذاتي وقدس صفاتي لا ينظر فيها الا الله ولذلك
في اليد والرجل اي لا يجد الا الي ما احبه ولا يخطوا
الا حيث يرضاه وفي كلام القاضي انه يتقرب ويترقي
من مقام الي اخر حتي يحبه الله فيجعله مستغرقا
بملاحظة جناب قدسه ومطالعة مقام انسه
بحيث ما لاحظ شيا الا وراي الله تعالي فيه وما
التفت التفات حاس ومحسوس الا لاحظ
ربه وشاهد قربه وهو اخر درجات السالكين و
اول مراتب الواصلين هذا مجمل الكلام وان اردت
تحقيق المرام في هذا المقام الذي زلت فيه الاقدام
والاقلام وكلت دون الوصول الي الحق الافهام فاستمع
لما يتلي عليك من تدقيقات المحققين الاعلام الواصلين
الي اعلي مدارج الانس السابقين في ارقي معارج القدس
التائهين في بيداء عظمة الملك والملكوت المتلاشين
في دجا الرحموتية والعزة والجبروت الذين ورد
في شانهم الحديث ونطق بفخرهم القديم والحديث
فنقول المحبة ارادة ما تراه او تظنه خيرا مما
سواه وهي اما محبة اللذة كمحبة الطعام او محبة
المنفعة كمحبة ما ينتفع به من المرام ومحبة
الفضيلة كمحبة العلماء الاعلام ذكره الراغب ولا
يخفي انها ابلغ من الارادة لانها اذا تاكدت

في

في القلب وانعقدت فيه عزائم المحبة وهي منقسمة
الي الطبيعية وهي ميل النفس الي لذاتها و
شهواتها والشرعية الماخوذة من الكتاب والسنة
والروحانية وهي ميل القلب الي مطالعة الامور
الملكوتية العلوية فاذا استولت عليه وغلبت
لديه تصير عشقا فهو المحبة المفرطة ولا يجوز
اطلاقه علي الله عند جمهور الامة وقالت الصوفية
محبة العبد هي الميل الدايم بالقلب الهايم وايثار
المحبوب علي جميع المصحوب ومحو المحب بصفاته
وايثار المحبوب بذاته وموافقة الطاعة ومباينة
المخالفة وقال الجنيد هي دخول صفات المحبوب
علي البدل من صفات المحب كما في الحديث قال السهروردي
وذلك لان المحبة اذا صفت وكملت لا تزال تجذب
بوصفها الي محبوبها فاذا انتهت الي غاية جهدها
وقفت والرابطة متاصلة متاكدة وكمال وصف
المحبة ازال المانع من المحب وبكمال وصف المحبة تجذب
صفات المحبوب تعطفا علي المحب المخلص من موانع
مكادحة في صدق المحبة ونظرا في قصورها بعد استيفا
جهده فيعود بعوايد اكتساب الصفات من المحبوب
فيقول عند ذلك

انا من اهوي ومن اهوي انا نحن روحان حللنا بدنا

فاذا ابصرتني ابصرته واذا ابصرته ابصرتنا

انتهى وفي هذا المقام انشد بعض المشايخ الكرام

رق الزجاج ورقت الخمر فتشاكلت وتشابه الامر

فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر

وذكر الرازي في حقايق التفسير ان محبة المحب ثلاث

مراتب محبة العوام التابعين للاعمال المحمدية وهي

مطالعة المنة من احسان المحسن بالنعمة ومحبة

الخواص التابعين لاحواله وهي الناشية من الجذبة

الالهية في كنت كنزا مخفيا وحقيقتها ان يبقى المحب

بسطوتها ويبقى هي فيه بلا هو لانها نار لا تبقي ولا تذر

ومحبة المحبوب ثلاث درجات ايضا محبة العوام

باختصاصهم بالرحمة والمغفرة والمثوبة ومحبة الخواص

بتجلي صفات الجلال واستر طلمة صفاتهم بانوار صفات

الكمال ومحبة اخص الخواص باختصاصهم بالجذبات

واسترطلمة وجودهم بانوار الوجود الحقيقي للذات

فيتجلي اولا بنار الجلال فتحرق عن قلبهم جميع ما كان

فيه من الامال ثم يتجلي بنور الجمال ويمحوهم عنه و

يثبتهم به ويسلب عنهم السمع والبصر والنطق

وايدله بسمع وبصر يليق به فهم بين روضة المحو

وغدير الاثبات احيا غير اموات كما يشير اليه

قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى.

وهذا

260

وهذا في مقام المحب والمحبوب والمحبة واحد كما أن
الرائي في المرآة يشاهد ذاته بذاته وصفاته بصفاته
فيكون الرائي والمرئي والرؤية واحدا كما يشير إليه
قوله عليه السلام المومن مرآة المومن على أن المراد
بالمومن في الموضعين هو الله انتهى كلامه فيكون
مجرى الحديث ومقتضاه والله أعلم بحقيقة معناه
أن من استقلت به الدرجة المحبوبية ومكنته
الرتبة المطلوبية كنت مستوليا بنور وجهي على
قلبه مفيضا بنوره سرى على صدره فسمعه
من نوري يسمع به وبصره من نوري يبصر به ويده
من نوري يبطش بها ورجله من نوري يمشي بها
فيكون قائما بنوري لأن مصدر أعماله وهو القلب
الذي هو بيت الرب صار عرشا لنور الله متحققا به
الظهور ولا يصدر من النور إلا النور ومن لم يجعل
الله له نورا فما له من نور فهذا العبد هو الذي كان
بنور الحق ذاتا وصفة فبي لشهوده وبي لوجوده
لا استعداده بكمال الهداية لسبق العناية
عندنا بالمحبة يوما قالت له الدنيا أتينا طائعينا
هذا وفي رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش
وبي يمشي أي أنا الذي قدرته على هذه الأفعال
وخلقتها فيه في جميع الأحوال كما هو معتقد أهل

السنة والجماعة خلافا للمعتزلة من اهل البدعة واما
زعم الاتحادية الحلولية بتاهذا الكلام على ظاهر المرام
وانه سبحانه عين عبده او جزا بدا وحال في قلبه و
اعضايه خروج عن الاسلام باجماع علما الاعلام وعمدة
ما تقرر ورتبة ما تحرر من اجتهد بالتقرب الى الله
بعمل الفرايض والنوافل ابتغا لمرضاه ترقيه مولاه ورقاه
من درجة الايمان الى مرتبة الاحسان حتى يعبد
الله كانه يراه ويسمع ويبصر ويا حق ويسمع في مهواه
وهذا هو الذي يقال في حقه لا يبقى الا الله لانه سبحانه
اغناه عما سواه فلا ينطق الا بذكره ولا يتحرك الا بامره
فان نطق نطق به وان سمع سمع به وان نظر نظر به
وان بطش بطش به ان صلاتي ونسكي ومحياي
ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وفي الحديث
من اصبح وهمه غير الله فليس من الله اي لا حظ
له في قربه ومحبته ومقام رضاه وان سالني اعطيته
كذا في النسخ وفي اصل ابن حجر تبعا للفاكهاني
ولين سالني لاعطينه ثم حذف المفعول لبعض
المسبول ولين استعاذني ضبطوه بالنون
وبالبا وكلاهما صحيح ذكره المنهم والاظهر انها لقوله
تعالى فاستعذ بالله على انها للاستعانة لا للالصاق
كما ذكره شارح فانه هنا غير جايز الالصاق بخلاف

الرواية

بلغ مقابلة

الدابة لما ان الالصاق من دابة واما النون فللوقاية
واليا منصوب بنزع الخافض واوردا للام الموطوة للتا كيد
وحذف من المستعاذ منه لبيم في مقام التا بيد
والمعود الا لغايات الا لغاية حيثي وتعلق باعاني
واعاتي لاعيذنه وفي رواية زيادة وان استغفرني
مغفرته والله قادر علي ان يعطيه من غير ان يساله
وان يعيذه قبل ان يستعيذه ولكنه سبحانه متقرب
الي اعطا السايلين واعاذة المستعيذين ولذا
ورد من لم يسال الله يغضب عليه اي لا بلسان
القال ولا ببيان الحال للاشعار بانه مدع للكمال
المستغني عن جال ذي الجلال والعبد غير
مستغني عنه سبحانه لا في الايجاد ولا في الامداد
ومن لطايف الكلام قول بعض الشعرا الكرام
الله يغضب ان تركت سواله وبني ادم حين يسال يغضب
ثم في هذا الوعد المحقق المؤكد بقسم الحق اعلام
بان من تقرب الي الله لا يرده اذا دعاه لكن كثير
من السلف كان مستجاب الدعاء ومع ذلك صبروا علي
البلا منهم سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه
لما عمي قيل له لو دعوت الله فقال قضا الله احب
الي من بصري وقيل لابراهيم التيمي وهو في سجن
الحجاج اما تدعوا الله فقال اكره ان ادعوه ان

بفرح عني ما فيه اجري وصبر سعيد بن جبير
علي اذى الحجاج حتى قتله مع انه كان مجاب الدعوة
هذا وفي رواية كنت له سمعا وبصرا ويدا و
موبدا دعاني فاجبته وسالني فاعطيته و
نصح لي فنصحت له وان من عبادي من لا يصلح
ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وذكر
مثله في الفقر والصحة والسقم ثم قال اني ادبر
عبدي لعلمي بما في قلوبهم اني عليم خبير وهذا
مستفاد من قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق
لمن يشا ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ثم
اعلم ان الاستعاذة انما هي لدفع المضار ومعظمها
بالنسبة الى الابرار وهي الخواطر فلا بد من معرفتها
فان الخاطر ما يرد على القلب في صورة خطاب
او تعريفا وطلب وانواعه اربعة خاطر الحق
المسمى بالخاطر الاول وهو علم يقذفه الرب من
بطنان الغيب على اهل القرب ويبقى مطمينا
لا يبغيه شي ولا يقتضي المهلة ويعبر عنه با
لالهام وخاطر الملك وهو ما يرغب على الطاعات
ويجذر عن السيات ويلوم عليها بعد الميل اليها
وقد لا يطمين ويطلب المهلة وخاطر الشيطان
وهو ما يدعوا الى الملاهي والملاهي فيندفع با

ستعاذة

بالاستلذاذ والانتها وخاطر النفس وهي حركه
في الباطن تبعث الي تحصيل ملاذها ومرامها
من اشيا منكرة يتحقق ان الله منزه عنها وعن
غيرها فيما بل ترك المبالاة واستدامة الذكر
وساير الطاعات ويفرق بينهما بان الشيطان
اذا دعي الي زلة ولم يجب يوسوس باخري اذ
مراده الاغوا كيف امكن في ضمن الاشيا بخلاف
النفس فانها لا تزال تلح حتي تظفر بمرادها
الا ان يعيذه الله ولهذا هو اشد الخواطر علي
المريدين وحقيقة الوسوسة ان الانسان بينما هو
ذاهل عن الشي ذكره النفس والشيطان فيحدث
له ميل يترتب عليه فعل هذا هو المشهور بين
الجمهور وقد ذكر نجم الكبرا خاطر القلب وهو ما
سلم من منازعة النفس وينطق عن قيد الشك
وغيره وخاطر العقل وهو ما يكون مع النفس والبدن
لاثبات الحجة علي العبد يستحق به العقاب ومع الملك
والروح ليستوجب به الثواب وخاطر الروح وهو بهام
ما ينبعث من همته التي هي الي الحضرة الالهية
يستنزل بها الالهامات الربانية وخاطر السر
وهو ما ينشا عن ميلانه الي معرفة الصفات
التي يستنزل المعارف من بحار الاسما والذات

وخاطر اليقين وهو روح الايمان ومزيد العلم والاتقان
وخاطر الشيخ للمريد يرد عليه على قدر العلقة
المعنوية وخاطر النبي للاتباع على قدر الاتباع
والخاطر من المولى على قدر صفا الباطن وتالف
الزوجين والخاطر من قلوب الاخوان على قدر
خلوص الصحبة انتهي ولا يخفى اندراجها تحت
الخواطر باسرها الى اللمتين المذكورتين في الحديث الاربعة بل رجوع تلك الخواطر م
كما حققه الشيخ العارف صاحب العوارف بل لا يبعد
ان يقال الاصل في الخواطر جميعها الخاطر الحقاني والالهام
الرباني لقوله تعالى ونفس وما سواها فالهمها
فجورها وتقواها ومن ثم قيل التوحيد اسقاط
الاضافات يعني في سلسلة اسباب المسببات ولما
كان هذا التحقيق من غوامض العلوم وادراك
عوايد فوايده من دقايق المفهوم بسطنا الكلام
في ذلك واوردناه ما هنالك والله الهادي الى سبيل
المسالك رواه البخاري لكن بزيادة بعد لاعيذنه
وهي قوله وما ترددت عن شي انا فاعله ترددي
عن نفس المومن يكره الموت وانا اكره مسايته قال
ابن الصلاح وليس المراد بالتردد هنا حقيقته
المعروفة في حقنا بل انه يفعل كفعل المتردد بلا م
الكاره اي لمحبته له يكره مسايته بالموت لانه اعظم الام
الدنيا

263

الدنيا الا علي قليلين من اهل العقبي والمشتاقين
الي قرب المولى وان كان لا بد له منه كما في روايه وذلك
لما سبق من محتوم قضايه وقدره حيث قال كل نفس
ذايقة الموت فسبحان من قهر العباد بما اراد وهذا
بالنسبة الي من يوجد عنده الكرا هة الطبيعية
كما تقتضيه الحالة البشرية والا ففي الحديث من احب
لقاء الله احب الله لقاه ومن كره لقاء الله كره الله لقاه
كما رواه احمد والشيخان والترمذي والنساي عن
عايشة وعن عبادة التاسع والثلاثون عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم قال ان الله تجاوز اي عفي وتفاعل
بمعنى فعل ولعل معنى المجاوزة ان الله يطالب
المذنب بالذنب والمذنب يطالب الرب بالعفو
اي يتمسك عند الخوف من عذابه برحمته فاذا
عفي الرب فقد تجاوز عن مطالبته لي اي لاجلي
وتعظيم امري ورفعة قدري وحصول مرضي
صدري عن امتي اي امة الاجابة قال الكواشي
في تفسيره كان بنو اسرايل اذا نسوا شيا
مما امروا به واخطاوا عجلت لهم العقوبة
الخطا اي اسمه وقد ابعد ابن حجر حيث
فسر اولا قوله تجاوز بمعني ترك وثانيا حين

قال هنا يحتمل عن حكمه او عن اثمه او عنهما
جميعا وهذا هو الاشبه اذ لا مرجح لاحدهما
فابقي الحديث علي تناولهما وتخصيصه بالثاني
يحتاج لدليل انتهي ولا يخفي ان حكم الخطا اعم
من اثم فعله وما يترتب عليه من تداركه من رفع
الاثم مستفاد من هذا الحديث كما ان تداركه
ماخوذ من قوله تعالي ومن قتل مومنا خطا
اذ المراد بالخطا ضد العمد وهو ان يقصد بفعله
شيا فيصادف غير ما قصد لا ضد الصواب
خلافا لمن زعمه في هذا الباب بنا علي ان تعمد
المعصية قد يسمي خطا ثم الخطا بفتحتين مقصورا
هو الاشهر ويجوز مده مع فتح الخا وكسرها
وكسر الخا وسكون الطا وكذا ضم الخا وسكون
الطا وبهذه الوجوه كلها قرى قوله تعالي انه
كان خطا كبيرا ولعل الخطا بفتحتين هو المراد
ههنا بدليل الاية الاولي واما بقية ...
بتعمد المعصية الا الخطا بالفتح ممدودا فانه
يناسب ان يكون ضد الصواب والحاصل
ان من اتي بشي من المعاصي او اخل ببعض
الفرايض خطا لا يتعلق به ذم في الدنيا ولا
مواخذة في العقبي ولهذا لو قتل انسانا

خطا

خطا بان لم يقصد الفعل كان سقط علي
صبي فماتا او قصد الفعل دون الشخص كما
اذا رمي الي صيد فاصاب انسانا لم يقتص
منه اما من اراد ما يحسن فعله ولكن يقع
منه خلاف مراده فهو ممن اجتهد فاخطي
فله اجر واما من اراد ما لا يحسن فعله ويتفق
منه خلافه فهو مخطي ارادة مصيب فعلا
فهو مذموم بقصده غير محمود بفعله وفي
رواية ان الله تجاوز عن امتي عن الخطا قال
ابن حجر وهي اظهر اذ لا يحتاج فيها الي تقمين
تجاوز لغيره بخلاف الاولي كما تقرر انتهي وفيه
ان تجاوز لم يتعد بعن مرتين فيحتاج هنا الي
بقال الي ابدال الثاني عن الاول فيكون المعني
عن خطا امتي والتضمين كثير في كلام الفصحا
ومرام البلغا علي انه حينيذ ايضا يحتاج الي
تقدير مضافين اي تجاوز عن اثم امتي بخلاف
ما قررنا حيث قلنا تجاوز بمعني عفي فالخطا
مفعول بلا واسطة والنسيان ضد الذكر
بالكسر والذكر بالضم بمعني التذكر وهو
المراد هنا اي اثم ما صدر عنهم من اقتراف

خطا ام

وعدا معني بالواسطة ام

ذنب او اقتراف طاعة نسيانا ولعدا الواكل الصايم
او شرب ناسيا فلا افطار ولا كفارة بخلاف الصلاة فانها
لها هيبة مذكورة قبل اذا كان اسم الخطا والنسيان
متجاوزا عن هذه الامة المرحومة فما الحكم في الدعا
بقوله ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا واجيب
بان هذا تلذذ ولعتراف بالنعما بما رفع عنهم من
البلا وبان النسيان منه ما يعذر صاحبه ومنه
ما لا يعذر كما اذا ترك التحفظ واعرض عن اسباب
التذكر كمن راي نجاسة في ثوبه ولخر الازالة وصلي
عد مقصرا فيجب القضا وكذا اذا تغافل عن
نفا هذا القران حتي نسي فذكر الخطا والنسيان
واراد ما هو المسبب عنهما وقبل المعني ان نسينا
الماموربه او اخطانا في المنهي وقد اجاب الله
دعايهم بدليل ما ورد عنه صلي الله عليه وسلم
انه سبحانه قال بعد كل دعا فعلت او نعم والله اعلم
وغايته ان يكون الحديث متاخرا عن الكلام القديم
وما استكرهوا عليه بصيغة المفعول اي وان ثم
ذنب صدر عنهم بالاكراه والاجبار فلا يكفر من
اكره علي الردة فتلفظ بها مطمينا بالايمان قلبه
والحديث مخصوص بغير القتل والزنا واللواطة

وشهادة

وشهادة الزور والحكم بالباطل اكراها ونحو ذلك وفروع هذا الاصل وشروطه مذكورة في كتب المذهب من الامور المتفق عليها والمختلف فيها ولعل معناه بلسان العارفين وارباب الاشارة هو ان الله لا يعاقب امتي ان اخطات طريق طلب الله او في العمل لما سواه من خوف عقوبة او رجا مثوبة او نسيت عهد الله الذي عاهدهم ان يحبوه ولا يحبوا غيره لانهم غربا بعدا طالت العهد بهم مسافرين عنه محتجبين بانواع البلا عن قربهم لكن سيعودون الى الفطرة الاصلية والمحبة الازلية لانه حين لم يكن شيئا مذكورا بل لم يكن في الكتاب مسطورا قد نطق الحق محبتهم اولا ورقم بها في اللوح ثانيا وانزل عليهم قوله يحبهم ويحبونه ثانيا ولله در من قال

نقل فؤادك حيث شئت ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يالفه الفتى وحنينه ابدا لاول منزل

حديث حسن اي اسناده رواه ابن ماجه لكن عن ابي ذر كما صرح به في الجامع الصغير ورواه م الطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه عن ابن عباس والبيهقي وغيرهما كابن حبان في صحيحه والدارقطني باسناد صحيح وقد قال الحاكم صحيح

علي شرطهما ومايظره الاعلال بالارسال واما
اختار المص كونه حسنا مع تصريح جمع بالصحيح لما
حكي البيهقي عن محمد بن نصر المروزي انه قال
ليس لهذا الحديث اسناد يحتج به ولا احوط ان يقال
انه حسن لذاته صحيح لغيره الاربعون عن ابن
عمر رضي الله عنهما قال اخذ رسول الله صلي الله
عليه وسلم بمنكبي بفتح الميم وكسر الكاف مجمع
العضد والكتف ويروي بالتثنية قيل وهي الرواية
وبالافراد وذلك ليتوجه توجها بليغا فيما يملي
عليه ويتمكن في ذهنه ما يلقي اليه وعنه ايماء الي ان
الراوي له منزلة عظيمة لديه فقال كن في الدنيا
كانك غريب اي لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا
ولا تحدث نفسك بطول البقا فيها ولا بالاعتنابها
ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه
ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل الغريب الذي يريد
الذهاب الي اهله كذا قاله المص وذلك لان الدنيا
دار مرور وجسر عبور كما قال عيسي عليه السلام
الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها فينبغي
للمومن ان ينتظر الانتقال عنها ساعة فساعة من
الاحوال متهيئا لاسباب الارتحال بتدارك الاعمال
وبرد المظالم او طلب الاستحلال مشتاقا الي

الوطن

266

الوطن الحقيقي حين كان في صلب ادم عليه السلام
ثم نقل منها الى دار الغربة والالام بالاقبال
على مداومة طاعة ذي الجمال والجلال على وجه الكمال
كانها في سفره بلغة من لقمة وسترة من خرقة
صابرا على ما اودع فيها من الاكدار كانها بيت
القرار وان العيش عيش الاخرة كما في الاخبار
ثم ترقى عن المقام الاول بلفظ او الى معنى بل وقال
او عابر سبيل اي بل كانك عابر سبيل لانه قد يسكن
الغريب في غير وطنه ويستانس به وباهله فهذه
درجة بعض الذين رفضوا الدنيا وانعزلوا عن الناس وتجردوا
عما هم عليه من الانتقال والالباس بل صاروا حفاة
عراة حاسري الراس وهي الحقيقة هم الفقراء و
الاكياس من الخارج فضلهم عن الحد والعد ومقياس الكمال
ان لله عبادا فطنا . طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما عرفوا . انها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا . صالح الاعمال فيها سفنا
هذا وزيد في بعض طرق الحديث وعد نفسك في اصحاب
القبور وفي رواية الترمذي وعد نفسك من
اهل القبور اي وتنبه من نوم الغفلة واسلر
الغرور وتب الى الله واستعد للرا ديوم الحشر و
النشر وهذا معنى ما ورد موتوا قبل ان تموتوا **وكان**

ابن عمر يقول اذا امسيت اي دخلت في وقت
المسا وهو اول الليل فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت
اي دخلت وقت الصباح وهو اول وقت النهار
فلا تنتظر المسا وفي هذا حث على قصر الامل
لانه سبب المبادرة الى العمل والمنجي من افات الكسل
فانه من طال امله سا عمله فالواجب ان يجعل نصب
عينيه اجله فان هذا هو سبب الزهد في الدنيا والاقبال
على العقبى ولذا قيل من جعل الموت نصب عينيه
لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها المضرة في العقبى
وقد ورد في الصحيحين وغيرهما ولا يزال قلب
ابن ادم شاب في اثنين حب الدنيا وطول الامل
وعن ابي زكريا اليماني قال بينما سليمان بن عبد الملك
في المسجد الحرام اذا اتي بحجر منقور فطلب من
يقراه فاذا فيه ابن ادم لو رايت قرب ما بقي من
اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في زيادة
من صالح عملك ولقصرت من حرصك وحيلك
فاعمل ليوم القيامة يوم الحشر والندامة ذكره ابن
الجوزي في منهاجه وقد قال تعالى ذرهم ياكلوا
ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال
ابن عمر راني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا اصلح خصا فقال ما هذا قلت خص لنا وهى

فقال

فقال ما ادري الاسراك اقرب من ذلك ذكره الزمخشري
وقيل لبعضهم الا تغسل قميصك قال الامر اعجل
من ذلك وعن محمد بن ابي ثوبية قال اقام معروف
الصلاة ثم قال لي تقدم فقلت ان صليت بكم هذه
الصلاة لم اصل بكم غيرها فقال معروف انت
تحدث نفسك ان تصلي صلاة اخري نعوذ بالله
من طول الامل فانه يمنع خير العمل وروي عن ابي
سعيد الخدري انه قال اشتري اسامة بن زيد
وليدة بمائة دينار فسمعت رسول الله صلي الله
عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة المشتري
الي شهر طويل الامل والذي نفسي بيده ما
طرفت عيني الا ظننت ان شفري لا يلتطبق عني
حتي تقبض روحي ولا طعمت لقمة الا ظننت اني
لا اسيغها حتي اغص بها من الموت والذي
نفسي بيده انما توعدون لات وما انتم بمعجزين
وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلي الله عليه
وسلم يتيمم بالتراب فاقول يا رسول الله ان الما
قريب منك فيقول ما ندري لعلي لا ابلغه ذكره
الحارث ابن اسامة وروي مرفوعا نجا اول هذه الامة
باليقين والزهد ويهلك اخرها بالبخل والامل
وهذا الان من قصر امله زهد في دنياه ومن طال

امله طمع ورغب في هواه وترك الطاعة وتكاسل
عن التوبة وقسا قلبه لنسيانه الاخرة وعن علي كرم
الله وجهه ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الاخرة
مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا من ابنا الاخرة
ولا تكونوا من ابنا الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب
وغدا حساب ولا عمل وكان الحسن يقول عجبا لقوم
امروا باخذ الزاد ونودوا فيهم بالرحيل الي المعاد
وحبس اولهم في انتظار اخرهم وهم قعود يلعبون
ما يخطر هذا في خاطرهم ووقع في اصل ابن حجر الي
الصباح والي المسا بزيادة الي في الموضعين وهو
مخالف للنسخ المعتبرة والشروح المشهورة وقد ابعد
في تقديره المعني حيث قال اي اذا امسيت فلا تنتظر
باعمال الليل الي الصباح واذا اصبحت فلا تنتظر
باعمال النهار الي المسا انتهي ووجه استبعاده لا يخفي
علي الفضلا النبلا **وخذ من صحتك لمرضك** والمعني
اغتنم ايام الصحة والعافية لاقتنا الاعمال الصالحة
الباقية قبل ان تمرض فتعجز عنها وتندم علي ما فاتك
منها وكذا الكلام في قوله **ومن حياتك لموتك** زاد
الغزالي في اربعينه فانك يا عبد الله لا تدري
ما اسمك غدا اي ما رسمك ووصفك عند الله
هل انت من الابرار ومن الفجار والمعني خذ من

ايام حياتك ما تلقى نفعه من طاعتك بعد مماتك
واياك والتسويف المانع فان الوقت هو السيف
القاطع وقد انشد لعلي كرم الله وجهه في هذا
المعنى قريب المبنى
اذا هبت رياحك فاغتنمها فان لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها فما تدري السكون متى يكون
اذا ظفرت يداك فلا تقصر فان الدهر عادته يخون
ثم الموت احد الاسباب الموصلة الى النعيم السرمد
كما ورد انكم خلقتم للابد ولكن تنتقلون من دار الى
دار فهو وان كان في الظاهر فنا لكن في الحقيقة بقا
وولادة ثانية ونتيجة باقية كالنوى المزروع لا تصير
نخلا الا بعد فساد جثتها ولذا امتن الله علينا بالموت
فقال الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم
وقال الذي خلق الموت والحياة وقدمه لكونه ذريعة
الى الحياة الحقيقية كما قال وما هذه الحياة الدنيا الا
لهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا
يعلمون وفي الحديث الموت تحفة المومن ثم الروح
لابد حل تحت سكرات الموت بل تنفصل وتنقطع
علاقتها عنه اولا فقوله تعالى ارجعي الى ربك راضية
مرضية فيمن واما ساخطة مسخوطة ثم يتعلق
حين دفن كما تعلق به ارادته سبحانه كما يشهد

اليه قوله فادخلي في عبادي ويتوجه عليه سوال
الملكين ويرد عليه عذاب القبر وثوابه وينبغي
له العلاقة بالتلذذ والتالم بحسب اختلاف اكتسابه
ثم يرتقي روح المومن الي الدرجة العليا او يصل
الي السعادة الكبري واما التي تذوق الموت فهي
النفس المرتكبة من الطبايع الحيوانية الانسانية
كما قال تعالي كل نفس ذايقة الموت واذا خرج
منه الروح تتهدم اركانها وتنعدم شانها لكن
العارفون الذين ضعفت اجسادهم وتجانست
ارواحهم واشباحهم لا يتطرق اليها البلا كما في
الانبيا والشهدا والاوليا من اهل البلا بل تجذبها
الي حضرة اللاهوت وتطير معها في عالم الملكوت
فافهم هذه الاسرار التي نطقت بها الاخبار
وشاهدها بالبصاير الثاقبة الاخيار وقد
ورد معني هذه الوصية عنه صلي الله عليه وسلم
من عدة طرق منها خبر الحاكم انه صلي الله عليه
وسلم قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل
خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك
وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك
قبل موتك وما احسن من قال من ذوي الاحوال
وما هذه الايام الا معارة فما استطعت من معروفها فتزود

بلغ مقابلة

فانك

فانك لا تدري باي بلدة تموت ولا ما يحدث الدهر في غد
رواه البخاري هذا الظاهر يشعر بان الحديث
المرفوع والموقوف كلاهما رواه البخاري
وفي الجامع الصغير للسيوطي ما ينافيه فانه
قال كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل رواه
البخاري عن ابن عمر وزاد احمد والترمذي
وابن ماجه وعد نفسك من اهل القبور فالمتبادر
منه الموقوف عن ابن عمر ليس مذكورا في البخاري
ثم روي هذا الموقوف ايضا مرواه البيهقي عن
ابن عمر قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعض جسدي فقال كن في الدنيا كانك غريب
او عابر سبيل وعد نفسك من اصحاب القبور
وقال لي يا ابن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك
بالمسا واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح
وخذ من صحتك قبل سقمك ومن حياتك قبل
موتك فانك لا تدري يا عبد الله ما اسمك
غدا والحاصل ان هذا الحديث قد اكد
لك الاحاديث السابقة ونتيجة الاعمال الحلـ
الصالحة والاحوال الصادقة وبهذا ختم
به الاربعين كما ختم به اسلام عمر حيث نزل
يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من

الحادي والاربعون عن ابي محمد بن عمرو رضي الله عنهما ابن العاص بلا يا وهو الصحيح لانه لا ناقص كما حققه صاحب القاموس قال الاعيا ص من قريش اولاد بني امية بن عبد شمس الاكبر وهم العاص وابو العاص والعيص وابو العيص واما ما في بعض النسخ كما في اصل ابن حجر العاصي باليا فهو مبني على توهم انه اسم فاعل من العصيا وانه يجوز اثبات اليا وحذفها كما هو مقرر في محلها نعم العاصي هو الكافر العاصي واما من ذكر قبله فهما صحابيان فينبغي ان يقال رضي الله عنهما الا انه قيل ابن العاص كما اشرنا اليه لا بعده كما فعله ابن حجر فانه يتوهم منه الان الاخير صحابيان وعبد الله تابعي فتدبره فانه اسلم قبل ابيه وكان اكبر منه باحدي او اثني او ثلاث عشرة سنة عابدا عالما زاهدا اكثر الناس اخذا للحديث قال ابو هريرة ما كان احد اكثر مني حديثا الا عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا اكتب سكن المدينة ثم رحل الي الشام وعاد اليها وتوفي بها وقيل بالطايف وقيل بالشام وقيل بمصر سنة خمس وستين وهو ابن اثنين وسبعين

270

سنة مروياته سبع مايه حديث ورواته
اكثر من ذلك لما تقدم وانه توعرت الطرق
في الرواية عنه فكان ذلك سبب القلة ما صح عنه
بقال انه حفظ عنه عليه السلام الف مثل وقد
عمي في اخر عمره وهو اجل العبادلة الاربعة
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفضله علي ابيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يومن
احدكم اي ايمانا كاملا حتى يكون هواه بالقصر
اي ميل قلبه وطبع نفسه تبعا اي تابعا لما جيت
به شرعا جامعا مانعا والمعني لا يكمل ايمان احدكم
حتي يكون موافقته للشريعة مثل موافقته
لمالوفاته من غير الكلفة ويجوز ان يحمل علي نفي اصل
الايمان حتي يكون تابعا للشرع اعتقادا كالمخلصين
لا حوفا واكراها كالمنافقين ويوافق هذا الحديث
خبر لا يومن احدكم حتي اكون احب اليه من
ولده واهله والناس اجمعين رواه الشيخان
ولما صدقت محبة الصحابة له صلى الله عليه
وسلم وكان هواهم تبعا لما جابه قاتلوا معه اباهم
وابناهم وبذلوا في طريقه مهجهم وانفقوا
اموالهم فطوبي لهم ثم طوبي لهم فمن كان الهوي
وهو الباطل المطاع والمحبوب الاطباع تابعا

الفرمثل

لطريق الهدي من الملة البيضا والسنة
الزهري حتي يصير همومه المختلفة وخواطره
المتفرقه التي تنبعث من هوي النفس
وميل الطبع هما واحدا يتعلق باموره واتباع
شرعه تعظيما لحقه وشفقة علي خلقه كما قال
كانت لقلبي اهوا متفرقة • فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي
وصار يحسدني من كنت احسدهم • وصرت مولي الوري
اذ صرت مولائي • تركت للخلق دنياهم ودينهم • شغلا
بك يا ديني ودنياي • فلا يميل الا بامر الشرع • ولا
يهوي الي حكم الطبع فهو المومن الكامل الوحيد
الذي يقبل الله منه التوحيد ومن اعرض عنه
متبعا لهواه مبتغا لرضاه فهو الكافر الخاسر
في دنياه وعقباه ومن اتبع اصول الشريعة
دون فروعها فهو الفاسق ومن عكس فهو
المنافق والهوي مصدر هواه احبه وشرعا
ميل النفس الي مشتهيات الطبع دون
مقتضيات الشرع فان قلت ما جا به الرسول
صلي الله عليه وسلم نورا وضيا سمي بالشريعة
والهوي ظلمة في النفس منبعثة من
الطبيعة فكيف يصير الهوي الظلماني
تبعا للدين النوراني مع ان علة انضما م

الظلمة

الكلية هي الجنسية فالجواب ان النفس لطيفة
في الجسد تولدت من ازدواج الروح والبدن
واتصالهما والروح لطيفة روحانية والجسد كثيف
ظلماني والنفس متوسطة بينهما تقبل اللطافة
الروحانية والكثافة الجسمانية وهذا هو
التسوية الذي قال الله تعالى ونفس وما التي
سواها فاستقامة الروح الروحاني في الروح
الجسماني بمثابة النور في الحدقة فصارت بها
النفس قابلة للخير والفجور والتقوى كما قال تعالى
فالهمها فجورها وتقواها فاذا غلب الامر بالتقوى
صارت مزكاة من كدورات الدنيا متوجهة الى
الدين قابلة لليقين مايلة الى العقبى سابقة
الى المولى واذا غلب الامر بالفجور صارت تابعة
للهوى سالكة مسالك الردى كما قال تعالى
قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها وما
احسن قول بعض ذوي العرفان
نون الهوان من الهوى مسروقة فصريع كل هوى صريع هوان
قال الراغب مثل النفس في البدن كمجاهد بعث
الى ثغر ليراعي احواله وجعله خليفة مولاه لديه
ضم اليه ليرشده ويشهد له وعليه وبدنه
بمنزلة مركوبه وهواه سايس خبيث ضم اليه

ليفقد مركوبه والقران بمنزلة كتاب اتاه من مولاه
تبيانا لكل شي ورحمة والنبي رسول اتاه بالكتاب
ليبين للناس ما نزل اليهم واشكل عليهم فانجاهد
اعداه وقهرهم واستعان بالعقل في امرهم حمدا
مراداعاه الي حضرته وهو من المفلحين ومن ضيع
ثغره واهمل رعيته وصرف همته الي مركوبه واقام
سايس المركب الي خليفة ربه فهو في الاخرة من
الخاسرين ثم اعلم انه روي عن ابن عباس قال
الهوي اله يعبد في الارض ثم تلي قوله تعالي ارايت
من اتخذ الهه هواه وقال تعالي واما من خاف
مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فان الجنة
هي الماوي وفي الحديث المجاهد من جاهد نفسه
والمهاجر من اتبع نفسه هواها وتمني علي الله
الجنة وجا مرفوعا ما تحت ظل السما اله يعبد
اعظم عند الله من هوي متبع اخرجه الخرايطي
وكذا روي عن اسما بنت عميس مرفوعا بيس
العبد عبد هوي يضله وبيس العبد عبد
طمع يقوده فالهوي هو البلية العظمي فانها منبع
شهوات الدنيا حديث صحيح باسناده رويناه
بصيغة الفاعل والمفعول في كتاب الحجة اي
في اتباع الحجة للحافظ ابي القاسم اسماعيل

ابن

272

ابن محمد بن الفضل الاصفهاني وقيل هو ابو الفتح
نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي الفقيه نزيل
دمشق باسناد صحيح رواه محيي السنة في
المصابيح وشرح السنة وقد اخرجه ابو نعيم
ايضا في كتابه الاربعين التي شرط في اولها ان
يكون من صحيح الاخبار وجياد الاثار مما اجمع
الناقلون على عدالة ناقله ورواه الطبراني
ايضا وكذا الحافظ ابو بكر بن عاصم الاصبهاني
الثاني والاربعون عن انس رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله تعالى يا ابن ادم افعل مشتق من
ادم الارض وقيل اعجمي لا اشتقاق له ويويد
الاول حديث مرفوع خلق ادم من الارض كلها
فخرجت ذريته على نحو ذلك منهم الابيض والاسود
والاحمر السهل والحزن والطيب والخبيث والمراد
هو وذريته كافة قال يا ايها الجنس ابو الانس
ليدخل فيه دخولا اوليا ثم هذا النداء انكتة للعرفا
وهي ان اقوى المراتب الاسم واضعفها الحرف فظن
قوم انه لا يأتلف الاسم بالحرف فكذا الاقوى الموجود ان
هو الحق سبحانه وخلق الانسان ضعيفا فقالت
الملائكة ما للتراب ورب الارباب فقيل لهم قد

ادم

فيم

با تألف الاسم مع الحرف في حال الندا فكذا البشر
يصلح لحضرة رب الارباب حال التضرع والندا حيث
قال ادعوني استجب لكم **انك ما دعوتني** اي مادمت
تسالني مغفرة ذنوبك وغيرها وتتعبد لي بالطاعات
والدعوات ونحوها فان الدعا مخ العبادة **ورجوتني**
اي رجوت مغفرتي وطمعت في رحمتي او خفت
من عقوبتي وخشيت من عظمتي اذ الرجا بمعني
الخوف ايضا وما ربما نيته طرق قوله **غفرت لك** اي
سترت عيوبك ومحوت ومحوت ذنوبك **علي ما كان**
منك اي مع ما وقع منك من الذنوب الكثيرة الصغيرة
والكبيرة **ولا ابالي** اي لا يعظم علي كثرتها فان جرايم
العباد وآثام اهل العناد في جنب عظمة الرب كذرة
صغيرة بل اقل منها كما لا يخفي وفي الحديث تحريض علي
الدعا وتحسين الرجا مع الدعا وحقيقته استدعا
العبد ربه واستمداده منه والمعونة في حقه
وله شرايط واداب تتقدم الاشارة اليها في اثنا
الكتاب فان قيل ثبت القلم بما هو كاين فالدعا
لا يزيد ولا ينقص في هذا الباب وايضا المطلوب
ان كان من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل
به سوا ساله او لم يساله وان لم يكن منها لم يجز
طلبه ولان الرضا بالقضا الاعظم والاشتغال

باب الله 2

273

بنا في هذا المقام الافخم فالجواب ان الدعا
من سنن المرسلين ومن شعار المسلمين
واداب العرفا الصمد بيقين والقران والحديث
ناطق بصحته بل موذن بوجوب سوال الله
ودعوته والسبب العقلي فيه ان كيفية علم
الله وقضايه غايبة عن عقول عباده والحكمة
الالهية تقتضي ان يكون العبد بين الخوف والرجا
اللذين بهما تتم العبودية وبهذا الطريق
صححنا القول بالتكاليف الشرعية مع الاعتراف
باحاطة علم الله وجريان قدره في كل ما قضاه
ثم قوله صلى الله عليه وسلم فكل ميسر
لما خلق له في جواب قولهم ففيم العمل مع انه
كتب مقعد كل احد من الجنة والنار يدل عليه
او يشير اليه فانه رهبهم بسابق القدر في
الازل ثم رغبهم في القيام بالعمل لان الوسايط
والروابط معتبرة في جميع امور هذا العالم
والله سبحانه اعلم واما الرجا فهو ان تاتي بحسنة
ترجوا ثوابها او سيئة ثم تبت عنها فترجوا
مغفرتها واما الرجل الفاسق المتمادي المتوالي
التايب لا يرجوا المغفرة فهذا من اكاذيب الاماني
قال شاه الكرماني علامة الرجا حسن الطاعة

يتعلم ٣

هاجروا و

ويويده قوله تعالي ان الذين امنوا والذين جاهدوا
في سبيل الله اوليك يرجون رحمة الله وقوله سبحانه
ان رحمة الله قريب من المحسنين وقيل الرجا رؤية
الجلال بعين الجمال او قرب القلب من لطف الرب
او سرور الفواد بحسن الميعاد
اذا كثرت منك الذنوب فداوها برفع يد في الليل والليل مظلم
ولا تقنطن من رحمة الله انما قنوطك منها من خطاياك أعظم
فرحمته للمحسنين كرامة ورحمته للمسرفين تكرم
واما الخوف فهو عبارة عن الم القلب بسبب توقع
مكروه في الغيب وسببه التفكر في تفاصيل
انواع العذاب المتوعد به علي الفاجر وهو نصيب
اهل الظاهر او معرفة الجلال والكبريا وهو وظيفة
الانبيا والاوليا والاول يزول والثاني لا يزول ومن
كان خوفه في الدنيا اكثر امنه الله في العقبي
اظهر وبالعكس فقد يروي يروي انه ينادي يوم
القيامة وعزتي وجلالي لا اجمع علي عبدي خوفين
ولا امنين فمن امنني في الدنيا خوفته يوم القيامة
ومن خافني في الدنيا امنته يوم القيامة يا ابن
ادم لو بلغت ذنوبك اي وصلت من كثرة كميتها
او من عظمة كيفيتها عنان السما بفتح العين
المهملة قيل نفوا لسحاب وقيل ما عن لك منها

رفعت

اي ظهرا ذا ارتفعت راسك اليها ذكره المظهر
وقال التوربشتي العنان السحاب واضافته
اليها غير فصيحة واري الصواب اعنان السما
اي صفايحها واقطارها كانها جمع عنن فلعل الهمزة
سقطت من بعض الرواة او ورد العنان بمعني
العنن انتهي ولا يخفي ان الاضافة تصح بادني
ملابسة فلا ينبغي تخطية جمع الرواة ثم لو ورد
رواية عن بعضهم لرجحناكم ان الصواب معهم ما فيه
من الفايدة المستغرقة بان السحاب منطبق احد
باقاق السما الي افق واحد لانهم يطلقون علي كل
افق سما كما يطلقون علي كل طبقة سما فتنبيه
المبالغة في كثرة الذنوب بحيث لو كانت اجساما
لملات ما بين السما والارض كما جا في رواية
لو اخطاتم حتي بلغت خطاياكم ما بين السما
والارض ثم استغفرتم الله يغفر لكم ثم استغفرتني
اي تبت توبة صحيحة بان ندمت علي المعصية
من حيث كونها معصية واقلعت لمعنها و
عزمت علي ان لا تعود اليها وتداركت ما يمكن
من قضا الطاعة التي فوتتها ورد المظالم
الي اهلها واستحلالهم فيها غفرت لك وان
تكرر المعصية والتوبة ففي الحديث ما اصر

من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة كما
رواه ابو داود والترمذي واما الاستغفار مع الاصرار
على الذنوب الكبائر توبة الكذابين والفجار وقد اخرج
ابن ابي الدنيا حديث المستغفر من الذنب وهو
مقيم عليه كالمستهزئ بربه ولذا قال اصحاب
ابي حنيفة ان من قال استغفر الله واتوب اليه
وهو مصر بقلبه على المعصية كاذب اثم لانه اخبر
انه تائب وليس حاله كذلك وقد قال طائفة من
السلف انه يكره له ذلك والظاهر ان هذا بالنسبة
الى قوله اتوب اليه واما بالنسبة الى قوله استغفر
الله فلا اذ لا يلزم منه كذب لان الاستغفار
من جملة الادعية والاذكار مفيد ولو مع الاصرار
بتخفيف الكبائر وتكفير الصغائر بهذا وفي كلام
بعض العارفين ان التوبة هي الرجوع عن مخالفة
حكم الحق الى موافقته فلا بد من معرفة الذنب حتى
يرجع منه بندم القلب وكثرة الاستغفار وكف
الجوارح عن الاوزار ومن رام حقائق توبة الواصلين
فعليه بكتاب منازل السائرين يا ابن ادم انك لو
اتيتني بقراب الارض اي بمليها كما قال بعضهم و
قال المظهر هو بضم القاف وكسرها لغتان روي بهما
والضم اشهر ومعناه ما يقارب مليها ثم قوله خطايا
تمييز عن الذات المقدرة في الاضافة نحو مثلها عسلا

لا او حال علي ان ما قبله معمول به والبنا للتعدية
ثم لقيتني اي حال كونك اي ميت بوصف الايمان
والاحسان فثم للمهلة لا للتراخي في الاخبار كما
اختاره بعض الشراح لا تشرك بي شيئا بذاتي
وصفاتي وافعالي او شيئا يوذيني من النفس والشيطان
والخلق اذ الشرك قسمان جلي وخفي والاول غير
مغفور والثاني يحبط العمل ويعاقب عليه والجملة حال
لاتيتك بقرابها مغفرة وهي ازالة العتاب
واتصال الثواب ونكرها ليفيد المغفرة العظيمة
وعبر بقرابها للمشاكلة والا فمغفرته سبحانه
غير متناهية وقد ورد اللهم مغفرتك اوسع من
ذنبي ورحمتك ارجى عندي من عملي . واعلم ان عباد
الله الذاهبين اليه المقبلين عليه قسمان الواقفون
والسالكون والمراد بالواقف من وقف في عالم الصورة
والمبنى ولم يفتح له باب في الحقيقة والمعنى كالفرخ
المحبوس في قشر البيضة الخلقية فيكون شربه
من عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب
ومعاملاته مع الرب فهو محبوس في سجن الابدان
وعليه سوكلان يكتبان من اعماله الظاهرة لديهما
والملهمة اليهما والمنكشفة عليهما فاذا لقي الله
تعالى بريا من الشرك الجلي يغفر الله له مساويه

ميتا (margin, beside line 2)

الحلقية (margin, beside line 15)

ويشكر له مساعيه واما السالك فلا يتقيد في محل
ولا ينزل من منزل بينا هو في عالم الحس الي عالم المعني
ومن مضيق الاشباح الي منفسح الارواح وهم
صنفان سيار وطيار كالسيار من يسير بقدمي
الشرع والعقل علي جادة الطريقة وخطاياه
ما يحجبه عن المولي من مراتب الدنيا والاخري ورؤية
غير الله ذاتا وصفة وفعلا حتي وجوده اصلا كما قيل

وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

وهو الشرك عندهم كما قال العارف ابن الفارض

لو خطرت لي في سواك ارادة علي خاطري سهوا حكمت بردتي

فاذا تخلص من ذلك العصيان تلقاه ربه بالمغفرات
بان يستر بشواهده وبنيه ذنوب وجود الاغيار ويرحمه
برفع البينونة والاستتار والطيار عاشق مفقود
القلب مغلوب العقل مجذوب السر يطير بجناحي
العشق وهمة الذوق والشوق في فضا الحقيقة
وفي رجله خلخلة الشريعة وهو المتعين لحمل اعبا
الامانة التي لم يوجد في السما والارض اهل يتمكن
لتحملها فلما عرضت عليه نظر اليه وعشقها وصار
حراس تلك الشمعة تذوب حولها حتي حملها فنسب
في البداية الي الافساد وسفك الدما ولقب في
النهاية بالظلوم والجهول كان تخلت من ابي ونم

والتعلق بما سواه
فان الكبر الكبائر
اثبات وجود غير
الله

بحلم

بطمع في حمل الامانة نسبت الى الخيانة من الطاعة
والامانة ومن اطاعه وابى نسبت الى الظلم والجهل
والخيانة لما الحكمة في ذلك قلت ان الذلة
والمسكنة وقعت في جانب العاشق كما ان العزة
والعظمة وقعت في طرف المعشوق بل جمال عزة
المعشوق لا يظهر الا في مراة ذلة العاشق وايضا
كمال عزة الامانة يلزم كمال ذل المومن في اصلاح كتمان
امر الامانة وقد يحض غيره بحسن الثناء عليه ليكون
عزته في الظاهر وذلته في السر بل لكي يعلي حقيقة
هذه الدقيقة خطاب اسجد والادم وعتاب
اني اعلم ما لا تعلمون رواه الترمذي رحمه الله
وقال اي هذا كما في نسخة حديث حسن صحيح
وفي نسخة حسن وفي اخرى حسن غريب لا
نعرفه الا من هذا الوجه والمعنى انه غريب اسنادا
لا متنا ومطلق الغرابة لا ينافي الحسن والصحة
وقد اخرجه احمد وابو عوانة ايضا في مسنده
الصحيح من حديث ابي ذر والطبراني عن ابن
عباس ثم لما كان هذا الحديث مما عليه مدار
الاسلام ويتضمن ما لا يحصى من الحكم والاحكام
لان اولهما في الترهيب من اتباع الهوى والترغيب
في سلوك مسالك الهدى والثاني في التحريض

علي الرجا والمغفرة والدعا الذي هو مخ العبادة
اوردهما زيادة علي عدد الاربعين في اخر الكتاب
نصيحة لكل تواب واواب واواب ولشعار لما كان
بعض ارباب الحال شعر
من زاد زاد الله في حسناته ولعله انتقل في هذا
المحل الي مضمون حديث الحال المرتحل فكان الحديثين
بمنزلة الفاتحة وصدر سورة البقرة والي قوله سبحانه
فاذا فرغت فانصب والي ربك فارغب اي بزيادة المطلب
حتي تتقرب وختم بهذا الحديث المعظم الشان
اشعارا بانه يجب علي العبد بان يعتقد في مولاه
الفضل والاحسان والمغفرة والرافة والامتنان
وان يحسن ظنه اخر عهده في الدنيا واول
عهده في العقبي فانه يتحقق رجا الراجين حقيق
وولي الاسعاد والامداد والتوفيق فيا من
عرف مكايد الدهر فزهد فيه وشغله هم
الموت فلا يضحك بملا فيه اعتصم بحبل الاسلام
له واستمسك بالعروة الوثقي التي لا انفصام
لها واقبل علي القران والحديث جاهدا ونهما حبيبك
وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين
الاية ثم رايت منقولا ان جماعة من السلف
اجتمعوا علي باب الفضيل بن عياض رحمه

277

الله ليسمعوا منه الحديث فاطلع لهم راسه من
كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقران
عليكم بالصلاة عليكم بالطواف ويحكم ليس هذا
زمان الحديث انما هذا زمان تضرع وبكا واستكانة
ودعا كدعا الغريق في البحر العميق انما هذا زمان
احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ
ما تعرف ودع ما تنكر ولعله اراد بالحديث علو الاسناد
كما قال الحميري حدثنا باب من ابواب الدنيا لان
غالب اهلها ليس لهم تصحيح في نقلها بل لهم غرض
فاسد من الاشتهار والاستظهار لاقصد العمل
والاستبصار والاعتبار كما المهم فهذا اخر
ما قصدته اي نويته واردته من بيان الاحاديث
التي جمعت قواعد الاسلام اي اساسه وما
عليه مدار علما الاعلام وتضمنت ما لا يحصي
من انواع العلوم في الاصول اي اصول
الدين من الالهيات والنبوات والفروع من
الاحكام الفقهية المتعلقة بالاعمال الظاهرية
والاداب اي تحسين الاحوال وتزيين الاخلاق الباطنية
وساير وجوه الاحكام اي مما يحصل به كمال الاتقان
والاحكام وما ذلك الا لكون علوم العالمين وفهوم العالمين
عاجزة عن درك حقايق كلامه وقاصرة عن كنه دقايق

مرامه وانما يغترف كل احد من اتباعه من
بحر فيضه علي قدر ما يحسن من اتباعه وهو
مظهر الاسم الاعظم والكنز الافخم الذي ظهر علي
وجه العالم ولذا قال بعض العارفين قد عرف
الخلق مقام الحق ولم يعرفوا الحقيقة المحمدية
لتستره بالاوصاف البشرية فلله الحمد والمنة
علي اتمام هذا الشرح واساله المزيد من فضله
بزيادة النصر والفتح انه ولي ذلك والقادر
علي ما هنالك والمامول من افضال الافاضل
وافضال الاماثل ان ينظروا في كتابي بعين الرضا
ويصلحوا ما فيه من الزلل والخطا فاني كليل
البضاعة قصير الباع في الصناعة لكن رب
حامل فقه الي من هو افقه منه فالسعي
بقدر الاستطاعة ونسال الله تعالي حسن
الخاتمة في اخر العمر من الساعة التي هي اخت
القيامة فرغ مولفه في اليوم
الخامس والعشرين من شهر رمضان المبارك
عاشر بعد الالف بمكة المكرمة قبالة
الكعبة المعظمة حامدا علي ما هداه الله
وشاكرا علي ما اولاه مولاه مصليا مسلما
علي نبيه وساير الانبيا والمرسلين والحمد

لله

278

لله رب العالمين وكان الفراغ من هذا الشرح
يوم الثلاث المبارك الثاني عشر من شهر ربيع
الاول من شهور سنه الف
ومايه وستة وثلاثين
علي يد افقر عباده
احمد بن احمد
السليمي
الشافعي
الازهري
عفى
عنه
امين

570

Ex
Biblioth. Regia
Berolinensi.

Arab.

MSS. OR.
PETERM. II.
385

مرامه وانما يغترف كل احد من اتباعه من
بحر فيضه علي قدر ما يحسن من اتباعه وهو
مظهر الاسم الاعظم والكنز الافخم الذي ظهر علي
وجه العالم ولذا قال بعض العارفين قد عرف
الخلق مقام الحق ولم يعرفوا الحقيقة المحمدية
لتستره بالاوصاف البشرية فله الحمد والمنة
علي اتمام هذا الشرح واساله المزيد من فضله
بزيادة النعم والفتح انه ولي ذلك والقادر

Staatsbibliothek
zu Berlin
Preußischer Kulturbesitz